

الإمام عليُّ الهاديُّ
عليه السلام
عمر حافل بالجهاد والمعجزات

بقلم

عبدالكريم بن محمد العبداني

الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة

شبكة رافد للتنمية الثقافية



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا

محمد وآله الطيبين الطاهرين .

هل يكون الطفل نبياً ! حدث ذلك عندما جاءت مريم عليها السلام تحمل طفلها ، فنارت في وجهها نساء بني إسرائيل ورجالهم ، واتمموها ووجوهها : **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا .** فأنطقه الله تعالى بلسان فصيح وقول بليغ ، فُبُهت المفترون وأسقط في أيديهم !

وبعد عيسى عليه السلام بمدة وجيزة ، صار طفلاً آخر نبياً ، هو يحيى بن زكريا عليه السلام !

وقبل عيسى ويحيى عليهما السلام جعل الله سليمان نبياً ورسولاً ، وحاكماً بعد أبيه داود عليه السلام وهو ابن عشر سنين ! **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا .**

ثم حدث ذلك في عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان محمد الجواد بن الإمام الرضا عليهما السلام طفلاً وظهرت منه علائم الإمامة ، فأمن به المأمون وتحدى بشخصيته وعلمه العباسيين وفقهاء الخلافة ! قال لهم المأمون : « ويحكم إن أهل هذا البيت خَلَوْ من هذا الخلق ! أَوْ مَا علمتم أن رسول الله بايع الحسن والحسين وهما صبيان غير بالغين ، ولم يبايع طفلاً غيرهما ! أَوْ مَا علمتم أن علياً آمن بالنبي وهو ابن عشر سنين ، فقبل الله ورسوله منه إيمانه ، ولم يقبل من طفل غيره ، ولادعا النبي طفلاً

غيره إلى الإيمان ! أوما علمتم أنها ذرية بعضها من بعض ، يجري لأحدهم ما يجري لأولهم » ! « الإختصاص / ٩٨ » .

فكان الإمام الجواد أول إمام من أهل البيت يتحمل أعباء الإمامة في السابعة ، أما علي والحسنان عليهما السلام فكانوا أئمة وهم صغار ، لكنهم كانوا في ظل النبي صلى الله عليه وآله .

وبعد الإمام الجواد تحمل الإمامة ابنه علي الهادي عليه السلام وكان عمره نحو سبع سنين أيضاً ، فكان الإمام الثاني صغير السن .

أما الثالث فهو الإمام المهدي الموعود عليه السلام الذي توفي أبوه وعمره خمس سنين ، فكان أصغر الأئمة سناً ، ولكنه سيكون أكبرهم أثراً في الحياة ، كما أخبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله فقال : يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً !

وهذا الكتاب في سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام ، الطفل المعجزة ، والإمام الرباني ، وسترى فيه تصديق قوله تعالى : **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ** .

كتبه بقم المشرفة جمادى الأولى ١٤٣٤

علي الكوراني العاملي عامله الله بلطفه

الفصل الأول :

الإمام الهادي عليه السلام في عهد المأمون والمعتصم والوائق

الطفل المعجزة افتخر به المأمون وأنكره المعتصم !

كان المأمون معجباً بالإمام الجواد عليه السلام فعقد زواجه على ابنته أم الفضل وكان عمره عليه السلام تسع سنين . ثم تركه يعود الى المدينة ، وكانت الشيعة ترجع اليه من أنحاء البلاد ، كما شرحنا ذلك في سيرته عليه السلام .

وعاش الإمام الجواد عليه السلام في المدينة ، وفي سن الثامنة عشرة تزوج جارية مغربية مؤمنة ، هي السيدة سمانة رضي الله عنها ، متناسياً زوجته بنت المأمون .

وبعد سنة أي سنة ٢١٢ ، رزقه الله منها ابنه علياً الهادي عليه السلام ، ثم ابنه موسى ، وثلاث بنات : خديجة ، وحكيمة ، وأم كلثوم . « دلائل الإمامة / ٣٩٧ » .

روى الطبري في دلائل الإمامة / ٤١٠ ، عن محمد بن الفرج ، عن السيد عليه السلام أنه قال : « أمي عارفة بحقي وهي من أهل الجنة ، لا يقربها شيطانٌ ماردٌ ، ولا ينالها كيدٌ جبارٌ عنيد ، وهي مكلوءة بعين الله التي لا تنام ، ولا تتخلف عن أمهات الصديقين والصالحين » .

ومات المأمون في آخر سنة ٢١٨ ، وحكم بعده أخوه المعتصم ثمان سنوات ، الى سنة ٢٢٧ . وكان القاضي أحمد بن أبي دؤاد مستشار المعتصم ومدبر أموره ،

فهو الذي دَبَّرَ له الخلافة أصلاً ، وأجبر العباس بن المأمون على خلع نفسه وبيعة عمه المعتصم ، ثم سجنه القاضي وقتله !

وقد أقنع ابن دؤاد المعتصم بأن لا يقع في خطأ المأمون في الإمام الجواد فيعترف بإمامة ابنه الهادي عليه السلام ، بل عليه أن ينكر إمامته ويعمل للتخلص منه !

الإمام الهادي عليه السلام عرف بشهادة أبيه في بغداد

أحضر المعتصم الإمام الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠ ، الى بغداد ، وسمَّه بواسطة زوجته بنت المأمون ! وكان الإمام الهادي في المدينة ، فعرفَ بقتل أبيه وعمره سبع سنين وأخبر أهله وأمرهم بإقامة المأتم ، وذهب بنحو الإعجاز الرباني الى بغداد لتجهيز جنازة أبيه والصلاة عليه ، ورجع الى المدينة في ذلك اليوم !

روى في الكافي « ١ / ٣٨١ » : « عن هارون بن الفضل قال : رأيت أبا الحسن علي بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبوجعفر عليه السلام فقال : إننا لله وإننا إليه راجعون ، مضى أبو جعفر ! فقيل له : وكيف عرفت ؟ قال : لأنه تداخلني ذلَّةُ الله لم أكن أعرفها » .

وفي إثبات الإمامة / ٢٢١ : « بينا أبو الحسن جالسٌ مع مؤدِّب له يكنى أبا زكريا ، وأبوجعفر عندنا أنه ببغداد ، وأبو الحسن يقرأ من اللوح إلى مؤدِّبه ، إذ بكى بكاءً شديداً فسأله المؤدِّب : ممَّ بكائك ؟ فلم يجبه . فقال : إئذن لي بالدخول فأذن له ، فارتفع الصَّياح والبكاء من منزله ، ثم خرج إلينا فسألنا عن البكاء ، فقال : إن أبي قد توفي الساعة ! فقلنا : بما علمت ؟ قال : دخلني من إجلال الله ما لم أكن أعرفه قبل ذلك ، فعلمت أنه قد مضى .

فتعرفنا ذلك الوقت من اليوم والشهر ، فإذا هو قد مضى في ذلك الوقت .

وفي عيون المعجزات / ١١٩ : « عن الحسن بن علي الوشاء قال : جاء المولى أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام مذعوراً حتى جلس عند أم موسى عمه أبيه فقالت له : مالك ؟ فقال لها : مات أبي والله الساعة ، فقالت : لا تقل هذا ، فقال : هو والله كما أقول لك ، فكتب الوقت واليوم ، فجاء بعد أيام خير وفاته عليه السلام وكان كما قال عليه السلام » .

وانتشر خبر شهادة الإمام الجواد عليه السلام في المدينة ، وكان كثيرٌ من أهلها يحبونه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإحسانه اليهم .

فرضوا عليه الإقامة الجبرية وهو طفل !

بعد قتله الإمام الجواد عليه السلام نفذ المعتصم سياسته مع ابنه الهادي عليه السلام فأنكر أن يكون إماماً أوتي العلم صبياً كأبيه ، وقرر أن يعامله على أنه صبي صغير ، حتى لا يُفتن به الناس كما فُتنوا بأبيه . وأوفد وزيره عمر بن الفرج الرخجي الى المدينة ليرتب حبس الإمام الهادي عليه السلام عن الناس ، بحجة كفاله وتعليمه !

وقام الرُخَّجِي بالمهمة ، وحبس الهادي عليه السلام في بيت جده الكاظم عليه السلام ، الذي يقع خارج المدينة ، ليمنعه من الإتصال بشيعته ، وعين له الجنيدي « ليعلمه » العربية والأدب بزعمه ، وأمر والي المدينة أن ينفذ أوامره ، ويقدم له كل ما يحتاج !

روى المسعودي في دلائل الإمامة / ٢٣٠ ، عن محمد بن سعيد ، قال : « قدم عمر بن الفرج الرُخَّجِي المدينة حاجاً بعد مضي أبي جعفر الجواد عليه السلام فأحضر جماعة من أهل المدينة والمخالفين المعادين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم : أُبْعُوا لي

رجلاً من أهل الأدب والقرآن والعلم ، لا يوالي أهل هذا البيت ، لأضمه إلى هذا الغلام وأوكله بتعليمه ، وأتقدم إليه بأن يمنع منه الراضة الذين يقصدونه !

فأسمّوا له رجلاً من أهل الأدب يكتئى أبا عبد الله ويعرف بالجندي ، وكان متقدماً عند أهل المدينة في الأدب والفهم ، ظاهر الغضب والعداوة « لأهل البيت » ! فأحضره عمر بن الفرّج وأسنى له الجاري من مال السلطان ، وتقدم إليه بما أراد وعرفه أن السلطان « المعتصم » أمره باختيار مثله ، وتوكيله بهذا الغلام .

قال : فكان الجندي يلزم أبا الحسن عليه السلام في القصر بصرياً « بيت الإمام في مزرعة صريا بضاحية المدينة » فإذا كان الليل أغلق الباب وأقفله ، وأخذ المفاتيح إليه ! فمكث على هذا مدة ، وانقطعت الشيعة عنه وعن الإستماع منه والقراءة عليه .

ثم إني لقيته في يوم جمعة فسلمت عليه وقلت له : ما حال هذا الغلام الهاشمي الذي تؤدبه ؟ فقال منكراً عليّ : تقول الغلام ، ولا تقول الشيخ الهاشمي ! أنشدك الله هل تعلم بالمدينة أعلم مني ؟ قلت : لا . قال : فإني والله أذكر له الحزب من الأدب ، أظن أني قد بالغت فيه ، فيملي عليّ بما فيه أستفيده منه ، ويظن الناس أني أعلمه ، وأنا والله أعلم منه !

قال : فتجاوزت عن كلامه هذا كأني ما سمعته منه ، ثم لقيته بعد ذلك فسلمت عليه وسألته عن خبره وحاله ، ثم قلت : ما حال الفتى الهاشمي ؟ فقال لي : دع هذا القول عنك ، هذا والله خير أهل الأرض ، وأفضل من خلق الله تعالى ، وإنه لربما همّ بالدخول فأقول له : تَنظَّرْ حتى تقرأ عُشْرَكَ فيقول لي : أيّ السور تحب أن أقرأها ؟ وأنا أذكر له من السور الطوال ما لم يبلغ إليه ، فيهدّها بقراءة لم أسمع أصح منها من أحد قط ، بأطيب من مزامير داود النبي عليه السلام ، التي بها من قراءته

يضرب المثل ! قال ثم قال : هذا مات أبوه بالعراق وهو صغيرٌ بالمدينة ، ونشأ بين هذه الجواري السود ، فمن أين عَلِمَ هذا ؟ قال : ثم ما مرَّت به الأيام والليالي حتى لقينته فوجدته قد قال بإمامته ، وعرف الحق وقال به !

دلالة فرض الإقامة الجبرية على الإمام عليه السلام ؟

يعطينا النص المتقدم أضواءً كافيةً على خطة المعتصم ضد الإمام الهادي عليه السلام وكيف كانت متقنةً ، لكنها فشلت من أساسها ، لأن الشخص الذي انتدبه لهذه المهمة انبهر بالإمام عليه السلام وآمن به !

كما يدل النص على أن شخصية الإمام عليه السلام وشعبيته ، كانت في نظر المعتصم خطراً على خلافته . ومن حقه أن يفكر كذلك ، لأن القوة الحقيقية كانت بيد قادة الجيش الأتراك ، وعددهم لا يتجاوز أصابع اليد ، فهم الذين خلعوا ابن أخيه العباس بن المأمون وبايعوه ، فصار خليفة . فمن الممكن أن يقتنعوا يوماً بالإمام الهادي عليه السلام ويبايعوه ويخلعوا المعتصم ويفرضوا ذلك على بني العباس وغيرهم ، خاصة أن العلويين أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام أقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بني العباس . فهم عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين شهد لهم وأوصى الأمة باتباعهم .

كان المعتصم يرى أن أحاه المأمون أخطأ في إظهار اعتقاده بإمامة الرضا والجواد وإعلانه للناس أن علياً وأبناءه عليهم السلام مميزون بأن علمهم من الله ، فلا يحتاجون إلى تعليم معلم ، وأن صغارهم كبار .

فقد أعطاهم بذلك مقاماً فوق مقام بني العباس ، بل نزع الشرعية عن بني العباس ودعواهم أنهم يستحقون الخلافة بقرابنتهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعمه العباس ، وأنهم أولى من أولاد علي وفاطمة عليهما السلام .

ولذلك اختار المعتصم سياسة أبيه الرشيد ، فقتل الإمام الجواد عليه السلام وأنكر أن يكون ابنه الهادي عليه السلام مثله ، أوتي العلم والحكمة صبياً .

وفي نفس الوقت أظهر أنه يحفظ حق الرحم مع النبي صلى الله عليه وآله في عترته ، فأمر أن يكون الإمام الهادي عليه السلام في بيتهم خارج المدينة ، ووكل به والي المدينة ، واختار له الجندي كمعلم في الظاهر ، وأعطاه المفتاح ليغلق الباب يومياً على الإمام عليه السلام فلا يصل اليه شيعته القائلون بإمامته !

استبصر « معلمه » الجندي وثبت على الإيمان

راوي خبر الجندي ، هو محمد بن سعيد ، وهو ابن غزوان الأزدي ، روى عنه الكليني والصدوق والمسعودي وغيرهم ، وذكره النجاشي / ٣٧٢ في مصنفه الشيعة ، قال : « محمد بن سعيد بن غزوان : له كتاب . قال ابن نوح : أخبرنا محمد بن أحمد بن داود قال : حدثنا محمد بن عيسى بن عثمان الآجري ، عن غزوان بن محمد الأزدي ، عن أبيه محمد بن سعيد بن غزوان بكتابه » .

وهذا كاف في توثيقه ، كما قال الميرزا جواد التبريزي « تنقيح مباني العروة : ٧ / ٢٦٢ » .

وأبو عبد الله الجندي الذي عينه المعتصم معلماً للإمام الهادي عليه السلام غير الفقيه المعروف محمد بن أحمد بن الجنيد ، وغير الجنيد بن محمد البغدادي الصوفي المشهور ، وغير الجندي الذي ترجم له السمعاني « ٢ / ٩٩ » ، فقال : « وأبو عبد الله بن الجنيد الإسكافي كان يتكلم بكلام الجنيد بن محمد البغدادي كثيراً فلقب به » . فالجنيد والجندي متعدّد في مصادر التاريخ والرواة .

والظاهر أن الجندي هذا قد تشيع على يد الإمام الهادي عليه السلام ، وثبت على تشييعه وسكن بغداد ، وأنه هو الذي ذكره الصدوق في كمال الدين / ٤٤٢ ، فيمن رأى

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، قال : « ورآه من الوكلاء ببغداد: العمري وابنه ، وحاجز ، والبلالي ، والعتار . ومن الكوفة : العاصمي . ومن أهل الأهواز : محمد بن إبراهيم بن مهزيار . ومن أهل قم : أحمد بن إسحاق . ومن أهل همدان : محمد بن صالح . ومن أهل الري : البسامي والأسدي يعني نفسه . ومن أهل آذربيجان : القاسم بن العلاء . ومن أهل نيسابور : محمد بن شاذان .

ومن غير الوكلاء من أهل بغداد : أبو القاسم بن أبي حليس ، وأبو عبد الله الكندي ، وأبو عبد الله الجنيد ، وهارون القزاز .. الخ . » .

صَرِيَا مزرعة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

صَرِيَا : إسم مصدر بمعنى الفصل في الحكم . وهو إسم قرية قرب المدينة أنشأها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

قال الخليل « ٤ / ٤٠٢ » : « يوم بَغَاث : وقعة كانت بين الأوس والخزرج . ويقال : هو بَغَاث على ميل من المدينة ، قريب من صَرِيَا . وهو موضع اتخذه موسى بن جعفر أبو الرضا . وصَرِيَا معمورة بهم اليوم » .

وقال ابن السكيت / ٣١٠ : « يقال : اختصمنا إلى الحاكم فقطع ما بيننا وفصل ما بيننا ، وصرى ما بيننا وهو يصري صَرِيَاً » .

وقال ابن منظور « ١٤ / ٤٥٧ » : « وصَرَى ما بيننا يصري صَرِيَاً : أصلح » .

ويظهر من أخبارها أن مساحتها واسعة وفيها زرع ونخيل .

وكان يتواجد فيها الأئمة من أبناء الكاظم وهم الرضا والجواد والهادي عليهم السلام ،
وقد ولد فيها الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢١٢ ، وعاش فيها مدةً من عمره الشريف .

لذلك رأى الرُّحجّي مبعوث المعتصم أنّها مكانٌ مناسبٌ لفرض الإقامة الجبرية
على الإمام الهادي عليه السلام لحفظ احترامه في الظاهر ، وقطعه عن جمهوره من البلاد .

فشلت خطة المعتصم في محاصرة الإمام عليه السلام

الأخبار قليلة عن المرحلة التي كان فيها الإمام الهادي عليه السلام تحت الإقامة الجبرية
وماذا جرى بينه وبين الجنيد ، وكم طالّت مدتها ، وكيف كان برنامج الإمام
في زيارة قبر جده النبي صلى الله عليه وآله ، ولقاء شيعته ؟ لكن المؤكّد أن التغييرات السياسية
وتسديد الله تعالى لوليه عليه السلام ، قد أفشلا خطة المعتصم .

ويدل عليه أن الجنيد المسؤول عن حصاره ، انبهر بعلمه عليه السلام وشخصيته ،
وآمن بأنه حجة الله على أرضه . فمن الطبيعي أن يُسهّل ذلك على شيعته وعمامة
الناس ، أن يكسروا محاصرته ، خاصةً في موسم الحج .

* *

كان الواثق ليناً مع العلويين ومعجباً بالإمام الهادي عليه السلام

لما مات المأمون كان الإمام الهادي (ع) طفلاً في السادسة من عمره في ظل أبيه الإمام الجواد عليه السلام . ولما مات المعتصم سنة ٢٢٧ ، انتهى قراره بمحاصرة الإمام الهادي عليه السلام وكان الإمام يومها في السادسة عشرة . ثم حكم الواثق نحو ست سنين ومات سنة ٢٣٢ ، وكان عمر الإمام عليه السلام يومها نحو ٢١ سنة .

وقد ترجمنا للوائق في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ، وذكرنا أنه رغم استغراقه في شهوراته ، كان ليناً مع الطالبين فلم يقتل منهم أحداً ، مع أن كبار شخصياتهم كانوا عنده في سامراء ، تحت الإقامة الجبرية .

قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين / ٣٩٤ : « لا نعلم أحداً قُتل في أيامه » يقصد من الطالبين « إلا أن علي بن محمد بن حمزة ، ذكر أن عمرو بن منيع قتل علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ، ولم يذكر السبب في ذلك ، فحكينا عنه على ما ذكره ، فقتل في الواقعة التي كانت بين محمد بن مكيال ومحمد بن جعفر . هذا بالري . وكان آل أبي طالب مجتمعين بسر من رأى في أيامه ، تُدْرُ الأرزاق عليهم ، حتى تفرقوا في أيام المتوكل » .

وكان الواثق معجباً بالإمام الهادي عليه السلام وربما أظهر ذلك ، بخلاف أبيه المعتصم ، فقد طرَحَ يوماً سؤالاً على الفقهاء فعجزوا عنه ، فقال لهم : أنا آتيكم بمن يعرف الجواب ، وأحضر الإمام الهادي عليه السلام !

روى في تاريخ بغداد « ١٢ / ٥٦ » : « قال يحيى بن أكثم في مجلس الواثق والفقهاء بحضرته : مَنْ حَلَقَ رَأْسَ آدَمَ حِينَ حَجَّ ؟ فتعالي القوم عن الجواب فقال الواثق : أنا أحضركم من ينبؤكم بالخبر ! فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فأحضر فقال : يا أبا الحسن ، مَنْ حَلَقَ رَأْسَ آدَمَ ؟ فقال : سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني . قال : أقسمت عليك لتقولن . قال : أما إذا أبيت فإن أبي حدثني عن جدي ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمر جبريل أن ينزل بياقوتة من الجنة ، فهبط بها فمسح بها رأس آدم فتناثر الشعر منه ، فحيث بلغ نورها صار حرماً » .

وكان هذا السؤال مطروحاً قبل الواثق ، وعجز علماء السلطنة عن جوابه ، ففي تاريخ بغداد « ١٣ / ١٦٧ » : « قال مقاتل بن سليمان بمكة : سلوي ما دون العرش ! فقام قيس القيّاس فقال : من حلق رأس آدم في حجته ؟ فبقي ! » .

والظاهر أن هذه القصة كانت في موسم الحج ، في مكة أو المدينة ، لأن الإمام الهادي عليه السلام لم يذهب إلى سامراء في زمن الواثق . وقد حج الواثق مرة واحدة قبل وفاته سنة ٢٣١ ، ومعناه أن الإمام الهادي عليه السلام كان يومها في سن العشرين .

قال ابن تغري في مورد اللطافة « ١ / ١٥٣ » : « وحج الواثق مرة ، ففرق بالحرمين أموالاً عظيمة ، حتى لم يبق بالحرمين فقير » . واليعقوبي : ٢ / ٤٨٣ .

المتوكل يضطهد الإمام الهادي عليه السلام

عاش الإمام الهادي عليه السلام في خلافة المتوكل وابنه المنتصر ، ثم في خلافة المستعين والمعتز ، الذي ارتكب جريمة قتل الإمام عليه السلام بالسوم ، وذلك في الثالث من رجب سنة ٢٥٤ هجرية .

وقد ضيق المعتصم على الإمام عليه السلام ، ثم شدد عليه المتوكل في أول خلافته وأحضره الى سامراء ، وحاول قتله فلم يجد حجة ، فعاد الإمام عليه السلام الى المدينة .

ثم أحضره المتوكل ثانية ، وفرض عليه الإقامة في سامراء ، واضطهد كل بني هاشم ، وأفقرهم ، وقتلهم ، وشردهم . وهدم قبر الحسين عليه السلام ومنع من زيارته . فنقم عليه المسلمون ، حتى كتبوا شتمه على جدران البيوت في بغداد . وثار عليه الأتراك وقتلوه ، وولوا ابنه المنتصر فحكم شهوراً ، ثم قتله الأتراك .

ومن يومها صار الأتراك القوة الأولى التي تنصب الخليفة وتعزله ! حتى جاء البويهويين الفرس بعد نحو قرن ، وحلوا محلهم !

قال اليعقوبي في البلدان « ١ / ١٦ » يصف حكم خمسة خلفاء عباسيين في بضع سنوات : « مات المنتصر بسر من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين . وولي المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ، فأقام بسر من رأى سنتين وثمانية أشهر ، حتى اضطرت أموره فانحدر إلى بغداد في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فأقام بها يحارب أصحاب المعتز سنة كاملة ، والمعتز بسر من رأى معه الأتراك وسائر الموالي . ثم خلع المستعين وولي المعتز ، فأقام بها حتى قتل ثلاث سنين

وسبعة أشهر بعد خلع المستعين ، وبويع محمد المهدي بن الواثق في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، فأقام حولاً كاملاً ينزل الجوسق حتى قُتل .

وولي أحمد المعتمد بن المتوكل فأقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي بسر من رأى ، فبنى قصرًا موصوفًا بالحسن سماه المعشوق فنزله فأقام به حتى اضطرت الأمور فانتقل إلى بغداد ، ثم إلى المدائن .

أقول : في هذه المرحلة غضب الله تعالى على العباسيين ، فاضطرب نظام الخلافة .

فقد قتل المتوكل وقصرت أعمار الخلفاء ، ووقع الصراع بينهم ، وبينهم وبين قادة جيشهم الأتراك ، وبين الأتراك أنفسهم .

وفي هذه الصراعات كانوا يقتلون الخليفة الذي لا يعجبهم ، ويختارون عباسياً غيره . وكانت طريقة قتل الخليفة غالباً بعصر خصيته !

* *

من مفردات صحيفة المتوكل

الهوية الشخصية

هو جعفر بن المعتصم ، بن هارون ، بن المهدي ، بن المنصور العباسي . ولد سنة ٢٠٥ ، وحكم سنة ٢٣٢ ، وقتل سنة ٤٧ ، فمدة حكمه نحو خمسة عشرة سنة .

قالوا في صفته : « كان أسمرَ ، جميلاً ، مليح العينين ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، مربوعاً ، وأمه أمة قفقازية إسمها شجاع . وكانت له جُمَّةٌ إلى شحمة أذنيه » . « سير الذهبي : ١٢ / ٣٠ ، ومآثر الإنافة : ١ / ٢٢٨ » .

وقال محمد بن أبي الدنيا : « رأيت المتوكل أسمر حسن العينين ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين وكان إلى القصر أقرب ، ويكنى أبا الفضل » . « تاريخ بغداد » ٧ / ١٨١ » .

وقال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٣ » : « فلما كان في اليوم الثاني لقبه أحمد بن أبي دؤاد : المتوكل على الله . وذلك في اليوم الذي مات فيه الواثق أخوه ، وهو يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، ويكنى بأبي الفضل ، وببيع له وهو ابن سبع وعشرين سنة وأشهر ، وقتل وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، فكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسع ليال ، وأمه أم ولد خوارزمية يقال لها شجاع ، وقتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين » .

وفي المحبر لابن حبيب / ٤٤ : « قال أبو العباس بن الوثائق : أم المتوكل تركية ، وهي خالة موسى بن بغا ، ويقال لها شجاع . وإسم أختها أم موسى بن بغا : حُسن » .

كان حضرة الخليفة مخنثاً يطلب الرجال !

قال الطبري « ٧ / ٣٤٣ » : « وكان الوثائق قد غضب على أخيه جعفر المتوكل لبعض الأمور ، فوكل عليه عمر بن فرج الرخجي ، ومحمد بن العلاء الخادم ، فكانا يحفظانه « من التخنث » ويكتبان بأخباره في كل وقت !

فصار جعفر إلى محمد بن عبد الملك يسأله أن يكلم له أخاه الوثائق ليرضى عنه ، فلما دخل عليه مكث واقفاً بين يديه ملياً لا يكلمه ، ثم أشار إليه أن يقعد فقعد ، فلما فرغ من نظره في الكتب التفت إليه كالمتهدد له فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لتسأل أمير المؤمنين الرضا عني . فقال لمن حوله : أنظروا إلى هذا يُغضب أخاه ، ويسألني أن أسترضيه له ! إذهب فإنك إذا صلحت « تركت التخنث » رضي عنك .

فقام جعفر كئيباً حزيناً لما لقيه به من قبح اللقاء والتقصير به ، فخرج من عنده فأتى عمر بن فرج ليسأله أن يختم له صكه ليقبض أرزاقه ، فلقيه عمر بن فرج بالخبيثة ، وأخذ الصك فرمى به إلى صحن المسجد ، وكان عمر يجلس في مسجد وكان أبو الوزير أحمد بن خالد حاضراً ، فقام لينصرف فقام معه جعفر فقال : يا أبا الوزير ، رأيت ما صنع بي عمر بن فرج ! قال : جعلت فداك ، أنا زمامٌ عليه وليس يختم صكي بأرزاق إلا بالطلب والتزفق به ، فابعث إلى بوكيلك فبعث جعفر بوكيله فدفع إليه عشرين ألفاً ، وقال : أنفق هذا حتى يهين الله أمرك

فأخذها ، ثم أعاد إلى أبي الوزير رسوله بعد شهر يسأله إعانته ، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم . ثم صار جعفر من فوره حين خرج من عند عمر إلى أحمد بن أبي دؤاد ، فدخل عليه فقام له أحمد واستقبله على باب البيت وقبَّله والتزمه ، وقال : ما جاء بك جعلت فداك ؟ قال : قد جئت لتسترضي لي أمير المؤمنين . قال : أفعلُ ونعمَّةٌ عَينٍ وكرامة ، فكلّم أحمد بن أبي دؤاد الوثائق فيه فوعده ولم يرض عنه ، فلما كان يوم الحلبه كلم أحمد بن أبي دؤاد الوثائق ، وقال معروف المعتصم عندي معروفٌ ، وجعفرُ ابنه ، فقد كلمتك فيه ووعدت الرضا ، فبحق المعتصم يا أمير المؤمنين إلا رضيت عنه ، فرضي عنه من ساعته وكساه . وانصرف الوثائق وقد قلد أحمد بن أبي دؤاد جعفرًا بكلامه حتى رضي عنه أخوه شكرًا ، فأحظاه ذلك عنده حين ملك .

وذكر أن محمد بن عبد الملك كان كتب إلى الوثائق حين خرج جعفر من عنده : يا أمير المؤمنين ، أتاني جعفر بن المعتصم يسألني أن أسأل أمير المؤمنين الرضا عنه ، في زي المخنثين له شَعْرُ قَفَا ! فكتب إليه الوثائق : إبعث إليه فأحضره ومُر من يَكْرُ شَعْر قفاه ، ثم مُر من يأخذ من شعره ويضرب به وجهه ، واصرفه إلى منزله !

فذكر عن المتوكل أنه قال : لما أتاني رسوله لبست سواداً لي جديداً وأتيته رجاءً أن يكون قد أتاه الرضا عني ، فأتيته فقال : يا غلام أدع لي حجّاماً فدعا به ، فقال : خذ شعره واجمعه ، فأخذه على السواد الجديد ولم يأت به بمنديل ، فأخذ شعره وشعر قفاه وضرب به وجهه !

قال المتوكل : فما دخلني من الجزع على شئ مثل ما دخلني حين أخذني على السواد الجديد ، وقد جئته فيه طامعاً في الرضا . فأخذ شعري عليه . » .

أقول : يتضح بذلك أن سبب غضب الواثق على المتوكل أنه كان مخشياً شاذاً ، أطال شعره كما يفعل المخنثون ، الذين يتشبهون بالنساء ، ويطلبون الرجال !

وكان على المخنث الغني أن يعطي الشاب التركي أجرة لواطه به ، كما فعل عبادة المخنث ! « خرج عبادة يوماً في السحر إلى الحمام ، فلقي غلاماً من أولاد الأتراك فأعطاه عشرة دراهم وقال : إقطع أمر عمك .. » !

وأتوا به من سجن المخانيث الى كرسي الخلافة !

أوصى الواثق بالخلافة الى ابنه محمد ، لكن كبار أركان الدولة استصغروه ، فجاؤوا بالمتوكل من سجنه ، ونصبوه خليفة .

قال الطبري « ٧ / ٢٤١ » : « لما توفي حضر الدار أحمد بن أبي دؤاد ، وإيتاخ ، ووصيف وعمر بن فرج ، وابن الزيات ، وأحمد بن خالد أبو الوزير ، فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق ، وهو غلام أمرد فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية ، فإذا هو قصير ، فقال لهم وصيف « القائد التركي » : أما تتقون الله تولون مثل هذا الخلافة ، وهو لا يجوز معه الصلاة ! قال فتناظروا فيمن يولونها فذكروا عدةً ، فذكر عن بعض من حضر الدار مع هؤلاء أنه قال : خرجت من الموضع الذي كنت فيه فمررت بجعفر المتوكل فإذا هو في قميص وسروال قاعد مع أبناء الأتراك ، فقال لي : ما الخير ؟ فقلت : لم ينقطع أمرهم . ثم دعوا به ، فأخبره بغا الشرابي الخير ،

وجاء به فقال : أخاف أن يكون الواثق لم يمت ، قال : فمرَّ به فنظر إليه مُسَجِّئاً ، فجاء فجلس فألبسه أحمد بن أبي دؤاد الطويلة وعممه وقبَّله بين عينيه ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . ثم غُسِّلَ الواثق وصُلِّيَ عليه ودفن ، ثم صاروا من فورهم إلى دار العامة ولم يكن لُقَّبَ المتوكل . وذكر أنه كان يوم يبيع له ابن ست وعشرين سنة ، ووضع العطاء للجنـد لثمانية أشهر ، وكان الذي كتب البيعة له محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو إذ ذاك على ديوان الرسائل واجتمعوا بعد ذلك على اختيار لقب له ، فقال ابن الزيات : نسـميه المنتصر بالله وخاض الناس فيها حتى لم يشكوا فيها ، فلما كان غداة يوم بَكَرَ أحمد بن أبي دؤاد إلى المتوكل فقال : قد رَوَيْتُ « وصلتُ إليه بعد رَوِيَّة » في لقب أرجو أن يكون موافقاً حسناً إن شاء الله وهو : المتوكل على الله . وأمر بإمضائه ، وأحضر محمد بن عبد الملك فأمر بالكتاب بذلك إلى الناس فنفذت إليهم الكتب نسخة ذلك : بسم الله الرحمن الرحيم أَمَرَ ، أبقاك الله ، أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، أن يكون الرسم الذي يجرى به ذكره على أعماد منابره ، وفي كتبه إلى قضاته وكتابه وعماله وأصحاب قضاته وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه ، وغيرهم من سائر من تجرى المكاتبه بينه وبينه : من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين . فرائك في العمل بذلك ، وإعلامي بوصول كتابي إليك ، موافقاً إن شاء الله .

وذكر أنه لما أمر للأتراك برزق أربعة أشهر ، وللجنـد والشاكرية ومن يجرى مجراهم من الهاشميين برزق ثمانية أشهر ، أمر للمغاربة برزق ثلاثة أشهر ، فأبوا

أن يقبضوا فأرسل إليهم من كان منكم مملوكاً فليمض إلى أحمد بن أبي دؤاد حتى يبيعه ، ومن كان حراً صيرناه أسوة الجنيد ، فرضوا بذلك ، وتكلم وصيف فيهم « مع المتوكل » حتى رضي عنهم فأعطوا ثلاثة ، ثم أجروا بعد ذلك مجرى الأتراك .

وبويع للمتوكل ساعة مات الواثق بيعة الخاصة ، وبايعته العامة حين زالت الشمس من ذلك اليوم .

وفي وفيات الأعيان « ٥ / ٩٩ » : « لما مات الواثق بالله أخ المتوكل ، أشار محمد المذكور « الزيات » بتولية ولد الواثق ، وأشار القاضي أحمد بن أبي دؤاد المذكور بتولية المتوكل وقام في ذلك وقعد حتى عممه بيده وألبسه البردّة ، وقبّله بين عينيه . »

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٣ / ١٤٥ » : « كان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبي دؤاد عداوة شديدة ، فلما ولي المتوكل دار ابن أبي داود على محمد ، وأغرى به المتوكل حتى قبض عليه وطالبه بالأموال . »

وقال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٣ » : « فلما كان في اليوم الثاني لقبه أحمد بن أبي داود المتوكل على الله . »

أقول : لكن روايتنا تدل على أنه كان يوجد صراع على الخلافة بعد الواثق ، بين رئيس وزرائه ابن الزيات من جهة ، وبين إيتاخ القائد التركي الذي ربي المتوكل ومعه القائد التركي وصيف ، ومعهما القاضي ابن أبي دؤاد من جهة أخرى . وكان المتوكل في السجن فتمكن وصيف وابن دؤاد من إخراجه ، وعقدوا له البيعة ولقبوه بالمتوكل !

قال خيران الأسباطي : « قدمت على أبي الحسن « الإمام الهادي عليه السلام » المدينة فقال لي : ما خبر الوائق عندك ؟ قلت : جعلت فداك خلقتُ في عافية ، أنا من أقرب الناس عهداً به ، عهدي به منذ عشرة أيام . قال فقال لي : إن أهل المدينة يقولون : إنه مات . فلما أن قال لي : الناس ، علمت أنه هو . ثم قال لي : ما فعل جعفر « المتوكل » ؟ قلت : تركته أسوأ الناس حالاً في السجن . قال فقال : أما إنه صاحب الأمر !

ما فعل ابن الزيات ؟ قلت : جعلت فداك الناس معه ، والأمر أمره . قال فقال : أما إنه شؤم عليه . قال : ثم سكت وقال لي : لا بد أن تجري مقادير الله تعالى وأحكامه . يا خيران ، مات الوائق وقد قعد المتوكل جعفر ، وقد قتل ابن الزيات . فقلت : متى جعلت فداك ؟ قال : بعد خروجك بستة أيام . « الكافي : ١ / ٤٩٨ » .

وقد كتبنا فقرات عن ابن دؤاد في سيرة الإمام الهادي عليه السلام ، وسنكتب عنه وعن القادة الأتراك ، فقرات في هذه السيرة .

وكان لحضرة الخليفة ندماء مخانيث !

في الإكمال لابن ماکولا العجلي « ٢٨ / ٦ » : « وأما عبادة بفتح العين وتشديد الباء ، فهو عبادة المخنث ، كان ينادم المتوكل ، له نوادر ومضحك » .

وفي تاريخ الذهبي « ١٨ / ٣٠٤ » : « قال البخاري : مات في شوال سنة خمسين ومئتين عبادة المخنث » .

وفي كتاب الديارات « ١ / ٤٤ » : « قال المتوكل لعبادة ذات يوم : دع التخنث حتى أزوجك . قال : أنت خليفة أو دلالة ؟ وقال له ابن حمدون : يا عبادة ، لو حججت

لاكتسبت أجراً وراك الناس في مثل هذا الوجه المبارك . فقال : إسمعوا ويلكم إلى هذا العيار : يريد أن ينفي من سامراء على جمل !

وفي تذكرة ابن حمدون « ٣ / ١٦٤ » : « كان المتوكل على بركة يصيد السمك ، وعنده عبادة المخنث ، فتحرك المتوكل فخرجت منه ريح ، فقال لعبادة : أكتمها عليّ فإنك إن ذكرتها ضربت عنقك ! ودخل الفتح فقال : أي شيء صدمت اليوم ؟ فقال له عبادة : ما صدنا شيئاً ، والذي كان معنا أفلت ! »

وفي العقد الفريد « ٦ / ٤٣٧ » : « كنا عند المتوكل يوماً وبين يديه عبادة المخنث ، فأمر به فألقي في بعض البرك في الشتاء فابتل وكاد يموت برداً ، قال : ثم أخرج من البركة وكسي وجعل في ناحية في المجلس ، فقال له : يا عبادة كيف أنت وما حالك ؟ قال : يا أمير المؤمنين جئت من الآخرة . فقال له : كيف تركت أخي الواثق ؟ قال : لم أجزُ بجهنم ! فضحك المتوكل وأمر له بصلة . »

وفي تاريخ دمشق « ٢٦ / ٢٢٢ » : « كان لرجل على عبادة المخنث دينٌ ، فكان يتردد إليه كل يوم فيقال ليس هو في البيت ، فغلس عليه يوماً في الثالث الأخير فمدق الباب ، فقبل ليس هو هاهنا . فصاح الرجل واستغاث بالجيران ، فلما اجتمعوا قال يا معشر الناس في الدنيا أحد ليس هو في بيته الساعة ، فأشرف عليه عبادة من طاق له قال : نعم يا ابن الفاعلة هو ذا أنت ليس في بيتك الساعة . »

وفي جمع الجواهر للحصري « ١ / ٦٨ » : « كان المتوكل قد بسط من عبادة المخنث للدخول معه على كل حال ، فدخل عليه وهو نائم مع سوداء كان يجبها ، فلما رآه

أمرها أن تغطي وجهها . فقال : يا أمير المؤمنين ومن معك ؟ قال : ويلك ، وبلغ فضولك إلى هذا الموضع ! ومدت الجارية رجلها فبانَت سوداء . فقال : يا أمير المؤمنين تنام ورجلك في الخف !

فقال المتوكل : قم عليك لعنة الله ، وضحك وأمر له بصلة ، فأخذها وانصرف . وكان عبادة يشرب بين يديه ويترك في القدح فضلة ، فقال : يا عبادة ما تدري ما يقول الناس ؟ قال : وما هو ؟ قال : يقولون إن شارب النبيذ إذا شرب وعبس وجهه وفضلت في القدح فضلة فإن إبليس يضرب قفاه ، ويقول : إشرب فضلة ما استطبت . فمضت الأيام واصطحب المتوكل وعبادة حاضر ، وشرب قدحاً كان في يديه وفضلت فضلة . فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءك الرجل !

وتجاري الجواري بحضرة المتوكل فسبقتهن جارية ممشوقة ، فقال المتوكل لعبادة : إجر معها حتى ننظر من يسبق صاحبه . فقال عبادة : إن سبقتها فما لي ؟ قال : هي لك ، وإن سبقتك صَفَعْتُكَ . . . » .

وفي كتاب الديارات لأبي الحسن الشايستي « ١ / ٤٥ » : « خرج عبادة يوماً في السحر إلى الحمام ، فلقي غلاماً من أولاد الأتراك ، فأعطاه عشرة دراهم وقال : إقطع أمر عمك ! فبينا الغلام فوقه خلف الدرب ، إذ أشرفت عجوز من غرفة لها فرأتهما فصاحت : اللصوص ! فقال عبادة : يا عجوز السوء التَّئِبُ في إستي ، صياحك أنت من أيش ! »

وفي جمع الجواهر للحصري « ١ / ١٢٩ » : « وركب المتوكل زللاً « قارباً » ومعه قَطَاطة وعبادة المختنان ، وكان قطاطة طويلاً جداً فجعل يغني إلى أن هبت ريح . . »

وفي نثر الدرر « ٥ / ١٩٤ » : ركب يوماً زللاً ومعه جماعة ، فيهم كنيز المختن ! وسيأتي أن شاعر المتوكل ومستشاره علي بن جهم كان مختناً أيضاً !

وكان حضرة الخليفة حَمَاراً يهوى الغلمان !

وقد شاع ذلك عنه وذاع ، وروت المصادر أنه أراد أن إجبار الإمام الهادي عليه السلام على أن يشرب معه فامتنع ، ووعظه بشعر فأبكاها !

وممن رواه الذهبي في تاريخه « ١٨ / ١٩٩ » قال : « كان قد سُعيّ بأبي الحسن إلى المتوكل وأن في منزله سلاحاً وكتباً من أهل قم ، ومن نيته التوثب . فكَبَسَ بيته ليلاً ، فوجد في بيت عليه مِدْرَعَةٌ صوف ، متوجهة إلى ربه ، يترنم بأبيات ، فأخذ كهيئته إلى المتوكل وهو يشرب ، فأعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس ، فقال : ما خامر لحمي ودمي قط ، فاعفني منه ، فأعفاه وقال : أنشدني شعراً ، فأنشده :

| | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| باتوا على قُللِ الأجيال تحرسهم | غُلِبَ الرجالِ فما أغنتهم القُللُ |
| واسْتُنزِلُوا بعد عِزٍّ عن معاقلهم | فأودعوا حُفراً يا بئسَ ما نزلوا |
| ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبِروا | أينَ الأَسِرَّةُ والتيجانُ والحُللُ |
| أينَ الوجوهُ التي كانت مُنعمَةً | من دونها تُضربُ الأستارُ والكِللُ |
| فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءلهم | تلكَ الوجوهُ عليها الدُّودُ يفتسِلُ |
| قد طالَ ما أكلوا دهرًا وما شربوا | فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا |

وظالما عمروا دوراً لتحصنهم ففارقوا الدورَ والأهلينَ وانتقلوا
وظالما كنزوا الأموالَ وأدخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً مُعطلّةً وساكنوها إلى الأجداثِ قد رَحَلوا «

لكن بكاء المتوكل من ذكر الموت وخوفه من الله تعالى كان آتياً ، فقد بقي كل عمره يشرب ويسرف في الشرب ، حتى قُتل وهو سكران !

قال نديمه علي بن الجهم : « كنت يوماً عند المتوكل وهو يشرب ونحن بين يديه ، فدفعت إلى محبوبه تفاحة مغلّفة فقبّلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضوع الذي كانت تجلس فيه إذا شرب » . « الأغاني : ٢٢ / ٤٠٨ » .

وقال الثعالبي في ثمار القلوب « ١ / ١٥٥ » : « كان بنانُ وزنّامُ مُطريّ المتوكل ، وكان كل منهما منقطع القرين في طبقتيه ، فإذا اجتمعا على الضرب والزمير أحسنا وفتّنا وأعجبنا وعجّبنا ، وكان المتوكل لا يشرب إلا على سماعهما » .

وقال ابن كثير الناصبي في النهاية « ١٠ / ٣٤٣ » : « شرب ليلةً مع المتوكل ، فعربد عليه المتوكل فهمّ إيتاخ بقتله ، فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له : أنت أبي وأنت ربيتي ، ودسّ اليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج .. » .

وروى الشابستي في الديارات خبر مجالس خمر كثيرة للمتوكل ، قال « ١ / ٣٧ » : « اجتمع مشايخ الكتاب بين يدي المتوكل ، وكان فيهم يحيى بن خاقان ، وابنه عبيد الله إذ ذاك الوزير ، وهو واقف موقف الخدم بقباء ومنطقة ، وكان يحيى لا يشرب النبيذ فقال المتوكل لعبيد الله : خذ قديحاً من تلك الأقداح واصبب فيه نبيذاً وصير على

كتفك منديلاً ، وامض إلى أبيك يحيى فضعه في كفه . قال ففعل ، فرفع يحيى رأسه إلى ابنه فقال المتوكل : يا يحيى لاترده . قال : لا يا أمير المؤمنين ، ثم شربه وقال : قد جَلَّتْ نعمتك عندنا يا أمير المؤمنين فهناك الله النعمة ولا سلبنا ما أنعم به علينا منك . فقال : يا يحيى ، إنما أردت أن يخدمك وزير بين يدي خليفة » .

وفي تاريخ بغداد « ١٣ / ٤٥٤ » : « حدثني أبو العباس بن طومار قال : كنتُ أنادُم المتوكل فكنت عنده يوماً ومعنا البحري وكان بين يديه غلام حسن الوجه يقال له راح . فقال المتوكل للفتح : يا فتح إن البحري يعشق راحاً ، فنظر إليه الفتح وأدمن النظر ، فلم يره ينظر إليه ، فقال له الفتح : يا أمير المؤمنين أرى البحري في شغل عنه ، فقال : ذاك دليلي عليه ، ثم قال المتوكل : يا راح خذ رطل بلور فاملأه شراباً وادفعه إليه ، ففعل .. » .

وفي ديوان الصبابة « ١ / ٢١ » : « كان للمتوكل غلامٌ اسمه شفيع ، وكان من أحسن الفتيان ، فكان المتوكل يجن به جنوناً ، فأحب يوماً أن ينادم حسين بن الضحاك وأن يرى ما بقي من شهوته ، وكان قد أسن فأحضره فسقاه حتى سكر ، وقال لشفيع : إسقه فسقاه وحياه بوردة ، وكانت على شفيع ثياب ماردة ، فمد حسين يده إلى ذراع شفيع فقال المتوكل : أتخمش أخص قدمي بحضرتي ، فكيف لو خلوت به ، ما أحوجك إلى الأدب . وكان المتوكل قد غمز شفيعاً على العبث به فدعا بدواة فكتب .. » .

وفي جمع الجواهر للحصري « ١ / ١١٤ » : « شرب ابن حمدون النديم مع المتوكل وبحضرتة غلامٌ مليح الوجه ، فتأمله ابن حمدون تأملاً شديداً ، وقد حمل الشراب إليه . فقال المتوكل : يا ابن حمدون ، ما الحكم في الرجل إذا نظر إلى غلام فتى ؟ قال : أن تقطع أذنه . قال : ليحكم عليك بحكمك .. » .

أقول : يقصد المتوكل أن غلامه كزوجته ، والناظر اليه ناظر الى عرضه ! فاعجب لمن يدعي أنه خليفة النبي ﷺ ويتجاهر بالفاحشة ، ويطبق شرائع الجاهلية في الغلمان !

وكان لحضرة الخليفة أربعة آلاف جارية !

١ . قال السيوطي في تاريخ الخلفاء / ٣٧٧ : « وكان منهمكاً في اللذات والشراب ، وكان له أربعة آلاف سرية ، ووطأ الجميع » !

وقال الوائلي في فقه الجنس / ٢٣٩ : « الخليفة جعفر المتوكل - محيي السنة ومميت البدعة - كان له أربعة آلاف سرية ، وإنه كما يقولون وطأ الجميع ، وهو أمر لو أردنا تصديقه وقلنا إنه يقوى على الوطأ مرتين في اليوم ، فلا يلحق الجارية إلا حصة واحدة كل خمس سنوات أو أكثر !

وليت شعري كيف يتسع وقت الخليفة المتوكل بالإضافة إلى مهام الخلافة ، وسهره المتواصل ليلاً يُعْبُ الخمر حتى الصباح ، وكان سكيراً شديداً السكر !

يقول عنه المؤرخون : كان يبغض علياً عليه السلام وينتقصه ويغلو في بغض علي ويكثر الوقعة والإستخفاف به . . ولي سؤال واحد في نهاية هذه الخاطرة : لو أن المتوكل كان يبغض عمر بن الخطاب ويشتمه ، فهل سيبقى محيي السنة ومميت البدعة؟!!

إن هذا العدد من الجوارى والمحظيات ترك في تاريخنا صوراً مشوهة ، وعكسنا أمام الناس بأننا جنس متجسد ، وسعاز نهم لا حدود لاستشرائه ، فما جاء الإسلام ليحيل الدنيا إلى حمئة من الجنس يغرق فيها الإنسان ويجمع من الجوارى ما لا يستطيع تغطية حاجاته من النكاح ، وبالتالي يوفر له سبل الإنحراف !

٢. وفي نهاية الإرب « ٥ / ١١٢ » : « وقال علي بن الجهم : كانت محبوبه لعبد الله بن طاهر ، أهداها إلى المتوكل في جملة أربع مائة جارية ، وكانت بارعة الحسن والظرف والأدب ، مغنية محسنة ، فحظيت عند المتوكل حتى كان يجلسها خلف الستارة وراء ظهره ، إذا جلس للشرب ، فيدخل رأسه إليها فيراها ويحدثها في كل ساعة » .

وفي مروج الذهب « ٤ / ٤٢ » : « لما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله ، أهدى اليه الناس على أقدارهم ، وأهدى اليه ابن طاهر هدية فيها مائتا وصيفة ووصيف ، وفي الهدية جارية يقال لها محبوبه كانت لرجل من أهل الطائف ، قد أدبها وثقفها وعلمها من صنوف العلم ، وكانت تقول الشعر وتلحنه وتغني به على العود ، وكانت تحسن كل ما يحسنه علماء الناس ، فحسن موقعها من المتوكل ، وحلت من قلبه محلاً جليلاً ، لم يكن أحد يعدلها عنده .

قال علي « بن الجهم نديمه » : فدخلت عليه يوماً للمنادمة ، فلما استقر بي المجلس قام فدخل بعض المقاصير ، ثم خرج وهو يضحك ، فقال لي : ويلك يا علي ، دخلت

فرأيت قينةً قد كتبت في خدها بالمسك جعفرًا فما رأيت أحسن منه ، فقل فيه شيئاً ، فقلت : يا سيدي ، وحدي أو أنا ومحبوبة .. » .

٣. وفي مطالع البدر للبهائي الدمشقي « ١ / ٢١٥ » : « ومن ظرائف الهدايا ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل ، وكان يميل إليها ميلاً كبيراً ، ويفضلها على سائر حظاياها ، فلما كان يوم المهرجان أهدى إليه حظاياها هدايا نفيسة ، واحتفلن في ذلك ، فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالاً تربيةً ، عليهن عشرون سراجاً صينياً على كل غزال خرج صغير مشبك حرير ، فيه المسك والعنبر والغالية ، وأصناف الطيب ، ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب ، وفي يدها قضيب ذهب ، وفي رأسه جوهرة ، فقال المتوكل لحظاياها وقد سر بالهدية : ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه ! فحسدنها وعملن على قتلها بشئ سقينه لها ، فماتت » !

٤. وفي مسالك الأبصار للعدوي العمري « ١٠ / ٤٦٨ » : « بنان : جارية المتوكل وكانت تحجل القمر بصفحتها ، والغزال بلمحتها ، والقضيب المتأود بقدها ، والتفاح الجني بخدها ، وتغير القلائد بنظمها الذي لا يحليه إلا مبسمها ، ولا يضاهيه إلا الثريا لمن يتوسمها ، لا تجئ عريبٌ لها بإصبع من بنان ، ولا دنانيزٌ إلا مما لا يُدخر للإمتنان ، ولا سابقة تلحق إلا وهي معها في طي عنان » .

٥. وفي نهاية الأرب « ٤ / ١٨ » : « قال المتوكل لجارية استعرضها : أنت بكر أم إيش ؟ قالت : أنا إيش يا أمير المؤمنين . فضحك وابتاعها » .

٦. وفي نثر الدر للآبي « ٤ / ١٨٦ » : « عرضت على المتوكل جارية فقال لها : إيش تحسنين ؟ قالت : عشرين لونا رهزاً . فأعجبته فاشتراها » .

٧. وفي منتخب ربيع الأبرار للأماسي / ٩٩ : « طلب المتوكل جارية الدقاق بالمدينة ، [وكان من أقران الجنيد ومن أكابر مصر] فكاد يزول عقله لفرط حبها ! فقالت لمولاهما : أحسن الظن بالله وببي ، فإنني كفيلة لك بما تحب . فحملت اليه ، فقال لها المتوكل : إقرئي ، فقرأت : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ! ففهم المتوكل ما أرادت فردها » .

٨. وفي الجماهر للبيروني « ١ / ٦ » : « حُكِيَ عن المتوكل أن أعضاؤه ضعفت عن حركات الرهز ، ولم يشبع من الجماع ، فملئ له حوض من الزئبق ، وُسط عليه النطع ليحركه الزئبق من غير أن يتحرك ، فاستلذه . وسأل عن معدنه فأشير إلى الشيز بأذربيجان ، فولى حمدون الندم ثم ، ليجهز إليه الزئبق » !

عنده آلاف الجواري واغتصب بنت رئيس وزرائه !

روى الجاحظ في المحاسن / ١١٨ ، والتوخي في نشوار المحاضرة « ٦ / ٣٢٣ » قصة تدل على فسق المتوكل وتجبره، حيث أمر وزيره الرخجي في الليل أن يأتيه بابنته ! قال :

« وُصِفَت للمتوكل عائشة بنت عمر بن فرج الرخجي ، فوجه في جوف الليل والسماء تهطل ، إلى عمر أن احمل إليَّ عائشة ، فسأله أن يصفح عنها فإنها القيمة بأمره ، فأبى ! فانصرف عمر وهو يقول : اللهم قني شر عبدك جعفر ، ثم حملها بالليل فوطأها ، ثم ردها إلى منزل أبيها » .

دخل جَنِّي في جارية المتوكل فأخرجه ابن حنبل بالقباب !

روى أبو يعلى في طبقات الحنابلة « ١ / ٢٣٣ » : « حدثني أبي عن جدي قال : كنت في مسجد أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، فأنفذ إليه المتوكل بصاحب له يعلمه أن له جارية بها صَرَعٌ ، وسأله أن يدعو الله لها بالعافية ، فأخرج له أحمد نعل خشب بشراك خوص للوضوء ، فدفعه إلى صاحب له وقال له : تمضي إلى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس الجارية وتقول له : يقول لك أحمد : أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو أصفع الآخر بهذه النعل ! فمضى إليه وقال له مثل ما قال أحمد ، فقال المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ، لو أمرنا أحمد أن لا نقيم في العراق ما أقمنا به ! إنه أطاع الله ، ومن أطاع الله أطاعه كل شيء ، وخرج من الجارية وهدأت ، وزوجت ورزقت أولاداً .

فلما مات أحمد عاودها المارد ، فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبي بكر المروزي وعرفه الحال ، فأخذ المروزي النعل ومضى إلى الجارية فكلمه العفريت على لسانها : لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك ، أحمد بن حنبل أطاع الله فأمرنا بطاعته !

أقول : المروزي المذكور أقرب تلاميذ أحمد ، وهو إمام عندهم ، لكن قباقبه لم يعمل !

وفي شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي « ٢ / ١١٥ » : « وروى علي بن الجهم قال : لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أهدى له الناس على أقدارهم فأهدى له محمد بن عبد الله بن طاهر ثلاث مائة جارية من أصناف الجواري ، وكان فيهن جارية يقال لها

محبوبة ، وقد نشأت بالطائف فوقعت من قلب المتوكل موقعاً عظيماً وحلت من نفسه محلاً جسيماً ، وكانت تسامره ولا تفارقه ، فغاضبها يوماً وأمرها بلزوم مقصورتها ، وأمر أن لا يدخل الجواري عليها .

قال علي بن الجهم : فبينما أنا عنده جالسٌ يوماً إذ قال لي : يا علي رأيت البارحة كأنني صالحٌ محبوبٌ ! فقلت : أقر الله عينيك وجعله حقيقة في اليقظة .

وإنما لفي ذلك إذ أقبلت وصيفة كانت تقف على رأسه فقالت : يا أمير المؤمنين سمعت الساعة في منزل محبوبه غناءً ، فقال لي : يا علي قم بنا الساعة ، فإننا سنرد على بوادر ظريفة ، فأخذ بيدي وجعلنا نمشي رويداً لئلا يُسمعَ حسُّنا ، فوقف على باب المقصورة ، وإذا بها تضرب بالعود وتغني :

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| أشكو إليه ولا يكلمني | أدورُ في القصر لا أرى أحداً |
| ليست لها توبةٌ تُخلصني | حتى كأني جنيٌ معصيةٌ |
| قد زارني في الكرى وصالحني | فهل شفيعٌ لنا إلى ملكٍ |
| عاد إلى هجره فصارمني | حتى إذا ما الصباح لاح لنا |

فنفر المتوكل طرباً ونفرتُ معه لنفيره ، فأحسَّت بنا فخرجت حافية ، ثم أكبَّت على رجلي أمير المؤمنين ويديه ورأسه ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين رأيت البارحة في النوم كأني قد صالحتك ! فقال لها : وأنا والله رأيت مثل ذلك .

قالت : فإن رأى أمير المؤمنين أن يتم المنة فهو المنعم على كل حال . فقال :
أدخلني فإننا سنرد على ما نحب . قال : فمكثنا ثلاثة أيام ونحن كأننا في بعض
رياض الجنة ، ووصلني بعد ذلك ببدرة ، فأخذتها وانصرفت !

وكان حضرة الخليفة مسرفاً مبذراً لأموال المسلمين

قال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٤٠ » : « وقد قيل : إنه لم تكن النفقات في عصر
من الأعصار ولا وقت من الأوقات ، مثلها في أيام المتوكل !

ويقال : إنه أنفق على الهاروني والجوسق الجعفري أكثر من مائة ألف ألف درهم ،
هذا مع كثرة الموالى والجنود والشاكرية ، ودور العطاء لهم ، وجليل ما كانوا
يقبضونه في كل شهر ، من الجوائز والهبات .

وفي كتاب الديارات « ١ / ٣٨ » : « القادسية ، من أحسن المواضع وأنزهها ، وهي من
معادن الشراب ومناخات المتطيرين . جامعة لما يطلب أهل البطالة والخسارة .

وبالقادسية بنى المتوكل قصره المعروف بِبُرْكَوَار ، ولما فرغ من بنائه وهبه لابنه
المعتز وجعل إعداره « ختانه » فيه ، وكان من أحسن أبنية المتوكل وأجلها ، وبلغت
النفقة عليه عشرين ألف ألف درهم .

قال : ولما صح عزمه على إعدار « ختان » أبي عبد الله المعتز ، أمر الفتح بن خاقان
بالتأهب له ، وأن يلتمس في خزائن الفرش بساطاً للإيوان في عرضه وطوله ،
وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً ، فلم يوجد إلا فيما قبض عن بني
أمية ، فإنه وجد في أمتعة هشام بن عبد الملك على طول الإيوان وعرضه ، وكان

بساطاً إبريسماً غَرَزُ مُدَهَّبٌ مفروز مبطَّن ، فلما رآه المتوكل أعجب به وأراد أن يعرف قيمته ، فجمع عليه التجار فذكر أنه قُوم على أوسط القيم عشرة آلاف دينار . فبسط في الإيوان وبسط للخليفة في صدر الإيوان سرير ، ومُدَّ بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر ، فيها تماثيل العنبر والنَّد والكافور المعمول على مثل الصور ، منها ما هو مرصع بالجوهر مفرداً ، ومنها ما عليه ذهب وجوهر ، وجعلت بساطاً ممدوداً ، وتغدى المتوكل والناس .

وجلس على السرير ، وأحضر الأمراء والقواد والندماء وأصحاب المراتب ، فأجلسوا على مراتبهم ، وجعل بين صوانيهم والسماط فُرْجة .

وجاء الفراشون بزُّل « جمع زنبيل » قد عُشَّيت بأدم مملوءة دنانير ودراهم نصفين ، فصبت في تلك الفرج حتى ارتفعت ، وقام الغلمان فوقها ، وأمروا الناس عن الخليفة بالشرب ، وأن يَتَنَقَّلَ « من الثُّقل وهو ما يؤكل مع الخمر » كل من يشرب بثلاث حفنات ، ما حملت يده من ذلك المال . فكان إذ أثقل الواحد منهم ما اجتمع في كفه أخرجه إلى غلمانه فدفعه إليهم وعاد إلى مجلسه ، وكلما فرغ موضع أتى الفراشون بما يملؤونه به حتى يعود إلى حاله .

وخلع على سائر من حضر ثلاث خلع كل واحد ، وأقاموا إلى أن صليت العصر والمغرب ، وحملوا عند انصرافهم على الأفراس والشهاري « البغال » .

وأعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد ، وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب . وكان في صحن الدار بين يدي الإيوان أربع مائة بلية « بالة » عليهن أنواع

التياب ، وبين يديهن ألف نبيجة « صينية » خيزران ، فيها أنواع الفواكه من الأترج والنارنج على قتلته كان في ذلك الوقت ، والتفاح الشامي والليموه ، وخمسة آلاف باقة نرجس ، وعشرة آلاف باقة بنفسج .

وتقدم إلى الفتح بأن ينشر على البليات وخدم الدار والحاشية ، ما كان أعده لهم وهو عشرون ألف ألف درهم ، فلم يُقدم أحد على التقاط شئ ، فأخذ الفتح درهماً ، فأكبت الجماعة على المال فنهب .

وكانت قبيحة « أم المعتز » قد تقدمت بأن تُضرب دراهم عليها : بركة من الله ، لإعذار أبي عبد الله المعتز بالله . فضرب لها ألف ألف درهم ، نُثرت على المزين ومن في حيزه والغلمان والشاكرية وقهارمة الدار والخدم الخاصة ، من البيضان والسودان . وكان ممن حضر المجلس ذلك اليوم ، محمد المنتصر وأبو أحمد وأبوسليمان ابنا الرشيد ، وأحمد والعباس ابنا المعتصم ، وموسى بن المأمون ، وابنا حمدون النديم وأحمد بن أبي رؤيم ، والحسين بن الضحاك ، وعلي بن الجهم ، وعلي بن يحيى المنجم ، وأخوه أحمد .

ومن المغنين : عمرو بن بانة ، أحمد بن أبي العلاء ، ابن الحفصي ، ابن المكّي ، سلمك الرازي ، عثعث ، سليمان الطبال ، المسدود ، أبو حشيشة ، ابن القصار ، صالح الدفاف ، زنام الزامر ، تفاح الزامر .

ومن المغنيات : عريب ، بدعة جاريتها ، سراب ، شارية وجواريتها ، ندمان ، منعم ، نحلة ، تركية ، فريدة ، عرفان .

وقال إبراهيم بن العباس : سألت أبا حرملة المزين في هذا اليوم ، فقلت : كم حصل لك إلى أن وضع الطعام ؟ فقال : نيف وثمانون ألف دينار ، سوى الصياغات والخواتيم والجواهر العتيدات .

قال : وأقام المتوكل بركوارا ثلاثة أيام ، ثم أصدع إلى قصره الجعفري . وتقدم بإحضار إبراهيم بن العباس ، وأمره أن يعمل له عملاً بما أنفق في هذا الإعذار ويعرضه عليه ففعل ذلك ، فاشتمل العمل على ستة وثمانين ألف ألف درهم .

وكان الناس يستكثرون ما أنفقه الحسن بن سهل في عرس ابنته بوران ، حتى أرخ ذلك في الكتب ، وسميت دعوة الإسلام ، ثم أتى من دعوة المتوكل ما أنسى ذلك . وكانت الدعوات المشهورة في الإسلام ثلاثاً لم يكن مثلها ، فمنها : دعوة المعتز هذه المذكورة ، ومنها عرس زبيدة بن جعفر بن أبي جعفر ، فلإن المهدي ، زوج ابنه الرشيد بأم جعفر ابنة أخيه ، فاستعد لها ما لم يستعد لامرأة قبلها من الآلة وصناديق الجوهر والحلي والتيجان والأكاليل وقباب الفضة والذهب والطيب والكسوة ... ولم يُرَ في الإسلام مثلها ، وحشر الناس من الآفاق ، وفُرق فيهم من الأموال أمر عظيم . فكانت الدنانير تجعل في جامات فضة ، والدرهم في جامعات ذهب ، ونوافج المسك وجماجم العنبر والغالية في بواطي زجاج ، ويفرق ذلك على الناس ، ويخلع عليهم خلع الوشي المنسوجة ، وأوقد بين يديه في تلك الليلة شمع العنبر في أتوار الذهب . وأحضر نساء بني

هاشم ، وكان يدفع إلى كل واحدة منهن كيس فيه دنانير وكيس فيه دراهم وصينية كبيرة وفضة فيها طيب ، ويخلع عليها خلعة وشي مثقل .

وبلغت النفقة في هذا العرس من بيت مال الخاصة ، سوى ما أنفقه الرشيد من ماله ، خمسين ألف ألف درهم ...

ومنها عُرسُ المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل ، بقم الصلح « قرب واسط » . وكانت النفقة عليه أمراً عظيماً . وسأل المأمون زبيدة عن تقدير النفقة في العرس ، فقالت : ما بين خمسة وثلاثين ألف ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف .

ذكر ابن خرداذبه : أن المتوكل ، أنفق على الأبنية التي بناها ، وهي : بركوارا ، والشاه ، والعروس ، والبركة ، والجوسق ، والمختار ، والجعفري ، والغريب ، والبديع ، والصبيح ، والملح ، والسندان ، والقصر ، والجامع ، والقلاية ، والبرج ، وقصر المتوكلية ، والبهو ، واللؤلؤة : مائتي ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم . ومن العين مائة ألف ألف دينار .

تكون قيمة الورق عيناً بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف دينار ، وخمس مائة ألف دينار ، وخمسة وعشرين ألف دينار .

قال : شرب المتوكل يوماً في بركوارا ، فقال لندمائمه : رأيتم إن لم يكن أيام الورد لا نعمل نحن شاذكلاه « فارسية بمعنى : طربوش الفرح » قالوا : يا أمير المؤمنين ، لا يكون الشاذكلاه إلا بالورد . فقال : بلى . أَدْعُوا لي عبيد الله بن يحيى ، فحضر فقال : تقدم بأن تضرب لي دراهم ، في كل درهم حبتان . قال : كم المقدار يا أمير

المؤمنين؟ قال : خمسة آلاف ألف درهم . فتقدم عبيد الله في ضربها فضربت ، وعرفه الخير . فقال : إصبع منها بالحمرة والصفرة والسواد ، واترك بعضها على حاله . ففعل . ثم تقدم إلى الدم والحواشي ، وكانوا سبع مائة ، أن يعد كل واحد منهم قباءً جديداً وقلنسوةً على خلاف لون قباء الآخر وقلنسوته ، ففعلوا .

ثم عمد إلى يوم تحركت فيه الريح ، فنصبت له قبة لها أربعون باباً ، فاصطبح فيها ، والندماء حوله . ولبس الخدم الكسوة التي أعدها ، وأمر بنشر الدراهم كما ينثر الورد . فنثرت أولاً أولاً ، فكانت الريح تحمل الدراهم فتقف بين السماء والأرض كما يقف الورد . فكان من أحسن أيام المتوكل وأظرفه .

وكان البرج من أحسن أبنيته ، فجعل فيه صوراً عظيماً من الذهب والفضة ، وبركة عظيمة جعل فرشها ظاهرها وباطنها صفائح الفضة ، وجعل عليها شجرة ذهب ، فيها كل طائر يصوت ويصف ، مكللة بالجوهر ، وسماها طوبى . وعمل له سرير من الذهب كبير ، عليه صورتا سبعة عظيمين ، ودرج عليها صور السباع والنسور وغير ذلك ، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليه السلام . وجعل حيطان القصر من داخل وخارج ملبسة بالفسيفساء والرخام المذهب . فبلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وسبعمائة ألف دينار .

وجلس فيه على السرير الذهب ، وعليه ثياب الوشي المثقلة ، وأمر ألا يدخل عليه أحد إلا في ثياب وشي منسوجة ، أو ديباج ظاهرة .

وكان جلوسه فيه في سنة تسع وثلاثين ومائتين ، ثم دعا بالطعام وحضر الندماء وسائر المغنين والملهين ، وأكل الناس . ورام النوم فما تهيأ له ، فقال له الفتح : يا مولاي ، ليس هذا يوم نوم ، فجلس للشرب . فما كان الليل رامَ النوم ، فما أمكنه فدعا بدهن بنفسج ، فجعل منه شيئاً على رأسه وتنشقه فلم ينفعه .

فمكث ثلاثة أيام بلياليها لم ينم ، ثم حُمَّ حُمَّى حَادَّةً ، فانتقل إلى الهاروني قصر أخيه الوثاق ، فأقام به ستة أشهر عليلًا ، وأمر بهدم البرج .

ما قيمة الخلافة إذا كان الخليفة مُنْحَطًّا !

عملت الحكومات على نسج هالة كاذبة على شخصية الخليفة ، واخترعت له صفات ومناقب ، لتتناسب شخصيته مع لقبه الرسمي : خليفة رسول الله ﷺ .

بل جعلوه خليفة الله تعالى ، وفضلوه على رسول الله ﷺ ! فقد سمى معاوية نفسه « خليفة الله » وقال : « الأرض لله وأنا خليفة الله ، فما أخذت من مال الله فهو لي ، وما تركت منه كان جائزاً لي ! فقال صعصعة :

ثُمَّ نِيَّكَ نَفْسُكَ مَا لَا يَكُونُ جَهْلًا مَعَاوِيَ لَا تَأْتِمُّ .

« مروج الذهب : ٣ / ٥٢ ، وجمهرة خطب العرب : ١ / ٤٤٥ . »

وفي أنساب الأشراف للبلاذري / ١١٠٩ : « فقال صعصعة بن صوحان : ما أنت وأقصى الأمة في ذلك إلا سواء ، ولكن من ملك استأثر ! فغضب معاوية وقال : لهممْتُ ! قال صعصعة : ما كل من همَّ فعل ! قال : ومن يحولُ بيني وبين ذلك ؟ ! قال : الذي يحول بين المرء وقلبه ، وخرج ! »

وَفَضَّلَ علماء البلاط والرواة الخليفة الأموي على الرسول الهاشمي ﷺ !

ففي سنن أبي داود « ٢ / ٤٠٠ » : « عن الربيع بن خالد الضبي قال : سمعت الحجاج يخطب فقال في خطبته : رسول أحدكم في حاجته أكرم عليه ، أم خليفته في أهله ؟ فقلت في نفسي : لله عليّ ألا أصلي خلفك صلاة أبداً وإن وجدت قوماً يجاهدونك لأجاهدك معهم » ! « والنهية : ٩ / ١٥١ ، وتاريخ دمشق : ١٢ / ١٥٨ » .

وقال ابن حزم في الإحكام « ٤ / ٥٨١ » : « أوليس ابن عباس يقول : أما تخافون أن يخسف الله بكم الأرض ! أقول لكم قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ! وكان إسحاق بن راهويه يقول : من صح عنه حديث عن النبي ﷺ ثم خالفه يعني باعتقاده ، فهو كافر » .

أقول : المتوكل نموذجٌ للحاكم القرشي الذين عظّموه وضخّموه ! وقد كان متجاهراً بالفحشاء ، غارقاً في الدون من قرنه الى قدمه ، ومن أصله الى فصله .

كانت عقيدة المتوكل وسياسته مضادةً لآبائه !

كان الخلفاء العباسيون الى الواثق مُنرّهين لله تعالى ، يرفضون أفكار التجسيم وأحاديثه الموضوعية . ومنها مقولة أن القرآن قديمٌ لأنه كلام الله تعالى وجزءٌ منه !

فقد أجاب المنزهة على هذه المقولة بأن الله تعالى وجودٌ غير مركب ، والقرآن كلامه المخلوق ، وكل شئ ما عداه عز وجل فهو مخلوق .

وأمر المأمون بتأديب من يقول بقدم القرآن لأنه يجعله إلهاً مع الله تعالى !

ونهى أن يعطى منصباً في الدولة . وتابع المعتصم سياسة أخيه المأمون ، فكان
يتمتحن العلماء في القول بقدم القرآن . وواصل الوثائق سياسة أبيه المعتصم .

لكن المتوكل خالفهم فجمع العلماء المشبهين والمجسمين ، وشجعهم وأغدق
عليهم ، وقمع العلماء المنزهين وأهملهم !

من جهة أخرى ، قامت حركة العباسيين والحسينيين على الدعوة الى الرضا من
آل محمد ﷺ أي بني هاشم ، والبراءة من بني تميم وعديّ وأمّية .

لكن المنصور بعد أن ثار عليه الحسينيون ، أمر المحدثين والفقهاء والولادة أن لا
يَروُوا شيئاً في فضائل علي عليه السلام ، ولا شيئاً يطعن بأبي بكر وعمر ، وأن يفضلوهما
عليه ، وأن يضيفوا مدح أبي بكر وعمر في خطبة الجمعة وقال : « والله لأرغمن
أنفي وأنوفهم ، وأرفع عليهم بني تيم وعدي » . « منهاج الكرامة / ٦٩ » .

واستمرت سياسته حتى جاء المأمون ، فأعلن فضائل علي وأبنائه عليه السلام .

ولما جاء المتوكل خالف أسلافه المأمون والمعتصم والواثق ، ورفع راية العداوة
لعلي وأبنائه عليه السلام ، واضطهدهم ، وهدم قبر الحسين عليه السلام ومنع زيارته ، ومنع زيارة
قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف وقيل هدمه . ومنع زيارة قبر موسى
بن جعفر عليه السلام في بغداد . وقَرَّبَ النواصب ودعمهم مادياً ومعنوياً .

وَضَعَ المَتَوَكِّلُ خَطَّةً واسِعَةً لنِشْرِ النُّصْبِ والتَّجْسِيمِ

فقد نفذ سياسةً متشددةً لإحياء النصب الأموي والتجسيم ، وقامت سياسته على تبني علماء النصب والتجسيم وإغداق المال والجوائز عليهم ، وإعطائهم المناصب الكبيرة ، ليؤثروا في ثقافة الناس .

وقام بتكوين حركة باسم أهل الحديث بقيادة الشاب ابن صاعد ، وهي أشبه بميليشا مسلحة ، تقوم بقمع الشيعة في بغداد !

ثم قام باختيار أحد العلماء الشَّيْبَةَ المعروفين ، وهو أحمد بن حنبل ، ليكون مرجعاً دينياً للدولة ، وغطاءً شرعياً للمتوكل وأتباعه .

كما تَبَيَّنَ كُتِبَ النصب والتجسيم وعممها على الناس ، فقد تبني مسند أحمد ، ثم ارتضى أحمد صحيح محمد بن إسماعيل البخاري فصار الكتاب الرسمي للدولة !

كما قمع الأشعرية والمعتزلة ، وحرّم إعطاءهم المناصب ، وضيّق عليهم .

ثم تفنن في قمع الشيعة ، ففرض الإقامة الجبرية على إمامهم الهادي عليه السلام في سامراء ، وعمل لقتله .

واضطهد العلويين قاطبة وأفقروهم وشردهم وسجنهم . واضطهد شيعتهم ، ومنعهم من زيارة المشاهد المشرفة لأئمتهم عليهم السلام ، خاصة زيارة قبر الحسين عليه السلام ب كربلاء ، وقبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف ، وقبر الكاظم عليه السلام ببغداد ، وضيّق على جامع بُرَاثا ، وهو الجامع المركزي للشيعة في بغداد .

كان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام

قال ابن الأثير في الكامل « ١٠٨ / ٦ » : « وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم ! وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث ، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ، ويرقص بين يدي المتوكل ، والمغنون يغنون :

قد أقبل الأصلع البدين ، خليفة المسلمين ، يحكي بذلك علياً !

والمتوكل يشرب ويضحك ! ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر ، فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه ، فقال المتوكل ما حالك ؟ فقام وأخبره ، فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك ، وشيخ أهل بيتك وبه فخرك ! فكل أنت لحمه إذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ! فقال المتوكل للمغنين : غنوا جميعاً :

غَارَ الْفَتَى لِابْنِ عَمِّهِ رَأْسُ الْفَتَى فِي حَرِّ أُمَّهُ !

وقال النويري في نهاية الأرب « ٢٢ / ٢٨٢ » : « في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وأمر أن يسقى موضع قبره ، وأن يمنع الناس من إتيانه ، فنادى في الناس في تلك الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق « سجن مظلم تحت الأرض » فهرب الناس وتركوا زيارته ، وحُرت وُزُرع !

وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته ، وكان يقصد من يتولى علياً وأهل بيته بأخذ المال والروح ! وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث ، وكان أصلع فيشد تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه ويرقص والمغنون يغنون . . . » .

وروى ذلك عمر بن الوردى في تاريخه « ٢١٦ / ١ » ، وقال : « وكان يجالس من اشتهر ببغض علي ، كابن الجهم الشاعر ، وأبي السمط ، وكان من أحسن الخلفاء سيره ، ومنع القول بخلق القرآن ، فغطى ذمه لعلي على حسناته . قلت :

وكم قد مُجِي خَيْرٌ كما انمحت ببغض علي سيرة المتوكل
تعمق في عدلٍ ولما جنى على جناب علي حطه السيل من علٍ »

ولا ندري ماذا رأى ابن الوردى من « عدالة » المتوكل ! وقد روى بغضه لعلي عليه السلام عامة المؤرخين ، فهو شهادة متواترة بأنه ناصبي منافق ، وقد قال ابن حجر في فتح الباري « ٦٠ / ١ » : « وقد ثبت في صحيح مسلم عن علي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » .

وقال في فتح الباري « ٥٧ / ٧ » : « وفي الحديث تلميح بقوله تعالى : **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ، فكأنه أشار إلى أن علياً تام الإتياع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اتصف بصفة محبة الله له ، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق » .

كما روى أن من يبغض علياً عليه السلام لا يكون ابن أبيه ! ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بَرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِحَبِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَيْ اخْتَبَرُوا طَيْبَ وِلَادَتِهِمْ بِحَبِّهِ . وقال جابر : كنا نُبَرِّرُ أَوْلَادَنَا بِحَبِّ عَلِيٍّ » .

« غريب الحديث لابن الجوزي : ١ / ٩٠ ، والنهية لابن الأثير : ١ / ١٦١ ، ولسان العرب : ٤ / ٨٧ ، وتاج العروس : ١٠ / ٢٥٧ ، وتهذيب اللغة : ١٥ / ١٩١ » .

وروى المسعودي في مروج الذهب « ٢ / ٦٥ » قصة دُلف بن أبي دلف في بغض علي عليه السلام وقال : « وجمعتُ طرق الحديث : لا ينتقصُ عليّاً أحد إلا كان لغير رَشْدَةٍ ، الوارد فيها ، فرواه من نيف وستين طريقاً » . وتاريخ بغداد : ١٢ / ٤١٨ ، وتاريخ دمشق : ٤٩ / ١٥٠ .

وقد روى ذلك عن أبي دلف ابن كثير ، فقال في النهاية « ١٠ / ٣٢٣ » : « وكان يقول : من لم يكن متغالياً في التشيع فهو ولد زنا . فقال له ابنه دلف : لسْتُ على مذهبك يا أبة . فقال : والله لقد وطأت أمك قبل أن أشتريها ، فهذا من ذاك ! »

وفي مناقب آل أبي طالب « ٢ / ١٠ » : « عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أحمد قال : سمعت الشافعي يقول : سمعت مالك بن أنس يقول : قال أنس بن مالك : ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغض علي بن أبي طالب . . . كان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه ثم يقف على طريق علي ، فإذا نظر إليه أومى بإصبعه : يا بني تُحِبُّ هذا الرجل ؟ فإن قال نعم ، قبله ، وإن قال لا قال له : إلق بأملك ! »

وفي تاريخ دمشق « ٤٢ / ٢٨٧ » : « عن الوليد بن عباد بن الصامت ، عن أبيه قال : كنا نُبَوِّزُ « نمتحن » أولادنا بحب علي بن أبي طالب ، فإذا رأينا أحداً لا يحب علي بن أبي طالب ، علمنا أنه ليس منا ، وأنه لغير رَشْدَةٍ » .

أقول : كفى بذلك حكماً من النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصل المتوكل ، الذي زعموا أنه خليفة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومحيي سنته ، وجعلوه قطب أولياء الله المتقين ، معاذ الله !

قَرَّبَ المتوكل العلماء المجسمين والنواصب وأغدق عليهم

قال الخطيب البغدادي في تاريخه « ٣ / ١٤٧ » : « عن محمد بن يحيى الصولي قال : في سنة أربع وثلاثين ومائتين ، نهى المتوكل عن الكلام في القرآن ، وأشخص الفقهاء والمحدثين إلى سر من رأى ، منهم القاضي التيمي البصري ، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، وابنا أبي شيبه ، ومصعب الزبيري .. ووصلهم » .

وقال في تاريخ بغداد « ١٠ / ٦٧ » : « حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال : سنة أربع وثلاثين ومائتين فيها أشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين ، فكان فيهم مصعب الزبيري ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وعبد الله وعثمان ابنا محمد بن أبي شيبه الكوفيان ، وهما من بني عيس ، وكانا من حفاظ الناس ، فقسمت بينهم الجوائز وأجريت عليهم الأرزاق ، وأمرهم المتوكل أن يجلسوا للناس ، وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، وأن يحدثوا بالأحاديث في الرؤية ! فجلس عثمان بن محمد بن أبي شيبه في مدينة أبي جعفر المنصور ، ووضع له منبر واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً من الناس . فأخبرني حامد بن العباس أنه كتب عن عثمان بن أبي شيبه . وجلس أبوبكر بن أبي شيبه في مسجد الرصافة ، وكان أشد تقدماً من أخيه عثمان ، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً » .

وقال الذهبي في سيره « ١٢ / ٣٤ » : « وفي سنة ٢٣٤ ، أظهر المتوكل السنة ، وزجر عن القول بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، واستقدم المحدثين إلى سامراء ، وأجزل صلاتهم ، ورووا أحاديث الرؤية والصفات » .

وفي كتاب العلل لأحمد بن حنبل « ١ / ٨٠ » : « استقدم المتوكل المحدثين إلى سامراء وأجزل عطاياهم وأكرمهم ، وأمرهم أن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية ! وتوفر دعاء الخلق للمتوكل ، وبالغوا في الشاء عليه ، والتعظيم له ، حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة : أبوبكر الصديق في قتل أهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم » .

وقال ابن تميم التميمي في المحن / ٢٧١ : « ونفى كل بدعة ، وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المجالس ، فصرف الله ذلك كله به ، فكان يبعث إلى الآفاق فيؤتى إليه بالفقهاء والمحدثين ، فخرَّج كل واحد منهم بثلاثين حديثاً في تثبيت القدر ، وثلاثين حديثاً في الرؤية ، وغير ذلك من السنن ، فتعلمها الناس حتى كثرت السنن وفشت ونمت ، وطُغيت البدعة وذلت » .

أقول : هذه النصوص صريحة في أن لقب « محيي السنة » الذي أعطوه للمتوكل ، معناه إحياء أحاديث التجسيم التي يسمونها أحاديث الصفات والرؤية ، وإحياء البغض الأموي لأهل البيت عليهم السلام ونصب العداوة لهم .

لاحظ قول الراوي : فخرَّج كل واحد منهم بثلاثين حديثاً في تثبيت القدر ، وثلاثين حديثاً في الرؤية! فمن أين جاؤوا بها !؟

لعل أصلها حديثان ، ثم نسجوا عليهما ! قال الذهبي في سيره « ٨ / ١٠٣ » : « قال ابن القاسم : سألت مالكاَ عن حدث بالحديث الذي قالوا : إن الله خلق آدم على صورته ، والحديث الذي جاء : إن الله يكشف عن ساقه وأنه يدخل يده في جهنم

حتى يخرج من أراد ، فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يحدث بها أحد !
ف قيل له إن ناساً من أهل العلم يتحدثون به فقال : من هو ؟ قيل ابن عجلان عن
أبي الزناد ، قال : لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء ولم يكن عالماً وذكر أبا
الزناد فقال : لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات » .

ومعنى كلامه أن الراوي الأصلي لهذا الحديث أبو الزناد وهو متهم ، لأنه كان
عاملاً عند بني أمية ، فهو موظف عندهم ينشر أحاديث التجسيم لكعب الأبحار
وغيره من اليهود ! وهو نص على أن الدولة الأموية تبنت تجسيم اليهود من
القرن الأول ودسته في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ووظفت رواة ينشرونه في المسلمين !

وكل واحد من الرواة والفقهاء الذين جمعهم المتوكل من البلدان ، داعية من
دعاة التجسيم والنصب ! فمصعب الزبيري وابن أخيه الزبير بن بكار ، مؤلفان
معروفان بتعصبيهما ونصبهما لأهل البيت عليهم السلام . وعثمان بن أبي شيبة صاحب
المسند الذي أكثر فيه من أحاديث النصب والتجسيم .. الخ . وابن أبي الشوارب :
أموي من بني العاص جعله المتوكل قاضي القضاة في سامراء وفي نفس الوقت
قاضياً في بغداد ، وهو أستاذ الشاب ابن صاعد الذي جعله المتوكل شيخ أهل
الحديث في بغداد .

وهشام بن عمار الذي سموه محدث الشام ، وعظَّمه المتوكل ، كان يبيع الحديث
بالصفحة ! ورووا عنه أحاديث التجسيم ، ورووا عنه وقاحته ، وسيأتي ذكره .

أسس حزب أهل الحديث أو الصاعديّة

أسس المتوكل مجموعة في بغداد من العوام الخشنيين وسمّاهم : أهل الحديث ، والمحدثين ، وأهل السنة . وسمّاهم المسلمون : مجسمة الحنابلة ، والنواصب .

وروى الذهبي سخرية البغوي الإمام المعروف ، من إسم أهل الحديث ، ومن رئيسهم ابن صاعد ، فقال في سير أعلام النبلاء : « ١٤ / ٤٤٩ » : « اجتاز أبو القاسم البغوي بنهر طابق على باب مسجد ، فسمع صوت مُسْتَمَلٍ فقال : من هذا ؟ فقالوا : ابنُ صاعد . قال : ذاك الصبي ! قالوا : نعم . قال : والله لا أبرح حتى أملي هاهنا ! فصعد ذكّةً وجلس ، ورآه أصحاب الحديث فقاموا وتركوا ابن صاعد . ثم قال : حدثنا أحمد بن حنبل قبل أن يولد المحدثون ! وحدثنا طالوت قبل أن يولد المحدثون ! وحدثنا أبونصر التمار . . فأملى ستة عشر حديثاً عن ستة عشر شيخاً ، ما بقي من يروي عنهم سواه ! »

يقول البغوي : أن هؤلاء الصبيان الذين سمّوهم المحدثين ، إنّما هم أحداث ، لا علم عندهم ، وقد جمعهم المتوكل حول أحمد بن حنبل ، وجعله إماماً لهم !

ومعنى قوله : حدثنا أحمد بن حنبل قبل أن يولد المحدثون ! أن الحديث والمحدثين كانوا قبل هذه الفئة الذين سمّوا أنفسهم أهل الحديث ، وأحمد بن حنبل نفسه كان محدثاً ، ولم يكن إمام فئة تسمى أهل الحديث .

فالمتوكل هو الذي حنّبهم ، وجعل ابن حنبل إماماً لهم ، فصار الإمام أحمد .

والمتموكل هو الذي بَحَّروهم ، فقد تبني أحمد ومسنده ، وتبني أحمد البخاري ،
فصار كتابه الصحيح الرسمي مع مسند أحمد .

وابن صاعد الذي سخر منه البغوي هو : يحيى بن محمد بن صاعد . وهو غلام
عباسي معرق ، فجدته من غلمان أبي جعفر المنصور . « كتاب العرش لابن أبي شيبة / ٢٦ » .

وتعرف طريقة تفكير ابن صاعد وحزبه المتطرف ، من قصته مع الحافظ الإمام
ابن عقدة ، المشهود له عند جميع المسلمين !

ففي تاريخ بغداد « ٥ / ٢٢١ » : « روى ابن صاعد ببغداد في أيامه حديثاً أخطأ في
إسناده ، فأنكر عليه ابن عقدة الحافظ ، فخرج عليه أصحاب ابن صاعد
وارتفعوا إلى الوزير علي بن عيسى ، وحبس بن عقدة فقال الوزير : من يسأل « ابن
صاعد » ويرجع إليه ؟ فقال : ابن أبي حاتم ، قال فكتب إليه الوزير يسأله عن ذلك
فنظر وتأمل ، فإذا الحديث على ما قال ابن عقدة ، فكتب إليه بذلك ، فأطلق ابن
عقدة وارتفع شأنه .

سمعت بن الجعابي يقول : دخل ابن عقدة بغداد ثلاث دفعات ، فسمع في
الدفعة الأولى من إسماعيل القاضي ونحوه ، ودخل الثانية في حياة ابن منيع
وطلب مني شيئاً من حديث يحيى بن صاعد لينظر فيه ، فجئت إلى ابن صاعد
وسألته أن يدفع إليّ شيئاً من حديثه لأحمله إلى ابن عقدة ، فدفع إليّ مسند علي بن
أبي طالب فتعجبت من ذلك ، وقلت في نفسي كيف دفع إلي هذا وابن عقدة
أعرف الناس به مع اتساعه في حديث الكوفيين ، وحملته إلى ابن عقدة فنظر فيه

ثم رده عليّ فقلت : أيها الشيخ هل فيه شيء يستغرب ؟ فقال : نعم فيه حديث خطأ فقلت : أخبرني به ، فقال : والله لا أعرفنك ذلك حتى أجاوز قنطرة الياسرية ، وكان يخاف من أصحاب ابن صاعد !

فطالت عليّ الأيام انتظاراً لوعده ، فلما خرج إلى الكوفة سرت معه ، فلما أردت مفارقتة قلت : وعدك ؟ قال : نعم ، الحديث عن أبي سعيد الأشج ، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة . ومتى سمع منه ؟! وإنما ولد أبوسعيد في الليلة التي مات فيها يحيى بن زكريا بن أبي زائدة !

فودعته وجئت إلى ابن صاعد فقلت له : ولد أبوسعيد الأشج في الليلة التي مات فيها يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ! فقال : كذا يقولون ، فقلت له : في كتابك حديث عن الأشج عنه ، فما حاله ؟ فقال لي : عرّفك ذلك ابن عقدة؟ فقلت : نعم فقال : لأجعلن على كل شجرة من لحمه قطعةً !

ثم رجع يحيى إلى الأصول ، فوجد الحديث عنده عن شيخ غير أبي سعيد ، عن ابن أبي زائدة ، وقد أخطأ في نقله ، فجعله على الصواب .

فقد كان ابن عقدة من كبار علماء الشيعة ، وكان حفظه عجبياً ، وقد خضع له المحدثون ، وألف الذهبي في ترجمته كتاباً ، وقال عنه في سير أعلام النبلاء : « ١٥ / ٣٤٠ » :

« الحافظ العلامة ، أحد أعلام الحديث ، ونادرة الزمان ، وصاحب التصانيف ، وهو المعروف بالحافظ ابن عقدة . وكتب عنه ما لا يُحَد ولا يُوصف من خلق كثير بالكوفة وبغداد ومكة ، وجمع التراجم والأبواب والمشيخة ، وانتشر حديثه وبعد

صيته . وقال عنه في تذكرة الحفاظ « ٣ / ٣٨٩ » : « حافظ العصر ، والمحدث البحر ، أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي . كان إليه المنتهى في قوة الحفظ ، وكثرة الحديث ، وصنّف وجمع وألّف ، في الأبواب والتراجم » .

وكان ابن عقدة رحمته الله يسكن الكوفة ، ويأتي الى بغداد ويحدث في مسجد براثا ، فصحّ خطأ لابن صاعد ، فحرك ابن صاعد مجسمة الخنابلة ، فألزموا حاكم بغداد بحبسه ! ولا بد أن ابن عقدة أقنع الوزير أن يسأل أستاذ ابن صاعد عن المسألة ، فسأله فظهر الحق مع ابن عقدة ، فأطلقه وارتفعت مكانته .

ثم نقل عن الجعابي أنه جاء الى ابن عقدة ببعض أحاديث ابن صاعد ، فوجد فيها خطأ ، فطلب الجعابي أن يخبره به ، فامتنع ابن عقدة لأن ذلك يحرك عليه ابن صاعد وسفهاءه ، وقال له سأعطيك خطأه عندما أغادر بغداد الى الكوفة ، وأصل الى قنطرة الباسرية ، خارج بغداد !

ولما أخبر الجعابي ابن صاعد بخطئه الواضح ، فبدل أن يشكره ويشكر ابن عقدة تأسف لأنه أفلت منه ، ثم توعدده بقوله : لأجعلن على كل شجرة من لحمه قطعة! وهذا يدل على طبيعة ابن صاعد العدوانية هو وجماعته ، وأنهم أهل شر لا علم ! فقد كانوا مجموعة متخصصة بالمشاكل ، ولهم أدوار في مهاجمة مجالس الشيعة في بغداد خاصة في جامع براثا والكرخ ، ثم في هدم قبر الحسين عليه السلام .

وقد تحولوا الى مذهب متطرف ، وتسموا بالصاعدية ! قال المقدسي في البدء والتاريخ « ٥ / ١٤٩ » : « وأما الصاعدية فهم أصحاب ابن صاعد ، يميزون خروج أنبياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، لأنه روى : لا نبيَّ بعدي إلا ما شاء الله » !

الصاعدية أجداد الوهابية !

قال ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه « ١ / ١٠٤ » : « ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ، وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد ، وصاحبه القاضي ، وابن الزاغوني ، فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب !

ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحسن ، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته ، فأثبتوا له صورةً ووجهاً زائداً على الذات ، وعينين وفماً ولهوات ، وأضراساً وأضواء لوجهه هي السبحات ، ويدين وأصابع وكفأ ، وخنصراً وإبهاماً ، وصدراً وفخذاً ، وساقين ورجلين . وقالوا ما سمعنا بذكر الرأس . وقالوا يجوز أن يمسَّ ويُمسَّ ، ويدني العبد من ذاته !

وقال بعضهم : ويتنفس ! ثم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل ، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسميةً مبتدعة ، لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم يفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث ، ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل ، حتى قالوا صفة ذات .

ثم ، لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة ، مثل يد على نعمة وقدرة ، ومجئ وإتيان على معنى بر ولطف ، وساق على شدة ، بل قالوا نحملها على

ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشئ إنما يحمل على حقيقته ، إذا أمكن .

ثم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ، ويقولون : نحن أهل السنة ! وكلامهم صريح في التشبيه ، وقد تبعهم خلقٌ من العوام !

فقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل ، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط : كيف أقول ما لم يُقل ! فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه .

ثم قلت في الأحاديث : تحمل على ظاهرها ، وظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل في عيسى روح الله اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روحٌ ولجت في مريم ! ومن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات !

وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل ، فإننا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم ، فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت ، ما أنكر عليكم أحد إنما حملكم إياها على الظاهر قبيحاً ، فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه .

ولقد كسبتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً ، حتى صار لا يقال حنبلي إلا مجسم !

ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصية ليزيد بن معاوية ، ولقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته ، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم : لقد شان المذهب شيئاً قبيحاً ، لا يغسل إلى يوم القيامة !

ويقصد بأئمتكم أبا يعلى الموصلي ، قال أبو الفداء « ٢ / ١٨٦ » : « وكان ابن التميمي الحنبلي يقول : لقد خري أبويعلي بن الفراء على الحنابلة خريةً لا يغسلها الماء ! »

أعطوا المتوكل لقب محي السنة ، وقطب الظاهر والباطن !

ذكرت مرةً لأحد علماء الوهابية أن المتوكل كان ناصبياً يبغض علياً عليه السلام وكان خماراً ، فاستنكر وقال : كلا ، إنه عندنا محي السنة ، ومذل النصارى والزنادقة !

وقال ابن كثير في النهاية « ٣٨٧ / ١٠ » : « وكان المتوكل محبباً إلى رعيته ، قائماً في نصرته أهل السنة ، وقد شبهه بعضهم بالصدّيق في قتله أهل الردة ، لأنه نصر الحق وردّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين ، وبعمرو بن عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية . وقد أظهر السنة بعد البدعة ، وأخذ أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور ، قال فقلت : المتوكل ؟ قال : المتوكل . قلت : فما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي . قلت : بماذا ؟ قال : بقليل من السنة أحييتها ! »

وقد اشتهر لقبه محيي السنة وتفاخر به العوام المجسمة ، وتقرب اليهم الصوفية فأعطاه ابن عربي أعلى لقب في التصوف والعرفان وهو : القطب الرباني والغوث !

قال في فتوحاته المكية : ٦ / ٢ ، وفي الطبعة الجديد : ٢٧٥ / ١١ : « وقد يسمى رجل البلد قطب ذلك البلد ، وشيخ الجماعة قطب تلك الجماعة ، ولكن الأقطاب المصطلح على أن يكون لهم هذا الاسم مطلقاً من غير إضافة ، لا يكون منهم في الزمان إلا واحد ، وهو الغوث أيضاً وهو من المقربين ، وهو سيد الجماعة في زمانه . ومنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة ، كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والحسن ، ومعاوية بن يزيد ، وعمر بن عبد العزيز ، والمتوكل ! ومنهم من له الخلافة الباطنة خاصة ولا حكم له في

الظاهر ، كأحمد بن هارون الرشيد السبتي ، وكأبي يزيد البسطامي . وأكثر الأقطاب لا حكم لهم في الظاهر » !

أقول : لا بد أن ابن عربي قرأ سيرة المتوكل من تاريخ الطبري وأمثاله ، وقرأ عن فسقه وخمره ، وقرأ عن تخنثه ونصبه ، لكنه أصيب بعمى التقرب لمحبيه ، فجعله كبير أولياء الله تعالى ! وكفى بذلك طعناً في مبدئية ابن عربي وفكره !

كيف كان المتوكل يدير الدولة ؟

كان النمط السائد للإدارة في العالم : أن الملك هو المقاول الأكبر ، فيختار وزيره الأول لينفذ أوامره ، ويجبي المالىات من الحكام . ثم يختار حكام الولايات ، ويتفق مع الواحد منهم على المبلغ السنوي عن المنطقة التي تحت يده .

فالمسألة الأولى في الحكم هي المالىات التي تصل الى الحاكم الصغير ثم الكبير . قال الطبري « ٧ / ٣٨٤ » : « كان انقطاع الحسن بن مخلد وموسى بن عبد الملك إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان وهو وزير المتوكل ، وكانا يجملان إليه كل ما يأمرهما به ، وكان الحسن بن مخلد على ديوان الضياع ، وموسى على ديوان الخراج ، فكتب نجاح بن سلمة رقعة إلى المتوكل في الحسن وموسى ، يذكر أنهما قد خانا وقصرا فيما هما بسبيله ، وأنه يستخرج منهما أربعين ألف ألف درهم !

فأدناه المتوكل وشاربه تلك العشية وقال : يا نجاح ، خذل الله من يخذلك فبكر إليّ غداً حتى أدفعهما إليك ، فغدا وقد رتب أصحابه وقال : يا فلان خذ أنت الحسن ، ويا فلان خذ أنت موسى ، فغدا نجاح إلى المتوكل فلقبي عبيد الله وقد

أمر عبيد الله أن يجلب نجاح عن المتوكل ، فقال له : يا أبا الفضل إنصرف حتى ننظر وتنظر في هذا الأمر ، وأنا أشير عليك بأمر لك فيه صلاح . قال : وما هو ؟ قال : أصلح بينك وبينهما وتكتب رقعة تذكر فيها أنك كنت شارباً ، وأنتك تكلمت بأشياء تحتاج إلى معاودة النظر فيها ، وأنا أصلح الأمر عند أمير المؤمنين ! فلم يزل يخدمه حتى كتب رقعة بما أمره به فأدخلها على المتوكل وقال : يا أمير المؤمنين قد رجع نجاح عما قال البارحة ، وهذه رقعة موسى والحسن يتقبلان به بما كتبنا ، فتأخذ ما ضمنا عنه ، ثم تعطف عليهما فتأخذ منهما قريباً مما ضمن لك عنهما ، فسُرَّ المتوكل وطمع فيما قال له عبيد الله ، فقال : إُدفعه إليهما ، فانصرفا به وأمرا بأخذ قلنسوته عن رأسه وكانت خزاً ، فوجد اليرد فقال : ويحك يا حسن قد وجدت اليرد ، فأمر بوضع قلنسوته على رأسه وصار به موسى إلى ديوان الخراج ، ووجهها إلى ابنه أبي الفرج وأبي محمد ، فأخذ أبو الفرج وهرب أبو محمد ابن بنت حسن بن شنيف ، وأخذ كاتبه إسحاق بن سعد بن مسعود القطريلي وعبد الله بن مخلد المعروف بابن البواب ، وكان انقطاعه إلى نجاح ، فأقر لهما نجاح وابنه بنحو من مائة وأربعين ألف دينار ، سوى قيمة قصورهما وفرشهما ومستغلاتهما ، بسامرا وبغداد ، وسوى ضياع لهما كثيرة !

فأمر بقبض ذلك كله ، وضرب مراراً بالمقارع في غير موضع الضرب ، نحواً من مائتي مقرعة ، وعُمز وخنق ، خنقه موسى الفرائق والمعلوف .

فأما الحارث فإنه قال : عَصَرَ خَصِيَّتِيهِ حَتَّى مَاتَ ، فَأَصْبَحَ مَيْتاً يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لَثْمَانَ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، فَأَمَرَ بِغَسَلِهِ وَدَفْنِهِ فِدْفِنَ لَيْلاً .

وَضْرَبَ ابْنَهُ مُحَمَّدٌ وَعَبَدَ اللَّهُ بَنَ مُحَمَّدُ ، وَإِسْحَاقُ بَنَ سَعْدَ نَحْواً مِنْ خَمْسِينَ خَمْسِينَ ، فَأَقْرَبَ إِسْحَاقُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَأَقْرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بَنَ مُحَمَّدَ بِخَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَقِيلَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ ابْنُهُ أَحْمَدُ بَنَ بِنْتِ حَسَنِ قَدْ هَرَبَ فَظَفَرَ بِهِ بَعْدَ مَوْتِ نَجَّاحٍ ، فَحَبَسَ فِي الدِّيْوَانِ وَأَخَذَ جَمِيعَ مَا فِي دَارِ نَجَّاحٍ وَابْنَهُ أَبِي الْفَرَجِ مِنْ مَتَاعٍ ، وَقَبِضَتْ دَوْرَهُمَا وَضَيَاعَهُمَا حَيْثُ كَانَتْ وَأَخْرَجَتْ عِيَالَهُمَا . وَأَخَذَ وَكَيْلَهُ بِنَاحِيَةِ السَّوَادِ وَهُوَ ابْنُ عِيَاشٍ ، فَأَقْرَبَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ فِي طَلَبِ الْحَسَنِ بَنِ سَهْلِ بَنِ نُوحِ الْأَهْوَازِيِّ ، وَحَسَنِ بَنِ يَعْقُوبِ الْبَغْدَادِيِّ ، وَأَخَذَ بِسَبِيهِ قَوْمٌ فَحُبَسُوا . وَقَدْ ذَكَرَ فِي سَبَبِ هَلَاكِهِ غَيْرَ مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ : ذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ يَضَادُ عَبِيدَ اللَّهِ بَنَ يَحْيَى بَنَ خَاقَانَ ، وَكَانَ عَبِيدُ اللَّهِ مَتَمَكِّناً مِنَ الْمُتَوَكَّلِ وَالِيَهُ الْوِزَارَةَ وَعَامَةَ أَعْمَالِهِ ، وَإِلَى نَجَّاحِ تَوْقِيْعِ الْعَامَةِ ، فَلَمَّا عَزَمَ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى بِنَاءِ الْجَعْفَرِيِّ ، قَالَ لَهُ نَجَّاحٌ وَكَانَ فِي النَّدْمَاءِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْمِي لَكَ قَوْمًا تَدْفَعُهُمْ إِلَيَّ حَتَّى أَسْتَخْرِجَ لَكَ مِنْهُمْ أَمْوَالاً تَبْنِي بِهَا مَدِينَتَكَ هَذِهِ ، فَإِنَّهُ يَلْزِمُكَ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي بِنَائِهَا مَا يَعْظُمُ قَدْرَهُ وَيَجِلُّ ذِكْرُهُ ؟

فَقَالَ لَهُ : سَمِّهِمْ ، فَرَفَعَ رَقْعَةً يَذْكَرُ فِيهَا مُوسَى بَنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَيْسَى بَنَ فَرْخَانَشَاهِ ، خَلِيفَةَ الْحَسَنِ بَنِ مُحَمَّدٍ ، وَالْحَسَنَ بَنَ مُحَمَّدٍ ، وَزَيْدَانَ بَنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيفَةَ مُوسَى بَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَعَبِيدَ اللَّهِ بَنَ يَحْيَى وَأَخْوِيَهُ عَبْدَ اللَّهِ بَنَ يَحْيَى

وزكرياء ، وميمون بن إبراهيم ، ومحمد بن موسى المنجم ، وأخاه أحمد بن موسى ، وعلي بن يحيى بن أبي منصور ، وجعفر المعلوف مستخرج ديوان الخراج وغيرهم نحواً من عشرين رجلاً ، فوقع ذلك من المتوكل موقعاً أعجبه وقال له : أغد غدوةً فلما أصبح لم يشك في ذلك ، وناظر عبيد الله بن يحيى المتوكل فقال له : يا أمير المؤمنين أريد أن لا يدع كاتباً ولا قائداً ولا عاملاً إلا أوقع بهم ، فمن يقوم بالأعمال يا أمير المؤمنين !

وغدا نجح فأجلسه عبيد الله في مجلسه ولم يؤذن له ، وأحضر موسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد ، فقال لهما عبيد الله : إنه إن دخل إلى أمير المؤمنين دفعكما إليه فقتلكما ، وأخذ ما تملكان ، ولكن اكتبنا إلى أمير المؤمنين رقعة تقبلان به فيها بألفي ألف دينار ، فكتبنا رقعة بخطوطهما وأوصلها عبيد الله بن يحيى وجعل يختلف بين أمير المؤمنين ، ونجاح وموسى بن عبد الملك والحسن بن مخلد ، فلم يزل يدخل ويخرج ويعين موسى والحسن ، ثم أدخلهما على المتوكل فضمننا ذلك وخرج معهما فدفعه إليهما جميعاً والناس جميعاً الخواص والعموم ، وهما لا يشكان أنهما وعبيد الله بن يحيى مدفوعون إلى نجاح للكلام الذي دار بينه وبين المتوكل فأخذه وتولى تعذيبه موسى بن عبد الملك ، فحبسه في ديوان الخراج بسامرا وضربه درراً وأمر المتوكل بكاتبه إسحاق بن سعد ، وكان يتولى خاص أموره وأمر ضياع بعض الولد ، أن يغرم واحداً وخمسين ألف دينار ، وحلف على ذلك وقال إنه أخذ مني في أيام الوثاق ، وهو يخلف عن عمر بن فرج خمسين ديناراً

حتى أطلق أرزاقني ، فخذوا لكل دينار ألفاً وزيادة ألف فضلاً ، كما أخذ فضلاً فحبس ، ونُجِّمَ عليه في ثلاثة أنجم ، ولم يطلق حتى أدى تعجيل سبعة عشر ألف دينار ، وأطلق بعد أن أخذ منه كفلاء بالباقي ، وأخذ عبد الله بن مخلد فأغرم سبعة عشر ألف دينار ، ووجه عبيد الله الحسين بن إسماعيل وكان أحد حجاب المتوكل ، وعتاب بن عتاب عن رسالة المتوكل ، أن يضرب نجاح خمسين مقرعة إن هو لم يقر ويؤد ما وصف عليه ، فضربه ثم عاوده في اليوم الثاني بمثل ذلك ، ثم عاوده في اليوم الثالث بمثل ذلك ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين أني ميت ، وأمر موسى بن عبد الملك جعفرراً المعلقوم ومعه عونان من أعوان ديوان الخراج ، فعصروا مذاكيره حتى برد فمات ، فأصبح فركب إلى المتوكل فأخبره بما حدث من وفاة نجاح ، فقال لهما المتوكل : إني أريد مالي الذي ضمتماه ، فاحتلاه فقبضا من أمواله وأموال ولده جملة ، وحبسا أبا الفرج وكان على ديوان زمام الضياع من قبل أبي صالح بن يزداد ، وقبضا أمتعته كلها ، وجميع ملكه ، وكتبا على ضياعه لأمير المؤمنين ، وأخذنا ما أخذنا من أصحابه .. الخ . » .

أقول : هذه صورة لإدارة دولة الخلافة الإسلامية ، وتكالب خليفاتها وكبار وزرائه على أموال المسلمين المستضعفين ! فكيف يجوز تسميته خليفة رسول الله ﷺ ، وتلقيه المتوكل على الله ! وأي إدارة هذه ؟ وأي خلافة لرسول الله هذه !؟

نكب كاتب إيتاخ سليمان بن وهب ثم احتاج إليه !

روى التبوخي في كتابه الفرج بعد الشدة « ١ / ٥١ » كيف أخذ المتوكل كاتب إيتاخ ، قال : « سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول : كان المتوكل من أغلظ الناس على إيتاخ ، فذكر فيه حديثاً طويلاً ، وصف فيه كيف قبض المتوكل على إيتاخ وابن وهب ببغداد لما رجعا من الحج بيد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب .

قال سليمان بن وهب : وساعة قبض على إيتاخ ببغداد قبض عليّ بسر من رأى ، وسُلمتُ إلى عبيد الله بن يحيى . وكتب المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم بدخوله بسر من رأى ، ليتقوى به على الأتراك ، لأنه كان معه بضعة عشر ألفاً لكثرة الظاهرية بخراسان ، وشدة شوكتهم ، فلما دخل إسحاق أمر المتوكل بتسليمي إليه وقال : هذا عدوي ففصل عظامه ! هذا كان يلقاني في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام ، وأبدأه لحاجتي فيرد عليّ كما يرد المولى على عبده ، وكل ما دبره إيتاخ فعن رأيه ! فأخذني إسحاق وقيدي بقيد ثقيل ، وألبسني جبة صوف ، وحسني في كنيف وأغلق على خمسة أبواب ، فكنيت لا أعرف الليل من النهار ، فأقمت كذلك نحو عشرين يوماً لا يفتح على الباب إلا حملةً واحدة في كل يوم وليلة ، ويدفع إلى فيهما خبز شعير وملح وماء حار ، فكنيت آنس بالخنافس وبنات وردان ، وأتمنى الموت لشدة ما أنا فيه .. » ثم روى كيف اضطر المتوكل للإفراج عنه لخبرته في تحصيل مالية البلاد التي كان يحكمها إيتاخ ، وهي : مصر ، والكوفة ، والحجاز ، وحمّامة ، ومكة ، والمدينة . « النجوم الزاهرة : ٢ / ٢٧٥ » .

قال : « فحُملت إلى مجلس إسحاق فإذا فيه موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج ، والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع ، وأحمد بن إسرائيل الكاتب ، وأبو نوح ، وعيسى بن إبراهيم ، كاتب الفتح بن خاقان ، وداود بن الجراح صاحب الزمام ، فطُرحت في آخر المجلس ، فشتمني إسحاق بن إبراهيم أقبح شتم ، وقال : يا فاعل يا صانع تعرضني لاستبطاء أمير المؤمنين ، والله لأُفرِّق بين لحمك وعظمك ، ولأجعلن بطن الأرض أحب إليك من ظهرها ، أين الأموال التي جمعتها من غير وجهها .. الرأي أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف ألف درهم ، تؤديها في عشرة أشهر ، كل شهر ألف ألف درهم ، وتترَفُّه عاجلاً مما أنت فيه ! فأمر إسحاق بأخذي في الحال وإدخالي الحمام ، وجاؤني بخلعة نظيفة فلبستها ، وبخور طيب فتبخرت ، واستدعاني إسحاق ..

فلما كان من غد حولني إلى دار كبيرة حسنة مفروشة ، ووكل علي فيها بإحسان وإجلال ، واستدعيْتُ كل من أردت ، وتسامع الناس بأمرني ، وجاؤني فجر عني ، ومضت سبعة وعشرون يوماً ، وقد أعددت ألف ألف درهم .. الخ . » !

الفصل الثالث :

سياسة المتوكل مع الإمام الهادي عليه السلام

من ثوابت سياسة الخلفاء تصفية مخالفيهم !

من ثوابت الخليفة القرشي : أن يعمل للتخلص من خصومه بقتلهم بالسم ، أو بالمكيدة ، ليكون قتلاً ناعماً مسكوتاً عنه عند الناس !

وكان شعار معاوية المعروف : إن لله جنوداً من عسل ! قاله عندما نجح في دسّ السُّمِّ لمالك الأشتر حاكم مصر رضي الله عنه . كما في المستطرف / ٣٥٢ ، وغيره .

وقال معاوية : لا جدد إلا ما أفحص عنك من تكره . أي العمل الجدّي المهم هو : أن تقتل عدوك وتحمده في مكانه ، فتريجه من طريقك ! « محاضرات الراغب : ١ / ٥٣١ » .

قال في جمهرة الأمثال « ٢ / ٣٧٦ » : « والمثل لمعاوية رضي الله عنه » قاله بعد قتله عبد الرحمن بن خالد ، لأنه كان يعارض توليته لولده يزيد ! « ورواه في الأمثال للميداني : ١ / ٦٣٠ ، والمستقصى للزمخشري / ٣٣٤ ، وطبقات الأطباء : ١ / ١٥٤ : والمنمق في أخبار قريش لابن حبيب : ١ / ١٧٢ ، والتذكرة الحمدونية / ١٤٩٧ ، وتاريخ دمشق : ١٩ / ١٨٩ » .

وعلى هذه السياسة مشى خلفاء بني أمية وبني العباس ، وكان المتوكل يعمل لقتل الإمام الهادي عليه السلام وهو يعلم أنه إمام رباني ، وأنه لا يعمل للسلطة ! ولا حجة للمتوكل إلا خوفه من إيمان الناس بالإمام عليه السلام ، فقد رأى أمه تطلب دعاءه ، وتنذر له النذور !

١ . سَجَنَ المتوكل الإمام عليه السلام ليقنته فنجاه الله :

روى الصدوق في الخصال / ٣٩٥ : « عن الصقر بن أبي دلف الكرخي ، قال : لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام جئتُ أسأل عن خبره قال : فنظر إليَّ الرُّزافي وكان حاجباً للمتوكل ، فأمر أن أدخل إليه فأدخلت إليه ، فقال : يا صقر ما شأنك ؟ فقلت : خيرٌ أيها الأستاذ . فقال : أقعد ، فأخذني ما تقدم وما تأخر وقلت : أخطأت في الجئ ! قال : فوحى الناس عنه ، ثم قال لي : ما شأنك وفيم جئت ؟ قلت : لخير ما ، فقال : لعلك تسأل عن خبر مولاك ؟ فقلت له : ومن مولاي ؟ مولاي أمير المؤمنين ! فقال : أسكت ، مولاك هو الحق فلا تحتشمي فإني على مذهبك ، فقلت : الحمد لله . قال : أتحب أن تراه ؟ قلت : نعم . قال : أجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده . قال : فجلست فلما خرج قال لغلام له : خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجره التي فيها العلوي المحبوس وَحَلِّ بينه وبينه ، قال : فأدخلني إلى الحجره ، فأومأ إلى بيت فدخلت فإذا به عليه السلام جالس على صدر حصير وبجذاه قبر محفور ! قال : فسلمت فرد ، ثم أمرني بالجلوس ، ثم قال لي : يا صقر ما أتى بك ؟ قلت : يا سيدي جئت أتعرف خبرك ؟ قال : ثم نظرت إلى القبر فبكييت ! فنظر إلي فقال : يا صقر لا عليك ، لن يصلوا إلينا بسوء الآن ، فقلت : الحمد لله .

ثم قلت : يا سيدي حديث يروي عن النبي صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه ، قال وما هو ؟ فقلت قوله : لا تعادوا الأيام فتعاديكم ، ما معناه ؟ فقال : نعم ، الأيام نحن ما

قامت السماوات والأرض ، فالسبتُ إسم رسول الله ﷺ والأحدُ كنايةٌ عن أمير المؤمنين عليه السلام ، والإثنين الحسن والحسين ، والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا ، والخميس ابني الحسن بن علي ، والجمعة ابن ابني ، وإليه تجتمع عصابة الحق ، وهو الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

فهذا معنى الأيام ، فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة . ثم قال عليه السلام :
وَدَّعْ واحرج ، فلا آمن عليك .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : الأيام ليست بأئمة ولكن كنى بها عليه السلام عن الأئمة لئلا يدرك معناه غير أهل الحق . كما كنى الله عز وجل بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين عن النبي ﷺ وعلي والحسن والحسين عليهم السلام . . .
وكما كنى بالسير في الأرض عن النظر في القرآن ، سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل : أو لم يسيروا في الأرض ، قال : معناه أو لم ينظروا في القرآن .

ملاحظات

١ . يظهر أن سجن الإمام عليه السلام في سامراء كان في إحضاره الأول الى سامراء ، في أوائل خلافة المتوكل ، ولم يسجن في سامراء بعدها .

٢ . أما الصقر بن أبي دلف ، فهو من الكرخ وكان فيها شيعة لأهل البيت عليهم السلام من زمن الإمام الصادق عليه السلام ، وكانت بغداد : الكرخ وبراثا ، ثم أسس المنصور بينهما بغداد المدورة ، وقد وثقنا ذلك في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام .

والحديث يدل على أن الحاجب زرافة كان يعرف الصقر ويحترمه ، وكان يميل الى الشيعة ، وقيل يكتب تشيعه عن المتوكل ، وقد روى مدحه في الهداية الكبرى .

٣. لا يعد أن يكون الصقر من أولاد أبي دلف العجلي القائد المعروف الذي خرج على هارون الرشيد ، ثم اتفق معه وصار والياً على بلاد الجبل من إيران ، وأسس مدينة كرج . وقد كتبنا عنه في القبائل العراقية : قبيلة عجل بن جئيم .

وكان أبو دلف شيعياً متشدداً ، وسكن قسم من أولاده في بغداد وآخرون في الحلة ، وبقي قسم منهم في الجبل ، ويشمل همدان وأصفهان وغيرهما ، ومنهم ولاية في زمن الواثق والمتوكل .

٤. سؤال الصقر عن معنى الأيام في الحديث النبوي ، يدل على تعمقه في التشيع فقد كان مطروحاً وقتها موقع الأئمة عليهم السلام التكويني ، وتفسير قوله تعالى : **إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** . « التوبة : ٣٦ » .

وكان في عصره بوادر ظهور مذاهب الغلو في بغداد ، وأشهرها مذهب الحلاج والشلمغاني ، وبشار الشعيري الذي عرف أتباعه بالكرخية الخمسة ، وهو مذهب مأخوذ من مذهب الحلول الجوسي ، قالوا : « إن سلمان الفارسي والمقداد وعماراً وأبا ذر وعمر بن أمية الضمري ، هم المؤكلون بمصالح العالم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » . « خلاصة الأقوال للعلامة / ٣٦٤ » .

ولعل أول من أشاع ذلك في بغداد أحمد بن هلال الكرخي ، الملعون على لسان الإمام المهدي عليه السلام ، فسُمِّي أتباعه بالكرخية والكرخيين .

قال الطوسي في الغيبة / ٤١٤ : « وكان الكرخيون مُخمسة ، لا يشك في ذلك أحدٌ من الشيعة ، وقد كان أبو دلف يقول ذلك ويعترف به . . وجنون أبي دلف وحكايات فساد مذهبه ، أكثر من أن تحصى ، فلا نطول بذكرها الكتاب ها هنا » .

أقول : أبو دلف المغالي بعد الصقر بن أبي دلف بسنين كثيرة ، وقد يكون من آل أبي دلف أو على اسمه . ولم يكن الصقر من أهل الغلو ، وسؤاله عن معنى الأيام وتفسيرها ليس من الغلو ، لأن الآية تدل على أن مخطط الكون مبني على عدة الشهور الإثني عشر ، وعدة أوصياء الأنبياء عليهم السلام ونقبائهم ، فهو قانون المنظومة العددية في تكوين الكون ، وفي هداية المجتمع . وبجته خارج عن غرضنا .

٢ . واتهم المتوكل الإمام عليه السلام بجمع السلاح للثورة عليه :

وقد أحضره ليلاً فأدخلوه على المتوكل وهو يشرب الخمر وأراد منه أن يشرب معه فأبى ، بل وعظه فبكى المتوكل ، وأمر برفع مائدة الخمر من مجلس الخلافة !

وقد روت ذلك عامة المصادر ، ومنها المسعودي في مروج الذهب « ١٠ / ٤ » بسنده عن محمد بن عرفة النحوي قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد : « وقد كان سُعيي بأبي الحسن علي بن محمد إلى المتوكل ، وقيل له : إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته ، فوجه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره فوجده في بيت وحده مغلق عليه ، وعليه مدرعة من شَعْرٍ ، ولا بساط في البيت

إلا الرمل والحصى ، وعلى رأسه مَلْحَفَةٌ من الصوف متوجهاً إلى ربه ، يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد ، فأخذ على ما وجد عليه ، وحُمِلَ إلى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس ، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه ، ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ، ولا حالة يتعلل عليه بها . فنأوله المتوكل الكأس الذي في يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه ، فأعفاه ، وقال : أنشدني شعراً أستحسنه ، فقال : إني لقليل الرواية للأشعار ، فقال : لا بد أن تنشدني . فأنشده :

| | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| باتوا على قُللِ الأجيال تحرسهم | غَلِبَ الرجالِ فما أغنتهمُ القُللُ |
| واستُنزِلُوا بعدَ عَزٍّ عن معاقِلهم | فأودعُوا حُفراً يا بئسَ ما نزلوا |
| ناداهمُ صارخٌ من بعد ما قُبِروا | أينَ الأسيْرَةُ والتيجانُ والحَللُ |
| أينَ الوجوهُ التي كانت مُنعمَةً | من دونها تُضربُ الأستارُ والكِللُ |
| فأفصحَ القبرُ عنهم حين ساءلهم | تلكَ الوجوهُ عليها الدُودُ يفتَسِلُ |
| قد طالَ ما أكلوا دهرًا وما شربوا | فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا |
| وظالما عمروا دوراً لتحصنهم | ففارقوا الدورَ والأهلينَ وانتقلوا |
| وظالما كنزوا الأموالَ وأدخروا | فخلَّفوها على الأعداءِ وارتحلوا |
| أضحت منازلهم قفراً مُعطلَّةً | وساكنوها إلى الأجداثِ قد رحلوا |

قال : فأشفق كل من حضر علي ، وظنوا أن بادرة تبدر منه إليه ، قال : والله لقد بكى المتوكل بكاء طويلاً حتى بلت دموعه لحيته ، وبكى من حضره ، ثم أمر

برفع الشراب ، ثم قال له : يا أبا الحسن ، أعليك ديناً ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ، فأمر بدفعها إليه ، وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً .

ورواها الذهبي في تاريخ الإسلام « ١٨ / ١٩٩ » ، فقال : « سُعيّ بأبي الحسن إلى المتوكل وأن في منزله سلاحاً وكتباً من أهل قم ، ومن نيته التوثب ، فكَبَسَ بيته ليلاً فوجده في بيت عليه مدرعة صوف ، متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات ، فأخذ كهيئته إلى المتوكل وهو يشرب ... » . والياضي في مرآة الجنان : ٢ / ١١٩ ، والقلقشندي في معالم الخلافة : ١ / ٢٣٢ ، والأبشهي في المستطرف : ٢ / ٨٧٤ ، وغيرهم ، وغيرهم .

٣ . وكان يقول : أعياني أمرُ ابن الرضا !

كان المتوكل ذات يوم غاضباً متوتراً ، لأنه عجز أن يجزَّ الإمام الهادي عليه السلام إلى شرب الخمر ، ثم يُظهره للناس سكراناً لتسقط عقيدتهم به !

وهذه لاجئةٌ منه لأنه يعرف أن الإمام عليه السلام من العترة الذين طهرهم الله تعالى ! روى في الكافي « ١ / ٥٠٢ » : « حدثني أبو الطيب المثني يعقوب بن ياسر قال : كان المتوكل يقول : ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا ! أبي أن يشرب معي أو ينادمني أو أجد منه فرصة في هذا ! فقالوا له : فإن لم تجد منه ، فهذا أخوه موسى قَصَّافٌ عَرَّافٌ ، يأكل ويشرب ويتعشق . قال : إبعثوا إليه فجيئوا به حتى نُمِّوهُ به على الناس ونقول ابن الرضا ! فكتب إليه وأشخص مكرماً وتلقاه جميع بني هاشم والقواد والناس على أنه إذا وافى أقطعه قطيعة ، وبني له فيها ، وحول الخمارين والقيان إليه ، ووصله وبره وجعل له منزلاً سرياً ، حتى يزوره هو فيه !

فلما وافى موسى تلقاه أبو الحسن عليه السلام في قنطرة وصيف ، وهو موضع يتلقى فيه القادمون ، فسلم عليه ووفاه حقه ، ثم قال له : إن هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك ، فلا تقر له أنك شربت نبذاً قط .

فقال له موسى : فإذا كان دعائي لهذا فما حيلتي ؟ قال : فلا تضع من قدرك ولا تفعل ، وإنما أراد هتكك ، فأبى عليه ، فكرر عليه . فلما رأى أنه لا يجيب قال : أما إن هذا مجلس لا تجمع أنت وهو عليه أبداً !

فأقام ثلاث سنين ، يكرر كل يوم فيقال له : قد تشاغل اليوم فرخ فيروح . فيقال : قد سكر فبكر ، فيكرر . فيقال : شرب دواءً ! فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل ، ولم يجتمع معه عليه .

أقول : لما رأى الإمام عليه السلام إصرار أخيه على المنكر ، وعلى إعطاء المتوكل مبرراً للطعن بإمامة العترة النبوية عليه السلام ، دعا عليه بأن لا يلتقي بالمتوكل أبداً ، وهو يعلم أن الله تعالى لا يرده له طلبه ، فأخبره بأنه لن يجتمع مع صاحبه الخليفة الخمار أبداً !

هذا ، وقد روي أن موسى المبرقع تاب بعد ذلك وأناب واستقام . وله ذرية كثيرة ، وفيهم أبرار وعلماء أجلاء .

٤ . يتفاءل المتوكل بنفسه ويتشاءم بالإمام عليه السلام :

« عن فارس بن حاتم بن ماهويه قال : بعث يوماً المتوكل إلى سيدنا أبي الحسن عليه السلام أن اركب وأخرج معنا إلى الصيد لتتبرك بك ، فقال للرسول : قل له إني راكب ، فلما خرج الرسول قال لنا : كذب ، ما يريد إلا غير ما قال ! قالوا : قلنا : يا

مولانا فما الذي يريد؟ قال : يظهر هذا القول فإن أصابه خير نسبه إلى ما يريد بنا ما يبعده من الله ، وإن أصابه شرٌ نسبه إلينا ، وهو يركب في هذا اليوم ويخرج إلى الصيد فيرد هو وجيشه على قنطرة على نهر ، فيعبر سائر الجيش ولا تعبر دابته ، فيرجع ويسقط من فرسه فتزل رجله وتوهن يده ، ويمرض شهراً .

قال فارس : فركب سيدنا وسرنا في المركب معه والمتوكل يقول : أين ابن عمي المدني؟ فيقول له : سائرٌ يا أمير المؤمنين في الجيش ، فيقول : ألقوه بنا ، ووردنا النهر والقنطرة ، فعبر سائر الجيش وتشعثت القنطرة وتهدمت ، ونحن نسير في أواخر الناس مع سيدنا ، ورُسل المتوكل تحثه ، فلما وردنا النهر والقنطرة امتنعت دابته أن تعبر ، وعبر سائر الجيش ودوابنا ، فاجتهدت رسل المتوكل عبور دابته فلم تعبر ، وعثر المتوكل فلحقوا به ، ورجع سيدنا ، فلم يمض من النهار إلا ساعات حتى جاءنا الخبر أن المتوكل سقط عن دابته وزلت رجله وتوهنت يده ، وبقي عليلاً شهراً ! وعتب على أبي الحسن عليه السلام قال : أبوالحسن عليه السلام إنما رجع عنا لئلا تصيبنا هذه السقطة فنشأم به ، فقال أبو الحسن عليه السلام : صدق الملعون .

٥ . وكانت أم المتوكل تعتقد بالإمام عليه السلام وتنذر له :

روى في الكافي « ١ / ٤٩٩ » : « عن إبراهيم بن محمد الطاهري قال : مرض المتوكل من خراجٍ خرج به وأشرف منه على الهلاك ، فلم يجسر أحد أن يمسه بجديدة ، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد مالاً جليلاً من مالها . وقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت إلى هذا الرجل فسألته فإنه لا يخلو أن يكون

عنده صفة يفرج بها عنك ، فبعث إليه ووصف له علقته ، فرد إليه الرسول بأن يؤخذ كُسْبُ الشاة « بالضم عُصارة الدهن » فيداف بماء ورد ، فيوضع عليه .

فلما رجع الرسول فأخبرهم أقبلوا يهزؤون من قوله ، فقال له الفتح : هو والله أعلم بما قال . وأحضر الكسب وعمل كما قال ووضع عليه فغلبه النوم وسكن ، ثم انفتح وخرج منه ما كان فيه وبشرت أمه بعافيته ، فحملت إليه عشرة آلاف دينار تحت خاتمها . ثم استقل من علقته فسعى به البطحائي العلوي ، بأن أموالاً تحمل إليه وسلاحاً ، فقال لسعيد الحاجب : أهُجُم عليه بالليل وخذ ما تجد عنده من الأموال والسلاح ، واحمله إليّ .

قال إبراهيم بن محمد : فقال لي سعيد الحاجب : صرت إلى داره بالليل ومعني سلم فصعدت السطح ، فلما نزلت على بعض الدرج في الظلمة ، لم أدر كيف أصل إلى الدار ، فناداني : يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة ، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت فوجدته : عليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادة ، على حصير بين يديه ، فلم أشك أنه كان يصلي ، فقال لي : دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ، ووجدت البدرية في بيته مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً وقال لي : دونك المصلى ، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبس .

فأخذت ذلك وصرت إليه ، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرية بعث إليها فخرجت إليه ، فأخبرني بعض خدم الخاصة أنها قالت له : كنت قد نذرت في علقك لما آيست منك إن عوفيت حملت إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه ، وهذا خاتمي على الكيس ، وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار ، فضم إلى البدرية بدرية أخرى وأمرني بحمل ذلك إليه فحملته ، ورددت السيف

والكيسين وقلت له : يا سيدي عزَّ عليَّ ! فقال لي : **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** .

أقول : البطحائي العلوي ، الذي افترى على الإمام عليه السلام هو مع الأسف : محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليه السلام .

٦ . بنى المتوكل عاصمة جديدة بالإجبار :

من غطرسة المتوكل وبذخه : أنه قرر بناء عاصمة قرب سامراء ، وسمها سامراء وأجبر الناس على أن يبنوا بيوتهم فيها ، وكان يعطيهم نفقاتها ، أو قسماً منها .

فقال الإمام الهادي عليه السلام كما في الهداية / ٣٢٠ : « إن هذا الطاغية يبني مدينة يقال لها سامرا ، يكون حنقه فيها على يد ابنه المسمى بالمنتصر ، وأعوانه عليه الترك . . .

ثم كان من أمر بناء المتوكل الجعفري وما أمر به بني هاشم وغيرهم من الأبنية هناك ما تحدث به ، ووجهه إلى أبي الحسن عليه السلام بثلاثين ألف درهم ، وأمره أن يستعين بها على بناء دار ، وركب المتوكل يطوف على الأبنية ، فنظر إلى دار أبي الحسن عليه السلام لم ترتفع إلا قليلاً ، فأنكر ذلك وقال لعبيد الله بن يحيى بن خاقان : عليّ وعليّ يميناً وأكدها : لئن ركبت ولم ترتفع دار أبي الحسن عليه السلام لأضربن عنقه ، فقال له عبيد الله : يا أمير المؤمنين لعله في إضاعة ، فأمر له بعشرين ألف درهم وجه بها إليه مع أحمد ابنه ، وقال له : تحدثه بما جرى ، فصار إليه وأخبره بما جرى فقال : إن ركب فليفعل ذلك ! ورجع أحمد إلى أبيه عبيد الله فعرفه ذلك ، فقال عبيد الله : ليس والله يركب « ! أي قال رئيس الوزراء : إن المتوكل لن يركب ، لأنه يعرف أن الإمام عليه السلام يتكلم بإلهام من الله تعالى !

٧ . حاول المتوكل إذلال الإمام عليه السلام فدعا عليه :

« عن زرارة حاجب المتوكل وكان شيعياً أنه قال : كان المتوكل لحظوة الفتح بن خاقان عنده وقربه منه دون الناس جميعاً ، ودون ولده وأهله ، أراد أن يبين موضعه عندهم . فأمر جميع مملكته من الأشراف من أهله وغيرهم ، والوزراء والأمراء والقواد وسائر العساكر ووجوه الناس ، أن يزینوا بأحسن التزيين ، ويظهروا في أفخر عُددهم وذخائرهم ، ويخرجوا مشاة بين يديه ، وأن لا يركب أحد إلا هو والفتح بن خاقان خاصة بسر من رأى !

ومشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالة ، وكان يوماً قاتظاً شديد الحر .

وأخرجوا في جملة الأشراف أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام وشق ما لقيه من الحر والزحمة . قال زرارة : فأقبلت إليه وقلت له : يا سيدي يعز الله علي ما تلقى من هذه الطغاة ، وما قد تكلفته من المشقة ، وأخذت بيده فتوكأ علي وقال : يا زرارة ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني ، أو قال بأعظم قدراً مني ، ولم أزل أسأله وأستفيد منه ، وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب وأمر الناس بالإنصراف . فقدمت إليهم دوابهم فركبوا إلى منازلهم ، وقدمت بغلة له فركبها وركبت معه إلى داره فنزل وودعته وانصرفت إلى داري ، ولؤلؤدي مؤدب يتشيع من أهل العلم والفضل ، وكانت لي عادة بإحضاره عند الطعام ، فحضر عند ذلك وتجارينا الحديث ، وما جرى من ركوب المتوكل والفتح ، ومشى الأشراف وذوي الأقدار بين أيديهما ، وذكرت له ما شاهدته من أبي الحسن علي بن محمد

وما سمعته من قوله : ما ناقة صالح عند الله بأعظم قدراً مني . وكان المؤدب يأكل معي فرفع يده وقال : بالله إنك سمعت هذا اللفظ منه ؟ فقلت له : والله إني سمعته يقوله ، فقال لي : أعلم أن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام ويهلك ! فانظر في أمرك وأحرز ما تريد إحرازه وتأهب لأمرك كي لا يفجؤكم هلاك هذا الرجل فتهلك أموالكم بحادثة تحدث أو سبب يجري .

فقلت له : من أين لك ذلك ؟ فقال : أما قرأت القرآن في قصة صالح والناقة وقوله تعالى : **تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ** . ولا يجوز أن تبطل قول الإمام عليه السلام ! قال زرافة ، فوالله ما جاء اليوم الثالث حتى هجم المنتصر ومعه بغا ووصيف والأترار على المتوكل فقتلوه وقطعوه ، والفتح بن خاقان جميعاً ، قطعاً حتى لم يعرف أحدهما من الآخر ، وأزال الله نعمته ومملكته !

فلقيت الإمام أبا الحسن عليه السلام بعد ذلك وعرفته ما جرى مع المؤدب وما قاله ، فقال : صدق إنه لما بلغ مني الجهد رجعت إلى كنوز نتوارثها من آبائنا هي أعز من الحصون والسلاح والجنن ، وهو دعاء المظلوم على الظالم ، فدعوت به عليه فأهلكه الله . « مهج الدعوات / ٢٦٧ » .

وفي الخرائج : ١ / ٤٠٢ : ذكر زرافة حديثه مع مؤدبه وقال : « فغضبت عليه وشتمته وطرده من بين يدي ، فخرج . فلما خلوت بنفسي تفكرت وقلت : ما يضربني أن أخذ بالحزم ، فإن كان من هذا شيء كنت قد أخذت بالحزم ، وإن لم يكن لم يضربني ذلك ، قال : فركبت إلى دار المتوكل فأخرجت كل ما كان لي فيها ، وفرقت كل ما

كان في داري إلى عند أقوام أثق بهم ، ولم أترك في داري إلا حصيراً أقعد عليه . فلما كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل وسلمت أنا ومالي ، فتشيعت عند ذلك وصرت إليه ، ولزمت خدمته ، وسألته أن يدعو لي وتوليته حق الولاية » .

وفي الثاقب / ٥٣٩ : « سمعت من سعيد الصغير الحاجب قال : دخلت على سعيد بن صالح الحاجب فقلت : يا أبا عثمان قد صرت من أصحابك ، وكان سعيد يتشيع . فقال : هيهات ! قلت : بلى والله . فقال : وكيف ذلك ؟ قلت : بعثني المتوكل وأمري أن أكبس على علي بن محمد بن الرضا فأنظر ما فعل ، ففعلت ذلك فوجدته يصلي فبقيت قائماً حتى فرغ ، فلما انفتل من صلاته أقبل عليّ وقال : يا سعيد ، لا يكف عني جعفر أي المتوكل حتى يقطع إرباً إرباً ! إذهب واعزب ، وأشار بيده الشريفة فخرجت مرعوباً ودخلني من هيئته ما لا أحسن أن أصفه ! فلما رجعت إلى المتوكل سمعت الصيحة والواعيمة ، فسألته عنه فقبل : قتل المتوكل ، فرجعنا وقلتُ بما » .

أقول : كذب سعيد ، فقد كان جلوازاً سيّافاً عند بني العباس ، ثم ادعى التشيع !

وفي الخرائج : ١ / ٤١٢ : « حدثنا ابن أرومة قال : خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى فدخلت على سعيد الحاجب ودفع المتوكل أبا الحسن إليه ليقتله ، فلما دخلت عليه ، قال : تحب أن تنظر إلى إلهك ؟ قلت : سبحان الله إلهي لا تدركه الأبصار . قال : هذا الذي تزعمون أنه إمامكم ! قلت : ما أكره ذلك . قال : قد أمرت بقتله وأنا فاعله غداً وعنده صاحب البريد فإذا خرج فادخل إليه .

فلم ألبث أن خرج قال : أدخل ، فدخلت الدار التي كان فيها محبوساً فإذا هو ذا بحياه قبر يحفر ، فدخلت وسلمت وبكيت بكاءً شديداً ، قال : ما يبكيك ؟ قلت : لما أرى . قال : لا تبك لذلك فإنه لا يتم لهم ذلك . فسكن ما كان بي فقال : إنه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته . قال : فوالله ما مضى غير يومين حتى قتل وقتل صاحبه » .

٨. أظهر الله قدرة وليه عليه السلام فخاف الطاغية :

روى الخصيبي في الهداية الكبرى / ٣٢٢ : « عن الحسن بن مسعود وعلي وعبيد الله الحسيني ، قال : دخلنا على سيدنا أبي الحسن عليه السلام بسامرا وبين يديه أحمد بن الخصيب ومحمد وإبراهيم الخياط ، وعيونهم تفيض من الدمع ، فأشار الينا عليه السلام بالجلوس فجلسنا وقال : هل علمتم ما علمه إخوانكم ؟ فقلنا : حدثنا منه يا سيدنا ذكراً . قال : نعم ، هذا الطاغية قال مسمعاً لحفدته وأهل مملكته : تقول شيعتك الراضية إن لك قدرة ، والقدرة لا تكون إلا لله ، فهل تستطيع إن أردت بك سوءاً أن تدفعه ؟ فقلت له : وإن يمسك الله بسوء فلا كاشف له إلا هو .

فأطرق ثم قال : إنك لتروي لكم قدرة دوننا ، ونحن أحق به منكم ، لأننا خلفاء وأنتم رعيتنا . فأمسكت عن جوابه ، لأنه أراد أن يبين جبره بي ، فنهضت فقال : لتقعدن وهو مغضب ، فخالفته أمره وخرجت ، فأشار إلى من حوله : الآن خذوه ، فلم تصل أيديهم إليّ وأمسكها الله عني ! فصاح : الآن قد أريتنا قدرتك والآن نريك قدرتنا ، فلم يستتم كلامه حتى زلزلت الأرض ورجفت !

فسقط لوجهه ، وخرجتُ فقلت : في غدٍ الذي يكون له هنا قدرة يكون عليه الحكم لا له . فبكينا على إمهال الله له وتجره علينا وطغيانه .

فلما كان من غد ذلك اليوم ، فأذن لنا فدخلنا فقال : هذا ولينا زرافة يقول إنه قد أخرج سيفاً مسموماً من الشفرتين ، وأمره أن يرسل إليَّ فإذا حضرت مجلسه أدخلني زرافة لأمته مني ودخل إلي بالسيف ليقتلني به ، ولن يقدر علي ذلك .

فقلنا : يا مولانا إجعل لنا من الغم فرجاً . فقال : أنا راكب إليه فإذا رجعت فاسألوا زرافة عما يرى . قال : وجاءته الرسل من دار المتوكل ، فركب وهو يقول : إن كيد الشيطان كان ضعيفاً . ولم نزل نرقب رجوعه إلى أن رجع ومضينا إلى زرافة فدخلنا عليه في حجرة خلوته فوجدناه منفرداً بها واضعاً خده على الأرض يبكي ويشكر الله مولاه ويستقبله ، فما جلس حتى أتينا إليه فقال لنا : أجلسوا يا إخواني حتى أحدثكم بما كان من هذا الطاغي ، ومن مولاي أبي الحسن عليه السلام ، فقلنا له : سُررنا سرك الله ، فقال : إنه أخرج إلي سيفاً مسموم الشفرتين وأمرني ليرسلني إلى مولاي أبي الحسن إذا خلا مجلسه فلا يكون فيه ثالث غيري وأعلو مولاي بالسيف فأقتله . فانتهيت إلى ما خرج به أمره إليَّ فلما ورد مولاي للدار وقفت مشارفاً فاعلم ما يأمر به ، وقد أخليت المجلس وأبطأت ، فبعث إلي هذا الطاغي خادماً يقول إمض ويلك ما أمرك به . فأخذت السيف بيدي ودخلت ، فلما صرت في صحن الدار ورآني مولاي فركل برجله وسط المجلس فانفجرت الأرض ، وظهر منها ثعبان عظيم فاتح فاه ، لو ابتلع سامرا ومن فيها لكان في فيه

سعة ، لا ترى مثله ! فسقط المتوكل لوجهه ، وسقط السيف من يده ، وأنا أسمعته يقول : يا مولاي ويا ابن عمي ، أقلني أقالك الله ، وأنا أشهد أنك على كل شئ قدير ! فأشار مولاي بيده إلى الثعبان فغاب ، ونهض وقال : ويلك ذلك الله رب العالمين . فحمدنا الله وشكرناه . » .

٩ . لقد فاخرتنا من قريش عصابة :

« دخل عليه يوماً على المتوكل فقال : يا أبا الحسن من أشعر الناس ، وكان قد سأل قبله ابن الجهم فذكر شعراء الجاهلية وشعراء الإسلام ، فلما سأل الإمام عليه السلام قال : فلان بن فلان العلوي . قال ابن الفحام : وأحسبه الحماني قال : حيث يقول :

لقد فاخرتنا من قريش عصابة بمطّ خُدودٍ وامتدادٍ أصابع
فلما تنازعنا القضاء قضى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع

قال : وما نداء الصوامع ، يا أبا الحسن ؟ قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، جدي أم جدك ؟ فضحك المتوكل ثم قال : هو جدك لاندفعك عنه . » .

« أمالي الطوسي / ٢٨٧ ، ومناقب آل أبي طالب : ٣ / ٥١٠ ، والمحاسن والمسائى للبيهقي : ١ / ٤٦ ، وفي طبعة / ٧٨ ، والمحاسن والأضداد للجاحظ : ١ / ١٤٧ ، ومصادر أخرى . » .

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة « ١ / ١٨٥ » : « وَالْحَمَّانِي : علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام الذي كان يقول : أنا شاعر وأبي شاعر وجدي شاعر إلى أبي طالب . والذي شهد له الهادي عليه السلام أمام المتوكل بأنه أشعر الناس لقوله من أبيات .. فلما تنازعنا الحديث قضى لنا ... » .

وقال في أعيان الشيعة « ٣١٦ / ٨ » : « علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين المعروف بالحَمَّاني ، نسبة إلى حَمَّان بكسر الحاء وتشديد الميم قبيلة بالكوفة نزلها . توفي سنة ٢٦٠ ، كما قال ابن الأثير ، كان فاضلاً أديباً شاعراً وشهد له الإمام أبو الحسن عليه السلام الثالث في التفضيل في الشعر . وذكر تنمة البيتين :

وإننا سَكوتٌ والشَّهيدُ بفضلنا عليهم جهيرُ الصوت في كل جامع
فإنَّ رسولَ الله أحمدُ جدُّنا ونحنُ بنوهُ كالنجوم الطوالع

وقال : قوله وأنشد له المرتضى في الفصول المختارة من كتاب المجالس ، وكتاب العيون والحاسن للمفيد :

يا آلَ حمِّ الذين بحبهم حَكَمَ الكتابُ مُنزلاً تنزيلاً
كان المديحُ خُلَى الملوكِ وكنتم خَلَلِ المَدائحِ عِزَّةً وجمولاً
بيتٌ إذا عَدَّ المآثرَ أهلها عَدُّوا النبيَّ وثانياً جبريلاً
قومٌ إذا اعتدلوا الحمائلَ أصبحوا متقسِّمين خَلِيفَةً ورسولاً
نشأوا بآياتِ الكتابِ فما انثوا حتى صدرنَ كُهولَةً وكُهولاً
ثقلانٍ لَن ينفرقا أو يُطْفِئَا بالحوضِ من ظمإِ الصُدورِ غليلاً
وخليفَتانِ على الأنامِ بقولِه بالحقِّ أصدقُ من تكلمِ قبيلاً
فاقوا أكفَّ الآيسين فأصبحوا لا يعدلون سوى الكتابِ عديلاً .

ورواها في مناقب آل أبي طالب « ٣٣٩ / ٢ » وأنشد له ابن عنبه في عمدة الطالب / ٣٠١ :

« لنا من هاشمٍ هَضَباتُ عِرِّ مُطَنَّبَةٌ بأبراجِ السَّماءِ
تُطِيفُ بنا الملائكُ كلَّ يَومٍ ونُكفَلُ في حُجُورِ الأنبياءِ
ويَهتَرُ المقامُ لنا ارتياحاً ويلقانا صَفاهُ بالصِّفاءِ » .

١٠ . هيا له المعتز علوجاً ليقتلوه فهابوه وسجدوا له :

روى في الثاقب في المناقب / ٥٥٦ : « عن أبي العباس فضل بن أحمد بن إسرائيل الكاتب قال : كنا مع المعتز ، وكان أبي كاتبه ، فدخلنا الدار والمتوكل على سريره قاعد ، فسلم المعتز ووقف ووقف خلفه ، وكان عهدي به إذا دخل عليه رحب به وأمره بالقعود ، ونظرت إلى وجهه يتغير ساعة بعد ساعة ، ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول : هذا الذي يقول فيه ما يقول ، ويرد عليه القول ، والفتح مقبل عليه يسكنه ويقول : مكذوب عليه يا أمير المؤمنين . وهو يتلظى ويقول : والله لأقتلن هذا المرئي الزنديق ، وهو الذي يدعي الكذب ، ويطعن في دولتي .

ثم قال : جئني بأربعة من الخزر وأجلاف لا يفقهون ، فجئ بهم ودفعت إليهم أربعة أسياف ، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن ، وأن يقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه ويقتلوه ، وهو يقول : والله لأحرقنه بعد القتل ، وأنا منتصب قائم خلفه من وراء الستر ، فما علمت إلا بأبي الحسن عليه السلام قد دخل ، وقد بادر الناس قدامه فقالوا : جاء ! والتفت ورائي وهو غير مكترث ولا جازع ، فلما بصر به المتوكل رمى بنفسه من السرير إليه وهو بسيفه فانكب عليه يقبل بين عينيه ، واحتمل يده بيده وهو يقول : يا سيدي ، يا ابن رسول الله ، ويا خير خلق الله يا ابن عمي يا مولاي ، يا أبا الحسن ، وأبو الحسن يقول : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا ! فقال : ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت ؟ قال : جاءني رسولك ، فقال المتوكل : كذب ابن الفاعلة ، إرجع يا سيدي من حيث جئت .

يا فتح ، يا عبد الله ، يا معتز ، شيعوا سيدي وسيدكم . فلما بصر به الخزر حروا سجداً مدعنين ، فلما خرج دعاهم المتوكل ، ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون ، ثم قال لهم : لم لا تفعلوا ما أمرتكم به ؟ قالوا : لشدة هيئته ، ورأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن ننالهم ، فمنعنا ذلك عما أمرنا به ، وامتلات قلوبنا رعباً من ذلك . فقال المتوكل : هذا صاحبكم ، وضحك في وجه الفتح ، وضحك الفتح في وجهه وقال : الحمد لله الذي بيض وجهه ، وأثار حجته . » .

رووا أن الإمام عليه السلام مدح العباس :

قال الذهبي في سيره « ١٢ / ٣٨ » : « قال المبرد : قال المتوكل لعلي بن محمد بن الرضا : ما يقول ولد أبيك في العباس ؟ قال : ما تقول يا أمير المؤمنين في رجل فرض الله طاعته على نبيه صلى الله عليه وآله وذكر حكاية طويلة ، وبكى المتوكل ، وقال له : يا أبا الحسن لنت منا قلوباً قاسية ، أعليك دين ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ، فأمر له بها . » .

أقول : إذا صح ذلك فهو تقيّة جائزة للتخلص من قرار المتوكل بقتله عليه السلام ، ويكون معنى : فرض طاعته على نبيه صلى الله عليه وآله ، أي طاعة الله تعالى لا طاعة العباس .

* *

الفصل الرابع :

إحضار المتوكل للإمام الهادي عليه السلام الى سامراء

أحضر المتوكل الإمام عليه السلام الى سامراء ثلاث مرات

١. حكم المتوكل أربع عشرة سنة « ٢٣٢ - ٢٤٧ » وحكم بعده ابنه المنتصر نحو سبعة أشهر ، ثم حكم المستعين وهو أحمد بن محمد بن المعتصم ، سنتين وتسعة أشهر ، ثم حكم المعتز وهو الزبير بن المتوكل ، ثماني سنين وستة أشهر ، وهو الذي ارتكب جريمة قتل الإمام الهادي عليه السلام .

وكان المتوكل على خط أسلافه خلفاء بني عباس في عدائهم للأئمة من عترة النبي ﷺ ، لأنهم يعرفون أنهم أئمة رانيون ينجذب اليهم الناس ، ويقيسون بهم الخليفة العباسي . فهم برأي الخلفاء خطرٌ على حكمهم .

وبسبب هذا العدااء أرسل المتوكل القائد عتّاب بن أبي عتاب في أول خلافته لإحضار الإمام الهادي عليه السلام ، ثم أرسل القائد يحيى بن هرثمة أكثر من مرة . وروت المصادر نص رسالة المتوكل الى الإمام عليه السلام مع ابن هرثمة سنة ٢٤٣ . كما روت أنه حبسه في إحدى إحضاراته وحفر له قبراً في السجن ! ويظهر أن ذلك كان في مطلع خلافته سنة ٢٣٣ ، فبقي الإمام عليه السلام مدة في سامراء ، ثم تخلص ورجع الى المدينة ، أو رجع في موسم الحج وبقي في المدينة .

ثم أحضره ثانية قبل سنة ٢٣٥ ، فتخلص أيضاً وعاد الى المدينة ، ثم أحضره سنة ٢٤٣ ، وألزمه بالبقاء في سامراء .

وقلنا ثلاث مرات على الأقل ، لأنهم رووا أن المتوكل مرض في أول خلافته ، ونذر إن عوفي أن يتصدق بدنانير كثيرة ، ولم يعرف الفقهاء مقدارها ، وأرسل الى الإمام الهادي عليه السلام وكان في سامراء ، فسأله .

وروا أن يحيى بن هرثة مرَّ به في جيئه على بغداد ، وزاره القائد إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، وقد توفي الطاهري سنة ٢٣٥ ، فلا بد أن يكون ذلك غير إحضاره مع القائد عتاب بن أبي عتاب .

كما أن المتوكل حبس الإمام عليه السلام في هذا الإحضار ، وأراد قتله . أما في الإحضار الأخير فلم يجسه وأظهر احترامه وألزمه بالإقامة في سامراء ، فاشترى الإمام داراً من نصراني وسكن فيها ، ثم أضاف إليها داراً أو دوراً أخرى .

أما محاولة المتوكل إهانة الإمام عليه السلام وإنزاله في خان الصعاليك ، وتأخير مقابلته له يوماً ، فلا يبعد أن تكون في إحضاره الأخير .

٢ . وبهذا تعرف أن سبب تفاوت كلام المؤرخين في أن الإمام الهادي عليه السلام أقام في سامراء عشرين سنة ، أو عشر سنين ، هو الإحضارات المتعددة له ، والتي ختمت بفرض الإقامة الجبرية عليه حتى هلاك المتوكل .

ثم جاء المستعين والمعتز فواصلوا فرض الإقامة الجبرية عليه ، حتى ارتكب المعتز وهو الزبير بن المتوكل ، جريمة قتله عليه السلام .

الإحصار الأول للإمام عليه السلام الى سامراء

قال في مناقب آل أبي طالب « ٣ / ٥١٥ » : « وَجَّهَ المتوكل عتَّابَ بن أبي عتاب إلى المدينة ليحمل علي بن محمد عليه السلام إلى سر من رأى ، وكان الشيعة يتحدثون أنه يعلم الغيب ، فكان في نفس عتاب من هذا شيء ، فلما فصل من المدينة رآه وقد لبس كِبَادَةَ والسماء صاحية ، فما كان أسرع من أن تغيمت وأمطرت ، فقال عتاب : هذا واحد . ثم لما وافى شط القاطون رآه مُفْلَقَ القلب فقال له : مالك يا أبا أحمد ؟ فقال : قلبي مُفْلَقٌ بجوابح التمسستها من أمير المؤمنين . قال له : فإن حوائجك قد قضيت ، فما كان بأسرع من أن جاءته البشارات بقضاء حوائجه . قال : الناس يقولون إنك تعلم الغيب . وقد تبينتُ من ذلك نَخْلَتَيْنِ » .

عتَّاب بن أبي عتاب قائد عباسي فارسي

قال في تاريخ دمشق « ٣٨ / ٢٢٦ » : « عتَّاب بن عتاب بن سالم بن سليمان النسائي ، أحد قواد المتوكل ، قدم معه دمشق سنة ثلاث وأربعين ومائتين ، فيما قرأته بخط أبي محمد عبد الله بن محمد الخطابي ، ثم ولاه حجابته مع الحسين بن إسماعيل » .
وذكره الطبري في مواضع وهو مطيعٌ لخلفاء بني عباس .

منها « ٧ / ٣٧٣ » لما وثب أهل حمص على واليهم فأرسل لهم المتوكل عتَّاباً : « وأمره أن يقول لهم إن أمير المؤمنين قد أبدلكم رجالاً مكان رجل .. فرضوا بمحمد بن عبدويه فولاه عليهم ، فعمل فيهم الأعاجيب » .

ومنها : أن المعتز ظفر جيشه بعلوي ثار عليه في الكوفة ، « الطبري : ٧ / ٥١١ » : « فورد الكتاب بحمله مع عتاب بن عتاب ، وحمل هؤلاء الطالبين فحملوا جميعاً » .

ومنها : دور عتّاب بعد المتوكل حتى قتل مع المهدي سنة ٢٥٦ ، وذلك لما اختلف المهدي مع القادة الأتراك ، فخدعه القائد التركي بايكباك بأنه معه ضد موسى بن بغا ، ودخل قصر المهدي ومهد لدخول ابن بغا لقتله . ولما اكتشف المهدي مؤامرة بايكباك ، قَتَلَهُ وأمر عتاب بن عتاب أن يرميهم برأسه فرماهم به ، فأطبَقوا على المهدي وجيشه : « شد رجل منهم على عتاب فقتله .. فحمل عليهم طغوتيا أخو بايكباك حملة ثائر حَرَّان مَوْتور ، فنقض تعبيتهم وهزمهم وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين ، ومضى المهدي يركض منهزماً والسيف في يده مشهور وهو ينادي : يا معشر الناس أنصروا خليفتمكم ! حتى صار إلى دار ابن جميل فبادرهم ليصعد فُرْمِي بسهم وُبُعج بالسيف ، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه فجعلوا يصفعونه وييزقون في وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخُرْثي « الأثاث » فأقر لهم بست مائة ألف قد أودعها .. فأخذوا رقعته بست مائة ألف دينار ، ودفعوه إلى رجل فوطئ على خصييه حتى قتله » . « الطبري » ٧ / ٥٨٢ »

ثم وصف الطبري انتخاب الأتراك للخليفة الجديد فقال « ٧ / ٥٨٧ » : « كان يارجوخ بعد انهزام الناس صار إلى الدار ، فأخرج من ولد المتوكل جماعة فصار بهم إلى داره ، فبايعوا أحمد بن المتوكل المعروف بابن فتيان ، يوم الثلاثاء لثلاث عشرة

خلت من رجب وسمي المعتمد على الله ، وأشهد يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب على وفاة المهدي محمد بن الواثق ، وأنه سليم ما به إلا الجراحتان اللتان نالتاه يوم الأحد في الوقعة » .

وهذا يدل على أن عتاباً كان فارسياً وليس تركياً ، وأنه قتل مع المهدي . ومن المستبعد أن يكون استبصر لما رأى معجزات الإمام عليه السلام في مرافقته من المدينة ، رغم أنه اقتنع بأنه ولي الله ، وأن الله تعالى يظهره على بعض غيبه .

فقد بقي عتاب مخلصاً للمتوكل ، والخلفاء من بعده ، وكانوا يكلفونه بمهمات قدرة ، من القمع والقتل ، حتى قُتل في سبيلهم !

إحضار الإمام الى سامراء بعد هدم قبر الحسين عليه السلام

ارتكب المتوكل جريمة هدم قبر الحسين عليه السلام سنة ٢٣٦ ، واتفق المؤرخون على أنه أثار على نفسه نقمةً عامة من كل الفئات ، حتى كتب المسلمون شعار شتمه على جدران بغداد ، ولم يرووا أن أحداً كان يحوه !

وقد رافق ذلك تزايد تعاطف المسلمين مع الإمام الهادي عليه السلام خاصة في بغداد والحجاز ، وقد وصل هذا التعاطف الى بعض وزراء الخليفة ، وأفراد أسرته ! ويظهر أن بعض الأوساط لهجوا بالثورة على المتوكل .

وفي ذلك الظرف كتب اليه والي مكة والمدينة : إن كانت لك حاجة في الحجاز ، فأخرج منه علي بن محمد . أي قبل أن يدعوهم للثورة عليك فيستجيبون له !

قال المسعودي في إثبات الوصية « ١ / ٢٣٢ » : « وكتب بُرَيْجَةَ العباسي صاحب الصلاة بالحرمين الى المتوكل : إن كان لك في الحرمين حاجة ، فأخرج علي بن محمد منهما فإنه قد دعا الى نفسه واتبعه خلق كثير . وتابع بُرَيْجَةَ الكتب في هذا المعنى ، فوجه المتوكل يحيى بن هرثمة وكتب معه الى أبي الحسن عليه السلام كتاباً جميلاً يعرفه أنه قد اشتاقه ، ويسأله القدوم عليه . وأمر يحيى بالمسير معه كما يجب ، وكتب الى بريجة يعرفه ذلك . فقدم يحيى بن هرثمة المدينة فأوصل الكتاب الى بريجة ، وركبا جميعاً الى أبي الحسن عليه السلام فأوصلا إليه كتاب المتوكل ، فاستأجلهما ثلاثاً .

فلما كان بعد ثلاث عاد الى داره فوجد الدواب مُسْرَجَةً ، والأثقال مشدودة قد فُرِغَ منها . وخرج صلى الله عليه متوجهاً نحو العراق ، واتبَّعه بريجة مشيعاً ، فلما صار في بعض الطريق قال له بريجة : قد علمت وقوفك على أني كنت السبب في حملك ، وعليّ حلفٌ بأيمان مغلظة لئن شكوتني الى أمير المؤمنين ، أو الى أحد من خاصته وأبنائه ، لأُجْمِرَنَّ نخلك ، ولأقتلن مواليك ، ولأُعَوِّزَنَّ عيون ضيعتك ، ولأنفعلن ولأصنعن . فالتفت إليه أبو الحسن عليه السلام فقال له : إن أقرب عَرْضِي إياك على الله البارحة . وما كنت لأعرضنك عليه ، ثم أشكونك الى غيره من خلقه . قال : فانكب عليه بريجة وضرع إليه واستعفاه . فقال له : قد عفوت عنك » .

ملاحظة

بريجة هو بُرَيْجَةُ ، وقد يكون تصحيفاً له ، ففي شفاء الغرام للفاسي « ٢ / ٢١٩ » : « ثم وليها « مكة » محمد بن داود عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن

عباس العباسي ، الملقب **تُرْجُحَة** ، في سنة اثنين وعشرين ومائتين ، ولعل ولايته دامت إلى أثناء خلافة المتوكل . » .

وقال في صبح الأعشى « ٢٧١ / ٤ » : « ثم وليها محمد بن عيسى ، ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، وولّى مكانه ابنه المنتصر بن المتوكل . ثم وليها علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور ، ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين وولّى مكانه عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى . ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين ، وولّى مكانه عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام . ثم توالى عليها العمال من قبل خلفاء بني العباس . » .

وفي رسالة المتوكل الى الإمام الهادي عليه السلام أنه عزل بريحه لأنه أساء اليه ، وذلك سنة ٢٤٣ . ومعناه أنه عزل ثم نصب على الصلاة في الحرمين .

وسماه في الإرشاد « ٣٢٥ / ٢ » : **تُرْجُحَة** ، وقال في هامشه : وهو عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي بن أترجة من ندماء المتوكل ، والمشهور بالنصب والبغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد قتل بيد عيسى بن جعفر ، وعلي بن زيد الحسينين بالكوفة قبل موت المعتز بأيام . أنظر : الكامل لابن الأثير : ٧ / ٥٦ ، تاريخ الطبري : ٩ / ٣٨٨ .

وورد خبر قتله في الكافي « ٥٠٦ / ١ » : « قال : كتب أبو محمد عليه السلام إلى أبي القاسم إسحاق بن جعفر الزبيري قبل موت المعتز بنحو عشرين يوماً : إلزم بيتك حتى يحدث الحادث ، فلما قتل بريحه كتب إليه قد حدث الحادث فما تأمري ؟ فكتب : ليس هذا الحادث ، الحادث الآخر . فكان من أمر المعتز ما كان .

وعنه قال : كتبت عليه السلام إلى رجل آخر : يُقتل ابن محمد بن داود عبد الله قبل قتله
« المعتز » بعشرة أيام ، فلما كان في اليوم العاشر ، قُتل .

وكان قتل المعتز سنة ٢٥٥ « الثقات لابن حبان : ٢ / ٣٣١ » بعد شهادة الإمام عليه السلام كما يأتي .

أمر المتوكل قائده أن يفتش بيت الإمام عليه السلام

وقد نص على ذلك المحدثون والمؤرخون ، وقالوا إن بريجة العباسي كتب الى
المتوكل أن الإمام الهادي عليه السلام يجمع السلاح ، وأن شيعته من قم أمْدُوهُ بالأموال .

قال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٨٤ » : « حدثني يحيى بن هرثمة ، قال : وَجَّهني
المتوكل الى المدينة لإشخاص علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر لشيء بلغه
عنه ، فلما صرت إليها ضجَّ أهلها وَعَجُّوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعتُ مثله ،
فجعلت أُسَكِّنُهُمْ وأحلف لهم أي لم أؤمر فيه بمكروه ، وفتشت بيته فلم أجد فيه
إلا مصحفاً ودعاءً ، وما أشبه ذلك ، فأشخصته وتوليت خدمته وأحسننت
عشرته . فبينما أنا نائم يوماً من الأيام والسماء صاحية والشمس طالعة ، إذ ركب
وعليه مُمَطَّرٌ ، وقد عقد ذَنَب دابته ، فعجبت من فعله ، فلم يكن بعد ذلك إلا
هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت عزاليها ، ونالنا من المطر أمرٌ عظيم جداً .
فالتفت إليّ ، وقال : أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت ، وتوهمت أني علمت من
الأمر ما لا تعلمه ، وليس ذلك كما ظننت ، ولكن نشأت بالبادية ، فأنا أعرف
الرياح التي يكون في عقبها المطر ، فلما اصبحت هبَّت ريح لا تخلف وشممت
منها رائحة المطر ، فتأهبتُ لذلك !

فلما قدمت مدينة السلام بدأت بإسحاق ابن إبراهيم الطاهري ، وكان على بغداد فقال لي : يا يحيى ، إن هذا الرجل قد ولده رسول الله ، والمتوكل من تعلم ، وإن حرّضته على قتله كان رسول الله خصمك ! فقلت : والله ما وقفت له إلا على كل أمر جميل . فصرت الى سامراء ، فبدأت بوصيف التركي وكنت من أصحابه فقال : والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة لا يكون المطالب بها غيري ! فعجبت من قولهما ، وعرفت المتوكل ما وقفت عليه ، وما سمعته من الثناء عليه فأحسن جائزته ، وأظهر برّة وتكرمه . » .

أقول : في هذا النص دلالات عديدة ، منها شعبية الإمام الواسعة في المدينة ، بحيث ضجّ أهلها لما جاءت سرية المتوكل لأخذه !

أما إسحاق بن إبراهيم الطاهري فهو منسوبٌ إلى عمه طاهر بن الحسين ، قائد جيش المأمون الذي دخل إلى بغداد وقتل الأمين . وكان إسحاق حاكم بغداد من قبل المتوكل ، ويدل كلامه على أن عامة أهل بغداد كانوا ينظرون الى الإمام الهادي عليه السلام نظرة تقديس ، فكان يخاف من غضب الناس إذا قتلته السلطة .

وكذلك وصيف التركي ، وهو من كبار قادة الجيش التركي في سامراء ، وكان كفيل المستعين ، الذي صار خليفة . « تاريخ الطبري : ٧ / ٤٣٣ » .

أما قول الإمام الهادي عليه السلام : نشأت بالبادية فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر ، فهو صحيح ، لكنه عن مصدر واحد لعلمه بالمطر عليه السلام ، ومصادر علمه أوسع .

نص كتاب المتوكل الى الإمام الهادي عليه السلام

قال المفيد في الإرشاد « ٣٠٩ / ٢ » : « وكان سبب شخوص أبي الحسن عليه السلام إلى سُرٍّ من رأى أن عبد الله بن محمد كان يتولى الحرب والصلاة في مدينة الرسول ، فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل ، وكان يقصده بالأذى ، وبلغ أبا الحسن سعايته به ، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد ، ويكذبه فيما سعى به ، فتقدم المتوكل بإجابته عن كتابه ودعائه فيه إلى حضور العسكر ، على جميل من الفعل والقول ، فخرجت نسخة الكتاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن أمير المؤمنين عارفاً بقدرك ، راعٍ لقرابتك موجباً لحقك ، مؤثراً من الأمور فيك وفي أهل بيتك ، ما يصلح الله به حالك وحالهم ، ويثبت به عزك وعزهم ، ويدخل الأمن عليك وعليهم ، يبتغي بذلك رضا ربه ، وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم .

وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول ، إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك ، وعندما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي علم أمير المؤمنين براءتك منه ، وصدق نيتك في برك وقولك ، وأنت لم تؤهل نفسك لما قرفت بطلبه .

وقد ولى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل ، وأمره بإكرامك وتبجيلك ، والإنتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك .

وأمر المؤمنين مشتاقاً إليك ، يُحب إحداث العهد بك والنظر إليك ، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت ، شخصتَ ومن اخترتَ من أهل بيتك ومواليك وحشمك ، على مُهَلَّةٍ وطُمانينة ، ترحل إذا شئتَ وتنزل إذا شئتَ ، وتسير كيف شئتَ . وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند ، يرتحلون برحيلك ويسيرون بسيرك ، فالأمر في ذلك إليك ، وقد تقدمنا إليه بطاعتك ، فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين ، فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منه منزلة ، ولا أحمد له أثره ، ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق وبهم أبرُّ ، وإليهم أسكن منه إليك . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب إبراهيم بن العباس ، في شهر كذا من سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

فلما وصل الكتاب إلى أبي الحسن عليه السلام تجهز للرحيل ، وخرج معه يحيى بن هرثمة حتى وصل إلى سر من رأى . فلما وصل إليها تقدم المتوكل بأن يُحجب عنه في يومه ! فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك ، وأقام فيه يومه ، ثم تقدم المتوكل بإفراء دار له فانتقل إليها .

ثم روى المفيد رحمته الله : عن صالح بن سعيد قال : دخلت على أبي الحسن عليه السلام يوم وروده فقلت له : جعلت فداك ، في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك ، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك . فقال : هاهنا أنت يا ابن سعيد ! ثم أوما بيده فإذا بروضات أنفات ، وأنهار جاريات ، وجنان فيها خيرات

عطرات ، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، فحار بصري وكثر تعجبي ، فقال لي :
حيث كنا فهذا لنا يا ابن سعيد ، لسنا في خان الصعاليك !

وأقام أبو الحسن عليه السلام مدة مقامه بسر من رأى ، مكرماً في ظاهر حاله ، يجتهد
المتوكل في إيقاع حيلة به ، فلا يتمكن من ذلك .

وله معه أحاديث يطول بذكرها الكتاب ، فيها آيات له وبينات ، إن قصدنا
لإيراد ذلك خرجنا عن الغرض فيما نُحَوِّثُنا . « راجع الكافي : ١ / ٤٩٨ .

وقال راوي الرسالة كما في الكافي « ١ / ٥٠١ » : « أخذت نسخة كتاب المتوكل إلى أبي
الحسن الثالث عليه السلام من يحيى بن هرثمة في سنة ثلاث وأربعين ومائتين » .

وفي الإرشاد « ٢ / ٣١٠ » وروضة الواعظين / ٢٤٥ ، وغيرهما : « وكتب إبراهيم بن
العباس في شهر كذا ، من سنة ثلاث وأربعين ومئتين » .

وفي الفصول المهمة لابن الصباغ / ٢٦٥ ، والبحار « ٥٠ / ٢٠١ » وغيرهما : « وكان المتوكل
قد أشخصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى مع يحيى بن هرثمة بن أعين ، في
جمادى الأخرى سنة ثلاث وأربعين ومائتين » .

لكن قال الطبري « ٧ / ٣٤٨ » : « وفيها « سنة ٢٣٣ » قدم يحيى بن هرثمة ، وهو والي طريق
مكة ، بعلي بن محمد بن علي الرضا ، بن موسى بن جعفر من المدينة » .

ونحوه في النجوم الزاهرة « ٢ / ٢٧١ » ، وفيه : « وكان قد بلغ المتوكل عنه شيء » .

وفي فرق الشيعة للنووي « ١ / ٩١ » : « وكان المتوكل أشخصه من المدينة مع يحيى بن
هرثمة بن أعين .. وكان قدومه إلى سر من رأى يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من

شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومأتين . وكان مولده يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة مضت من رجب ، سنة أربع عشرة ومأتين ، وأقام بسر من رأى داره إلى أن توفي : عشرين سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وكانت إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر .

وفي تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنبلي « ١ / ٣٢٢ » : « وكنته أبوالحسن العسكري وإنما نسب الى العسكري ، لأن جعفر المتوكل أشخصه من المدينة الى بغداد الى سر من رأى ، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر . قال علماء السير : وإنما أشخصه المتوكل من مدينة رسول الله الى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته ، فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس اليه فحاف منه ، فدعا يحيى بن هرثمة وقال : إذهب الى المدينة وانظر في حاله وأشخصه الينا .

قال يحيى : فذهبت الى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ، ما سمع الناس بمثله خوفاً على عليّ ، وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً اليهم ملازماً للمسجد ، لم يكن عنده ميل الى الدنيا .

قال يحيى : فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أني لم أوامر فيه بمكروه ، وأنه لا بأس عليه ، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي وأحسننت عشرته . فلما قدمت به بغداد بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان والياً على بغداد ، فقال لي : يا يحيى إن هذا الرجل قد ولده رسول الله والمتوكل من تعلم ، فإن حرضته عليه قتله وكان

رسول الله خصمك يوم القيامة ! فقلت له : والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل ، ثم صرت به الى سر من رأى فبدأت بوصيف التركي فأخبرته بوصوله فقال : والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك . « وهو من جند وصيف » .

قال : فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق ! فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهادته ، وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم ، وأن أهل المدينة خافوا عليه . فأكرمه المتوكل وأحسن جايته ، وأجزل بره ، وأنزله معه سر من رأى .

قال يحيى بن هرثمة : فاتفق مرض المتوكل بعد ذلك بمدة ، فنذر إن عوفي ليتصدقن بدراهم كثيرة ، فعوفي فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم فرجاً فبعث الى علي فسأله فقال : يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً . فقال المتوكل : من أين لك هذا ؟ فقال من قوله تعالى : **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ** . والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله غزى سبعاً وعشرين غزاة ، وبعث خمساً وستين سرية ، وآخر غزواته يوم حنين .

فعجب المتوكل والفقهاء من هذا الجواب ، وبعث اليه بمال كثير فقال : علي هذا الواجب ، فتصدق أنت بما أحببت » .

ملاحظات

١ . يتضح بما تقدم أن إحضار المتوكل للإمام عليه السلام كان بإرساله القائد عتاب بن أبي عتاب في أول خلافته سنة ٢٣٣ ، وأن الإمام عليه السلام بقي فترة في سامراء ، ثم عاد

إلى المدينة وبقي فيها . أما إرسال المتوكل ليحيى بن هرثمة فكان بعد بضعة سنوات ، فأحضره وألزمه بالبقاء حتى استشهد عليه على يد المعتد .

٢ . يظهر من نص رسالة المتوكل إلى الإمام عليه السلام أنه يخاطب شخصية له نفوذه في المسلمين ، وله قداسة عندهم ، فالمتوكل النمروذ يراعي الأدب معه ، وفي نفس الوقت يحتم عليه الحضور إلى سامراء ، لأنه اشتاق إليه !

وكل هدفه أن يكون في قبضته في سامراء ، ويأمن من ثورته عليه ، لأنه إذا دعا المسلمين إلى بيعته ، استجاب له منهم قسم كبير .

٣ . يدل تعمد المتوكل تأخير استقباله يوماً ، وإنزاله في خان ينزل فيه عادة الصعاليك وسواد الناس ، أن المقصود إهانته ليدل في نفسه ويخضع للمتوكل كغيره من الشخصيات الذين يُحضرهم ، لكن الإمام الهادي شخصيةً رابضة لا يقاس بها الأرضيون ، ومن بيت لا يقاس بهم أحد ، صلوات الله عليهم !

خافت السلطة من ثورة البغداديين !

في تاريخ اليعقوبي « ٢ / ٤٨٤ » : « وكتب المتوكل إلى علي بن محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد ، في الشخص من المدينة ، وكان عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي قد كتب يذكر أن قوماً يقولون إنه الإمام ، فشخص عن المدينة ، وشخص يحيى بن هرثمة معه حتى صار إلى بغداد ، فلما كان بموضع يقال له الياسرية نزل هناك ، وركب إسحاق بن إبراهيم لتلقيه ، فرأى تشوق الناس إليه

واجتمعهم لرؤيته ، فأقام إلى الليل ، ودخل به في الليل ، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة ، ثم نفذ إلى سر من رأى » .

أقول : هذا النص يدل على الشعبية العميقة للإمام عليه السلام في بغداد والعراق ، وأن السلطة خافت أن يدخل إلى بغداد ، فأنزله خارجها في الياسرية ، وهي على بعد ميلين من بغداد ، على ضفة نهر عيسى ، وتقع اليوم قرب مطار بغداد القديم .

لكن شيعة الإمام عليه السلام ومحبيه كانوا يتبعون حركته ، وعرفوا بموعد وصوله إلى بغداد ، فخرجوا إلى ضاحيتها لملاقاته ، وازدحموا عليه حتى أن والي بغداد أراد أن يزوره فوجد ازدحام الناس ، فانتظر إلى الليل فزاره !

ويدلك على تعاضم شعبيته أنهم خافوا من بقاءه في ضاحية بغداد ولو ليلة واحدة ، فقرروا أن يمضوا به إلى سامراء في الليل !

كما يدل ذلك على شعبيته وصية والي بغداد ليحيى به ، وتخوفه أن يقتله المتوكل فيفتح باب الثورة على السلطة !

* *

خطة المتوكل لإبادة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم

كان المتوكل يبغض أسلافه لحبهم علياً عليه السلام

قال ابن الأثير في الكامل « ٧ / ٥٦ » : « وقيل إن المتوكل كان يبغض من تقدمه من الخلفاء : المأمون ، والمعتمد ، والواثق ، في محبة علي وأهل بيته !

وإنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي ، منهم علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامة بن لؤي ، وعمر بن فرج الرخجي ، وأبوالسمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أمية ، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة .

وكانوا يخوفونه من العلويين ، ويشيرون عليه بإبعادهم والإعراض عنهم ، والإساءة إليهم . ثم حسنوا له الوقعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان ، فغطت هذه السيئة جميع حسناته ، وكان من أحسن الناس سيرة ، ومنع الناس من القول بخلق القرآن ، إلى غير ذلك من المحاسن » .

وهذا وغيره يدل على أن سياسة المتوكل في بغض أهل البيت عليهم السلام لم تكن عابرة ، بل كانت عن عمد وإصرار ، وتخطيط !

أرسل المتوكل الرُّحْجِي المتوحش والياً على الحجاز !

قال أبوالفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين / ٣٩٥ : « واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي ، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البرِّ بهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرَّ أحداً منهم بشئ وإن قلَّ ، إلا أنهكه عقوبةً وأثقله عُزماً ! حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر !

إلى أن قتل المتوكل ، فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم ، ووجه بمال فرقه فيهم ، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله ، ومضادة مذهبه . » .

أقول : لاحظ الإنحطاط الذي وصل اليه عمر الرخجي غلام المتوكل ، حيث حبس آل الرسول ﷺ في المدينة ، ومنع من يحتاج منهم الى الطعام والشراب أن يطلب مساعدة أحد ، ثم كان يعاقب من يساعده بعقاب شديد وغرامة كبيرة !

وهو بذلك يتعمد إفقارهم وإذلالهم ليموتوا جوعاً !

وقد دفع ذلك عدداً منهم الى الثورة في هذا البلد وذاك ، لأن المسلمين يثقون بهم ولا يثقون بالعباسيين ، ومنهم من يبذل نصرته ودمه للعلويين .

ومعنى : كان القميص بين عدد من العلويات .. أنه قد يوجد مجموعة نساء في بيت ، ليس عندهن ثياب وافية للصلاة بعددهن ، فيتبادلن الثوب للصلاة فتصلي فيه واحدة بعد الأخرى ، ثم يجلسن للعمل بثيابهن غير الساترة !

قال البيهقي في الإمامة وأهل البيت « ٣ / ١٩٣ » : « وهكذا شرّع من يسمونه أمير المؤمنين المتوكل على الله ، أن تقبّع العلويات الطاهرات في بيوتهن عاريات ، يتبادلن القميص المرقع عند الصلاة ، وأن تختال الفاجرات العاهرات بالحلي وحلل الديباج ، بين الإمام والعبيد » .

اضطهد المتوكل الشيعة في مصر

في البيان للمقريزي « ١ / ٣٩ » : « ظلت مصر ملجأً آمناً لآل علي بن أبي طالب إلى أن جاء زمن المتوكل العباسي ، وكان يبغض العلويين ، فأمر واليه في مصر بإخراج آل علي بن أبي طالب منها ، فأخرجوا من الفسطاط إلى العراق في عام ٢٣٦ ، ثم نقلوا إلى المدينة في العام نفسه ، واستتر من كان بمصر على رأي العلوية » .

وقال البلاذري في أنساب الأشراف : ٣ / ١٣٧ ، ونحوه الطبري : ٦ / ٤١٦ : « كان إدريس بن عبد الله بن حسن في وقعة فخ مع الحسين بن علي ، فهرب في خلافة الهادي إلى مصر ، وعلى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور ، الذي يعرف بالمسكين ، وكان واضح يتشيع ، فحمله على البريد إلى المغرب .. » .

وفي المواعظ للمقريزي « ٤ / ١٥٩ » : « ورد كتاب المتوكل على الله إلى مصر يأمر فيه بإخراج آل أبي طالب من مصر إلى العراق ، فأخرجهم إسحاق بن يحيى الختلي أمير مصر ، وفرق فيهم الأموال ليتجملوا بها ، وأعطى كل رجل ثلاثين ديناراً ، والمرأة خمسة عشر ديناراً ، فخرجوا لعشر خلون من رجب سنة ست وثلاثين ومائتين ، وقدموا العراق فأخرجوا إلى المدينة في شوال منها ، واستتر من كان

بمصر على رأي العلوية ، حتى أن يزيد بن عبد الله أمير مصر ضرب رجلاً من الجندي في شئ وجب عليه ، فأقسم عليه بحق الحسن والحسين إلا عفا عنه ، فزاده ثلاثين درة « ضربة » ورفع ذلك صاحب البريد إلى المتوكل ، فورد الكتاب على يزيد بضرب ذلك الجندي مائة سوط ، فضربها ، وحمل بعد ذلك إلى العراق في شوال سنة ثلاث وأربعين ومائتين !

وتتبع يزيد الروافض فحملهم إلى العراق ، ودل في شعبان على رجل يقال له محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنه بويع له ، فأحرق الموضوع الذي كان به وأخذه فأقر على جمع من الناس بايعوه ، فضرب بعضهم بالسياط ، وأخرج العلوي هو وجمع من آل أبي طالب ، إلى العراق في شهر رمضان . ومات المتوكل في شوال .

وفي النجوم الزاهرة « ٣٠٩ / ٢ » : « يزيد بن عبد الله بن دينار » « والي مصر سنة ٢٤٢ » تتبع الروافض بمصر وأبادهم ، وعاقبهم ، وامتحنهم ، وقمع أكابريهم ، وحمل منهم جماعة إلى العراق على أقبح وجه . ثم التففت إلى العلويين فجرت عليهم منه شدائد من الضيق عليهم ، وأخرجهم من مصر .

واضطهد والي مصر محمد بن الفرج

في تاريخ يعقوبي « ٤٨٥ / ٢ » : « وسخط على عمر بن فرج الرخجي وعلى أخيه محمد ، وكان محمد بن فرج عامل مصر إذ ذاك ، فوجه كتاباً في حمله ، وقبضت

أموالهما ، وكان ذلك في سنة ٢٣٣ ، وكان عمر محبوساً ببغداد ، ومحمد محبوساً بسر من رأى ، فأقاما سنتين » .

وقال الطبري « ٣٤٧ / ٧ » : « فدفع إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب ، فحبس عنده وكتب في قبض ضياعه وأمواله ... وأصيب له بالأهواز أربعون ألف دينار ، ولأخيه محمد بن فرج مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار ، وحمل من داره من المتاع ستة عشر بعيراً فرشاً ، ومن الجوهر قيمة أربعين ألف دينار » .

أقول : كان محمد بن الفرّج عليه السلام عالماً تقياً مؤلفاً ، ويظهر أن سبب قبوله ولاية مصر أن المتوكل جعل ولايتها لابنه المنتصر فولاه عليها .

ولا بد أن يكون محمد استأذن الإمام الهادي عليه السلام لأنه ملتزم بطاعته ، ومكانته عنده جليّة ، وقد أرسل اليه ينبهه الى الإستعداد لغضب المتوكل !

ففي الكافي « ٥٠٠ / ١ » عن النوفلي قال : « قال لي محمد بن الفرّج : إن أبا الحسن عليه السلام كتب إليه : يا محمد أجمع أمرك وخذ حذرك . قال : فأنا في جمع أمري لست أدري ما كتب إلي حتى ورد عليّ رسولٌ حملني من مصر مقيداً ، وضربَ عليّ كل ما أملك » صادره « ! وكنت في السجن ثمان سنين .

ثم ورد عليّ منه عليه السلام في السجن كتاب فيه : يا محمد لا تنزل في ناحية الجانب الغربي . فقرأت الكتاب فقلت : يكتب إليّ بهذا وأنا في السجن ، إن هذا لعجب ! فما مكثت أن خُلّي عني ، والحمد لله » .

وفي الإرشاد « ٢ / ٣٠٤ » : « وروى أحمد بن عيسى قال : أخبرني أبو يعقوب قال : رأيت محمد بن الفرج قبل موته بالعسكر في عشية من العشايا ، وقد استقبل أبا الحسن عليه السلام فنظر إليه نظراً شافياً ، فاعتل محمد بن الفرج من الغد ، فدخلت عليه عائداً بعد أيام من علته ، فحدثني أن أبا الحسن عليه السلام قد أنفذ إليه بثوب وأرانيه مدرجاً تحت رأسه ، قال : فكُفّن فيه والله » .

أقول : ترجمنا لمحمد رضي الله عنه في سيرة الجواد عليه السلام وكان من كبار أصحاب الأئمة عليهم السلام . وأخوه عمر من أشد النواصب ، وعلاقتهما مع ذلك جيدة !

واضطهد المتوكل قاضي قضاة مصر

روت مصادر التاريخ أن المتوكل أمر بإهانة قاضي قضاة مصر : أبي بكر محمد بن أبي الليث ، بحجة أنه أكل أموال الناس ، والسبب أمر آخر !

ففي تاريخ الخلفاء للسيوطي « ١ / ٢٥٣ » : « وفي سنة سبع وثلاثين بعث إلى نائب مصر أن يخلق حية قاضي القضاة بمصر أبي بكر محمد بن أبي الليث ، وأن يضربه ويطوف به على حمار ! ففعل ونعم ما فعل ، فإنه كان ظالماً من رؤوس الجهمية ، وولي القضاء بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك وبعد تمُّنُّع ، وأهان القاضي المعزول بضربه كل يوم عشرين سوطاً ليرد المظالم إلى أهلها » .

لكن الظاهر خلافاً للسيوطي أن سبب عزله أنه حكم لخصم وكيل أم المتوكل ، وحكم بوراثنة أبناء البنات ، فنقم عليه المتوكل ، لأنه يجب أن يحكم دائماً لوكلاء الخليفة ومن يتعلق به ! ويجب أن يحكم بوراثنة العم والعصبة ، لأن العباسيين

يعتبرون الحكم بوراثة أبناء البنات حكماً بوراثة الحسن والحسين عليهما السلام لخلافة النبي صلى الله عليه وآله دون عمه العباس ، ولذلك يحكمون بوراثة العشيرة !

قال ابن حجر في كتابه : رفع الإصر عن قضاة مصر « ١ / ١٢١ » : « خوصم إلى الحارث في دار من دور السيدة أم الخليفة فحكم على وكيلها ، فأخرج الدار من يده ودفعها للخصم ، فكتب بذلك الوكيل إلى العراق ، فجاء كتاب الفضل بن مروان إلى أمير مصر ينكر على الحارث ذلك ويقول في كتابه : إن الحارث لم يزل معروفاً بالإنحراف عن السلطان والمباعدة لأسبابه ، فتكلمه أن مقام وكلاء جهة أمير المؤمنين في ضياعها ودورها ومستغلاتها بمصر ، مقام من يحوطها .

ويأمر برد الدار التي كانت في أيديهم لهم ، كما كانت قبل حكمه فيها ، وترك النظر في شئ مما في أيدي وكلائها بما يوهن أمرهم !

وتأمره بالتقدم إلى الحارث ، بعدم التعرض إلى النظر في شئ يتعلق بأمر المؤمنين وبمنعه من ذلك إن حاوله . وكتب في ربيع الآخر سنة أربعين ومائتين .

ولم يزل الحارث على طريقته حتى حكم في دار الفيل ، وهي دار أبي عثيم مولى مسلمة بن مخلد ، وكان تحبيسها في سنة ثلاث وتسعين . وأصل ذلك أن جماعة من قضاة مصر منهم توبة والفضل بن فضالة والعمري وهارون الزهري أخرجوا وتاجاً مولى أبي عثيم من الحبس « الوقف » لأن صاحب الحبس لم يسمه في كتاب تحبيسه . ثم آل الاستحقاق إلى محمد بن ناصح مولى أبي عثيم ، وإلى عزة بنت عمرو بن رافع مولى ابن عثيم ، فتوفيت عزة وتركت ولدها إبراهيم بن عبد

الصمد المعروف بابن السائح ، فخاصمهم فيها فأخرجهم الزهري ، وحكم بإخراج بني البنات من العقب .

فلما ولي محمد بن أبي الليث فسوخ حكم الزهري ودفن نصيبها إلى بني السائح . فلما ولي الحارث بن مسكين فسوخ حكم ابن أبي الليث ، وأخرج بني السائح فخرج إسحاق بن إبراهيم بن عبد الصمد بن السائح ، إلى العراق فتظلم من الحارث ورفع قصته إلى المتوكل ، فأمر بإحضار الفقهاء فحضروا ، واتفقوا على تحطئة الحارث في الحكم المذكور ، وتناولوه بألسنتهم !

وكان الفقهاء الذين نظروا في قضية الحارث على رأي الكوفيين ، وحكم الحارث إنما هو على رأي المدنيين ، وبلغ ذلك الحارث ما جرى هناك من ذكره ، فخشى من العزل ، فبادر بكتاب إلى العراق يستعفي ، فصادف وصول كتابه عقب أمر المتوكل بعزله ، فكتب إليه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قاضي العراق : إن كتابك وصل باستعفائكم فأهملت كتابك إلى أمير المؤمنين وأنتك تستعفي مما تقلدته من القضاء ، فأمر أيده الله بإجابتك إلى ذلك وإعفائك إسعافاً لك فيما سألت ، وتفضلاً بما أدى إلى موافقة فراقك في العمل بحسب ذلك موفقاً . وكتب المتوكل إلى أمير مصر يزيد بن عبد الله بن الأغلب بالنظر في قضية ابن السائح ، فجمع أهل البلد من الفقهاء والشيوخ ، وكان ورود الكتاب عليه بالصرف في يوم الجمعة لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين ومائتين » .

أقول : العجب من بعض الرواة كالذهبي والسيوطي ، حيث ذموا الحارث بن أبي الليث وجعلوه جهمياً ، ظالماً آكلاً أموال الناس ، وإنما ذنبه أنه خالف هوى المتوكل في بعض أحكامه ، فغضب عليه المتوكل ، وقلده الرواة !

قال الذهبي في سيره « ٩ / ٤٤٦ » : « وبعث المتوكل إلى نائبه بمصر فحلق لحية قاضي القضاة محمد بن أبي الليث وضربه ، وطوف به على حمار في رمضان وسجن ، وكان ظلوماً جهمياً ، ثم ولي القضاء الحارث بن مسكين ، فكان يضربه كل حين عشرين سوطاً ليؤدي ما وجب عليه ، فإننا لله » .

وقال ابن حجر : « فكانوا يحضرون محمد بن أبي الليث كل يوم بين يدي الحارث ، فيضربه عشرين سوطاً ، ليخرج عما يجب عليه من الحقوق ، فأقام على ذلك أياماً ثم أشير عليه بتركه . وقيل له إنه لا ينبغي للقاضي فعل ذلك لقبحه ، فصرفه » .

وواصل المتوكل اضطهاد ابن أبي الليث ، فصادر أمواله وأموال أقاربه ، ولو كانت مهمة لذكروها . وحمله الى بغداد ومات فيها سنة ٢٥٥ . « تاريخ بغداد » ٢ / ٢٩١ .

واضطهد أحد تجار بغداد

وذكر الطبري في تاريخه قصة وجيه في بغداد ، قتله المتوكل بتهمة شتم الشيخين ، والمرجح أنه كان معارضاً للمتوكل أو محبباً لأهل البيت عليهم السلام ، فقد كانت قصته بعد غضب أهل بغداد لهدم قبر الحسين عليه السلام وكتابتهم شتم المتوكل على الجدران ، فيظهر أن السلطة دبرت له هذه التهمة ، وقتله الخليفة هذه القتلة !

قال الطبري « ٣٧٥ / ٧ » : « وفيها « سنة ٢٤١ » ضُرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم ، صاحب خان عاصم ببغداد ضرب فيما قيل ألف سوط . وكان السبب في ذلك أنه شهد عند أبي حسان الزياتي القاضي الشرقية عليه ، أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة ، وسبعة عشر رجلاً ، شهادتهم فيما ذكر مختلفة من هذا النحو ، فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيد الله ذلك إلى المتوكل ، فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رمى به في دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله ! فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان جواب كتابه إليه في عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أبقاك الله وحفظك ، وأتم نعمته عليك . وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهد به اليهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم ورميهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق وغير ذلك ، مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . وتثبتك في أمر أولئك اليهود ، وما شهدوا به ، وما صح عندك من عدالة من عُدِّل منهم ، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرحك ذلك في رقعة درج كتابك ، فعرضت على أمير المؤمنين أعزه الله ذلك ، فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين أبقاه الله ، بما قد نفذ إليه مما يشبه ما عنده أبقاه الله من نصرته دين الله وإحياء سنته ، والإننتقام ممن ألد فيه ، وأن يضرب الرجل حداً في مجمع الناس

حد الشتم ، وخمس مائة سوط بعد الحد للأموال العظام التي اجترأ عليها ، فإن مات ألقى في الماء من غير صلاة ، ليكون ذلك ناهياً لكل ملحد في الدين خارج من جماعة المسلمين ، وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وذكر أن عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم هذا ، قد قال بعضهم : إن اسمه أحمد بن محمد بن عاصم ، لما ضرب تُرك في الشمس حتى مات ثم زُمي به في دجلة » .

أقول : آل عاصم عائلة كوفية من بني ضبة ، سكن بعضهم في بغداد ، وفيهم من أصحاب الأئمة عليهم السلام ، وعرف منهم العاصمي وكيل الإمام المهدي عليه السلام .

وقد يكون منهم هذا الشهيد ابن عاصم ، الذي قتله المتوكل بافتراء عليه ، فقد ترجم علماؤنا لعدة رجال من آل عاصم .

قال الشيخ في الفهرست / ٧٣ : « أحمد بن محمد بن عاصم ، أبو عبد الله ، وهو ابن أخي علي بن عاصم المحدث ، ويقال له العاصمي ، ثقة في الحديث سالم الجنبية ، أصله الكوفة سكن بغداد ، وروى عن شيوخ الكوفيين . وله كتب » .

وروى الحاكم في المستدرک « ٣ / ٣٩٤ » : « حدثني أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عاصم بن بلال الضبي الشهيد ، ثنا أحمد بن محمد بن علي بن رزين ، ثنا علي بن خشرم ، ثنا أبو مخلد عطاء بن مسلم ، ثنا الأعمش ، عن أبي عبد الرحمن السلمى قال : شهدنا صفين مع علي رضي الله عنه .. » . لكن وصف الشهيد قد يكون لشخص في السند لا يوافق قتله زمن المتوكل . وكذا قول الحاكم في « ٣ / ٤٦٥ » :

« فحدثني أبو عبد الله ، محمد بن العباس بن أحمد بن محمد بن عاصم الشهيد ، رضي الله عنه » . ولذلك نتوقف فيه .

نجي أهل الدينور أنفسهم من شر المتوكل

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان « ١ / ٣٥١ » : « كان بالدينور « غرب إيران من جهة العراق » شيخ يتشيع ويميل إلى مذهب أهل الإمامة ، وكان له أصحاب يجتمعون إليه ويأخذون عنه ويدرسون عنده ، يقال له : بشر الجعاب ، فرفع صاحب الخبر بالدينور الى المتوكل أن بالدينور رجلاً رافضياً يحضره جماعة من الرافضة ويتدارسون الرفض ، ويسبون الصحابة ويشتمون السلف .

فلما وقف المتوكل على كتابه أمر وزيره عبيد الله بن يحيى بالكتاب إلى عامله على الدينور بإشخاص بشر هذا ، والفرقة التي تجالسها . فكتب عبيد الله بن يحيى بذلك ، فلما وصل إلى العامل كتابه ، وكان صديقاً لبشر الجعاب حسن المصافاة له شديد الإشفاق عليه ، همته ذلك وشق عليه ، فاستدعى بشراً وأقرأه ما كوتب به في أمره ، وأمر أصحابه فقال له بشر : عندي في هذا رأي إن استعملته كنت غير مستبظاً فيما أمرت به ، وكنت بمنجاة مما أنت خائف عليّ منه .

قال : وما هو ؟ قال : بالدينور شيخ خفاف اسمه بشر ، ومن الممكن المتيسر أن تجعل مكان الجعاب الخفاف ، وليس بمحفوظ عنده ما نسبت إليه من الحرفة والصناعة ، فسُرَّ العامل بقوله وعمد إلى العين من الجعاب فغير عينها وغير استواء خطها وانبساطه ، ووصل الباء بما صارت به فاء ، فكان أخيره عن بشر

الخفاف أنه أبله في غاية البله والغفلة ، وأنه هزأة عند أهل بلده وضحكة ! وذلك أن أهل سواد البلد يأخذون منه الخفاف التامة والمقطوعة بنسيئة ، ويعدون به بأثماتها عند حصول الغلة ، فإذا حصلت وحازوا ما لهم منها ما طلبوه بدينه ولَوَوْهُ بحقه ، واعتلوا بأنواع الباطل عليه ، فإذا انقضى وقت السادر ودنا الشتاء واحتاجوا إلى الخفاف وما جرى مجراها ، وافوا بشراً هذا واعتذروا إليه وخدعوه وابتدروا يعدون الوفاء ، ويؤكدون مواعيدهم بالأيمان الكاذبة والمعاهدة الباطلة ويضمنون له أداء الديون الماضية والمستأنفة ، فيحسن ظنه بهم وسكونه ويستسلم إليهم ، ويستأنف إعطائهم من الخفاف وغيرها ما يريدونه ، فإذا حضرت الغلة أجروه على العادة ، وحملوه على ما تقدم من السنة ، ثم لا يزالون على هذه الوتيرة من أخذ سلعه في وقت حاجتهم ودفعه عن حقه في إبان غلاتهم ، فلا يتنبه من رقدته ولا يفيق من سكرته !

فأنفذ صاحب الخبر كتابه وأشار بتقديم الخفاف أمام القوم ، والإقبال عليه بالمخاطبة وتخصيصه بالمسألة ، ساكناً إلى أنه من ركائبه وفهايته بما يضحك الحاضرين ، ويحسم الإشتغال بالبحث عن هذه القصة ويتخلص من هذه الثلاثة .

فلما ورد كتاب صاحب الخبر أعلم عبيد الله بن يحيى المتوكل به وبحضور القوم فأمر أن يجلس ويستحضرهم ويخاطبهم فيما حكى عنهم ، وأمر فعلق بينه وبينهم سلبية ، ليقف على ما يجري ويسمعه ويشاهده ، ففعل ذلك .

وجلس عبيد الله واستدعى المحضرين فقدموا إليه يقدّمهم بشر الخفاف ، فلما جلسوا أقبل عبيد الله على بشر فقال له : أنت بشر الخفاف ؟ فقال : نعم . فسكنت نفوس الحاضرين معه إلى تمام هذه الحيلة وإتمام هذه المدالسة ، وجواز هذه المغالطة ، فقال له : إنه رفع إلى أمير المؤمنين من أمركم شئ أنكروه ، فأمر بالكشف عنه وسؤالكم بعد إحضاركم عن حقيقته ، فقال له بشر : نحن حاضرون فما الذي تأمرنا به ؟ قال : بلغ أمير المؤمنين أنه يجتمع إليك قوم فيخوضون معك في الترفض وشتم الصحابة ، فقال بشر : ما أعرف من هذا شيئاً . قال : قد أمرت بامتحانكم والفحص عن مذاهبكم ، فقال : ما تقول في السلف ؟ فقال : لعن الله السلف . فقال له عبيد الله : ويلك أتدري ما تقول ! قال : نعم ، لعن الله السلف ! فخرج خادم من بين يدي المتوكل فقال لعبيد الله : يقول لك أمير المؤمنين سله الثالثة ، فإن أقام على هذا فاضرب عنقه ، فقال له : إني سائلك هذه المرة فإن لم تب وترجع عما قلت أمرت بقتلك ، فما تقول الآن في السلف ؟ فقال : لعن الله السلف قد خرب بيتي وأبطل معيشتي ، وأتلف مالي ، وأفقرني ، وأهلك عيالي !

قال : وكيف ؟ قال : أنا رجل أسلف الأكرة وأهل الدستان الخفاف والتمسكات على أن يوفوني الثمن مما يحصل من غلاتهم ، فأصير إليهم عند حصول الغلة في بيادرهم ، فإذا أحرزوا الغلات دفعوني عن حقي ، وامتنعوا من توفيتي مالي .

ثم يعودون عند دخول الشتاء فيعتذرون إلي ويحلفون بالله لا يعاودون مطلبي وظلمي ، فإنهم يؤدون إلي المتقدم والمتأخر من مالي ، فأجيبهم إلى ما يلتمسونه

وأعطاهم ما يطلبونه ، فإذا جاء وقت الغلة عادوا إلى مثل ما كانوا عليه من ظلمي وكسر مالي ، فقد اختلَّت حالي ، وافتقرت عيالي !

قال : فسمع ضحك عال من وراء السبيبة ، وخرج الخادم فقال : إستحلل هؤلاء القوم وحل سيبلهم ! فقالوا : يا أمير المؤمنين في حل وسعة ، فصرفهم ، فلما توسطوا صحن الدار قال بعض الحاضرين : هؤلاء قوم مجانُّ محتالون ، وصاحب الخبر مسقط لا يكتب إلا بما يعلمه ويشق بصحته ، وينبغي أن يستقصي الفحص عن هذا والنظر فيه ، فأمر بردهم فلما أمروا بالرجوع قال بعض الجماعة التابعة لبعض : ليس هذا من ذلك الذي تقدم ، فينبغي أن نتولى الكلام نحن ونسلك طريق الجد والديانة ، فرجعوا فأمروا بالجلوس ، ثم أقبل عبيد الله على القوم فقال : إن الذي كتب في أمركم ليس ممن تقدم على الكتب بما لا يقبله علماً ويحيط به خيراً ، وقد أخذ أمير المؤمنين باستئناف امتحانكم وإنعام التفتيش عن أمركم .

فقالوا : إفعل ما أمرت به ، فقال : من خير الناس بعد رسول الله ؟ قلنا : علي بن أبي طالب ، فقال الخادم بين يديه : قد سمعت ما قالوا ، فأخبر أمير المؤمنين به ، فمضى ثم عاد فقال : يقول لكم أمير المؤمنين هذا مذهبي . قلنا : الحمد لله الذي وفق أمير المؤمنين في دينه ، ووفقنا لاتباعه وموافقته على مذهبه .

ثم قال لهم : ما تقولون في أبي بكر رضي الله عنه ؟ فقالوا رحمة الله على أبي بكر نقول فيه خيراً ، قال فما تقولون في عمر ؟ قلنا : رحمة الله عليه ولا نجبه . قال : ولم ؟ قلنا : لأنه أخرج مولانا العباس من الشورى . قال فسمعنا من وراء السبيبة

ضحكاً أعلى من الضحك الأول ، ثم أتى الخادم فقال لعبيد الله عن المتوكل أتبعهم صلة ، فقد لزمتهم في طريقهم مؤونة واصرفهم ، فقالوا : نحن في غنى وفي المسلمين من هو أحق بهذه الصلة وإليها أحوج . وانصرفوا » .

أقول : هذا يدل على نهاية نصب المتوكل ، بحيث إذا جاءه خبر عن شيخ له جماعة يدرسون عنده ويتبعون مذهب أهل البيت عليهم السلام ، يبادر الى البطش بهم !

كان مسجد برائنا مركزاً للشيعة قبل بغداد !

ذكرنا في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام أن مسجد برائنا أسسه أمير المؤمنين عليه السلام في عودته من حرب الخوارج سنة ٣٨ ، وأنه كان مركزاً للشيعة قبل تأسيس بغداد ، وكانت الكرخ بلدة فيها شيعة . ثم أسس المنصور بغداد بين برائنا والكرخ .

قال في معجم البلدان : ١ / ٣٦٢ : « بُرَّائنا : بالثاء المثناة والقصر : محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب مُحَوَّل وكان لها جامع مفرد تصلي فيه الشيعة » .

وفي أمالي الطوسي / ١٩٩ ، عن الإمام الباقر عليه السلام قال : « إن أمير المؤمنين عليه السلام لما رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء فقال للناس : إنها الزوراء ، فسيروا وجنَّبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة ، فلما أتى موضعاً من أرضها قال : ما هذه الأرض ؟ قيل أرض بجر ، فقال : أرض سباح ، جنبوا ويمَّنوا . فلما أتى يمنية السواد فإذا هو براهب في صومعة له فقال له : يا راهب ، أنزل هاهنا ؟ فقال له الراهب : لا تنزل هذه الأرض بجيشك . قال : ولم ؟ قال : لأنه لا ينزلها إلا نبي أووصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل الله ، هكذا نجد في كتبنا .

فقال له أمير المؤمنين : فأنا وصي سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء . فقال له الراهب : فأنت إذن أصلع قریش ووصي محمد ؟ قال له أمير المؤمنين : أنا ذلك . فنزل الراهب إليه فقال : خذ عليّ شرائع الإسلام ، إني وجدت في الإنجيل نعتك وأنتك تنزل أرض براتنا بيت مريم وأرض عيسى صلى الله عليه وآله ! فقال أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله : قف ولا تخبرنا بشيء ثم أتى موضعاً فقال : إلكزوا هذه ، فلكزه برجله صلى الله عليه وآله فانجست عين حرارة ، فقال : هذه عين مريم التي انبعثت لها !

ثم قال : إكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً ، فكشف فإذا بصخرة بيضاء فقال علي صلى الله عليه وآله : على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها وصلت هاهنا ! فنصب أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله الصخرة وصلى إليها ، وأقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة ، وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دَعْوَةٍ « مسافة قريبة » ثم قال : أرض براتنا ، هذا بيت مريم عليها السلام هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء عليهم السلام !

وفي مناقب آل أبي طالب : ٢ / ١٠٠ : « قال أمير المؤمنين : فاجلس يا حُباب ، قال : وهذه دلالةٌ أخرى ، ثم قال : فانزل يا حباب من هذه الصومعة وابن هذا الدير مسجداً ، فبنى حباب الدير مسجداً ، ولحق أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله إلى الكوفة ، فلم يزل بها مقيماً حتى قتل أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله ، فعاد حباب إلى مسجده ببراتنا » .

ومن ذلك اليوم والى عصرنا الحاضر ، صار مسجد براتنا مركزاً علمياً وعبادياً واجتماعياً للشيعة ، ومَعْلَماً من معالم بغداد .

وقد شهد في العصور المختلفة حملات وحشية من السلطة ، ومن الحنابلة المتطرفين الذين أسس حزبهم المتوكل .

وتقدم أن ابن عقدة عليه السلام كان يأتي من الكوفة الى بغداد ، فيملي أحاديثه على المسلمين في مسجد براثا . وأن النواصب أتباع المتوكل اعتدوا عليه وحبسوه ! وقد شهدت بغداد ومسجد براثا خاصة أنواعاً من اضطهاد السلطة للشيعة .

قال ابن طاووس في الملاحم والفتن / ٢٦٠ : « قال السليبي مصنف الكتاب : فرأيت مسجد براثا وقد هدمه الحنبلليون ، وحفروا قبوراً فيه ، وأخذوا أقواماً قد حفر لهم قبور فغلبوا أهل البيت ودفنوهم فيه ، إرادة تعطيل المسجد وتصويره مقبرة ، وكان فيه نخل فقطع ، وأحرق جذوعه وسقوفه ! وذلك في سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة ، فعطل من سنته الحج ، وقد كان خرج سليمان بن الحسن يعني القرمطي في أول هذه السنة ، فقطع على الحاج وقتلهم وعطل الحاج ، ووقع الثلج ببغداد فاحترق نخلهم من البرد فهلك . فأخبرني مولاي ناقد أن أبا عمرو قاضي بغداد قال له : احترق لي بقربة على ثلاث فراسخ ببغداد يقال لها صرصر مائة ألف نخلة . قال السليبي : فأبي شأن أحسن ، وأي أمر أوضح من هذا » .

أقول : ما تقدم إنما هو نماذج من ظلم المتوكل للشيعة في البلاد ، فتصور !

* *

هدم المتوكل قبر الإمام الحسين عليه السلام

عقدة المتوكل من الإمام الحسين عليه السلام وزواره

١ . في مقاتل الطالبين / ٣٩٥ : « وكان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب ، غليظاً على جماعتهم ، مهتماً بأمورهم ، شديد الغيظ والحقد عليهم ، وسوء الظن والتهمة لهم ، واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره ، يسئ الرأي فيهم ، فحسّن له القبيح في معاملتهم ، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله . وكان من ذلك أن كَرَبَ قبر الحسين عليه السلام وعَقَى آثاره ، ووضع على سائر الطرق مسالح له ، لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به ، فقتله ، أو أنهكه عقوبة !

فحدثني أحمد بن الجعد الوشاء وقد شاهد ذلك ، قال : كان السبب في كرب قبر الحسين أن بعض المغنيات كانت تبعث بجواربها إليه قبل الخلافة يغنين له إذا شرب ، فلما وليها بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة ، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام وبلغها خبره ، فأسرعت الرجوع ، وبعثت إليه بجارية من جواربها كان يألفها فقال لها : أين كنتم ؟

قالت : خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان ، فقال : إلى أين حججتم في شعبان ؟ قالت : إلى قبر الحسين . فاستطير غضباً وأمر بمولاتها فحبست ، واستصفي أملاكها .

وبعث برجل من أصحابه يقال له : الديزج وكان يهودياً فأسلم ، إلى قبر الحسين وأمره بكرب قبره ومحوه ، وإخراب كل ما حوله ، فمضى ذلك وحرب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله ، نحو مائتي جريب ، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد ، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه ! وأجرى الماء حوله ، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل ، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه .

فحدثني محمد بن الحسين الأشناني ، قال : بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً ، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها ، وساعدني رجل من العطارين على ذلك ، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل ، حتى أتينا نواحي الغاضرية ، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا ، حتى أتينا القبر فحفي علينا ، فجعلنا نشمه ونتحري جهته حتى أتيناه وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق ، وأجرى الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق ، فزرناه وأكبنا عليه ، فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط شيئاً من الطيب !

فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه ؟ فقال : لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر ، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع .

فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعية ، حتى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات ، وأعدناه إلى ما كان عليه .

أقول : الأشناني المذكور من أعلام العامة ، فهو يدل على التأثير الواسع لهدم قبر الحسين عليه السلام على السنة أيضاً ، وقد كان عمر الأشناني يومها خمس عشرة سنة .

وترجم له الخطيب البغدادي ، فقال « ٢ / ٢٣٠ » : « محمد بن الحسين بن حفص بن عمر ، أبو جعفر الخثعمي الأشناني الكوفي : قدم بغداد وحدث بها عن عباد بن يعقوب الرواجني ، وعباد بن أحمد العزرمي ، وأبي كريب محمد بن العلاء الهمداني ، وموسى بن عبد الرحمن المسروقي ، ومحمد بن عبيد المحاربي ، وفضالة بن الفضيل التميمي . روى عنه محمد بن سليمان الباغندي ، والقاضي أبو عبد الله المحاملي ، وأبو عمرو بن السماك ، ومحمد بن عمر الجعابي ، ومحمد بن زيد بن مروان ، وأبو الحسين بن البواب المقرئ ، ومحمد بن المظفر الحافظ ، وغيرهم ... »

أبو الحسن محمد بن أحمد بن حماد بن سفيان الحافظ ، قال : سنة خمس عشرة وثلاث مائة ، فيها مات أبو جعفر محمد بن الحسين بن حفص بن عمر الخثعمي مولى الأشناني لسبع خلون من صفر يوم الخميس . وأخبرني بعض أصحابنا أنه سمعه يقول : إنه ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ، وكان ثقة حجة . »

٢ . وفي تاريخ الطبري « ٩ / ١٨٥ » : « ذكر خبر هدم قبر الحسين بن علي : وفيها « سنة ٢٣٦ » أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي ، وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره ، وأن يمنع الناس من إتيانه . فلذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق « سجن مظلم تحت الأرض » فهرب الناس ، وامتنعوا من المصير إليه ، وحُثِر ذلك الموضع ، وزُرع ما حواليه . »

٣. وقال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٥٢ » : « وكان آل أبي طالب قبل خلافته « المنتصر » في محنة عظيمة وخوفٍ على دمائهم ، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين والغري من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد ، وكان الأمر بذلك من المتوكل سنة ست وثلاثين ومائتين .

وفيهما أمر المعروف بالذيريج بالسَّيرِ إلى قبر الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما وهدمِه ومَحَو أرضه وإزالة أثره ، وأن يعاقب من وجد به ، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر ، فكلُّ خشبي العقوبة وأحجَمَ ، فتناول الذيريج مسحاةً وهدم أعالي قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفعلية فيه ، وإنهم انتهوا إلى الحفرة وموضع اللحد ، فلم يروا فيه أثر رمّةٍ ولا غيرها ! ولم تنزل الأمور على ما ذكرنا إلى أن استخلف المنتصر فأمن الناس ، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم ، وأن لا يمنع أحد زيارة الحير لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ولا قبر غيره من آل أبي طالب ، وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم ، وفي ذلك يقول البحتري ، من أبيات له :

وإن علياً لأولى بكمم وأزكى يداً عندكم من عمز
وكلٌّ له فضله والحججو ل يوم التَّـراهنِ دون العـرز

وفي ذلك يقول يزيد بن محمد المهلبي وكان من شيعة آل أبي طالب ، وما كان امتحن به الشيعة في ذلك الوقت ، وأغرقت بهم العامة :

ولقد برزت الطالبيّة بعد ما دُمُّوا زماناً بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم إخوانا

آنستَ ليلَهُمْ وجُذتَ عليهمُ حتى نسُوا الأحقادَ والأضغانا
لو يعلمُ الأسلافُ كيف بررتهم لرأوك أثقلَ من بها ميزانا «

٤. وفي النجوم الزاهرة « ٢ / ٢٨٣ » : « أمر بهدم قبر الحسين رضي الله عنه وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل ذلك كله مزارع . فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتم المتوكل على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء دعبل وغيره » .

٥. وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي / ٣٧٤ : « فتألم المسلمون من ذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء ، فمما قيل في ذلك :

بالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمري قبره مهودوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبغوه رميما « .

٦. وقال ابن الأثير في تاريخه « ٦ / ١٠٨ » : « في هذه السنة « ٢٣٦ » أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حوله من المنازل والدور ، وأن يُبذر ويُسقى موضع قبره ، وأن يمنع الناس من إتيانه ، فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق ، فهرب الناس وتركوا زيارته ، وخرّب وزرع » !

٧. وقال في مآثر الإنافة « ١ / ٢٣٠ » : « بلغ من بغضه لعلي وأهل بيته أنه في سنة ٢٣٦ أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ، ومنع الناس من زيارته » !

٨. وفي أمالي الطوسي / ٣٢٥ : « حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن فرج الرخجي قال : حدثني أبي ، عن عمه عمر بن فرج ، قال : أنفذني المتوكل في تخريب قبر

الحسين فصرت إلى الناحية ، فأمرت بالبقر فُمِرَّ بها على القبور ، فمَرَّت عليها كلها ، فلما بلغت قبر الحسين عليه السلام لم تمرَّ عليه ! قال عمي عمر بن فرج : فأخذت العصا بيدي فما زلت أضربها حتى تكسرت العصا في يدي ! فو الله ما جازت على قبره ولا تخطته ! قال لنا محمد بن جعفر : كان عمر بن فرج شديد الإنحراف عن آل محمد عليهم السلام فأنا أبرأ إلى الله منه . وكان جدي أخوه محمد بن فرج شديد المودة لهم رحمه الله ورضي عنه ، فأنا أتولاه لذلك وأفرح بولادته « . أي بولادتي منه .

٩ . وفي أمالي الطوسي / ٣٢٦ : « حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي ، عن أبي علي الحسين بن محمد بن مسلمة بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : حدثني إبراهيم الديزج قال : بعثني المتوكل إلى كربلاء لتغيير قبر الحسين عليه السلام وكتب معي إلى جعفر بن محمد بن عمار القاضي : أعلمك أني قد بعثت إبراهيم الديزج إلى كربلاء لنبش قبر الحسين ، فإذا قرأت كتابي فقف على الأمر حتى تعرف فعل أولم يفعل . قال الديزج : فعرفني جعفر بن محمد بن عمار ما كتب به إليه ، ففعلت ما أمرني به جعفر بن محمد بن عمار ثم أتيت ، فقال لي : ما صنعت ؟ فقلت : قد فعلت ما أمرت به ، فلم أر شيئاً ، ولم أجد شيئاً ! فقال لي : أفلا عمقته ؟ قلت : قد فعلت وما رأيت ، فكتب إلى السلطان : إن إبراهيم الديزج قد نبش فلم يجد شيئاً ، وأمرته فمخره بالماء ، وكرَّبه بالبقر .

قال أبو علي العماري : فحدثني إبراهيم الديزج وسألته عن صورة الأمر فقال لي : أتيت في خاصة غلماني فقط ، واني نبشت فوجدت باريةً جديدةً وعليها بدنُ الحسين بن علي

ووجدت منه رائحة المسك ، فتركت البارية على حالتها وبدن الحسين على البارية ، وأمرت بطرح التراب عليه ، وأطلقت عليه الماء ، وأمرت بالبقر لتمخره وتحرثه فلم تطأه البقر ، وكانت إذا جاءت إلى الموضع رجعت عنه ! فحلفت لغلماني بالله وبالأيمان المغلظة : لئن ذكر أحد هذا لأقتلنه .

١٠. في أمالي الطوسي / ٣٢٧ : « قال : حدثني أبو برزة الفضل بن محمد بن عبد الحميد ، قال : دخلت على إبراهيم الديزج وكنت جاره ، أعوده في مرضه الذي مات فيه ، فوجدته بحال سوء ، وإذا هو كالمدهوش وعنده الطيب ، فسألته عن حاله وكانت بيني وبينه خلطة وأنس يوجب الثقة بي والإنسباط إليّ ، فكأتمني حاله وأشار لي إلى الطيب ، فشعر الطيب بإشارته ولم يعرف من حاله ما يصف له من الدواء ما يستعمله ، فقام فخرج وخلا الموضع ، فسألته عن حاله فقال : أخبرك والله وأستغفر الله : إن المتوكل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين ، فأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر ، فوافيت الناحية مساء معنا الفعلة والروزكاريون « العمال الميامون » معهم المساحي والمرور ، فتقدمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه ، فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر ونمت ، فذهب بي النوم فإذا ضوضاء شديدة وأصوات عالية وجعل الغلمان ينبهوني ، فقممت وأنا دَعِرٌّ فقلت للغلمان : ما شأنكم ؟ قالوا : أعجب شأن ! قلت : وما ذاك ؟ قالوا : إن بموضع القبر قوماً قد بيننا وبين القبر وهم يرموننا مع ذلك بالنشاب ، فقممت معهم لأتبين الأمر فوجدته كما وصفوا ! وكان ذلك في أول الليل من ليالي البيض فقلت : إرموهم ، فرموا

فعدت سهامنا إلينا فما سقط سهمٌ منها إلا في صاحبه الذي رمى به فقتله !
فاستوحشت لذلك وجزعتُ وأخذتني الحُمى والقشعريرة !

ورحلت عن القبر لوقتي ، ووطنت نفسي على أن يقتلني المتوكل لما لم أبلغ في
القبر جميع ما تقدم إلي به !

قال أبو برزة : فقلت له : قد كفيت ما تحذر من المتوكل ، قد قتل بارحة الأولى
وأعان عليه في قتله المنتصر فقال لي : قد سمعت بذلك وقد نالني في جسمي مالا
أرجو معه البقاء ! قال أبو برزة : كان هذا في أول النهار ، فما أمسى حتى مات !

قال ابن خشيش : قال أبو الفضل : إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة عليها السلام فسأل
رجلاً من الناس عن ذلك فقال له : قد وجب عليه القتل إلا أنه من قتل أباه لم
يطل له عمر . قال : ما أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول لي عمر ، فقتله
وعاش بعده سبعة أشهر !

١١ . وفي أمالي الطوسي / ٣٢٦ : « حدثني أبو عبد الله الباقر ، قال : ضمني عبيد
الله بن يحيى بن خاقان إلى هارون المعري ، وكان قائداً من قواد السلطان ، أكتب
له ، وكان بدنه كله أبيض شديد البياض حتى يديه ورجليه كانا كذلك ، وكان
وجهه أسود شديد السواد كأنه القير ، وكان يتفقاً مع ذلك مادة منتنة ، قال : فلما
أنس بي سألته عن سواد وجهه ، فأبى أن يخبرني ، ثم إنه مرض مرضه الذي مات
فيه ، فقعدت فسألته ، فرأيت أنه كأنه يجب أن يكتم عليه ، فضمنت له الكتمان
فحدثني قال : وجهني المتوكل أنا والديزج لنشب قبر الحسين وإجراء الماء عليه ،

فلما عزمتم على الخروج والمسير إلى الناحية رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام ، فقال : لا تخرج مع الديزج ولا تفعل ما أمرتم به في قبر الحسين .

فلما أصبحنا جاؤوا يستحثونني في المسير ، فسرت معهم حتى وافينا كربلاء ، وفعلنا ما أمرنا به المتوكل ، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام فقال : ألم آمرك ألا تخرج معهم ولا تفعل فعلهم ، فلم تقبل حتى فعلت ما فعلوا ! ثم لطمني وتفل في وجهي ، فصار وجهي مسوداً كما ترى ، وجسمي على حالته الأولى !

ملاحظات على نصوص هدم القبر الشريف

١. استمرت محاولة المتوكل هدم القبر الشريف نحو سنة من شعبان سنة ٢٣٦ الى شعبان ٢٣٧ ، حتى استطاع أن يمنع الزوار من زيارته ويهدمه .

لكن الشيعة واصلوا تحدي السلطة والذهاب الى الزيارة أكثر من عشر سنين حتى هلك المتوكل ، وواصل هو منع الزوار ومطاردتهم ، وحرث مكان القبر !

٢. كان أكبر تجمع لزيارة الناس لقبر الحسين عليه السلام في شهر شعبان . ففي أمالي الطوسي / ٣٢٨ : « بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام فيصير إلى قبره منهم خلق كثير ، فأنفذ قائداً من قواده ، وضم إليه كتفاً من الجنود كثيراً ، ليشعب قبر الحسين عليه السلام ويمنع الناس من زيارته والإجماع إلى قبره عليه السلام ، فخرج القائد إلى الطف وعمل بما أمر ، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فثار أهل السواد به ، واجتمعوا عليه وقالوا : لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته ، ورأوا من الدلائل ما

حملهم على ما صنعوا ، فكتب بالأمر إلى الحضرة ، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة ، مظهراً أن مسيره إليها في مصالح أهلها ، والإنكفاء إلى المصر ! فمضى الأمر على ذلك حتى كانت سنة سبع وأربعين ، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، وأنه قد كثر جمعهم كذلك وصار لهم سوق كبير ، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند ، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين ، ونَبَشَ القبر وحرث أرضه ، وانقطع الناس عن الزيارة . وعمل على تتبع آل أبي طالب والشيعه رضي الله عنهم ، فقتل ولم يتم له ما قَدَّرَ .

وفي أمالي الطوسي / ٣٢٩ : « حدثني عبد الله بن دانية الطوري ، قال : حججت سنة سبع وأربعين ومائتين ، فلما صدرت من الحج صرت إلى العراق فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على حال خيفة من السلطان ، وزرته ثم توجهت إلى زيارة الحسين عليه السلام فإذا هو قد حرثت أرضه ومُحِرَ فيها الماء ، وأرسلت الثيران العوامل في الأرض ، فبعيني وبصري كنت أرى الثيران تساق في الأرض فتساق لهم حتى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً ، فتضرب بالعصي الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ، ولا تطأ القبر بوجهه ولا سبب ! فما أمكنني الزيارة ، فتوجهت إلى بغداد ، وأنا أقول في ذلك :

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| تالله إن كانت أمية قد أتت | قتل ابن بنت نبيها مظلوما |
| فلقد أتاك بنوأييه بمثلها | هذا لعمرك قبره مهودوما |
| أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا | في قتله فتبعوه رميمما |

فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة فقلت : ما الخبر ؟ قالوا : سقط الطائر بقتل جعفر المتوكل ، فعجبت لذلك وقلت : إلهي ليلة بليلة » .

أقول : يدل استشهاد الشاعر بشعر ابن بسام على أنه كان منتشرًا بين المسلمين . ويدل ما تقدم على أن المتوكل بدأ حملته على كربلاء سنة ٢٣٦ ، وهدم القبر الشريف ومنع زيارته لكن المسلمين من أهل الكوفة وغيرهم كسروا المنع ، ورأوا المعجزات ، فأصروا على زيارة قبر الحسين عليه السلام وتحضروا للمواجهة في السنة الثانية ، ووجه اليهم المتوكل جيشاً كثيفاً ، لكن لما رأى إصرارهم على قتاله ، أمر قائده أن يرجع ويدعي أنه جاء في مهمة تتعلق بولاية الكوفة ! واستمر الأمر على هذا نحو عشر سنين ، وكان المنع من الزيارة سارياً ، لكنه غير محترم . وبلغ المتوكل في آخر عمره توافد الناس الى كربلاء : « وأنه قد كثر جمعهم وصار لهم سوق كبير ، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند ، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبر الحسين » ! واستطاعت قواته أن تهدم القبر الشريف ، لكن الله تعالى هدم عمره وسقط طائر الحمام الزاجل في بغداد بقتله ، كما قالت الرواية .

ومعنى هذا أن محاولات المتوكل لهدم القبر الشريف استمرت إحدى عشرة سنة فقد بدأت سنة ٢٣٦ ، واستمرت حتى هلك في الرابع من شوال سنة ٢٤٧ .

٣ . واجه الإمام الهادي عليه السلام خطة المتوكل . وعند صدور المنع أمر الشيعة في بغداد أن يتجنبوا المواجهة ، ثم وجههم الى الزيارة وتحدي منع السلطة .

ففي الكافي « ١ / ٥٢٥ » : « خرج نهي عن زيارة مقابر قريش « الكاظمين » والحاير « كربلاء » فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقر فإقائي فقال له : إلق بني الفرات والبرسيين وقل لهم : لا يزوروا مقابر قريش ، فقد أمر الخليفة أن يُتفقد كل من زار فيقبض

عليه « ثم أمر الإمام عليه السلام الشيعة بزيارة قبر الحسين عليه السلام وجعلها أولوية قبل غيره .
قال المفيد في المقنعة / ٤٨٢ : « روى إبراهيم بن عقبة قال : كتبت إلى أبي الحسن
 الثالث : « الإمام الهادي عليه السلام » أسأله عن زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، وزيارة أبي
 الحسن موسى وأبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ببغداد ؟ فكتب إليّ : أبوعبد الله عليه السلام
 المقدم ، وهذان أجمع وأعظم ثواباً » . وكامل الزيارة / ٥٠٠ .

ثم قام الإمام الهادي عليه السلام بعمل ملفت في الحث على زيارة قبر جده الحسين عليه السلام
 فقد كان مريضاً فأمر أن يرسلوا له شخصاً يزور الحسين عليه السلام ويدعو له .

ففي الكافي « ٤ / ٥٦٨ » : « عن أبي هاشم الجعفري قال : بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في
 مرضه وإلى محمد بن حمزة فسبقتني إليه محمد بن حمزة وأخبرني محمد ما زال يقول :
 إبعثوا إلى الحير ، إبعثوا إلى الحير ، فقلت لمحمد : ألا قلت له : أنا أذهب إلى الحير ،
 ثم دخلت عليه وقلت له : جعلت فداك : أنا أذهب إلى الحير ؟ فقال : انظروا في
 ذلك ، ثم قال لي : إن محمداً ليس له سر من زيد بن علي ، وأنا أكره أن يسمع ذلك ،
 قال : فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال : ما كان يصنع به الحير وهو الحير فقدمت
 العسكر فدخلت عليه فقال لي : أجلس حين أردت القيام ، فلما رأيته أنس بي
 ذكرت له قول علي بن بلال فقال لي : ألا قلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يطوف
 بالبيت ويقبل الحجر وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت ، وأمره الله عز
 وجل أن يقف بعرفة ، وإنما هي مواطن يجب الله أن يذكر فيها . فأنا أحب أن
 يدعي الله لي حيث يجب الله أن يدعى فيها » .

وروى في الجبل المتين / ٢٢٨ ، ومصباح المتهجد / ٧٨٨ ، عن الإمام الهادي عليه السلام قال :
« علامات المؤمن خمس : صلاة الإحدى والخمسين ، وزيارة الأربعين ، والتختم في
اليمين ، وتعفير الجبين ، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم » .

وروي ذلك عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وهو يدل على أن الإمام الهادي وابنه
الحسن العسكري عليه السلام قاوما معاً هجمة المتوكل لهدم قبر الحسين عليه السلام .

٤ . نسب بعضهم الأبيات : تالله إن كانت أمية قد أتت .. الخ . الى ابن السكيت ،
والصحيح أنها لابن بسام ، أو البسامي .

قال السمعاني في الأنساب « ١ / ٣٤٦ » : « البسامي : بفتح الباء الموحدة والسين المهملة
المشددة بعدهما الألف وفي آخرها الميم ، هذه النسبة إلى بسام ، وهو إسم جد أبي
الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام الشاعر البسامي ، من أهل بغداد ،
سائر الشعر ، مشهورٌ عند أهل الأدب ، روى عنه محمد بن يحيى الصولي ، وأبوسهل
أحمد بن محمد بن زياد القطان ، وغيرهما .. مات البسامي في صفر سنة اثنتين وثلاث
مائة » . فقد كان في مطلع شبابه عندما هجا المتوكل لهدمه قبر الحسين عليه السلام .

وفي وفيات الأعيان « ٣ / ٣٦٣ » : « كانت أمه أمامة ابنة حمدون النديم .. وكان من أعيان
الشعراء ، ومحاسن الظرفاء ، لسنناً مطبوعاً في الهجاء ، لم يسلم منه أمير ولا وزير ، ولا
صغير ولا كبير ... ولما هدم المتوكل على الله قبر الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله
عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين ، عمل البسامي :

| | |
|-------------------------------|--------------------------|
| تالله إن كانت أمية قد أتت | قتل ابن بنت نبيها مظلوما |
| فلقد أتاه بنوأييه بمثله | هذا لعمر ك قبره مهودوما |
| أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا | في قتله فتبعوه ريمما ! |

وكان المتوكل كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين ، فهدم هذا المكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به ، وأمر أن يبذر ويسقى موضع قبره ، ومنع الناس من إتيانه . هكذا قال أرباب التواريخ .

ولابن بسام المذكور من التصانيف : أخبار عمر بن أبي ربيعة ، ولم يستقص أحد في بابه أبلغ منه ، وكتاب أخبار الأحوص ، وكتاب مناقضات الشعراء » .

٥ . ذكر المؤرخون أن دعبلأ الخزاعي هجا المتوكل لهدمه قبر الحسين عليه السلام ، ولم أجد شعره في ذلك ، إلا بيتاً واحداً يتهم فيه المتوكل بالتخث ، كما في ديوانه / ٤٨ :

ولستُ بقائلٌ قَدَعًا ولكنْ لأمرٍ مَّا تَعَبَّدَكَ العبيدُ

وأبياتاً في الحث على زيارة قبر الحسين عليه السلام وذم الناهين ، في ديوانه / ١١٤ :

| | |
|---|--|
| زُرَّ خَيْرَ قَبْرِ بِالعِرَاقِ يُزَارُ | وَاعْصِ الحِمَارَ فَمَنْ نَهَاكَ حِمَارُ |
| لَمْ لَا أَزوركُ يَا حَسِينُ لَكَ الفِدا | قُومِي وَمِنْ عَطَفْتَ عَلَيْهِ نِزار |
| وَلِلكِ المودَّةُ فِي قلوبِ ذوي النَهِي | وعلى عِدوكِ مَقْتَةٌ وَدَمَارُ |
| يَا ابنَ الشَهِيدِ وَيَا شَهِيداً عُمُّهُ | خَيْرُ العُمومَةِ جَعْفَرُ الطَّيار |
| عَجَباً لِمَصقُولِ أَصَابِكِ حُدُّهُ | فِي الوجهِ مِنْكَ وَقَدِ عَلاكِ غُبَارُ |

هدم قبر الحسين عليه السلام قبل المتوكل

في كامل الزيارات لابن قولويه / ٢٢١ : « عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي ، قال : خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قبر الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلا ، فاخفيت في ناحية القرية حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر ، فلما دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي : إنصرف مأجوراً فإنك لا تصل إليه ، فرجعت فرعاً حتى إذا كان يطلع الفجر أقبلت

نحوه ، حتى إذا دنوت منه خرج إليّ الرجل فقال لي : يا هذا إنك لا تصل إليه ! فقلت له : عفاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته ، فلا تحلّ بيني وبينه ، وأنا أخاف أن أصبح فيقتلونني أهل الشام إن أدركوني هاهنا ، قال فقال لي : إصبر قليلاً فإن موسى بن عمران عليه السلام سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام فأذن له ، فهبط من السماء في سبعين ألف ملك ، فهمّ بحضرته من أول الليل ينتظرون طلوع الفجر ، ثم يعرجون إلى السماء .

قال فقلت له : فمن أنت عفاك الله ، قال : أنا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام والإستغفار لزواره ! فانصرفت وقد كاد أن يطير عقلي لما سمعت منه . قال : فأقبلت حتى إذا طلع الفجر أقبلت نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد ، فدنوت من القبر وسلمت عليه ودعوت الله على قتلتيه ، وصليت الصبح ، وأقبلت مسرعاً مخافة أهل الشام » .

أقول : هذا الحديث وغيره يدل على أن الأمويين كانوا يمنعون الشيعة من التجمع عند قبر الحسين عليه السلام ومن زيارته ، وكان المنع متفاوتاً حسب تشدد والي الكوفة وتساهله ، وحسب قوة الخليفة الأموي أو ضعفه .

لكن الأمويين لم يهدموا قبر الحسين عليه السلام ، وأول من ارتكب جريمة هدمه : المنصور الدوانيقي ، وذلك بعد ثورة الحسين عليه وانتصاره عليهم سنة ١٤٥ ، فقد أمر والي الكوفة عيسى بن موسى أن يهدمه !

روى الطوسي في أماليه / ٣٢١ : « حدثنا يحيى بن عبد الحميد الجُماني أملاه عليّ في منزله ، قال : خرجت أيام ولاية موسى بن عيسى الهاشمي في الكوفة ، من منزلي

فلقيني أبو بكر بن عياش ، فقال لي : إمض بنا يا يحيى إلى هذا فلم أدر من يعني ، وكنت أجل أبا بكر عن مراجعة ، وكان راكباً حماراً له ، فجعل يسير عليه وأنا أمشي مع ركابه ، فلما صرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم ، التفت إليّ فقال لي : يا ابن الحماني ، إنما جررتك معي وحشمتك معي أن تمشي خلفي ، لأسمعك ما أقول لهذا الطاغية ! قال : فقلت : من هو يا أبا بكر ؟ قال هذا الفاجر الكافر موسى بن عيسى !

فسكت عنه ، ومضى وأنا أتبعه حتى إذا صرنا إلى باب موسى بن عيسى ، وبصر به الحاجب وتبينه ، وكان الناس ينزلون عند الرحبة ، فلم ينزل أبو بكر هناك ، وكان عليه يومئذ قميص وإزار ، وهو محلول الإزار . قال : فدخل على حمار وناداني : تعالی يا ابن الحماني ، فمعني الحاجب فزجره أبو بكر وقال له : أتمنعه يا فاعل وهو معي ؟ فتركني فما زال يسير على حماره حتى دخل الإيوان ، فبصر بنا موسى وهو قاعد في صدر الإيوان على سريره ، وبجني السرير رجال متسلحون ، وكذلك كانوا يصنعون ، فلما أن رآه موسى رحب به وقربه وأقعده على سريره ، ومُنعتُ أنا حين وصلت إلى الإيوان أن أتجاوزَه .

فلما استقر أبو بكر على السرير التفت فرآني حيث أنا واقف فناداني : تعال ويحك فصرت إليه ونعلي في رجلي وعليّ قميص وإزار فأجلسني بين يديه ، فالتفت إليه موسى فقال : هذا رجل تُكَلِّمُنَا فيه ؟ قال : لا ، ولكنني جئت به شاهداً عليك .

قال : في ماذا ؟ قال : إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر . قال : أيُّ قبر ؟ قال : قبر الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله !

وكان موسى قد وجه إليه من كربيه وكرب جميع أرض الحائر ، وحرثها وزرع الزرع فيها ، فانتفخ موسى حتى كاد أن يَنقَدَّ ، ثم قال : وما أنت وذا ؟

قال : إسمع حتى أحبرك ، أعلم أي رأيت في منامي كأني خرجت إلى قومي بني غاضرة ، فلما صرت بقنطرة الكوفة اعترضني خنازير عشرة تريدني ، فأغاثني الله برجل كنت أعرفه من بني أسد فدفعها عني ، فمضيت لوجهي فلما صرت إلى شاهي ضللت الطريق ، فرأيت هناك عجوزاً فقالت لي : أين تريد أيها الشيخ ؟ قلت : أريد الغاضرية . قالت لي : تَبَطَّنْ هذا الوادي فإنك إذا أتيت آخره اتضح لك الطريق . فمضيت ففعلت ذلك فلما صرت إلى نينوى إذا أنا بشيخ كبير جالس هناك ، فقلت : من أين أنت أيها الشيخ ؟ فقال لي : أنا من أهل هذه القرية . فقلت : كم تعدُّ من السنين ؟ فقال : ما أحفظ ما مضى من سني وعمري ، ولكن أبعُدُ ذكري أي رأيت الحسين بن علي عليه السلام ومن كان معه من أهله ومن تبعه ، يمنعون الماء الذي تراه ، ولا يمنع الكلاب ولا الوحوش شربه ! فاستفظعت ذلك وقلت له : ويحك أنت رأيت هذا ؟ قال : إي والذي سمك السماء ، لقد رأيت هذا أنها الشيخ وعائنته ، وإنك وأصحابك هم الذين يعينون على ما قد رأينا مما أقرح عيون المسلمين ، إن كان في الدنيا مسلم ! فقلتُ : ويحك وما هو ؟ قال : حيث لم تنكروا ما أجرى سلطانكم إليه . قلت : ما أجرى إليه ؟ قال :

أيكرب قبر ابن النبي ﷺ وتحث أرضه؟ قلت: وأين القبر؟ قال: ها هوذا أنت واقف في أرضه، فأما القبر فقد عمي عن أن يعرف موضعه!

قال أبو بكر بن عياش: وما كنت رأيتُ القبر قبل ذلك الوقت قط، ولا أتيتُه في طول عمري، فقلت: من لي بمعرفته؟ فمضى معي الشيخ حتى وقف بي على حير له باب وآذن، له إذا جماعة كثيرة على الباب، فقلت لآذن: أريد الدخول على ابن رسول الله ﷺ فقال: لا تقدر على الوصول في هذا الوقت. قلت: ولم؟ قال: هذا وقت زيارة إبراهيم خليل الله ومحمد رسول الله، ومعهما جبرئيل وميكائيل، في رعييل من الملائكة كثير.

قال أبو بكر بن عياش: فانتبهت وقد دخلني روعٌ شديد وحننٌ وكآبةٌ، ومضت بي الأيام حتى كدت أن أنسى المنام، ثم اضطررت إلى الخروج إلى بني غاضرة لدينٍ كان لي على رجل منهم، فخرجت وأنا لا أذكر الحديث حتى إذ صرت بقنطرة الكوفة لقيني عشرة من اللصوص، فحين رأيتهم ذكرت الحديث ورعبت من خشيتي لهم، فقالوا لي: ألق ما معك وانج بنفسك وكانت معي نفيسة، فقلت: ويحكم أنا أبو بكر بن عياش، وإنما خرجت في طلب ديني، والله لا تقطعوني عن طلب ديني وتضروا بي في نفقتي فأني شديد الإضاعة، فنادى رجل منهم: مولاي ورب الكعبة لا يعرض له. ثم قال لبعض فتيانهم: كن معه حتى تصير به إلى الطريق الأيمن.

قال أبوبكر : فجعلت أتذكر ما رأيته في المنام ، وأتعجب من تأويل الخنازير حتى صرت إلى نينوى ، فرأيت والله الذي لا إله إلا هو الشيخ الذي كنت رأيته في منامي بصورته وهيئته ، رأيته في اليقظة كما رأيته في المنام سواء ، فحين رأيته ذكرت الأمر والرؤيا فقلت : لا إله إلا الله ما كان هذا إلا وحيًا ، ثم سألته كمسألتي إياه في المنام ، فأجابني ثم قال لي : إمض بنا فمضيت فوقفت معه على الموضع وهو مكروب ، فلم يفتني شيء في منامي إلا الأذن والحير ، فإني لم أر حيرًا ولم أر آذنًا ؟ فاتق الله أيها الرجل ، فإني قد آليت على نفسي ألا أدع إذاعة هذا الحديث ، ولا زيارة ذلك الموضع وقصده وإعظامه ، فإن موضعاً يأتيه إبراهيم ومحمد وجبرئيل وميكائيل عليهم السلام لحقيق بأن يرغب في إتيانه وزيارته ، فإن أبا حصين حدثني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من رآني في المنام فإياي رأى ، فإن الشيطان لا يتشبه بي .

فقال له موسى : إنما أمسكت عن إجابة كلامك لأستوفي هذه الحمقة التي ظهرت منك ، وبالله لعن بلغني بعد هذا الوقت أنك تتحدث بهذا لأضربن عنقك ، وعنق هذا الذي جئت به شاهداً علي ! فقال أبوبكر : إذن يمنعني الله وإياه منك ، فإني إنما أردت الله بما كلمتك به !

فقال له : أتراجعني يا عامر وشتمه ! فقال له : أسكت أخزأك الله وقطع لسانك !

فأرعد موسى على سريره ثم قال : خذوه !

فأخذ الشيخ عن السرير ، وأخذت أنا ، فوالله لقد مر بنا من السحب والجُرِّ والضرب ، ما ظننت أننا لا نكثر الأحياء أبداً ، وكان أشد ما مرَّ بي من ذلك أن رأسي كان يُجْرُّ على الصخر ، وكان بعض مواليه يأتيني فينتف ليحيي ، وموسى يقول : أقتلوهما بني كذا وكذا بالزاني لا يَكْفِي !

وأبو بكر يقول له : أمسك قطع الله لسانك وانتقم منك ، اللهم إياك أردنا ، ولولد وليك غضبنا ، وعليك توكلنا .

فصيرَ بنا جميعاً إلى الحبس ، فما لبثنا في الحبس إلا قليلاً ، فالتفت إليَّ أبو بكر ورأي ثيابي قد حرقت وسالت دمائي ، فقال : يا حَمَّانِي قد قضينا لله حقاً ، واكتسبنا في يومنا هذا أجراً ، ولن يضيع ذلك عند الله ولا عند رسوله صلى الله عليه وآله .

فما لبثنا إلا مقدار غدائَةٍ ونومة ، حتى جاءنا رسوله فأخرجنا إليه ، وطلب حمار أبي بكر فلم يوجد ، فدخلنا عليه فإذا هو في سرداب له يشبه الدور سعة وكبراً ، فتعبنا في المشي إليه تعباً شديداً ، وكان أبو بكر إذا تعب في مشيه جلس يسيراً ، ثم يقول : اللهم إن هذا فيك فلا تَنْسَهُ ، فلما دخلنا على موسى ، وإذا هو على سرير له فحين بصر بنا قال : لا حيا الله ولا قرب ، من جاهل أحق يتعرض لما يكره ، ويلك يا دعي ، ما دخولك فيما بيننا معشر بني هاشم !

فقال له أبو بكر : قد سمعت كلامك ، والله حسبك ! فقال له : أخرج قبحك الله ، والله لئن بلغني أن هذا الحديث شاع ، أو ذكر عنك لأضربن عنقك !

ثم التفت إليّ وقال : يا كلب وشتمني وقال : إياك ثم إياك أن تظهر هذا ، فإنه إنما خيّل لهذا الشيخ الأحمق شيطاناً يلعب به في منامه ، أخرجنا عليكما لعنة الله وغضبه ، فخرجنا وقد يئسنا من الحياة !

فلما وصلنا إلى منزل الشيخ أبي بكر وهو يمشي وقد ذهب حماره ، فلما أراد أن يدخل منزله التفت إليّ وقال : إحفظ هذا الحديث وأثبتته عندك ، ولا تحدثن هؤلاء الرعاع ، ولكن حدث به أهل العقول والدين .

ملاحظات

١ . أبوبكر بن عياش ، من كبار أئمة السنة وقرائهم وعُبادهم : « روى له البخاري في صحيحه ومسلم في مقدمة كتابه وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه . وتوفي سنة اثنتين وتسعين ومائة » . « الكواكب النيرات / ١٠٢ » .

قال الذهبي في سيره : « ٨ / ٤٩٥ » : « أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدي ، مولاهم الكوفي الحنات بالنون ، المقرئ ، الفقيه ، المحدث ، شيخ الإسلام ، وبقية الأعلام مولى واصل الأحذب ... لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة » .

وقد روى عنه كبار أئمة المذاهب ، قال ابن حجر في تهذيب التهذيب « ١٢ / ٣١ » : « وعنه الثوري ، وابن المبارك ، وأبوداود الطيالسي ، وأسود بن عامر شاذان ، ويحيى بن آدم ، ويعقوب القمي ، وابن مهدي ، وابن يونس ، وأبونعيم ، وابن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وابن معين ، وابن أبي شيبة ، وإسماعيل بن أبان الوراق ، ويحيى بن يحيى النيسابوري ، وخالد بن يزيد الكاهلي ... وآخرون » .

ويظهر من غضبه لهدم قبر الحسين عليه السلام ومبادرته الى النهي عن المنكر ، أنه صاحب دين ، لكن طريقته في الإستتكار ساذجة ، ثم نراه تراجع وسكت ! وقد كانت له مكانة واحترام في الناس ، فلو أنه وقف في المسجد ودعا المسلمين الى الإعتراف لأجابته الكثيرون ، لكنه اعترض بطريقة بدائية ، فزجره الوالي العباس بأسلوب فرعون ، وقال له : قصتك ومنامك خيال وحقارة ، وأنت فارسي مولى بني أسد ، ونحن والحسين هاشميون ، فلا تدخل بيننا !

وقصته تدل على أن مؤسس جريمة هدم قبر الحسين عليه السلام المنصور الدوانيقي ! وأن المسلمين حتى غير الشيعة نقموا عليه واعترضوا .

٢. أعاد المسلمون مشهد الحسين عليه السلام بعد الدوانيقي ، وعادوا الى زيارته حتى جاء حفيده هارون ، الذي سموه الرشيد ، فهدمه مرة ثانية !

روى الطوسي في أماليه / ٣٢١ : « حدثني يحيى بن المغيرة الرازي ، قال : كنت عند جرير بن عبد الحميد ، إذ جاءه رجل من أهل العراق ، فسأله جرير عن خبر الناس ، فقال : تركت الرشيد وقد كبر قبر الحسين عليه السلام وأمر أن تقطع السدرة التي فيه فقطعت ! قال : فرفع جرير يديه ، فقال : الله أكبر ، جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : لعن الله قاطع السدرة ، ثلاثاً ، فلم نقف على معناه حتى الآن ، لأن القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين حتى لا يقف الناس على قبره » .

أقول : معنى : تغيير مصرعه ، تغيير قبره ومكان قتله عليه السلام . وقد قطعت قبل تلك السدرة سدرتان : سدرة البقيع وكانت تستظل بها الزهراء عليها السلام ، وسدرة الحديدية التي بايع النبي صلى الله عليه وآله تحتها المسلمين . وقاطعهما واحد ، ولا مجال للتفصيل .

٣ . وأعاد المسلمون قبر الحسين عليه السلام في زمن هارون ، ورتبت أمه الخيزران خدماً له ، وأمرت الوزير الشيعي الحسن بن راشد ، أن يجري عليهم راتباً شهرياً !

فقد روى الطبري في تاريخه « ٦ / ٥٣٦ » عن : « القاسم بن يحيى قال : بعث الرشيد إلى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحير « أي كربلاء » قال فأتني بهم فنظر إليه الحسن بن راشد وقال : ما لك ؟ قال بعث إليّ هذا الرجل يعني الرشيد فأحضرنني ولست آمنه على نفسي ! قال له : فإذا دخلت عليه فسألك فقل له : الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع ! فلما دخل عليه قال هذا القول ، قال : ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن ، أحضروه ! قال فلما حضر قال : ما حملك على أن صيرت هذا الرجل في الحير ؟ قال : رحم الله من صيره في الحير ، أمرتني أم موسى « الخيزران » أن أصيره فيه ، وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً ! فقال : ردوه إلى الحير ، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى » ! وابن راشد معاون الوزير ابن يقطين رضي الله عنه . « تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٠١ » .

نهب الوهابية لقبر الحسين عليه السلام

١ . لم يهدم أحد قبر الحسين عليه السلام بعد المتوكل ، طوال أحد قرنًا ، حتى هاجم الوهابية كربلاء غدراً ، وهدموا القبر الشريف سنة ١٢١٦ هجرية !
وعقّدة الوهابيين من قبر الحسين عليه السلام وزواره نفس عقدة المتوكل ! ولا عجب فالمتوكل إمامهم ومؤسس مذهبهم في التجسيم وعداوة أهل البيت عليهم السلام !
أخذه من بني أمية وكعب الأخبار ، وجعله حزباً وجماعة ، وسماهم أهل الحديث والأثر ، وجعل ابن حنبل إمامهم !

وقد أغار الوهابيون على كربلاء سنة ١٢١٦ ، في يوم عيد الغدير ، وكان أغلب أهل كربلاء في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف . وكان والي بغداد يومها سليمان باشا الكبير ، ووالي كربلاء عمر آغا ، وكان غائباً عن كربلاء ، وقيل إنه تواطأ مع الوهابية ، ولذلك لم تدافع الحامية التركية عن البلد . وكان المهاجمون بقيادة محمد بن سعود ، وعددهم نحو ألفين ، فدخلوا البلد بدون مقاومة تقريباً ، وعند دخولهم المدينة تعالت أصواتهم : أقتلوا المشركين ! وقتلوا من صادفوه ، وهدموا قبر الحسين عليه السلام وسرقوا تحفه وذهبه ، وقلعوا القضب المعدنية والسياح والمرايا ، ونهبوا النفائس من هدايا الباشوات والأمراء والملوك ، والشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والأبواب المرصعة ، وكل ما وجدوا فيها ، وقيل إن من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة ، وعشرين سيفاً محلاة بالذهب مرصعة بالأحجار الكريمة ، وأوانٍ ذهبية وفضية ، وفيروزاً وألماساً ، وغيرها . وقتلوا قرابة خمسين شخصاً بالقرب من الضريح الشريف ، وخمس مائة في الصحن الشريف ، ولم يرحموا شيخاً ولا طفلاً .

وقدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة ، وقدرهم آخرون خمسة أضعاف ذلك .

ولم يلبثوا فيها إلا ضحوةً ، وخرجوا من كربلاء قرب الظهر ، حاملين تلك الأموال ، المنهوبة من حرم الحسين عليه السلام ومن بيوت المسلمين !

٢ . وبعد هذه الحادثة هاجم الوهابيون النجف مرات ففشلوا في اقتحامها ، وهاجموا كربلاء ثانية ففشلوا أيضاً . قال السيد الأمين في كشف الإرتياب / ٢٠ : « وفي سنة ١٢١٦ ، جهز سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود الوهابي ، جيشاً عظيماً من أعراب نجد ، وغزا به العراق وحاصر كربلاء ، ثم دخلها عنوة وأعمل في

أهلها السيف ، ولم ينج منهم إلا من فر هارباً ، أو اختفى في مخبأ ، أو تحت حطب ونحوه ، ولم يعثروا عليه .. وهدم قبر الحسين عليه السلام واقتلع الشباك الموضوع على القبر الشريف ، ونهب جميع ما في المشهد من الذخائر ولم يرعَ لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا لذريته حرمةً ، وأعاد بأعماله ذكرى فاجعة كربلاء ويوم الحرة ، وأعمال بني أمية والمتوكل العباسي . ويقول أهل العراق وهم أعلم بما جرى في بلادهم : إنه ربط خيله في الصحن الشريف ، وطبخ القهوة ودقها في الحضرة الشريفة !

وقال العلامة السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة ، وفي عصره كان غزوهم للعراق : إن سعوداً الوهابي الخارج في أرض نجد ، اخترع ما اخترع في الدين ، وأباح دماء المسلمين وتخريب قبور الأئمة المعصومين عليهم السلام ، فأغار في السنة المذكورة على مشهد الحسين عليه السلام وقتل الرجال والأطفال ، وأخذ الأموال وعاث في الحضرة المقدسة ، فأفسد بنايتها وهدم أركانها .

قال : وفي الليلة التاسعة من شهر صفر سنة ١٢٢١ قبل الصبح هجم علينا سعود الوهابي في النجف ونحن في غفلة ، حتى أن بعض أصحابه صعد السور وكادوا يأخذون البلد ، فظهرت لأمير المؤمنين عليه السلام المعجزات الظاهرة والكرامات الباهرة ، فقتل من جيشه كثير ورجع خائباً .

قال : وفي جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ جاء الخارجي الذي إسمه سعود إلى العراق بنحو من عشرين ألف مقاتل أوأزيد ، فجاءت النذر بأنه يريد أن يدهمنا في النجف الأشرف غيلة ، فتحذرنا منه وخرجنا جميعاً إلى سور البلد ، فأتانا ليلاً فرآنا على حذر قد أحطنا بالسور بالبنادق والأطواب .

فمضى إلى الحلة ، فرآهم كذلك . ثم مضى إلى مشهد الحسين عليه السلام على حين غفلة نهاراً فحاصرهم حصاراً شديداً فثبتوا له خلف السور ، وقتل منهم وقتلوا منه ، ورجع خائباً ، وعاث في العراق ، وقتل من قتل .

قال : وفي سنة ١٢٢٥ أحاطت الأعراب من عنزة القائلين بمقالة الوهابي بالنجف الأشرف ومشهد الحسين عليه السلام ، وقد قطعوا الطريق ، ونهبوا زوار الحسين عليه السلام بعد منصرفهم من زيارة نصف شعبان ، وقتلوا منهم جمماً غفيراً وأكثر القتلى من العجم ، وربما قيل إنهم مائة وخمسون ، وبقي جملة من الزوار في الحلة ، ما قدروا أن يأتوا إلى النجف كأنها في حصار ، والأعراب ممتدة من الكوفة ، إلى فوق مشهد الحسين عليه السلام بفرسخين أو أكثر .

أقول : مصادر هذه الغارات الوهابية كثيرة : ومنها سجلات الخلافة العثمانية ، والإنكليز الذين كانوا وراء الوهابية ! راجع : أعيان الشيعة : ٤ / ٣٠٧ وتحفة العالم : ١٠ / ٢٨٩ ، وشهداء الفضيلة / ٢٨٨ ودائرة المعارف الإسلامية للأمين : ١ / ١٩٢ وتأريخ العراق للعزاوي : ٦ / ١٤٤ . وبغية النبلاء في تاريخ كربلاء ، وتراث كربلاء : للسيد سلمان آل طعمة .

٣ . يتبجح الوهابية بوقاحة إلى يومنا بأنهم هاجموا كربلاء وهدموا قبر الحسين صلوات الله عليه ! ويسمونها غزوة الإمام محمد بن سعود لكربلاء !

وقد كتب أحدهم : « وقفة مع غزوة كربلاء ، واغتيال الإمام العادل الزاهد عبد العزيز بن محمد بن سعود : قال العلامة المؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر الناصري التميمي رحمه الله تعالى : ثم دخلت السنة السادسة عشرة بعد المائتين والألف ، وفيها سار سعود بالجيش المنصورة ، والخيل والعناق المشهورة ، من جميع حاضرة نجد وباديتها ، والجنوب ، والحجاز ، وتهامة ، وغير ذلك ، وقصد أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين رضي الله عنه . وذلك في ذي القعدة ، فحشد عليها المسلمون ، وتسوروا جدرانها ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت ، وهدموا القبّة

الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين رضي الله عنه . وأخذوا ما في القبة وما حولها ، وأخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر ، وكانت مرصوفة بالزمرد والياقين والجواهر . وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال ، والسلاح ، واللباس ، والفرش ، والذهب والفضة ، والمصاحف الثمينة ، وغير ذلك ، ما يعجز عنه الحصر ، ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة ، وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال ، وقتل من أهلها قريب ألفي رجل . ثم إن سعود ارتحل منها على الماء المعروف بالأبيض المعروف فجمع الغنائم ، وعزل أحماسها ، وقسم باقيها في المسلمين غنيمة للرجال سهم وللفراس سهمان ، ثم ارتحل قافلاً إلى وطنه . « عنوان المجد في تاريخ نجد : ١ / ١٢٢ » .

أقول : هذا المنطق غاية الصلف والتبجح بجريمة لا تبرير لها شرعاً ولا قانوناً ! لكنهم الوهاية أبناء بني أمية ، يفعلون الجرائم ولا يخجلون ، بل يفتخرون بها !

٤ . وعلى أثر مهاجمة كربلاء تمكن أحد الشيعة الذي قتل الوهاية ابنه فيها ، أن ينتقم من أميرهم عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ويقتله في مقره في نجد !

قال المدعو : ابن بشر ، في تاريخ نجد : « ثم دخلت السنة الثامنة عشرة بعد المائتين والألف ، وفي هذه السنة في العشر الأواخر من رجب قُتل الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف المعروف في الدرعية ، وهو ساجد أثناء صلاة العصر . انقض عليه رجل قيل إنه كردي من أهل العمارة بلد الأكراد المعروفة عند الموصل ، ادعى أن اسمه عثمان أقبل من وطنه لهذا القصد محتسباً ، حتى وصل الدرعية في صورة درويش وادعى أنه مهاجر ، وأظهر التمسك والطاعة ، وتعلم شيئاً من القرآن ، فأكرمه عبد العزيز وأعطاه وكساه ، وطلب الدرويش منه أن يعلمه أركان الإسلام ، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها مما كانوا يعلمونه الغريب المهاجر إليهم ، وكان قصده غير ذلك . فوثب عليه من الصف الثالث والناس في السجود ، قطعنه في خاصرته أسفل البطن بخنجر معه قد أخفاه وأعدّها لذلك ، وهو قد تأهب للموت ، فاضطرب أهل

المسجد وماج بعضهم في بعض ، ولم يكن يدرون ما الأمر ، فمنهم المنهزم ، ومنهم الواقف ، ومنهم الكار إلى وجهة هذا العدو العادي ، وكان لما طعن عبد العزيز أهوى على أخيه عبد الله وهو إلى جانبه وبرك عليه ليطعنه ، فنهض عليه وتصارعا ، وجرح عبد الله جرحاً شديداً ، ثم إن عبد الله صرعه وضربه بالسيف وتكاثر عليه الناس وقتلوه ، وقد تبين لهم وجهة الأمر .

ثم حمل الإمام إلى قصره وقد غاب ذهنه وقرب نزعه ، لأن الطعنة قد هوت إلى جوفه فلم يلبث أن توفي بعدما صعدا به إلى القصر . رحمه الله تعالى وعفى عنه . واشتد الأمر بالمسلمين وبهتوا ، وكان ابنه سعود في نخله المعروف بمشيرفه في الدرعية فلما بلغه الخبر أقبل مسرعاً واجتمع الناس عنده ، وقام فيهم ووعظهم موعظة بليغة ، وعزاهم فقام الناس وبايعوه خاصتهم وعامتهم وعزوه بأبيه . ثم كتب إلى أهل النواحي نصيحة يعظهم ويخبرهم بالأمر ويعزيهم ، ويأمرهم بالمبايعة . وكل أهل بلد وناحية يبائعون أميرهم سعود فبايع جميع أهل النواحي والبلدان ، وجميع رؤساء قبائل العربان ولم يختلف منهم اثنان ، ولا انتطح عنزان . إن هذا الدرويش الذي قتل عبد العزيز من أهل بلد الحسين رضي الله عنه : رافضي خبيث ، خرج من وطنه لهذا القصد بعد ما قتلهم سعود فيها ، وأخذ أموالهم كما تقدم ، فخرج ليأخذ الثأر ، وكان قصده سعود فلم يقدر عليه ، فقتل عبد العزيز ، وهذا والله أعلم أخرى بالصواب ، لأن الأكراد ليسوا بأهل رفض ، ولا في قلوبهم غل على المسلمين . « عنوان الجند : « ١ / ١٢٥ » .

أقول : رحم الله ذلك الشهيد الذي خطط وتلطف في أمره وحمل روحه على كفه ، حتى جاءت ساعة الثأر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه الحسين عليه السلام وللمؤمنين المغدورين في حرمه فتقدم من رأس النواصب وطعنه متقرباً بذلك الى الله تعالى .

ثم قتل شهيداً بيد النواصب ، فحشره الله مع نبيه وأهل بيته الذين بذل فيهم مهجته .

الوهابية أبناء المتوكل وبناته

إصرار الوهابية على تفجير قبر الحسين عليه السلام

ما زال هدم قبر الحسين عليه السلام هدفاً للوهابية ! وما زالت فتاوى علمائهم العميان والعوران تصرُّ على ذلك ، وهم يضمون الى قبر الحسين عليه السلام قبور الأولياء في العراق والعالم ، بل قبة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال مفتيهم ابن باز في فتاويه عن الأولياء « ١٢ / ١١٤ » : « فلا ينفعون أنفسهم ولا غيرهم ولا يضررون ، لأنهم قد فقدوا الحياة ، وفقدوا القدرة على التصرف ، وهكذا في الحياة لا ينفعون ولا يضررون إلا بإذن الله . هم بزعمهم أنهم يستقلون بالنفع والضرر وهم أحياء كفروا أيضاً ! بل النافع الضار هو الله وحده سبحانه وتعالى ، ولهذا لا تجوز عبادتهم ولا دعاؤهم ولا الإستغاثة بهم ولا النذر لهم ولا طلبهم المدد ، ومن هذا يعلم كل ذي بصيرة أن ما يفعله الناس عند قبر البدوي ، أو عند قبر الحسين ، أو عند قبر الكاظم ، أو عند قبر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، أو ما أشبه ذلك من طلب المدد والغوث أنه يكفر بالله ، بل يشرك بالله سبحانه وتعالى ، فيجب الحذر من ذلك والتوبة من ذلك والتواصي بترك ذلك .

ولا يصلى خلف هؤلاء ، لأنهم مشركون بعملهم هذا شركاً أكبر ، فلا يصلى خلفهم ولا يصلى على ميتهم ، لأنهم عملوا الشرك الأكبر الذي كانت عليه

الجاهلية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان عليه أوجهل وأشباهه من كفار مكة ، وعليه كفار العرب وهودعاء الأموات والإستغاثة بالأموات والأشجار والأحجار ، هذا عين الشرك بالله عز وجل ، والله يقول سبحانه : **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** .

فقد افترى هذا المفتي على زائري قبر النبي صلى الله عليه وآله والأولياء عليهم السلام بأنهم يعبدونهم ! وبنى على افتراءه حكم تكفيرهم وقتلهم واستباحة أموالهم ونسائهم ، وتحريم الصلاة خلفهم ، والصلاة على جنائزهم ، ودفنهم في مقابر المسلمين !

فهو يقول لك : أنت قلت : يا رسول الله إشفع لي ، فأنت تعتقد أنه إله ، فقد كفرت فيجب أن أقتلك وأخذ مالك ونساءك غنيمه ، ويحرم أن نصلي على جنازتك وأن ندفنك في مقابر المسلمين ، بل يجب أن ترمي جنازتك للكلاب !

هذه ثقافتهم ومنطقهم : فتاوى فجّة متعجرفة ! بعيدة عن الفقهة وعن أدب الحياة .

ويكفي أن نسأل هذا المفتي : أخبرنا ، هل يحاسب الله زائري نبيه صلى الله عليه وآله وأوليائه عليهم السلام على نياتهم واعتقادهم هم ، أم على ما تدعيه أنت فيهم !؟

لكنك ترى الوهابي عاقصاً قرنيه ، يزعم أن قوله قول الله تعالى ، ثم لا يفقه غيره ! ولذلك ما زالوا مصرين على هدم قبور الأنبياء والأولياء عليهم السلام ، وفي طليعتها قبة قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبر الحسين عليه السلام .

وقد حاولوا بعد احتلال أمريكا للعراق ، إقناع الأمريكان بأن يسلموهم الحكم في العراق ، أي الى حفنة السلفية عملاء السعودية !

لكن الأمريكان بشروا العراقيين بالديمقراطية والانتخابات ، فكان لابد لهم من العملية الديمقراطية ، حتى لو كانت نتيجتها أن تحكم الأغلبية الشيعية .

ومن يومها نشط الوهابية في مجموعاتهم الإرهابية في تفجير مواكب الشيعة الزائرين للمشاهد المشرفة ، وركزوا محاولاتهم لتفجير مشاهد الأئمة عليهم السلام !

وقد شهد العراق جرائمهم الوحشية على مدى سنوات ، ووثقتها وسائل الإعلام المحلية والعالمية ، ووثقناها في موقع خاص باسم : طريق كربلاء .

وقد حاولوا مراراً تفجير ضريح الإمام الحسين عليه السلام ، ففشلت محاولاتهم .

قام الوهابيون بتفجير قبر الإمام الهادي عليه السلام

قام إرهابيون نواصب يرتدون زي الشرطة العراقية ، بتفجير مرقد الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام ، وذلك بتاريخ : ٢٣ / محرم الحرام / ١٤٢٨ . الموافق ٢٢ فبراير ٢٠٠٦ .

وكان للخبر وقع الصاعقة على المسلمين في العراق وغيره ، وكان من رداد فعله أن مجموعات من شباب الشيعة هاجمت في بغداد عدداً من مساجد السنة ، فسارع المراجع الى الدعوة الى ضبط النفس ، وعدم الانجرار وراء فتنة طائفية .

وعمت مظاهر الغضب مدن العراق ، وخرج آلاف الشيعة في مظاهرات احتجاجية على تفجير المشهد ، وخرج جيش المهدي في مدينة الصدر والسماوة إلى الشوارع ، وهم يرتدون الملابس السوداء ويحملون الأعلام والرايات ، ويرددون هتافات منددة بمن وصفوهم بالبعثيين والوهابية والنواصب .

وحدثت أعمال قتل عشوائى في بغداد والمناطق المجاورة لها ، وعثر على رفات ٤٧ مدنياً في حفرة بالقرب من بغداد ، وأفاد الوقف السني أن ما يقرب ١٦٨ مسجداً سنياً تعرض للهجوم ، وتم قتل ١٠ أئمة في المساجد ، وخطف ١٥ آخرين في بغداد ، وأفادت جهات أمنية أن حصيلة العنف بعد التفجير قد تجاوز ١٠٠ قتيلاً ، وبالقرب من سامراء قام مسلحون بقتل مراسلة قناة العربية أطوار بهجت مع اثنين من المصورين ، الذين قصدوا المكان لتغطية الأحداث .

فيما قام مسلحون يرتدون زي الشرطة بقتل ١١ شخص سني في البصرة ، كما قام مسلحون بالهجوم على أحد السجون ، وأخذوا بعض الأشخاص وقتلوهم .

وقد استنكرت الجريمة دول وشخصيات عديدة ، منهم وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط ، قال : إن مثل هذه العمليات تتنافى مع جميع المعتقدات والأديان السماوية ، وتهدف إلى تقويض وحدة العراقيين .

وعبّر كوفي عن الأمين العام للأمم المتحدة عن صدمته وأسفه البالغ لوقوع هذه الجريمة الشنعاء . وأدان الأمين العام لمجلس التعاون لدول الخليج عبد الرحمن بن حمد العطية ، التفجير الذي استهدف مرقد الإمامين الهادي والعسكري في مدينة سامراء ، مجدداً رفض دول مجلس التعاون للتطرف والعنف بمختلف أشكاله وصوره . وأدانته الحكومة الفرنسية بشدة عملية التفجير عبر بيان لها أكدت فيه أنها تدين بأشد لهجة ممكنة هذا الهجوم ضد أحد المواقع الأكثر

قداسة في العراق ، وشدد البيان على ضرورة وضع حد لكافة الأعمال التي تنشر الكراهية والعنف .

وكذلك أدان مصدر رسمي سوري بشدة الإعتداءات الإجرامية النكراء ، والتعرض الآثم للأضرحة القدسية والمساجد والمؤسسات الدينية ، ووصفه بأنه عمل يستهدف إثارة الفتنة في العراق ، وتمزيق وحدته الوطنية .

وأدان وزير الخارجية اللبناني فوزي صلوخ التفجير الذي استهدف مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في مدينة سامراء .

ووصف رئيس كتلة تيار المستقبل سعد الحريري الإعتداء بأنه محاولة للإيقاع بين المسلمين في العراق ، معرباً عن استنكاره لهذا العمل الذي يناقض كل القيم الدينية والحضارية .

وبعث أمير الكويت بريقة إلى الرئيس العراقي جلال الطالباني عبر فيها عن استنكار الكويت وإدانتها الشديدة لعملية التفجير ، مؤكداً أن هذه الأعمال التي تستهدف الاماكن المقدسة وقتل الأبرياء بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، وتتناقض مع كل القيم الانسانية .

وبعث العاهل الأردني عبد الله الثاني بريقة إلى الرئيس العراقي جلال الطالباني يؤكد فيها أن التعرض للمرقد إساءة لكل المسلمين من مختلف المذاهب ، مؤكداً وقوفه قيادة وشعباً إلى جانب العراق .

وأصدر مراجع النجف بيانات استنكروا فيها الجريمة ، ودعوا الناس الى ضبط النفس .

وجاء في بيان المرجع السيد الحسيني السيستاني :

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »

إن الكلمات قاصرة عن إدانة هذه الجريمة النكراء ، التي قصد التكفيريون من ورائها إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي ، ليتيح لهم ذلك الوصول إلى أهدافهم الخبيثة . إن الحكومة العراقية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تحمل مسؤولياتها الكاملة في وقف مسلسل الأعمال الإجرامية التي تستهدف الأماكن المقدسة ، وإذا كانت أجهزتها الأمنية عاجزة عن تأمين الحماية اللازمة ، فإن المؤمنين قادرين على ذلك بعون الله تبارك وتعالى .

إننا إذ نعزي إمامنا صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف بهذا المصاب الجلل نعلن الحداد العام لذلك سبعة أيام ، وندعو المؤمنين ليعبروا خلالها بالأساليب السلمية ، عن احتجاجهم وإدانتهم لانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات ، مؤكدين على الجميع وهم يعيشون حال الصدمة والمأساة للجريمة المروعة ، أن لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجزئهم إلى اتخاذ ما يؤدي إلى ما يريده الأعداء من فتنة طائفية ، طالما عملوا على إدخال العراق في أتونها . ٢٣ / المحرم الحرام / ١٤٢٧ هـ

رُعُونَةُ الوهائية في تفجير مآذن المشهد الشريف !

سلمت من معالم مشهد الروضة العسكرية مئذنتان ذهبيتان ، فلم يرق ذلك للوهائيين ، فقاموا بعد نحو سنة بتفجيرها أيضاً ، ظناً منهم أن المسلمين لن يعيدوا بناءها ، وقد خاب ظنهم ومسعاهم ، فقد أعاد المسلمون مشهد ابن بنت نبيهم ﷺ بأحسن مما كان ، وافتتحوه للزيارة رغم أنوف النواصب .

رُعونة الوهابية في الدفاع عن المتوكل !

يتضح لكل باحث بنظرة فاحصة ، في شخصية المتوكل وحياته ، أنه :

— شاب مترف كان يطيل شعره من الخلف ، ليكون كشعر المرأة ، على طريقة المخنثين ، ويعيش مع أصدقائه أبناء القادة الأتراك الفاسدين .

. أمر الواثق بحبسه ومنعه من الخروج ، لئلا يكثر لغط الناس على بيت الخليفة .

. ولما مات الواثق جاؤوا به من سجن التخنث ، وبايعوه خليفة .

— كان حقوداً قاتلاً ، فلم يترك أحداً له فضل عليه إلا وقتله أو عزله . فقد قتل القائد إيتاخ التركي الذي رياه في بيته ، وعزل القاضي ابن أبي دؤاد الذي اختاره خليفة . وهكذا أكثر وزرائه وكتابه ! وكان يأمر بضرب الشخص ألف سوط حتى يموت ، وهذا لا يقره شرع ولا عقل !

— كان مسرفاً في البذخ والترف ، يبني قصوراً لا يحتاجها ، وينفق عليها وعلى حفلاته ألوف الملايين من أموال المسلمين .

— كان يبغض علياً والحسن والحسين عليهم السلام ويعادي من يحبهم ، ويعقد مجالس للغناء يسخر فيها من علي عليه السلام ! وقد قتل ابن السكيت لأنه فضل علياً والحسنين عليهم السلام عليه وعلى ولديه !

. لم يدع المتوكل لنفسه ما ادعوه له : أنه من أهل الدين والتقوى !

فما هو الموجب إذن ، لأن يتبناه الوهابية ، ويقتلوا أنفسهم في الدفاع عنه ؟

الجواب : أنهم أهل هوى وتعصب ، ولا توجد مقومات إيجابية في شخصية المتوكل ، إلا أنه مؤسس حزبهم الجسم الناصبي التكفيري !

ولزيادة المعرفة بتهاافت منطقتهم نورد فقرة من حوارات شبكة النت ، حيث
سأل رجل شيخاً وهابياً عن هدم المتوكل لقبر الإمام الحسين عليه السلام ، وكتب له :

فهل يكفيك أخي الكريم ما سبق لإثبات ما كان عليه المتوكل من نُصب ؟ ألا
يكون النُّصب بدعةً عندك وانحرافاً عن منهج السلف ، وهذه أعظم وأشنع
وأشد ، وأعيذك بالله منها ، فالإنحراف عن آل البيت انحراف عن الدين
وتضييع لوصية لرسول الله ، ونقص في محبته ، وهو بدعةٌ ضلالة ، ورذيلةٌ منكرة
باء بكرها بنو أمية ، وورثها عنهم جماعة من المنتسبين إلى السنة ، وأخاف أن
يكون عدم استثنائك لهذا الناصبي الخبيث ، من بقايا هذا الإرث !

لقد ورثت عن أجدادك العباسيين ، بغضهم للعلويين ، وإعلانهم الحرب
عليهم بعد أن سلبوهم الحكم ، ونقضهم ما عاهدوهم عليه من أخذ البيعة
للرضا من آل محمد ، بل قتلهم والتنكيل بهم كما فعلوا بمحمد النفس الزكية
وأخيه إبراهيم وكل أقاربهم وشيعتهم ! ولئن كان هذا هو السبب فلبئس ما
أتيت ، إذ لو كان رسول الله محور حينا وولائنا ، فال علي أحب إلينا من آل
العباس ، فهم أحفاد سيدة نساء العالمين ، وأحفاد أمير ومولى المؤمنين ، وأحفاد
السبطين ، وأجدادهم هم خاصة آل البيت ، بل أولى الناس بذلك وأحراهم ،
فقد جللهم المصطفى بكسائه وقال هؤلاء أهل بيتي ، ولم يجلل معهم العباس
ولا الزوجات المرضيات رضي الله عن الجميع ، وقد جمعهم دون غيرهم لمباهلة
أهل نجران ولم يجمع معهم غيرهم ، فكان أولى بك الإنتصار لهم ، حباً لرسول

الله ، وليس الإنتصار لمن آذاهم وأبغضهم من أمثال أبي جعفر وهارون ، فهذه هي حقيقة المحبة لآل البيت ، المحبة المجردة عن كل عصبية أو قبلية أو قومية .

أن تعتبر ما كان منه في قضية خلق القرآن ، ماحياً لهذه السيئات العظيمة ، والله ما ذلك بمح ولا مكفر ، فبدعة النصب أخزى وأشنع وأقبح . فبدعة الخلق لأصحابها تأويلات وتمسكات قربت أو بعدت ، أما النصب فلا متمسك له إلا العدا لآل البيت النبوي ، وخاصة آل علي الذين هم خاصة آل البيت وخلاصتهم . وعليه فحتى لو كان موقفه ذلك حسنةً ودوافع ذلك محل دراسة ، فهي مغمورة في بحر هذه السيئات والخطايا المقيتة ، عليه من الله ما يستحق !

فأجابه الوهابي أبو عبد الرحمن ، الذي يدعي أنه من ذرية العباسيين ، قال :

الحمد لله الذي خلق الخلق فجعلهم قبائل وعشائر وبيوتاً ، فجعلني من خيرهم قبيلةً وعشيرةً وبيتاً ، والشكر له سبحانه الذي أراد كَوْناً تفرق المسلمين إلى فرق فجعلني من خيرهم فرقة أهل السنة والجماعة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، الذي أخبر أن كل الفرق في النار ، إلا من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه ، أما بعد :

فنحن نرحب بأي نقد ورد ، حتى لو كان نَقَسَ الرد والنقد نَفْساً شيعياً واضحاً لأنه لا ينقصنا والله الحمد علم ولا حلم ، فجدنا الخبر البحر ، وحلمنا كما قال ابن كثير في البداية والنهاية المجلد الخامس عشر / ٥٦٧ : حِلْمُ العباسيين غزير .

أما بالنسبة لما كتبتّه ، فكما أشرت في بداية كلامي أن النَّفْسَ الشَّيْعِيَّ واضحٌ في كلامك وأسلوبك ، وحنقك على بني العباس أبقاهم الله شوكة في حلق أهل البدع أجمعين . وسأرد على كلامك رداً تفصيلياً ، لكن سأبدأ بنقل كلام أئمة أهل السنة عن جدي الإمام ناصر السنة والدين ، وقامع البدعة والمبتدعين ، وعدو المعتزلة والروافض المشركين ، أمير المؤمنين وخليفة المسلمين المتوكل عليه السلام :

الإمام المجلد أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : قال عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه السنة : ١ / ١٣٤ : كتب عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى أبي يخبره أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، يعني المتوكل ، أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن ، لا مسألة امتحان ولكن مسألة معرفة وبصيرة . وأملى علي أبي إلى عبيد الله بن يحيى : أحسن الله عاقبتك أبا الحسن في الأمور كلها ، ودفعت عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته ، فقد كتبت إليك رضي الله عنك بالذي سألت عنه أمير المؤمنين أيده الله ، من أمر القرآن بما حضرني ، وإني أسألت الله عز وجل أن يديم توفيق أمير المؤمنين أعزّه الله بتأييده ، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد ينغمسون فيه ، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين أيده الله عز وجل ، فنفى الله تعالى بأمر المؤمنين أعزّه الله كل بدعة وانجلى عن الناس كل ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس ، فصرف الله عز وجل ذلك كله ، وذهب به بأمر المؤمنين أعزّه الله نصره ، ووقع ذلك من المسلمين موقعاً عظيماً ، ودعوا الله عز وجل لأمر المؤمنين . فأسأل الله تعالى أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء .

وأن يتم ذلك لأمر المؤمنين أدام الله عزه ، وأن يزيد في نيته ويعينه .

قال الخلال في كتابه السنة « ١ / ٨٤ » : أخبرنا أبو بكر المروزي قال : سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ، وذكر الخليفة المتوكل عليه السلام فقال : إني لأدعوه له بالصلاح والعافية ، وقال : لئن حدث به حدث لتنظرن ما يجلب بالإسلام .

قال العباسي السلفي : وهذا من أصح الأسانيد للإمام أحمد عليه السلام .

الإمام الدارمي عليه السلام : قال في نقضه على المريسي الجهمي العنيد « ١ / ٥٣٤ » : فلم تنزل الجهمية سنوات يركبون فيها أهل السنة والجماعة ، بقوة ابن أبي داؤد المحاد لله ولرسوله ، حتى استخلف المتوكل عليه السلام ، فطمس الله به آثارهم ، وقمع به أنصارهم حتى استقام أكثر الناس على السنة الأولى ، والمنهاج الأول .

الإمام شيخ الإسلام بن تيمية عليه السلام : قال في مجموع الفتاوى « ٤ / ٢١ » : وكان في أيام المتوكل قد عز الإسلام ، حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العمريّة ، وألزموا الصغار ، فعزت السنة والجماعة ، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم . ففي عهده رفعت المحنة بخلق القرآن .

وقال في مجموع الفتاوى « ٣ / ٢٥ » : ثم إن الله كشف الغمة عن الأمة في ولاية المتوكل على الله ، الذي جعل الله عامة خلفاء بني العباس من ذريته دون ذرية الذين أقاموا المحنة لأهل السنة ، فأمر المتوكل برفع المحنة وإظهار الكتاب والسنة ، وأن يروى ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين .

الإمام بن كثير عليه السلام : قال في البداية والنهاية « ١٤ / ٣١٧ » : وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكنائي ، صاحب كتاب الحيدة ، على المتوكل وكان من خيار الخلفاء .

وقال أيضاً « ١٤ / ٤٥٤ » : وكان المتوكل محبباً إلى رعيته قائماً في نصرة أهل السنة ، وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردة ، لأنه نصر الحق وردده عليهم حتى رجعوا إلى الدين . وبعمر بن عبد العزيز حين رد مظالم بني أمية .

وقد أظهر السنة بعد البدعة ، وأخذ أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله . وقد رآه بعضهم في المنام بعد موته وهو جالس في نور ، قال فقلت : المتوكل ؟ قال : المتوكل . قلت : فما فعل بك ربك ؟ قال : غفر لي . قلت : بماذا ؟ قال : بقليل من السنة أحيتها .

قال الشريف أبو عبد الرحمن العباسي السلفي حفيد المتوكل : فالحمد لله أن أهل السنة الفرقة الناجية أهل الحديث والأثر ، يعرفون فضل هذا الإمام قديماً وحديثاً ، ويشنون عليه ويترحمون عليه ولا يذكرونه إلا بالجميل ، ولا يتتبعون زلاته ، لأنهم يعلمون أنه لا أحد معصوم من الزلل ، ولأنهم يعلمون حسناته الكبيرة وجهوده العظيمة في نصرة السنة وأهلها ، ويعلمون مدى بغض أهل البدع له ، وخاصة الروافض والمعتزلة .

وقد كتب في ذمه في هذا العصر المبتدع حسن المالكي ، وقد رد عليه أهل السنة وذبوا عن المتوكل عليه السلام ، راجع كتاب قمع الدجاجلة لعبد العزيز الراجحي ، تقدم العلامة الفوزان .

وأما اتهامك له بالنصب ﷺ فلنا مقال في تبرئته من هذه التهمة الخبيثة ، والرد على ما استند عليه في اتهامه بذلك ﷺ وأعلى درجته ، وهي ثلاث حوادث أو قصص ، فصلنا الكلام عنها في مقالنا ذلك .

وأنت في تسويدك هذا قد ذكرت كلام ثلاثة من المؤرخين ، الأول منهم وهو إمامهم ابن جرير الطبري ولم يذكر شيئاً من النُصب ، بل نقل عملاً عظيماً من أعمال جدي « ! » الخليفة المتوكل الخليفة في نصرته العقيدة والسنة ، وهو هدم ما بني على قبر سيد شباب أهل الجنة الحسين رضي الله عنه ، وقد ذكرنا هذا ضمن جهوده في نصرته العقيدة والسنة ، في كتابنا عقيدة بني العباس .

والثاني هو الإمام الذهبي ﷺ وقد اضطرب كلامه في هذا ، فمرة يقول : وكان في المتوكل نصب . ومرة يقول : وكان معروفاً بالنصب . ومرة قال : ولم يصح عنه النصب . كما في تاريخ الإسلام . فلذلك كان لا بد من الرجوع لما يذكرونه من قصص وحوادث يستدلون بها على نصبه ﷺ ، وحاشاه ، فهو الذي قال عنه أحمد : إن الله نفي به كل بدعة ، وهذا الذي فعلناه في مقالنا الآنف الذكر . انتهى .

أقول : لاحظ ما في جواب هذا الناصبي من عجرفة وتزوير :

١. فقد بدأ بالفخر بنفسه بأنه من خيرهم قبيلةً وعشيرةً وبيتاً ! لأنه هاشمي عباسي كما يدعي ، ففضل نفسه على الناس ، لأنه من عشيرة رسول الله ﷺ !
٢. ثم تغاضى عن ظلامة العترة النبوية وهم أقرب منه الى النبي ﷺ ، ودافع عن ظلمهم ! فهو يفتخر بابن العشيرة ويغبط حق الإبن الصلب !

ويعطي الحق لنفسه بقرابة العشيرة ، وينكر حق العترة بنص القرآن والسنة !

٣. وبَّخ مخاطبه بأن كلامه فيه نَفْسٌ شيعي ، فالنفس المحب لعترة النبي صلى الله عليه وآله جريمة ، لكنه يفتخر بالنفس العباسي وكأنه هو الإسلام !

٤. دافع عن المتوكل بكلمات من مؤيديه : ابن حنبل ، والخلال ، والدارمي ، وابن تيمية ، والذهبي ، وابن كثير . فهل انتهى علماء الإسلام هؤلاء ؟

وأين آراء الزمامين وهم أعظم منهم ؟ ثم ماذا قال هؤلاء ، وهل نفوا عنه التَّصَبُّبُ ونفوا عنه شرب الخمر ، والتخنث ، والزنا ، والقتل ، وهدم قبر الحسين عليه السلام ؟

ثم لاحظ قوله : « فالحمد لله أن أهل السنة الفرقة الناجية أهل الحديث والأثر ، يعرفون فضل هذا الإمام قديماً وحديثاً ، ويشتمون عليه ويترحمون عليه ولا يذكرونه إلا بالجميل » .

فهو يُدَلِّسُ على القارئ بأن أهل الحديث والأثر هم أهل السنة والجماعة ، وأنهم يمدحون المتوكل ، وإنما يثني عليه مجسمة الحنابلة ، الذين نصحهم ابن الجوزي بكتابه : رد شبه التشبيه ، وقال إنهم شانوا مذهب ابن حنبل وشوهوه !

٥. وإذا كان المتوكل من أئمة الهدى كما زعم ، فلماذا يمدحون ابن حنبل بأنه لم يدخل بيته ، ولم يأكل من طعامه ، ولا أخذ من ماله ، لأنه حرام أو مشبوه !

٦. ثم كابر الناصبي وأنكر أن المتوكل ناصبيٌّ ، وهو أمرٌ أوضح من الشمس قال : وأما اتهامك له بالنصب بالحق فلنا مقال في تبرئته من هذه التهمة الخبيثة !

وقال : « ذكرت كلام ثلاثة من المؤرخين ، الأول منهم وهو إمامهم ابن جرير الطبري ولم يذكر شيئاً من النصب ، بل نقل عملاً عظيماً من أعمال جدي الخليفة المتوكل الخليفة في نصرة العقيدة والسنة ، وهو هدم ما بني على قبر سيد شباب أهل الجنة الحسين رضي الله عنه ، وقد ذكرنا هذا ضمن جهوده في نصرة العقيدة والسنة في كتابنا عقيدة بني العباس ! »

يقصد أن الطبري لم يذكر عنه شيئاً من نصب المتوكل ، وكان الطبري عندما ذكر هدمه لقبر الحسين عليه السلام كان يمدحه بذلك ويثبت حبه للحسين عليه السلام !

ثم احتج باضطراب كلام إمامه الذهبي ، قال : وقد اضطرب كلامه في هذا ، فمرة يقول : وكان في المتوكل نصب . ومرة يقول : وكان معروفاً بالنصب . ومرة قال : ولم يصح عنه النصب . فلذلك كان لا بد من الرجوع لما يذكرونه من قصص وحوادث يستدلون بها على نصبه رحمه الله تعالى وحاشاه !

هكذا يتصور هذا الوهابي أنه بجرة قلم يجعل المتوكل تقياً ، ويمحو عنه فحشاءه ومنكراته ، ونصبه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام !

وقد دلس في كلام الذهبي وغيبه ، فلاحظ ما قاله الذهبي لتعرف أنهم يُغيّبون حتى كلام أئمتهم بسبب هواهم وتعصبهم !

قال الذهبي في سيره « ١٨ / ٥٥٢ » : « ويروى أن المتوكل نظر إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت : من أحب إليك ، هما ، أو الحسن والحسين قال : قنبر ، يعني مولى علي ، خير منهما . قال : فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى كاد يهلك ، فبقي

يوماً ومات . ومنهم من قال : حمل ميتاً في بساط ، وبعث إلى ابنه بديته . وكان في المتوكل نُصب بلا خلاف » .

وقال في سيره « ١٣ / ١٨ » : « ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت : من أحب إليك : هما أو الحسن والحسين ؟ فقال : بل قنبر ، فأمر الأتراك فداسوا بطنه فمات بعد يوم . وقيل : حمل ميتاً في بساط . وكان في المتوكل نصب ، نسأل الله العفو . مات سنة أربع وأربعين ومئتين » .

وقال في سيره « ١٢ / ٢٥ » : « وفي سنة ست وثلاثين هدم المتوكل قبر الحسين رضي الله عنه ، فقال البسامي أبياتاً منها :

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميمًا

وكان المتوكل فيه نصبٌ وانحراف ، فهدم هذا المكان وما حوله من الدور ، وأمر أن يزرع ، ومنع الناس من انتيابه » .

وقال في سيره « ١٢ / ١٣٦ » : « عبد الله بن أحمد بن حنبل : حدثني نصر بن علي أخبرني علي بن جعفر بن محمد ، حدثني أخي موسى ، عن أبيه ، عن أبيه ، عن علي بن حسين ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي صلى الله عليه وسلم : أخذ بيد حسن وحسين فقال : من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما ، كان معي في درجتي يوم القيامة . قلت : هذا حديث منكر جداً .

ثم قال عبد الله بن أحمد : لما حدث نصر بهذا ، أمر المتوكل بضربه ألف سوط ، فكلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له : الرجل من أهل السنة ولم يزل به

حتى تركه . وكان له أرزاق فوفرها عليه موسى . قال أبو بكر الخطيب عقيه : إنما أمر المتوكل بضربه ، لأنه ظنه رافضياً . قلت : والمتوكل سني لكن فيه نصب ، وما في رواية الخبر إلا ثقة ما خلا علي بن جعفر ، فلعله لم يضبط لفظ الحديث ، وما كان النبي صلى الله عليه وسلم من حبه وبث فضيلة الحسنين ليجعل كل من أحبهما في درجته في الجنة ، فلعله قال : فهو معي في الجنة . وقد تواتر قوله عليه السلام : المرء مع من أحب . ونصر بن علي ، فمن أئمة السنة الأثبات » .

لاحظ أن الذهبي صحح الحديث ، لكن مع تخفيف بعض ألفاظه ، وحكم بنصب المتوكل في عدة موارد ونصوص !

وقال الذهبي في تاريخه : ١٧ / ١٨ : « أمر المتوكل بهدم قبر السيد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن تعمل مزارع . ومنع الناس من زيارته وحُرت وبقِيَ صحراء ! وكان معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء ، دعبل وغيره » .

وفي سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٣٥ : « وعقَى قبر الشهيد الحسين وما حوله من الدور ، فكتب الناس شتم المتوكل على الحيطان ، وهجته الشعراء كدعبل وغيره » .

أما قوله : ولم يصح عنه النصب ، الذي حاول هذا الوهابي أن يتشبه به ، فجاء في سيره « ١٢ / ٤١ » : « وقيل : لم يصح عنه النصب ، وقد بكى من وعظ علي بن محمد العسكري العلوي ، وأعطاه أربعة آلاف دينار . فالله أعلم » .

وقال في سيره « ٩ / ٤٤٨ » : « وبويع المنتصر من الغد بالقصر الجعفري يوم خامس شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ، وقيل : لم يصح عنه النصب ، وقد بكى من وعظ علي بن محمد العسكري العلوي ، وأعطاه أربعة آلاف دينار ، فالله أعلم » .

فما زال مع مدحه يحكم بأنه ناصبي ، ويذكر نفي نصبه بقليل ، ولا يقبله .

وقال في تاريخه « ١٨ / ١٩٩ » : « ورد أن بعضهم رآه في النوم فقال له : ما فعل الله بك قال : غفر لي بقليل من السنة أحييتها . وقد كان المتوكل منهمكاً في اللذات والشرب ، فلعله رُحم بالسنة ولم يصح عنه النصب » .

فهو يقول : قيل إن المتوكل بُحا في الآخرة حسب هذا المنام ، فإن صح ذلك فرمما كانت نصرته للسنة توجب غفران انهماكه في الشهوات .

ثم يقول : أما قضية نُصبه فلا تغفر بذلك ، فإن صح هذا المنام وكان حجة ، فلعل أخبار نصبه الثابتة لم تكن صحيحة . فهو احتمال مطلق في مقابل اليقين !

فاعجب لمن يتشبثون باحتمال في مقابل يقين ، وبمنام رؤي في مقابل حق مبين !

**

ثورات العلويين بعد هدم قبر الحسين عليه السلام

اضطهد المتوكل العلويين فاتجهوا الى الثورة

قال أبوالفرج في مقاتل الطالبين / ٣٩٥ : « لما ولي المتوكل تفرق آل أبي طالب في النواحي ، فغلب الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد علي طبرستان ونواحي الديلم . وخرج بالري : محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين ، يدعو إلى الحسن بن زيد ، فأخذه عبد الله بن طاهر فحبسه بنيسابور ، فلم يزل في حبسه حتى هلك .. وكان ممن خرج معه عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

ثم خرج من بعده بالري : أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب ، يدعو إلى الحسين بن زيد .

وخرج الكوكبي ، وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

ولهؤلاء أخبار قد ذكرناها في الكتاب الكبير ، لم يحمل هذا الكتاب إعدادتها لطولها ، ولأننا شرطنا ذكر خبر من قتل منهم ، دون من خرج فلم يقتل . » .

أقول : المتأمل في تاريخ الإسلام يجد أن الثورات بعد النبي ﷺ كلها علوية ، وغيرها تقليد لها ، أو سرقة منها . فأول الثائرين على القرشيين أهل السقيفة : هو

علي عليه السلام ثم ولده الحسين عليه السلام سنة ستين للهجرة ، ثم ولده زيد بن علي رضي الله عنه في الكوفة سنة ١٢١ للهجرة ، ثم واصل ثورته ابنه يحيى بن زيد رضي الله عنه في خراسان ، ثم ورثها الحسينيون والعباسيون حتى أسقطوا الدولة الأموية سنة ١٣٢ هجرية . وتواصلت ثورات العلويين ضد ظلم العباسيين ، وتوزعت على بلاد مختلفة ، كما رأيت في نص أبي الفرج ، وقد حفل بها كتابه : مقاتل الطالبين .

وقد انتشر العلويون في بلاد العالم الإسلامي شرقاً وغرباً ، فظهرت ثوراتهم في اليمن ومصر وإفريقيا والمغرب غرباً ، وإيران وما وراء النهر شرقاً .

وقد حاول المأمون أن ينهي ثورات العلويين ، بإعطاء ولاية عهده شكلياً للإمام الرضا عليه السلام ، فخفت ثوراتهم في زمنه ، لكنها لم تنته .

وكانت سياسة المأمون وبعده المعتصم والواثق لينة نسبياً مع أهل البيت عليه السلام لأنها سمحت برواية فضائلهم في الإسلام ، لكنها في نفس الوقت عملت لقتل أئمتهم المعصومين عليه السلام واستعملت الشدة والقمع مع الثائرين منهم .

ثم جاء المتوكل بسياسة العداة لأهل البيت عليه السلام فنقم عليه عامة المسلمين لهدمه قبر الحسين عليه السلام ، وكتبوا شتمه على جدران بغداد .

واندفع بعض العلويين الى الثورة في عصره ، ولا يتسع المجال لتأريخ الثورات العلوية في عهد المتوكل ، لكن نشير الى أن نجاح بعضها كثورة الحسينيين في المغرب والزيديين في شمال إيران ، أوجد جواً عاماً في بغداد ، مؤيداً لأهل البيت ومستنكراً للظلم العباسي .

وقد تصاعد هذا الجو حتى جاءت قوة آل بُويّه العسكرية الشيعية مقابل القوة التركية العباسية ، وسيطر البويهيون على بغداد سنة ٣٢٠ هجرية ، وصار الخليفة العباسي بيدهم . وكان ذلك بعد ثمانين عاماً من هدم قبر الحسين عليه السلام . واستمر حكم البويهيين الشيعة أكثر من قرن حتى نشأت قوة الأتراك السلاجقة ، فسيطروا على بغداد سنة ٤٤٧ ، وعاد الخليفة العباسي الى أيدي الأتراك السنة .

الموجة الشعبية المؤيدة للإمام الهادي عليه السلام

اتفق المؤرخون على ثلاث ظواهر حدثت في الأمة بسبب هدم المتوكل لقبر الحسين عليه السلام ، وكلها تدل على تعاطف الناس مع العلويين والإمام الهادي عليه السلام !

أولاهها : أن شتم المتوكل كتب على جدران بغداد ، وقد ذكر ذلك عامة المؤرخين ولم يذكروا نص هذه الشتائم ، ولا أن الدولة استطاعت أن تعاقب عليها .

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء / ٣٧٤ : « أمر بهدم قبر الحسين ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته وخرّب وبقى صحراء . وكان المتوكل معروفاً بالتعصب فتألم المسلمون من ذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء ، فمما قيل في ذلك .. » .

وقال الذهبي في تاريخه : ١٧ / ١٨ : « أمر المتوكل بهدم قبر السيد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن تعمل مزارع . ومنع الناس من زيارته وخرّث وبقى صحراء ! وكان معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء ، دعبل وغيره » .

وفي سير أعلام النبلاء : ١٢ / ٣٥ : « وعقَى قبر الشهيد الحسين وما حوله من الدور ، فكتب الناس شتم المتوكل على الحيطان ، وهجته الشعراء كدعبل وغيره » .

وفي طبقات الشافعية : ٢ / ٥٤ : « أمر يهدم قبر الحسين رضي الله عنه وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وحُثِرَ وبقي صحراء فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه دعبل وغيره من الشعراء » .

وقال التنوخي في نشوار المحاضرة : ٦ / ٣٢١ : « كان المتوكل معروفاً بالنصب ، أمر في السنة ٢٣٦ يهدم قبر الحسين .. فكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان ، وقال البسامي .. » . ونحوه الصفدي في الوافي : ١١ / ١٠٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢ / ٢٨٣ .

والظاهرة الثانية : أن أحمد بن حنبل كان من جماعة المتوكل ، لكن لما جاءت الى المتوكل إخبارية بأن أحمد حَبَّأً علويّاً في بيته وهو يأخذ له البيعة ليشور ، سارع بإرسال قوة وفتشوا بيت أحمد بن حنبل حتى غرف النساء والبئر وغيرها !

وهذا يدل على أن موجة التأييد للعلويين والكره للمتوكل كانت قوية الى حد أن المتوكل احتمل أن يكون صاحبه ابن حنبل وقع تحت تأثيرها ودخل فيها !

والظاهرة الثالثة : التعاطف العلني مع الثوار العلويين ، ويكفي مثالاً لذلك أن البغداديين منعوا السلطة من صلب رأس العلوي الثائر يحيى بن عمر رضي الله عنه .

قال الطبري « ٧ / ٤٢٨ » : « ثم إن محمد بن عبد الله بن طاهر « والي بغداد » أمر بجمل رأسه إلى المستعين من غد اليوم الذي وافاه فيه ، وكتب إليه بالفتح بيده ، ونصب رأسه بباب العامة بسامرا ، واجتمع الناس لذلك وكثروا وتدمروا !

وتولى إبراهيم الدينج نصبه لأن إبراهيم بن إسحاق خليفة محمد بن عبد الله أمره فنصبه لحظة ، ثم حُطَّ ورُدَّ إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر فلم يتهيأ ذلك لمحمد بن عبد الله ، لكثرة من اجتمع من الناس ! وذكر لمحمد بن عبد الله أنهم على أخذه اجتمعوا ، فلم ينصبه وجعله في صندوق في بيت السلاح في داره .

لذلك تعاضم تأييد الناس للإمام الهادي عليه السلام حتى : « كتب بُرَيْحَةَ العباسي صاحب الصلاة بالحرمين الى المتوكل : إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد منهما ، فإنه قد دعا الى نفسه واتبعه خلق كثير » . « إثبات الوصية : ١ / ٢٣٢ » .

من الثورات العلوية في زمن المتوكل

ثورة يحيى بن عمر :

قال المسعودي في مروج الذهب : ٤ / ٦٣ : « ظهر في هذه السنة وهي سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة : أبو الحسن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الطيار . وقيل إن ظهوره كان بالكوفة سنة خمسين ومائتين ، فقتل وحُمل رأسه إلى بغداد وصُلب ، فضج الناس من ذلك لما كان في نفوسهم من المحبة له ، لأنه استفتح أموره بالكف عن

الدماء ، والتورُّع عن أخذ شئ من أموال الناس ، وأظهر العدل والإنصاف ، وكان ظهوره لذلَّ نزل به ، وجفوة لحقته ، ومحنة نالته من المتوكل وغيره من الأتراك . ودخل الناس الى محمد بن عبد الله بن طاهر « القائد العباسي والي بغداد » يهتئون به بالفتح ، ودخل فيهم أبوهاشم الجعفري ، وهو داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، بينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء ، ولم يكن يعرف في ذلك الوقت أقعد نسباً في آل أبي طالب وسائر بني هاشم وقريش منه ، وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم ، صحيح العقل سليم الحواس منتصب القامة ، وقبره مشهور وقد أتينا على خبره وما روي عنه من الرواية عن أبيه ومن شاهد من سلفه في كتاب حدائق الأذهان في أخبار آل النبي صلى الله عليه وآله ، فقال لابن طاهر : أيها الأمير إنك لثَهَنَّا بقتل رجل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله حياً لَعَزَّيْ به !

فلم يجبه محمد ، وخرج من داره وهو يقول : يا بني طاهر .. البيتين .

وقد كان المستعين أمر بنصب الرأس ، فأمر ابن طاهر بإنزاله لما رأى من الناس وما هم عليه ، وفي ذلك يقول أبوهاشم الجعفري :

يا بني طاهرِ كُلُّوه وبيِّيا إنَّ لحمَ النبيِّ غَيْرُ مَرِيٍّ
إن وتراً يَكُونُ طالِبُهُ اللهُ لو تُرِّبَ بالفؤتِ غَيْرُ حَرِيٍّ

وقد رُثِيَ أبوالحسين يحيى بن عمر بأشعار كثيرة ، وقد أتينا على خبر مقتله وما رثي به من الشعر في الكتاب الأوسط .

وكان يحيى دِيناً كثير التعطف والمعروف على عوام الناس ، باراً بخواصهم ، واصلاً لأهل بيته ، مؤثراً لهم على نفسه ، مُتَقَلِّ الظهر بالطالبيات ، يجهد نفسه

ببرهن والتحنن عليهن ، لم تظهر له زلة ، ولا عرفت له حزينة . ومما رثي به ما قاله فيه أحمد بن طاهر الشاعر ، من قصيدة طويلة :

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| سَلامٌ على الإسلام فهو موذعٌ | إذا ما مضى آل النبي فودعوا |
| فقدنا العُلا والمجد عند افتقادهم | وأضحت عروش المكرمات تضعع |
| أتجمع عَيْنٌ بين نومٍ ومضجعٍ | ولابن رسول الله في التراب مضجع |
| فقد أقرت دار النبي محمدٍ | من الدين والإسلام فالدار بلقع |
| وقتل آل المصطفى في خالها | وؤدد شملٍ منهم ليس يجمع |
| ألم تر آل المصطفى كيف تصطفي | نفوسهم أم المنون فتبع |
| بني طاهر واللؤم منكم سجيةٌ | وللغدر منكم حاسرٌ ومقنع |
| قواطعكم في الترك غير قواطعٍ | ولكنها في آل أحمد تقطع |
| لكم كل يوم مشربٌ من دمائهم | وغلتها من شربها ليس تُنقع |
| رماحكم للظالمين سُرع | وفيكُم رماحُ الترك بالقتل سُرع |
| لكم مرتعٌ في دار آل محمدٍ | وداركُم للترك والجيش مرتع |
| أخلتُم بأن الله يرعى حقوقكم | وحقُّ رسول الله فيكم مضيع |
| وأضحوا يُرجون الشفاعة عنده | وليس لمن يرميه بالوتر يشفع |

ولما قُتل يحيى جزعت عليه نفوس الناس جزعاً كثيراً ، ورثاه القريب والبعيد ، وحنن عليه الصغير والكبير ، وجزع لقتله الملى والدينى ، وفي ذلك يقول بعض شعراء عصره ومن جزع على فقده :

| | |
|-----------------------------------|--------------------------|
| بكت الخيلُ شجوها بعد يحيى | وبكاهُ المهتدُ المصقولُ |
| وبكتهُ العراقُ شرقاً وغرباً | وبكاهُ الكتابُ والتنزيلُ |
| والمصلَّى والبيتُ والركنُ والحجرُ | جميعاً لهم عليه عويل |

كيف لم تسقط السماء علينا
 وبنات النبي يندبن شجواً
 ويؤبن للرزينة بـدرأً
 فطعت وجهه سيوف الأعادي
 وليحيى الفتى بقلبي غليلاً
 فتلأه مُذَكِّرٌ لقتل عليّ
 فصلاة الإله وقفاً عليهم
 يوم قالوا : أبوالحسين قتيلاً
 موجعاتٍ دموعهنّ تسيل
 فقدّه مفضّعٌ عزيزٌ جليل
 بأبي وجهه الوسيم الجميل
 كيف يؤذى بالجسم ذاك الغليل
 وحسينٍ ويوم أودى الرسول
 ما بكى موجعٌ وحنّ تكول

وكان ممن رثاه علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الشاعر ، وكان ينزل
 بالكوفة في جمان ، فأضيف اليهم ، فقال :

يا بقايا السلف الصا
 نحنُ للأيام ممن
 خاب وجهه الأرض كـم
 آه ممن يومك ما أو
 لـح والتجـر الـريـح
 بين قتيـلٍ وجـريـح
 غيـبٍ من وجـهٍ صـبيـح
 ذاه للقلب القـريـح

وفيه يقول :

تضوّع مسكاً جانب القبر إذ ثوى
 مصارعٌ فييانٍ كرامٍ أعزّة
 وما كان لولا شلوه يتضوّع
 أتـيحٍ ليحيى الخـيرٍ منهنّ مضـرع

ومما رثى به علي بن محمد أيضاً أبا الحسين يحيى بن عمر فأجاد فيه ، وافتخر على
 غيرهم من قريش ، قوله :

لعمري لئن سُرت قريشٌ بهلكه
 فإن مات تلقاء الرماح فإنه
 فلا تشمتوا فالقوم من يبق منهم
 لما كان وقافاً غداة التوقف
 لمن معشرٍ يشنون موت الترف
 على سنن منهم مقام المخلف

لهم معكم إما جدعتم أنوفكم مقامات ما بين الصفا والمعرف
تراث لهم من آدم ومحمد إلى الثقلين من وصايا ومصحف «

وروى الطبري ثورة يحيى بن عمر بنحوما رواها المسعودي ، وجاء فيها « ٧ / ٤٢٥ » :
« ظهور يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه ، المكنى بأبي الحسين بالكوفة ، وفيها كان مقتله ..

نالتة ضيقة شديدة ولزمه دين ضاق به ذرعاً فلقي عمر بن فرج وهو يتولى أمر
الطالبين عند مقدمه من خراسان ، أيام المتوكل فكلمه في صلته فأغلظ عليه
عمر القول ، فقفه يحيى بن عمر في مجلسه فحُبس ، فلم ينزل محبوساً إلى أن كفل
به أهله ، فأطلق بشخص إلى مدينة السلام « بشرط السكن في بغداد » فأقام بها بحال
سيئة ، ثم صار إلى سامرا فلقي وصيفاً في رزقٍ يُجرى له ، فأغلظ له وصيف في
القول وقال : لأي شيء يجري على مثلك ! فانصرف عنه ، فذكر ابن أبي طاهر أن
ابن الصوفي الطالبي حدثه أنه أتاه في الليلة التي كان خروجه في صبيحتها ، فبات
عنده ولم يعلمه بشيء مما عزم عليه ، وأنه عرض عليه الطعام وتبين فيه أنه جائع ،
فأبى أن يأكل وقال : إن عشنا أكلنا !

قال : فتبينت أنه قد عزم على فتكة . وخرج من عندي فجعل وجهه إلى الكوفة
وبها أيوب بن الحسن بن موسى بن جعفر بن سليمان عاملاً عليها ، من قبل محمد
بن عبد الله بن طاهر ، فجمع يحيى بن عمر جمعاً كثيراً من الأعراب وضوى إليه
جماعة من أهل الكوفة ، فأتى الفلوجة فصار إلى قرية تعرف بالعمد ...

فمضى يحيى بن عمر في سبعة نفر من الفرسان إلى الكوفة فدخلها وصار إلى
بيت مالها فأخذ ما فيه ، والذي وجد فيه ألفا دينار وزيادة شيء ، ومن الورق

سبعون ألف درهم ، وأظهر أمره بالكوفة وفتح السجنين ، وأخرج جميع من كان فيهما وأخرج عاملها عنها ، فلقية عبد الله بن محمود السرخسي ، وكان في عداد الشاكرية ، فضربه يحيى بن عمر ضربة على قصاص شعره في وجهه أنختته فانهمز ابن محمود مع أصحابه ، وحوى يحيى ما كان مع ابن محمود من الدواب والمال . ثم خرج يحيى بن عمر من الكوفة إلى سوادها ... وتبعته جماعة من الزيدية ... ثم أقام بالبستان فكثر جمعه .

فوجه محمد بن عبد الله لمحاربتة الحسين بن إسماعيل بن إبراهيم بن مصعب ، وضم إليه من ذوي البأس والنجدة من قواده جماعة ... وجماعة من خاصة الخراسانية ... ومضى يحيى بن عمر نحو الكوفة فلقية عبد الرحمن بن الخطاب فقاتله بقرب جسر الكوفة قتالاً شديداً ، فانهمز عبد الرحمن بن الخطاب ..

ودخل يحيى بن عمر الكوفة واجتمعت إليه الزيدية ، ودعا إلى الرضا من آل محمد ، وكثف أمره واجتمعت إليه جماعة من الناس وأحبوه ، وتولاه العامة من أهل بغداد ، ولا يعلم أنهم تولوا من أهل بيته غيره .

وبايعه بالكوفة جماعة لهم بصائر وتدابير في تشيعهم ، ودخل فيهم أخلاط لاديانة لهم ... فانهمز رجاله أهل الكوفة وأكثرهم عُزْلٌ بغير سلاح ضعيفي القوى خلقتان الثياب ، فداستهم الخيل ، وانكشف العسكر عن يحيى بن عمر وعليه جوشن نَبَّي ، وقد تقطر به البرذون ... فنزل إليه فذبحه وأخذ رأسه وجعله في

قوصرة ، ووجهه مع عمر بن الخطاب أخي عبد الرحمن بن الخطاب ، إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وادعى قتله غير واحد ...

ثم إن محمد بن عبد الله بن طاهر أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غد ..
ونصب رأسه بباب العامة بسامرا .. ثم حُطَّ ورُدَّ إلى بغداد ليُنصب بها بباب
الجسر ، فلم يتهياً ذلك لمحمد بن عبد الله ، لكثرة من اجتمع من الناس .. » .

قصيدة ابن الرومي في رثاء يحيى العلوي

روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين / ٤٢٠ ، ثورة يحيى بن عمر بشئ من التفصيل ، ومما جاء فيه : « كان خرج في أيام المتوكل إلى خراسان فرده عبد الله بن طاهر ، فأمر المتوكل بتسليمه إلى عمر بن الفرج الرخجي فسلم إليه ، فكلمه بكلام فيه بعض الغلظة فرد عليه يحيى وشتمه ، فشكى ذلك إلى المتوكل ، فأمر به فضرب درراً ، ثم حبسه في دار الفتح بن خاقان ، فمكث على ذلك مدة ، ثم أطلق فمضى إلى بغداد فلم يزل بها حيناً حتى خرج إلى الكوفة فدعا إلى الرضا من آل محمد صلوات الله عليهم .

وكان رضي الله عنه رجلاً فارساً شجاعاً ، شديد البدن مجتمع القلب ، بعيداً من رهق الشباب وما يعاب به مثله . كان مقيماً ببغداد ، وكان له عمود حديد ثقيل يكون معه في منزله ، وكان ربما سخط على العبد أو الأمة من حشمه ، فيلوي العمود في عنقه ، فلا يقدر أحد أن يحمله عنه حتى يحمله يحيى رضي الله عنه .

قال أبو الفرج : حدثني أحمد بن عبيد الله قال : حدثني أبو عبد الله بن أبي الحصين : أن يحيى بن عمر بما أراد الخروج بدأ فزار قبر الحسين عليه السلام وأظهر لمن حضره من

الزوار ما أراده ، فاجتمعت إليه جماعة من الأعراب ، ومضى فقصد شاهي فأقام بها إلى الليل ، ثم دخل الكوفة ليلاً ، وجعل أصحابه ينادون : أيها الناس أجيئوا داعي الله ، حتى اجتمع إليه خلق كثير ..

ثم وصف معاركه وشهادته وقال : ولم يتحقق أهل الكوفة قتل يحيى ، فوجه إليهم الحسين بن إسماعيل أبا جعفر الحسيني يعلمهم أنه قد قتل ، فشتموه وأسمعوه ما يكره وهموا به وقتلوا غلاماً له ، فوجه إليهم أخاً كان لأبي الحسن يحيى بن عمر من أمه يعرف بعلي بن محمد الصوفي من ولد عمر بن علي بن أبي طالب ، وكان رجلاً رفيقاً مقبولاً ، فعرف الناس قتل أخيه فضجوا بالبكاء والصراخ والعيويل وانصرفوا ، وانكفأ الحسين بن إسماعيل إلى بغداد ومعه رأس يحيى بن عمر . فلما دخل بغداد جعل أهلها يصيحون من ذلك إنكاراً له ويقولون : إن يحيى لم يقتل ، ميلاً منهم إليه ، وشاع ذلك حتى كان الغوغاء والصبيان يصيحون في الطرقات : ما قتل وما فر ، ولكن دخل البر !

وقد كان خرج مع يحيى بن عمر جماعة من وجوه أهل الكوفة وأولى الفضل منهم ، فسمعت بعض مشايخنا من الكوفيين يذكر وهو محمد بن الحسين ، أن أبا محمد عبد الله بن زيدان البجلي خرج معه معلماً ، وكان أحد فرسان أصحابه .

وقد لقيته أنا وكتبت عنه ، وكنت أرى فيه من الحذر والتوقى من كثير من الناس ما يدل على صدق ما ذكر عنه . وما بلغني أن أحداً ممن قتل في الدولة العباسية من آل أبي طالب ، رُئيَ بأكثر مما رُئيَ به يحيى ، واتفق في وقت مقتله

عدة شعراء مجيدون للقول ، أولوا هوى في هذا المذهب ، إلا أنني ذكرت بعض ذلك ، كراهية الإطالة .

فمنه قول علي بن العباس الرومي يرثيه ، وهي من مختار ما رُثِيَ به ، بل إن قلت إنها عين ذلك والمنظور إليه ، لم أكن مبعداً ، لولا أنه أفسدها بأن جاوز الحد وأغرق في النزاع ، تعدى المقدار بسب مواليه من بني العباس ، وقوله فيهم من الباطل مالا يجوز .. ثم أوردتها أبو الفرج وهي مئة وعشرة أبيات ، نختار منها :

| | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| أمامك فانظر أيَّ نهيجك تنهج | طريقان شتى مستقيمٌ وأعوجُ |
| ألا أيهذا الناسُ طالَ ضريزكم | بآل رسول الله فآخشوا أوارتجوا |
| أكلُ أوانٍ للنبيِّ محمدٍ | قتيل زكي بالدماء مضرج |
| تبيعون فيه الدين شر أئمة | فله دين الله قد كاد يُمرج |
| بني المصطفى كم يأكلُ الناسُ شلوكم | لبلواكمُ عما قليلٍ مُفرجُ |
| أما فيهمُ راعٍ لحق نبيه | ولا خائفٌ من ربه يتحرجُ |
| أبعَدَ المكنى بالحسين شهيدكم | تضاء مصابيح السماء فتسرج |
| لنا وعلينا لا عليه ولا له | تسجسجُ أسرابُ الدموع وتنشجُ |
| وكيف نبكي فائزاً عند ربه | له في جنان الخلد عيشٌ مخرفج |
| فإلا يكن حياً لدينا فإنه | لدى الله حيٌّ في الجنان مزوج |
| وقد نال في الدنيا سناءً وصيةً | وقام مقاماً لم يقمه مزلاجُ |
| أبيتُ إذا نام الخليُّ كأنما | تبطنُ أجفاني سيالٌ وعوسج |
| أحيى العلاء لهفي لذكراك لهفه | يباشر مكواها الفؤاد فينضج |
| أحين تراءتكَ العيون جلاءها | وأقذاءها أضحت مرأيتك تنسج |

بنفسي وإن فات الفداء بك الردى
 لمن تستجد الأرض بعدك زينة
 سلاماً وريحاناً وروحاً ورحمة
 ولا بحر القاع الذي أنت جاره
 ألا أيها المستبشرون بيومه
 أكلكم أمسى اطمأن مهاده
 فلا تشمتوا وليخسأ المرء منكم
 كدأب علي في المواطن قبله
 كأنني به كالليث يحمي عرينه
 كأنني أراه والرماح تنوشه
 كأنني أراه إذ هوى عن جواده
 أجنوا بني العباس من شنائكم
 واخلوا ولاة السوء منكم وغيهم
 نظاراً لكم إن يرجع الحق راجع
 على حين لا عذري لمعتذريكم
 فلا تلقحوا الآن الضغائن بينكم
 غررتم إذا صدقتم أن حاله
 لعل لهم في منطوى الغيث ثائراً
 بمجر تضيق الأرض من زفراته
 يؤيده ركنان ثبتان : رجلة
 عليها رجال كالليوث بسالة

محاسنك اللاتي تمح فتنهج
 فتصبح في أثوابها تبصر
 عليك وممدوداً من الظل سجسج
 يرف عليه الأقبوان المفلج
 أظلت عليكم غمة لا تُفرج
 بأن رسول الله في القبر مزعج
 بوجه كأن اللون منه اليرنج
 أبي حسن والغصن من حيث يخرج
 وأشباهه لا يزدهيه المهجج
 شوارغ كالأشطان تُدلى وتخرج
 وعُفر بالترب الجبين المشجج
 وشدوا على ما في العياب واشرجوا
 فأحر بهم أن يغرقوا حيث لججوا
 إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
 ولا لكم من حجة الله مخرج
 ويبنهم إن اللواقح تنجج
 تدوم لكم والدهر لونان أخرج
 سيسمو لكم والصبح في الليل مولج
 له زجل ينفي الوحوش وهزمج
 وخيل كإرسال الجراد وأوثج
 بأمثالهم بثني الأبي فيعنج

تدانوا فما للنفع فيهم خصاصة
محضتكم نصحي وإنني بعدها
مة لا تعادوا غرة البغي بينكم
أفي الحق أن يمساو خصاصاً وأنتم
تمشون مختالين في حجراتكم
وليدهم بادي الطوى ووليدكم
تذودونهم عن حوضهم بسيوفكم
فقد أجمتهم خيفة القتل عنكم
بنفسي الأولى كظتهم حسراتكم
ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم
وعيرتموهم بالسواد ولم ينزل
ولكنكم زرق يـزـين وجـوهكم
لئن لم تكن بالهاشميين عاهة
بآية ألا يـرح المـرء مـنكم
بيت إذا الصهباء روت مشاشه
فيطعنه في سبة السوء طعنة
لذاك بني العباس يصبر مثلكم
فهل عاهة إلا كهذي وإنكم
أبى الله إلا أن يطيبوا وتخشبوا
وإن كنتم منهم وكان أبوكم
أروني امراً منهم يزن بأبنة
لعمرى لقد أغرى القلوب ابن طاهر

تنفسه عن خيلهم حين ترهج
لأعنق فيما ساءكم وأهملج
كما يتعادى شعلة النار عرفج
يكاد أخوكم بطنه يتبعج
ثقال الخطا أكفالكم تترجرج
من الريف ريان العظام خدلج
ويشرع فيه أرتبيل وأبلج
وبالقوم جاج في الحيازم حوج
فقد علزوا قبل الممات وحشرجوا
كلابكم منها بهيم وديزج
من العرب المحاص أخضر أذعج
بني الروم ألوان من الروم نعج
لما شكلكم تالله إلا المعلهج
يكب على حر الجبين فيعفعج
يساوره علج من الروم أعلج
يقوم لها من تحته وهو أفحج
ويصير للموت الكمي المدجج
لأكذب مسؤول عن الحق يلهج
وأن يسبقوا بالصالحات ويفلجوا
أباهم فإن الصفو بالرتق يمزج
ولا تنطقوا البهتان والحق أبلج
بيغضائكم ما دامت الريح تنأج

واني على الاسلام منكم لخائف
وفي الحزم أن يستدرك الناس أمركم
نظاراً فإن الله طالب وتره
لعل قلوباً قد أطلتم غليلها
بوائق شتى بابها الآن مرتج
وحبلهم مستحکم العقد مدمج
بني مصعب لن يسبق الله مدلج
ستظفر منكم بالشفاء فتثلج

« وهي في ديوان ابن الرومي : ١ / ٥٦ »

ملاحظات

١. من فوائد انتقال الخليفة الى سامراء وغيابه عن بغداد أن أهل بغداد تنفسوا الحريّة ، فكانوا يجهرّون بتأييدهم للثائر العلوي ، وإذا أمر الخليفة بصلب رأسه في بغداد ، اعترضوا عليه وتجمهروا ، فاضطر الوالي أن يخالف أمر الخليفة !

٢. من الطبيعي في هذا الجو الموالي لأهل البيت عليه السلام أن يخاف المتوكل إذا وصل إليه خبرٌ بأن شخصية من العلويين موجودٌ في بغداد ، وأنه يأخذ البيعة ليثور ، وأنه مختبئٌ في بيت أحمد بن حنبل !

قال الذهبي في تاريخه « ١٨ / ٨٤ » : « رفع إلى المتوكل أن أحمد بن حنبل رتّب « خبأ » علويّاً في منزله ، وأنه يريد أن يُخرجه ويُباع عليه ولم يكن عندنا علم .. وقال ابن الكلبي « أمر السرية » : قد أمرني أمير المؤمنين أن أُخلّفك . قال : فأخلفه بالطلاق ثلاثاً أن ما عنده طليّة أمير المؤمنين . قال : وفتشوا منزل أبي عبد الله والسرب والغرف والسطوح ، وفتشوا تابوت الكتب ، وفتشوا النساء والمنازل ، فلم يروا شيئاً ولم يحسوا بشيء : ورد الله الذين كفروا بغيظهم . فكتب بذلك إلى المتوكل فوقع منه موقعاً حسناً ، وعلم أن أبا عبد الله مكدوب عليه . »

فمع قرب ابن حنبل من المتوكل وبعده عن أهل البيت عليهم السلام لكن موجة الغضب العامة على المتوكل لهدمه قبر الحسين عليه السلام تجعله يشك في أقرب الناس إليه !

٣. أبوهاشم الجعفري هو : داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم . وهو من كبار أصحاب الأئمة المعصومين عليهم السلام ، ولم يكن من خطهم الثورة كالزيديين ، لكنهم كانوا يتضامنون مع الشائرين منهم إذا نكبوا ، ويدافعون عنهم . قال السيد الخوئي « ١٢٢ / ٨ » : « أبوهاشم الجعفري عليه السلام : كان عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، شريف القدر ، ثقة ، روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام . وقال الشيخ : داود بن القاسم الجعفري ، يكنى أبا هاشم ، من أهل بغداد ، جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، وقد شاهد جماعة منهم : الرضا والجنود والهادي والعسكري وصاحب الأمر ، وقد روى عنهم كلهم عليهم السلام . وله أخبار ومسائل ، وله شعر جيد فيهم ، وكان مقدماً عند السلطان وله كتاب ، أخبرنا به عدة من أصحابنا .. » .

٤. بنوطاهر وآل طاهر : هم أولاد طاهر بن الحسين وأقاربه ، وهو قائد جيش المأمون في حربه مع أخيه الأمين ، وهو الذي احتل بغداد وقتل الأمين . وقد أطلق المأمون يده في خراسان حتى عرفت بالدولة الطاهرية ، كما أطلق يد آل طاهر في العراق ، فكانت بغداد بيد إسحاق بن إبراهيم .

قال ابن الأثير في الكامل « ٢٣٦ / ٧ » : « وفيها « ٢٣٥ » توفي إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبي وهو ابن أخي طاهر بن الحسين ، وكان صاحب

الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل . ولما مرض أرسل إليه المتوكل ابنه المعتز مع جماعة من القواد يعودونه ، وجزع المتوكل لموته » .

وقال اليعقوبي « ٤٨٨ / ٢ » : « وقدّم محمد بن عبد الله بن طاهر إلى بغداد من خراسان سنة ٢٣٧ ، فصير إليه ما كان إلى إسحاق بن إبراهيم » .

وبنوطاهر ليسوا خزاعيين ، بل من موالي خزاعة ، وأصلهم من أمراء فارس . قال العمري في أنساب الطالبين / ٣٨٣ : « وأما ابن طاهر فهو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن ماهان ، أسلم جده رزيق على يد عبيد الله بن طلحة الطلحات الخزاعي ، والي سجستان فنسب إليه ولقب بالخزاعي لهذا السبب ، لا لانتمائه إلى قبيلة خزاعة من جهة النسب .

وآل طاهر أسرة قديمة تنتسب إلى أمراء الفرس الأولين ، ويذكر منها في عالم الحرب والأدب والنجدة أفراداً كثيرون ، وكان مصعب يتولى أعمال مَرزُو مع أعمال هراة . وأول من نبغ من هذه الأسرة واشتهر في عهد بني العباس ، طاهر بن الحسين بن مصعب ، أبلى في خدمة المأمون أحسن بلاء وأخلص له ونصح في ولائه وتوطيد ملكه ، فولاه خراسان وأطلق يده فيها ، فأصبحت دولة طاهرية مستقلة في حكومتها ، لا تربطها ببغداد إلا خطبة المنبر .

وكان محمد بن عبد الله بن طاهر عظيم النفوذ في الدولة ، تميل الخلافة حيث يميل .. ومات محمد في ذي الحجة من سنة ٢٥٣ ، وهو الذي أنفذ جيشاً إلى يحيى » .

ويظهر أن بني طاهر كانوا كأسيادهم العباسيين يعتقدون بصدق النبي صلى الله عليه وآله ، وبأنهم غصبوا سلطانه من أهل بيته عليه السلام وظلموهم وقتلوهم بغير حق .

٥. تدل قصيدة ابن الرومي على أنه كان شيعياً عليه السلام . وشعره ملئ بالصنعة وفيه تكلف ، وهو لا يرقى الى شعر الطبقة الأولى من شعراء العصر العباسي .

كما تدل قصيدته على أن الأبنة والشذوذ كان منتشرين في شخصيات العباسيين ، وأن العلويين كانوا طاهرين من هذا الرجس ، لاحظ قوله :

أروني امراً منهم يُزَنُّ بأبنة ولا تنطقوا البهتان والحق أبلج

وقوله : يُزَنُّ بأبنةٍ : فعل زَنَّ بتشديد النون بمعنى : اتهم .

قال ابن فارس « ٣ / ٥ » : « يقال أزننت فلاناً بكذا ، إذا اتهمته به . وهو يُزَنُّ به » .

دور قم المميز في زمن الإمام الهادي عليه السلام

١. تميزت قم بموقعها الجغرافي ، في طريق خراسان ، فكل قاصد من العراق أو الحجاز الى خراسان وما وراء النهر ، يمر بها .

٢. وتميزت ثانياً بمركزها التجاري ، فقد كانت ضريبتها السنوية مليوني درهم !

قال الطبري « ٧ / ١٨٣ » : « وفي هذه السنة « ٢١٠ » خلع أهل قم السلطان ومنعوا الخراج . ذُكر أن سبب خلعهم إياه كان أنهم كانوا استكثروا ما عليهم من الخراج وكان خراجهم ألفي ألف درهم .. » . وتقدم ذلك في سيرة الإمام الجواد عليه السلام .

٣. وتميزت ثالثاً بشجاعة أهلها وثوراتهم ، فقد احتاج المأمون في مهاجمتها الى ثلاث فرق ، وكان عمدة أهلها الأشعريون .

قال البلاذري في فتوحه « ٢ / ٣٨٦ » : « وقد نقضوا في خلافة أبي عبد الله المعتز بالله بن المتوكل على الله ، فوجه إليهم موسى بن بغا عامله على الجبل ، لمحاربة الطالبين الذين ظهروا بطبرستان ، ففتحت عنوةً وقتل من أهلها خلق كثير » .

وقال البلاذري في فتوحه « ٢ / ٣٩٨ » : « ولما كانت سنة ٢٥٣ ، وجه أمير المؤمنين المعتز بالله ، موسى بن بغا الكبير مولاه إلى الطالبين الذين ظهرُوا بالديلم وناحية طبرستان . وكانت الديلمة قد اشتملت على رجل منهم يعرف بالكوكبي فغزا الديلم وأوغل في بلادهم وحاربوه فأوقع بهم ، وثقلت وطأته عليهم واشتدت نكايته » .

وفي رجال الطوسي / ٤٤٣ : « إبراهيم بن عبد الله بن سعيد ، قال : لما توجه موسى بن بغا إلى قم فوطأها وطأة خشنة ، وعظم بها ما كان فعل بأهلها ، فكتبوا بذلك إلى أبي محمد صاحب العسكر عليه السلام يسألونه الدعاء لهم ، فكتب إليهم أن ادعوا بهذا الدعاء في تركم ، وهو .. وذكر الدعاء » . « محمد بن الحسين بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الطبري ، يكنى أبا جعفر ، خاصي ، روى عنه التلعكبري وقال : سمعت منه سنة ثلاثين وثلاث مائة وفيما بعدها ، وله منه إجازة . وسمع منه الدعاء الذي كتب به إلى أهل قم ، وروى حديث ابن بغا لما توجه إلى قم » .

وكانت حملة موسى بن بغا على الثوار العلويين في آذربيجان وطبرستان سنة ٢٥٣ قبل وفاة الهادي عليه السلام بسنة ، وقبل قتل المعتز بسنتين . « ثقات ابن حبان : ٢ / ٣٣١ » . وسيأتي ذكرها إن شاء الله في سيرة الإمام العسكري عليه السلام .

وتميزت قم بأنها مصدر نصره للأئمة عليهم السلام « وكان قد سعي بأبي الحسن إلى المتوكل ، وأن في منزله سلاحاً وكتباً من أهل قم » . « تاريخ الذهبي : ١٨ / ١٩٩ » .

وكان القميون يحملون أحماسهم وهداياهم الى الإمام عليه السلام في سامراء ، وكانت الدولة تحاول كشف ذلك ومعاقبة القميين .

وتميزت قم خامساً ، بأنها العاصمة الدينية لأهل البيت عليه السلام في إيران ، فقد كانت مركزاً علمياً فيها فقهاء كبار ووكلاء للأئمة عليه السلام ، وكان الشيعة يأخذون منهم فتاواهم ومعالم دينهم ، ويدفعون اليهم أحماسهم ليوصلوها الى الإمام عليه السلام .

« وعن الصادق عليه السلام : إن لله حرماً وهو مكة ، وإن للرسول حرماً وهو المدينة ، وإن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، وإن لنا حرماً وهو بلدة قم . » « البحار : ٥٧ / ٢١٦ » .

هذا ، وكان لقم صلة بمصر لأن المأمون نفى عدداً من زعمائها الى مصر ، ونبغ منهم قادة عسكريون كالقائد المعروف : محمد بن عبد الله القمي الذي ولاه المتوكل أمر قبائل البجة في السودان الذين منعوا المسلمين مناجم الذهب ، فوضع لهم خطة وانتصر عليهم ، وأسر ملكهم علي بابا ، وجاء به أسيراً الى سامراء سنة ٢٤١ .

وقد روى الطبري تفصيل ذلك في تاريخه « ٧ / ٣٧٩ » .

* *

الفصل التاسع :

مرسوم إمامة ابن حنبل بعد هدم قبر الحسين عليه السلام

كان ابن حنبل غير مرضي عند المأمون والمعتصم والوائق

قال الخليل في العين « ٣ / ٣٣٨ » : « الحنبل : الضخم البطن في قصر . ويقال : هو الخُف أو الفرو الخلق . والحنبال والحنباله : القصير الكثير الكلام . » .

وأضاف ابن منظور « ١١ / ١٨٢ » : « الحنبل والحنبال والحنباله : القصير الكثير اللحم . والحنبل : طلع أم غيلان » . وهي شجرة الغضاه ، وثمرها كاللوبياء لا يؤكل .

وكان أحمد بن محمد بن حنبل من العلماء العاديين في بغداد ، ولم يشتهر حتى أحضره المأمون ليمتحنه في خلق القرآن في سنة ٢١٢ ، فقد كان المأمون يُحضر العلماء ويحذرهم من القول بأن القرآن غير مخلوق ، لأنها تعني أنه قديم مع الله تعالى ، وأن الله مركبٌ وكلامه جزءٌ منه ، وهذا شرك !

فإذا أصرَّ أحدٌ منهم على أن القرآن قديم ، كان يُعزَّزه ويحرمه من تولي القضاء . وفي سنة ٢١٨ ، أرسلوا إلى المأمون أربعة علماء إلى طرطوس ليمتحنهم وكان منهم أحمد بن حنبل ، وقبل أن يصلوا جاءهم خبر موت المأمون ، فأرجعهم إلى السجن ببغداد ، وواصل المعتصم سياسة أخيه المأمون في امتحانهم .

قال السبكي في طبقات الشافعية « ٢ / ٥٣ » : « سمعت أبا العباس بن سعد يقول : لم يصبر في المحنة إلا أربعة كلهم من أهل مَرُو : أحمد بن حنبل أبو عبد الله ، وأحمد

بن نصر بن مالك الخزاعي ، ومحمد بن نوح بن ميمون ، المضروب ، ونعيم بن حماد ، وقد مات في السجن مقيداً . فأما أحمد بن نصر فضربت عنقه ، وهذه نسخة الرقعة المعلقة في أذن أحمد بن نصر بن مالك : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبد الله الإمام هارون وهو الوثاق بالله أمير المؤمنين إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة ، فجعله الله إلى ناره . وكتب محمد بن عبد الملك .

ومات محمد بن نوح في فتنة المأمون . والمعتصم ضرب أحمد بن حنبل . والوثاق قتل أحمد بن نصر بن مالك . وكذلك نعيم بن حماد .

اتهموا ابن حنبل بالخيانة وفتشوا بيته !

اتهموه بأنه آوى ثائراً علويّاً ، وهي تهمة عقوبتها القتل ! قال الذهبي في تاريخه « ١٨ / ٨٤ » : « رفع إلى المتوكل أن أحمد بن حنبل رُئِصَ « خبأ » علويّاً في منزله ، وأنه يريد أن يُخرجه ويُبايع عليه ولم يكن عندنا علم . فبينما نحن ذات ليلة نيام في الصيف سمعنا الجلبة ، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله ، فأسرعنا وإذا أبو عبد الله قاعد في إزار ، ومظفر بن الكلبي صاحب الخبر وجماعة معهم ، فقرأ صاحب الخبر كتاب المتوكل : وَرَدَّ عَلَى أمير المؤمنين أن عندكم علويّاً ربصته لتبايع عليه وتُظهره . في كلام طويل . ثم قال له مظفر : ما تقول ؟

قال : ما أعرف من هذا شيئاً ، وإني لأرى له السمع والطاعة في عسري ومنشطي ومكرهي ، وآثره لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار . في كلام كثير غير هذا . وقال ابن الكلبي : قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلِّفَكَ .

قال : فأخلفَهُ بالطلاق ثلاثاً أن ما عنده طَلَبَةُ أمير المؤمنين .

قال : وفتشوا منزل أبي عبد الله والسَّرْب والغرف والسطوح ، وفتشوا تابوت الكتب ، وفتشوا النساء والمنازل ، فلم يروا شيئاً ولم يحسوا بشيء !

أقول : يدل اتهمهم على الشعبية الواسعة للعلويين ورُعب السلطة منهم ! وكان المتوكل يعرف أن أحمد ليس في خط العلويين ، لكنه من خوفه احتمل أن يكونوا أغروه ! كما تفاجأ ابن حنبل فسارع بالقول : « إني لأرى له السمع والطاعة في عسري ومنشطي ومكرهي ، وآثره عليّ ، وأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار » . فقبل منه المتوكل وسرَّ به واستقدمه الى سامراء وأكرمه ، واتفق معه .

أحضر المتوكل أحمد الى سامراء عدة مرات

قال الآلوسي في جلاء العينين « ١ / ٢٤٢ » : « بعث المتوكل بعد مضي خمس سنين من ولايته لتسيير أحمد بن حنبل ، فقد نقل غير واحد أنه وجه المتوكل إلى إسحق بن إبراهيم يأمره بحمله إليه ، فوجه إسحق إليه وقال له : إن أمير المؤمنين قد كتب إلي يأمرني بإشخاصك إليه فتأهب لذلك » .

وأحضره المتوكل في أواخر عمره ، وكان أحمد يومها في الثالثة والسبعين ، وعاش بعدها ثلاث سنوات ونصفاً .

ففي تاريخ الذهبي « ١٨ / ١١٩ » : « ولي بغداد عبد الله بن إسحاق ، ف جاء رسوله إلى أبي عبد الله فذهب إليه فقرأ عليه كتاب المتوكل فقال له : يأمرك بالخروج . فقال : أنا شيخ ضعيف عليل . فكتب عبد الله بما رد عليه ، فورد جواب الكتاب بأن أمير المؤمنين يأمره بالخروج . فوجه عبد الله جنوده ، فباتوا على بابنا أياماً حتى تهيأ أبو عبد الله للخروج ، فخرج ، وخرج صالح ، وعبد الله ، وأبو رميلة .

قال صالح : كان حملُ أبي إلى المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم عاش إلى سنة إحدى وأربعين ، فكان قلَّ يومٍ يمضي إلا ورسول المتوكل يأتيه ...

لما دخلنا إلى العسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيف ، وإذا فارس قد أقبل فقال لأحمد : الأمير وصيف يقرؤك السلام ، ويقول لك : إن الله قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبل منك فلا تدع شيئاً إلا تكلمت به ، فما رد عليه أبو عبد الله شيئاً ، وجعلت أنا أدعو لأمر المؤمنين ، ودعوت لوصيف . ومضينا فأزلنا في دار إيتاخ ولم يعلم أبو عبد الله ، فسأل بعد ذلك : لمن هذه الدار قالوا : هذه دار إيتاخ . فقال : حولوني ، إكثروا لي . فلم نزل حتى اكرتنا له داراً .

وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكل والفاكهة والثلج وغير ذلك . فما نظر إليها أبو عبد الله ، ولا ذاق منها شيئاً .

وكانت نفقة المائدة كل يوم مائة وعشرين درهماً . وكان يحيى بن خاقان وابنه عبيد الله وعلي بن الجهم ، يأتون أبا عبد الله ويختلفون إليه برسالة المتوكل .

ودامت العلة بأبي عبد الله وضعف ضعفاً شديداً ، وكان يواصل ، فمكث ثمانية أيام لا يأكل ولا يشرب ، فلما كان في اليوم الثامن دخلت عليه وقد كاد أن يطفأ فقلت : يا أبا عبد الله ، ابن الزبير كان يواصل سبعة أيام ، وهذا لك اليوم ثمانية أيام . قال : إني مطيق . قلت : بحقي عليك . قال : فإني أفعل ، فأتيته بسويق فشرب . ووجه إليه المتوكل بمال عظيم فرده ، فقال له عبيد الله بن يحيى : فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك . قال : هم مستعفون فردها عليه ، فأخذها عبيد الله فقسمها على ولده وأهله .

ثم أجرى المتوكل على أهله وولده أربعة آلاف في كل شهر ، فبعث إليه أبو عبد الله : إنهم في كفاية وليست بهم حاجة . فبعث إليه المتوكل : إنما هذا لولدك ، ما لك ولهذا ؟ فأمسك أبو عبد الله . فلم يزل يجري علينا حتى مات المتوكل .

قال حنبل : فلما طالت علة أبي عبد الله كان المتوكل يبعث باين ماسويه المتطبيب فيصف له الأدوية فلا يتعالج ، ودخل المطيب على المتوكل فقال : يا أمير المؤمنين أحمد ليست به علة في بدنه ، إنما هو من قلة الطعام والصيام والعبادة .

وبلغ أم المتوكل خبر أبي عبد الله فقالت لابنها : أشتهي أن أرى هذا الرجل . فوجه المتوكل إلى أبي عبد الله يسأله أن يدخل على ابنه المعتز ويسلم عليه ويدعو له ويجعله في حجره . فامتنع أبو عبد الله من ذلك ، ثم أجاب رجاء أن يطلق وينحدر إلى بغداد ، فوجه إليه المتوكل خلعة ، وأتوه بدابة يركبها إلى المعتز فامتنع ، وكانت عليها مئثرَةٌ مُمُورٌ ، فقدم إليه بغل لرجل من التجار فركبه .

وجلس المتوكل مع أمه في مجلس من المكنان ، وعلى المجلس ستر رقيق ، فدخل أبو عبد الله على المعتز ، ونظر إليه المتوكل وأمّه ، فلما رآته قالت : يا بني ، الله الله في هذا الرجل فليس هذا ممن يريد ما عندكم ، ولا المصلحة أن تحبسه عن منزله فأذن له فليذهب . فدخل أبو عبد الله على المعتز فقال : السلام عليكم وجلس ، ولم يسلم عليه بالإمرة . قال : فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك ببغداد يقول : لما دخلت عليه وجلست قال مؤدب الصبي : أصلح الله الأمير ، هذا الذي أمره أمير المؤمنين يؤدبك ويعلمك . فرد عليه الغلام وقال : إن علمني شيئاً تعلمته . قال أبو عبد الله : فعجبت من ذكائه وجوابه على صغره . وكان صغيراً .

فأذن له بالإنصراف ، فجاء عبيد الله بن يحيى وقت العصر فقال : إن أمير المؤمنين قد أذن لك ، وأمر أن تفرش لك حَرَاقَةَ تنحدر فيها . فقال أبو عبد الله : أطلبوا لي زورقاً فأنحدر فيه الساعة ، فطلبوا له زورقاً فأنحدر فيه من ساعته ..

وجاء عن لسان ولده الآخر صالح : فلما كان من الغد جاء يعقوب فقال : البشري يا أبا عبد الله ، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول : قد أعفيتك عن لبس السواد والركوب إلى ولاية العهد وإلى الدار . فإن شئت فالبس القطن ، وإن شئت فالبس الصوف . فجعل يحمد الله على ذلك .

أقول : توجد عدة روايات عن إحضار أحمد إلى سامراء . وقد حاول أحمد ومحبوه أن يقولوا إنه كان زاهداً في الدنيا ، ولم يكن راغباً في تكريم المتوكل ، ولا بالمناصب والأموال ، لأن المتوكل عند المسلمين ظالم لا يجوز الركون إليه !

وفي كلام أحمد وأبنائه نقاط ضعف ، ومنها كلام أحمد عن صغر سن المعتز ، بينما كان عمره لما زاره أحمد نحو سبع عشرة سنة . فقد خلع نفسه سنة ٢٥٥ ، وعمره أربع وعشرون سنة . « مروج الذهب : ٤ / ٨١ » .

اتفق المتوكل مع أحمد وجعله مرجعاً للدولة !

في النهاية لابن كثير « ١٠ / ٣٧٣ » : « وكان مسير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين ، ثم مكث إلى سنة وفاته ، وما من يوم إلا ويسأل عنه المتوكل ويوفد إليه في أمور يشاوره فيها ، ويستشيره في أشياء تقع له . ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليفرقها على من يرى فامتنع من قبولها وتفرقتها ، وقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره ، فردها » .

وفي تاريخ الذهبي « ٢٠ / ٢٠٣ » : « قال عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان : أمر المتوكل بمساءلة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء » .

أي أمر أن يأخذوا برأيه في تعيين القضاة في الدولة ، فلا يعينوا إلا من وافق عليه . وفي المقابل تبنى أحمد طاعة المتوكل ، ونشر أحاديث التشبيه والتجسيم !

قال الملقط العسقلاني في : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع / ٧ : « وقال أمير المؤمنين المتوكل لأحمد بن حنبل : يا أحمد إني أريد أن أجعلك بيني وبين الله حجة فأظهرني على السنة والجماعة . وما كتبتك عن أصحابك عما كتبوه عن التابعين ، مما كتبوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه » .

وقال تلميذه أبو بكر المروزي : « سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردُّها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش ، فصححها وقال : قد تلقتها الأمة بالقبول ، وتُمرُّ الأخبار كما جاءت » . « طبقات الحنابلة لأبي يعلى : ١ / ٥٦ » .
وهذه هي أحاديث صفات الله تعالى ورؤيته بالعين ، التي رفضها الأئمة من أهل البيت عليه السلام ومالك بن أنس صاحب المذهب ، ويريدها المتوكل !

مرجعية ابن حنبل لمواجهة مرجعية الإمام الهادي عليه السلام

بدأ حكم المتوكل أواخر سنة ٢٣٢ . وفي سنة ٢٣٣ ، أحضر الإمام الهادي عليه السلام الى سامراء وفرض عليه الإقامة الجبرية ، وحاول قتله بتهمة أنه ينوي الخروج عليه فظهرت للإمام عليه السلام كرامات ومعجزات ، فهابه وزراء المتوكل والقادة وأجبهوه ، وكانت أم المتوكل تعتقد أنه ولي الله تعالى وتنذر له النذور في المهمات !

وفي السنة التالية استقدم المتوكل المحدثين المجسمين ، الذين يقولون إن الله يُرى بالعين ، والقرآن غير مخلوق ، وقربهم وأعطاهم جوائز ومناصب .

وكان المتوكل يريد تغيير خط الخلافة فيتبنى المجسمة ، لكن نفوذ ابن دؤاد كان قوياً ، فهو الذي دبّر خلافة أبيه المعتصم ورثب قتل العباس بن المأمون . وهو الذي رتب بيعة أخيه الواثق . وهو الذي خلع ابن الواثق ودبّر بيعة المتوكل وأخرجه من السجن وجاء به الى كرسي الخلافة .

قال في تاريخ بغداد « ١ / ٣١٤ » : « كان المتوكل يوجب لأحمد بن أبي دؤاد ، ويستحي أن ينكبه ، وإن كان يكره مذهبه ، لما كان يقوم به من أمره أيام الواثق ، وعقد

الأمر له والقيام به من بين الناس . فلما فلج أحمد بن أبي دؤاد في جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، أول ما ولي المتوكل الخلافة ، ولي المتوكل ابنه محمد بن أحمد أبا الوليد القضاء ومظالم العسكر مكان أبيه ، ثم عزله عنها يوم الأربعاء لعشر بقين من صفر سنة أربعين ومائتين ، ووكل بضياعه وضياع أبيه .

ثم صولح على ألف ألف دينار ، وأشهد على ابن أبي دؤاد وابنه بشراء ضياعهم وَحَدَّرَهُمْ إِلَى بَغْدَاد ، وولي يحيى بن أكثم ما كان إلى ابن أبي دؤاد .

فكان المتوكل يمهد تمهيدات لضرب ابن دؤاد ، الى أن تم عزله في سنة ٢٣٧ ، وجاء بابن حنبل الى سامراء ، واتخذته مرجعاً .

قال ابن أحمد بن حنبل : « لما دخلنا إلى العسكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيف ، وإذا فارس قد أقبل فقال لأحمد : الأمير وصيف يقرؤك السلام ويقول لك : إن الله قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبل منك فلا تدع شيئاً إلا تكلمت به . » « تاريخ الذهبي : ١٨ / ١١٩ » .

وهذا يدل على أن وصيفاً اتفق مع المتوكل ، وكان مهتماً بأن تكثر الشكاية من ابن أبي دؤاد لتبرير عزله ، وإعلان مرجعية أعدائه القائلين بقدم القرآن والتشبيه .

احتفل المتوكل بمرجعية أحمد وإنزال رأس ابن نصر !

وكان عزل ابن دؤاد وتولية خصمه ابن أكثم ، وإنزال جثة ابن نصر ، ودعوة أحمد الى سامراء وإعلان مرجعيته . كل ذلك حول شهر رمضان سنة ٢٣٧ .

قال ابن كثير في النهاية « ١٠ / ٣٠٦ » : « ولم يزل رأسه منصوباً من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة ، أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فجمع بين رأسه وجهته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية عليه السلام . وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولي الخلافة بعد أخيه الواثق » .

وقال في النهاية « ١٠ / ٣٤٨ » : « وفي عيد الفطر منها « سنة ٢٣٧ » أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي ، والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ، وفرح الناس بذلك فرحاً شديداً ، واجتمع في جنازته خلق كثير جداً ، وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نعشه ، وكان يوماً مشهوداً . ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به ، وأرهج العامة بذلك فرحاً وسروراً ، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بردعهم عن تعاطي مثل هذا ، وعن المغالاة في البشر .

ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام ، والكف عن القول بخلق القرآن ، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير .

ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنوية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلعة سنوية من ملبسه فاستحيا منه أحمد كثيراً ، فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ، ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يبكي رحمه الله تعالى .

وارتفعت السُّنَّةُ جِداً في أيام المتوكل عفا الله عنه ، وكان لا يولي أحداً إلا بعد مشورة الإمام أحمد ، وكان ولاية يحيى بن أكثم قضاء القضاة موضع ابن أبي دؤاد عن مشورته ، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السنة وعلماء الناس ، ومن المعظمين للفقهِ والحديث واتباع الأثر .

أهم إنجازات مرجعية أحمد بن حنبل

كانت مدة مرجعية أحمد للدولة ثلاث سنوات ونصفاً ، لأن مجيئه الى سامراء في شهر رمضان سنة ٣٣٧ ، ووفاته في ربيع الثاني سنة ٣٤١ .

لكنها كانت مرجعية مؤثرة ، حيث حققت إنجازين كبيرين عند أصحابهما :

الأول : ترسيخ حزب الجسمة النواصب ، الذين كان يقودهم ابن صاعد ، وعرفوا بإسم الصاعديّة . وكانوا في زمن المتوكل وبعده تياراً متطرفاً .

ويظهر أنهم صاروا بعد ذلك مذهباً لهم آراؤهم التي تخالف المسلمين !

قال المقدسي في البدء والتاريخ « ١٤٩ / ٥ » : « وأما الصاعديّة فهم أصحاب ابن صاعد يجيزون خروج أنبياء بعد نبينا « ص » لأنه روي : لا نبيّ بعدي إلا ما شاء الله !

وهم مجسمة الحنابلة الذين يشكو منهم أهل بغداد وأئمة الحنابلة المعتدلون كابن الجوزي . وهم الأجداد الحقيقيون لابن تيمية واتباعه الوهابية .

والإنجاز الثاني : تأليف صحيح البخاري ، فقد كان البريد يصل من المتوكل في سامراء الى أحمد بن حنبل في بغداد كل يوم ، وكان البخاري مشغولاً بتأليف

كتابه ، وقد زار أحمد بن حنبل ثمان مرات ، وكان يسأله ويمدحه ، وكان تعيين جميع القضاة ومساعدات جميع المحدثين عن طريق أحمد بن حنبل .

وعندما أكمل البخاري صحيحه عرضه على أحمد فارتضاه ، وطلب منه أن يسكن بغداد ، فكان البخاري يتأسف لأنه لم يسمع كلامه ، ولم يأت الى بغداد .

قال الخطيب في تاريخ بغداد « ٢ / ٢٢ » : « محمد بن يوسف يقول : سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول : دخلت بغداد آخر ثمان مرات ، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل . فقال لي في آخر ماودعته : يا أبا عبد الله ، تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان ؟ قال أبو عبد الله : فأنا الآن أذكر قوله » .

وفي تعليق التعليق لابن حجر « ٥ / ٤٢٣ » : « قال العقيلي : لما ألف البخاري كتاب الصحيح عرضه على علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهم ، فاستحسنوه ، وشهدوا له بالصحة » .

محنة أحمد بن حنبل كذبة حنبلية !

١ . لن نستطيع أن تفهم نظرية عمر بن الخطاب بأن الله تعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف ، فقد قال بعض محبيه إنه حاول فهمها ثلاثين سنة وتوصل الى بضعة ثلاثين وجهاً ، لكن ليس منها وجهٌ معقول !

ولن نستطيع حتى لو كنت حنبلياً أن تفهم محنة ابن حنبل التي أحييت الدين ! وهي أنه سجن سنتين ، وضربوه ثمانية وثلاثين سوطاً ، فأحيا بذلك الدين !

قالوا : حبس هو وثلاثة ، فمات أحدهم في الطريق ، ومات الثاني في السجن بعد عشر سنين ، وقتل الثالث بعد سجنه بأكثر من عشر سنين ، وعفوا عن أحمد ، فأحيا الله الدين بمن أطلقوه ، وليس بمن قتلوه ، ولا بمن مات في السجن !

ولن تستطيع معرفة كيف صار ابن حنبل أعظم شخص في الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله !

قال أبو يعلى في طبقات الحنابلة « ١ / ١٣ و ٢٢٧ » : « قال علي بن المديني : أيد الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما : أبوبكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل في يوم المحنة ! ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قام أحمد بن حنبل . قال قلت له : يا أبا الحسن ولا أبوبكر الصديق ؟ قال : ولا أبوبكر الصديق ، لأن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب ، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب ! »

وقال ابن كثير في النهاية « ١٠ / ٣٦٩ » : « قال البخاري : لما ضرب أحمد بن حنبل كفا بالبصرة ، فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول : لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان أحدثه . وقال إسماعيل بن الخليل : لو كان أحمد في بني إسرائيل لكان نبياً . »

وصادروا لأحمد صفات أئمة الشيعة فقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي : « أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبيده في أرضه » ! « تاريخ بغداد : ٥ / ١٨٣ » .

٢ . قصة المحنة كما يسمونها : أن المأمون أمر بإرسال المحدثين الذين لم يقبلوا أن القرآن مخلوق ، إليه الى طرسوس ، فأرسلوا اليه من بغداد أربعة : أحمد بن حنبل ،

وأحمد بن نصر ، ومحمد بن نوح بن ميمون ، ونُعَيْم بن حماد . فمات المأمون وهم في الطريق فأرجعوهم الى بغداد . ومات محمد بن ميمون في الطريق .

وأحضر المعتصم أحمد بن حنبل وناظره وأطلق سراحه ، لأنه قال لهم : أنا أقول بقول أمير المؤمنين ! كما شهد بذلك المؤرخ الثبت ابن واضح اليعقوبي .

وبقي نُعَيْم بن حماد في السجن عشر سنوات حتى مات . وبقي أحمد بن نصر في السجن ثلاث عشرة سنة ، فأحضره الوثائق ابن المعتصم وقتله .

٣. ولكل واحد من هؤلاء الأربعة ، قصةٌ ومحكمةٌ ومناظرةٌ ، وأعظمهم بلاءً أحمد بن نصر ، حيث أصر على رأيه بأن القرآن غير مخلوق حتى قتله الوثائق بيده ! لكنهم أهملوه وبالغوا في محنة ابن حنبل ، وبالغ هو في الحديث عن « بطولته » في السجن وصموده تحت سياط الخليفة ، وتفوقه في مناظرته لقاضي قضاة المعتصم والوثائق . وروى لنفسه ورووا له الكرامات والمعجزات في المحنة !

قال المروزي في مسائل الإمام أحمد / ١٠٩ ، وابن كثير في النهاية ، ملخصاً « ١٠ / ٣٦٥ » : « وفي عام مائتين واثني عشر أعلن المأمون القول بخلق القرآن ، وفي عام ثمانين عشرة ومائتين رأى المأمون حمل الناس والعلماء والقضاة والمفتين على القول بخلق القرآن الكريم ، وكان آنذاك منشغلاً بغزو الروم ، فكتب إلى نائبه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن ، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فهددهم بالضرب وقطع الأرزاق ، فأجاب أكثرهم مكرهين ، واستمر على الإمتناع من

ذلك الإمام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، فحُملا على بعير وسُيِّرًا إلى الخليفة عن أمره بذلك ، وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد .

ولما اقتربا من طرسوس جاءهما الصريخ بموت المأمون ، فأعيدا إلى السجن ولبت فيه أحمد ثمانية وعشرين شهراً ، وقيل نيفاً وثلاثين شهراً .

وعقد المعتصم مجلساً واستدعى أحمد من السجن ، وأحضر الفقهاء فناظروه بحضرته ثلاثة أيام فغلبهم ، فحرضوا الخليفة عليه فقال له : لعنك الله ، طمعت فيك أن تجيبي فلم تجني ، ثم قال : خذوه واخلعوه واسحبوه .

قال أحمد : فأخذت وسُحبت ، وُخِلت وُجئ بالعُقَّابين « خشب يثيت به المضروب » والسياط وأنا أنظر ، فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له يعني المعتصم : شدّ قطع الله يديك ، ويجئ الآخر فيضربني سوطين . فذهب عقلي فلم أُحسّ بالضرب ، وأزعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت !

ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت ، وقد أطلقت الأقياد من رجلي ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين .

وتولى الخلافة ابنه الواثق ، وقد اشتد في عهده القول بخلق القرآن ، وقتل بيده أحمد بن نصر الخزاعي لعدم إقراره بخلق القرآن ، وكان الإمام أحمد في عهده معتقلاً في منزله ، وأرسل إليه الواثق كتاباً يأمره فيه أن لا يجتمع بالناس ، ولا يساكنه بأرض ولا مدينة هو فيها .

وقال أحمد في العلل « ١ / ٦٩ » : « وفي أثناء ذلك كله يتعطف به الخليفة « المعتصم » ويقول : يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وممن يطأ بساطي ، فيقول الإمام : يا أمير المؤمنين ، يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله حتى أجي بهم إليها . فلما لم يقيم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة ، فقالوا : يا أمير المؤمنين : هذا كافر ضال مضل . وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتي ، فعند ذلك حمي واشتد غضبه ، وكان أليهم عريكة وهو يظن أنهم على شيء .

قال الإمام أحمد : فعند ذلك قال لي : لعنك الله ، طمعت فيك أن تجييني ، ثم قال : خذوه واخلعوه واسحبوه . قال الإمام : فأخذت وسُحبت وُخِعت وجيء بالعُقَابَيْنِ والسياط وأنا أنظر ، وكان معي شعرات من شعر النبي مصرورة في ثوبي ، فجردوني منه وصرت بين العقابين ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، الله الله ، إن رسول الله قال : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث وتلوت الحديث ، وإن رسول الله قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم . فبم تستحل دمي ولم آت شيئاً من هذا ؟ يا أمير المؤمنين أذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك . فكأنه أمسك .

ثم لم يزالوا به يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر . فأمر بي فقامت بين العقابين وجيء بكرسي فأقامت عليه ، وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي

الخشبتيين فلم أفهم ، فتحلعت يداي ، وجئ بالضرابين ومعهم السياط ، فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له : يعني المعتصم : شد قطع الله يدك ، ويجئ الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك ، فضربوني أسواطاً فأغمي عليّ وذهب عقلي مراراً ، فإذا سكن الضرب يعود عليّ عقلي .

وقام المعتصم إليّ يدعوني إلى قولهم فلم أجبه ، وجعلوا يقولون : ويحك ، الخليفة على رأسك ، فلك إقبل ، وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه ، فأعادوا الضرب ثم جاء إليّ الثالثة ، فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب !

ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب . وأرعبه ذلك من أمري ، وأمرني فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت وقد أطلقت الأقياد من رجلي وكان ذلك في اليوم العشرين من رمضان ، سنة إحدى وعشرين ومأتين .

وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً . وقيل : ثمانين سوطاً ، ولكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً . ويقول أشاباض أحد الجلادين : ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً ، لو ضربته فيلاً لهدمته » .

٥ . تكفي الرواية المتقدمة لسجن أحمد وهي رواية أتباعه ، ليحكم الباحث بأن المعتصم أطلقه لأنه أقر له بأن القرآن مخلوق ، وتكرار أحمد لقوله : ذهب عقلي ، تبرير لإقراره لهم ، فهو يقول : لقد غبت عن الوعي ، ولم أدر ماذا قلت لهم !

وقال ابن كثير في النهاية « ١٠ / ٣٦٨ » : « ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله ، وكان جملة ما ضرب نيفاً وثلاثين سوطاً ، وقيل ثمانين سوطاً ، ولكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً . وقد كان الإمام أحمد رجلاً رقيقاً أسمر اللون » .

يقصد : كان أحمد أسمر نحيفاً نحيل الجسم ، لا يتحمل جسمه الضرب !

ونحن نشق بشهادة اليعقوبي المعاصر لأحمد ، قال في تاريخه « ٢ / ٤٧٢ » : « وامتنح المعتصم أحمد بن حنبل في خلق القرآن ، فقال أحمد : أنا رجل علمت علماً ، ولم أعلم فيه بهذا . فأحضر له الفقهاء ، وناظره عبد الرحمن بن إسحاق وغيره ، فامتنع أن يقول إن القرآن مخلوق ، فضرب عدة سياط ، فقال إسحاق بن إبراهيم : ولني يا أمير المؤمنين مناظرته ، فقال : شأنك به ! فقال إسحاق : هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك أو علمته من الرجال ؟ قال : بل علمته من الرجال . قال : شيئاً بعد شيء أو جملة ؟ قال : علمته شيئاً بعد شيء . قال : فبقي عليك شيء لم تعلمه ؟ قال : بقي عليّ . قال : فهذا مما لم تعلمه ، وقد علمكه أمير المؤمنين . قال : فإني أقول بقول أمير المؤمنين . قال : في خلق القرآن ؟ قال : في خلق القرآن ! فأشهد عليه وخلع عليه ، وأطلقه إلى منزله » .

كما نصت على ذلك شهادة الجاحظ المعاصر لأحمد ، وهو من الأشاعرة المتعصبين ضد الشيعة ، قال في رسائله « ٣ / ٢٩٢ » في مناقشته لأتباع أحمد : « فنحن لم نُكفّر إلا من أوسعناه حجة ، ولم نمتحن إلا أهل التهمة ، وليس كشف المتهم من التجسس ، ولا امتحان الظنين من هتك الأسرار . ولو كان كل كشف هتكاً وكل

امتحان تجسساً ، لكان القاضي أहतك الناس لستر ، وأشد الناس كشفاً لعورة .
والذين خالفوا في العرش إنما أرادوا نفي التشبيه فغلطوا ، والذين أنكروا أمر
الميزان إنما كرهوا أن تكون الأعمال أجساماً وأجراماً غلاظاً .

فإن كانوا قد أصابوا فلا سبيل عليهم ، وإن كان قد أخطأوا فإن خطأهم
لا يتجاوز بهم إلى الكفر . وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبیهة للخالق
بالمخلوق ، فبين المذهبين أبين الفرق . وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم يوم
جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخلصين ، إعداراً وإنذاراً : امتحتني وأنت
تعرف ما في المحنة ، وما فيها من الفتنة ، ثم امتحتني من بين جميع هذه الأمة !

قال المعتصم : أخطأت ، بل كذبت ، وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك ،
ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ، ولو لم يَحْفُك على الإسلام ما
عَرَض لك ، فسؤالي إياك عن نفسك ليس من المحنة ، ولا من طريق الإعتساف
ولا من طريق كشف العورة ، إذ كانت حالك هذه الحال وسبيلك هذه السبيل .

وقيل للمعتصم في ذلك المجلس : ألا تبعث إلى أصحابه حتى يشهدوا إقراره ،
ويعاينوا انقطاعه ، فينقض ذلك استبصارهم فلا يمكنه جحد ما أقر به عندهم ؟
فأبى أن يقبل ذلك وأنكره عليهم وقال : لا أريد أن أوتى بقوم إن اتهمتهم ميزت
فيهم بسيرتي فيهم ، وإن بان لي أمرهم أنفذت حكم الله فيهم ، وهم ما لم أوت
بهم كسائر الرعية ، وكغيرهم من عوام الأمة ، وما من شيء أحب إلي من الستر ،
ولا شيء أولى بي من الأناة والرفق ، وما زال به رفيقاً ، وعليه رقيقاً ، ويقول : لأن

أستحييك بحق أحب إلي من أن أقتلك بحق ! حتى رآه يعاند الحجة ، ويكذب صراحاً عند الجواب . وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحق وهو يراه : أن أحمد بن أبي دواد قال له : أليس لا شئ إلا قديم أو حديث ؟ قال : نعم . قال : أليس القرآن شيئاً ؟ قال : نعم . قال : أليس لا قديم إلا الله ؟ قال : نعم . قال : فالقرآن إذا حديث ؟ قال : ليس أنا متكلم . وكذلك كان يصنع في جميع مسأله ، حتى كان يجيبه في كل ما سأل عنه ، حتى إذا بلغ المخنق ، والموضع الذي إن قال فيه كلمة واحدة برئ منه صاحبه قال : ليس أنا متكلم !

فلا هو قال في أول الأمر : لا علم لي بالكلام ، ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة ، خضع للحق . فمقتته الخليفة وقال عند ذلك : أف لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة . وأما الموضع الذي واجه فيه الخليفة بالكذب ، والجماعة بالقحة وقلة الإكتراث وشدة التصميم ، فهو حين قال له أحمد بن أبي دواد : تزعم أن الله رب القرآن ؟ قال : لو سمعت أحداً يقول ذلك لقلت . قال : أفما سمعت ذلك قط من حالف ولا سائل ، ولا من قاص ، ولا في شعر ، ولا في حديث !

قال : فعرف الخليفة كذبه عند المسألة ، كما عرف عنوده عند الحجة .

وأحمد بن أبي دواد حفظك الله أعلم بهذا الكلام ، وبغيره من أجناس العلم ، من أن يجعل هذا الإستفهام مسألة ، ويعتمد عليها في مثل تلك الجماعة . ولكنه أراد أن يكشف لهم جرأته على الكذب ، كما كشف لهم جرأته في المعاندة . فعند ذلك ضربه الخليفة . وأية حجة لكم في امتحاننا إياكم ، وفي إكفارنا لكم .

وزعم يومئذ أن حكم كلام الله كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثاً ومخلوقاً ، فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقاً محدثاً .

فقال له : أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وأن يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟

قال : نعم . قال : فهل كان يجوز هذا في العلم ، وهل كان جائزاً أن يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره ؟ قال : ليس .

وقال له : روينا في تثبيت ما نقول الآثار ، وتلونا عليك الآية من الكتاب ، وأريناك الشاهد من النقول التي بهالزم الناس الفرائض ، وبها يفصلون بين الحق والباطل ، فعارضنا أنت الآن بواحدة من الثلاث .

فلم يكن ذلك عنده ، ولا استخذى من الكذب عليه في غير هذا المجلس ، لأن عدة من حضره أكثر من أن يطمع أحدا أن يكون الكذب يجوز عليه .

وقد كان صاحبكم هذا يقول : لا تقية إلا في دار الشرك . فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية ، فقد أعمل التقية في دار الإسلام ، وقد أكذب نفسه . وإن كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلستم منه ، وليس منكم . على أنه لم ير سيفاً مشهوراً ، ولا ضرب ضرباً كثيراً ، ولا ضرب إلا ثلاثين سوطاً مقطوعة الثمار ، مشعثة الأطراف ، حتى أفصح بالإقرار مراراً !

ولا كان في مجلس ضيق ، ولا كانت حاله حال مؤيسة ، ولا كان مثقلاً بالحديد ولا خلع قلبه بشدة الوعيد . ولقد كان ينازع بألين الكلام ، ويجيب بأغلظ الجواب ، ويرزنون ويخف ويحلمون ويطيّش .

وعبتم علينا إكفارنا إياكم ، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث ، وقلتم : تكفروننا على إنكار شيء يحتمله التأويل ويثبت بالأحاديث ، فقد ينبغي لكم أن لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن ، وأن لا تكفروا أحداً خالفكم في شيء ! وأنتم أسرع الناس إلى إكفارنا ، وإلى عداوتنا والنصب لنا .

أقول : هاتان شهادتان على أن أحمد لم يصمد أمام امتحان المعتصم ، إحداهما من اليعقوبي الثقة المثبت ، والثانية من الجاحظ وقد واجه بها الحنابلة فلم يردوها .

ويؤيد ذلك أن المسعودي قال إن المعتصم ضرب أحمد ليقول بخلق القرآن ، وكأنه قال به . **قال في مروج الذهب « ٣ / ٤٦٤ » :** « وفيها « سنة ٢١٩ » ضرب المعتصم أحمد بن حنبل ثمانية وثلاثين سوطاً ليقول بخلق القرآن » .

وروى ابن العمراني في الإنباء في تاريخ الخلفاء « ١ / ١٠٥ » أن أحمد استعطف المعتصم بأن خالد بن ابراهيم الشيباني من أنصار بني العباس ، قال : « وحين أحضره المعتصم بين يديه سلّم وتكلم بكلام أعجب الناس ، ثم قال في أثناء كلامه : يا أمير المؤمنين إن لآبائي سبقاً في هذه الدعوة ، فليسعني ما وسع أصحاب رسول الله من السكوت والرضا من جميعهم بأن القرآن كلام الله » . وهو يقصد أبا داود

خالد بن إبراهيم الذهلي . وكان نقيباً وليس من أجداد أحمد ، لكن حنبلاً وأولاده كانوا يتقربون به الى السلطة .

ويظهر أنهم أطلقوا أحمد ، لأنه أقر بما أرادوا وتشفع اليهم بالذهلي الذي يتقرب اليه أبوه حنبل . ولو أنه لم يقر لهم بخلق القرآن لم يطلق ، ولم يسمح له بالتحديث والإفتاء ! بل بقي في السجن مع نعيم بن حماد ، فقد بقي بعده في السجن عشر سنين حتى مات ، ودفنوه ولم يصلوا عليه !

قال في تاريخ بغداد « ١٣ / ٣١٥ » : « حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال : سنة تسع وعشرين ومائتين ، فيها مات نعيم بن حماد ، وكان مقيداً محبوساً لامتناعه من القول بخلق القرآن ، فجزَّ بأقياده فألقي في حفرة ، ولم يُكفن ولم يُصل عليه » .

أما زميله الآخر ابن نصر فبقي ثلاث عشرة سنة : « قال محمد بن إسحاق السراج : قتل أحمد بن نصر بن مالك يوم السبت غرة رمضان سنة إحدى وثلاثين . وأنزل رأسه وأنا حاضر ببغداد يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شوال سنة سبع وثلاثين ومائتين » . « تاريخ بغداد : ٥ / ٣٨٣ » .

٤ . زعم أحمد أنه كان معه سرُّ رباني نجَّاه من السجن والألم ! مع أنه قال إنه ضرب بضعاً وثلاثين سوطاً ، وأغمي عليه مرات من الألم ، أو من الخوف .

قال في العلل « ١ / ٧٣ » : « ثم قال : خذوه واخلعوه واسحبوه . فأخذتُ وسحبتُ وخُلعت وجيء بالعُقَابَيْن « خشبتان لشبث الجلود » والسياط ، وأنا أنظر ، وكان معي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وآله مصرورة في ثوبي ، فجردوني منه » .

وروى الذهبي في تاريخ « ١٠٦٣ / ٥ » عن حنبل قال : « أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال : هذه من شعر النبي ، فأوصى عند موته أن يجعل على كل عين شعرة ، وشعرة على لسانه . ففعل به ذلك عند موته » .

وقال في سيره « ٢١٢ / ١١ » : « عبد الله بن أحمد : رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي فيضعها على فيه يقبلها ، وأحسب أبي رأيتَه يضعها على عينه يغمسها في الماء ويشربه يستشفى به » .

أقول : الفضل بن الربيع كان حاجب المنصور ، وحسب قول أحمد إن بعض ولده أعطاه ثلاث شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وآله ، ولعله يقصد أحد أحفاده ، وكان له أولاد كثيرة موظفون في الدولة ، ولا يمكن إثبات صدق الذي أعطاه الشعرات ، وأنها من أثر النبي صلى الله عليه وآله !

أحاط ابن حنبل نفسه بهالة من المبالغات !

تجد في حديث أحمد عن نفسه ، وحديث أتباعه عنه ، كثيراً من المبالغة وغير المعقول ، فهو الذي أسس الغلو في شخصه ، وربى عليه تلاميذه وأولاده !

ويكفي مبالغته في كتابه المسند وقد اعتبره كله صحيحاً ، وقال إنه اختاره من مئات ألوف الأحاديث ، وأن ما لا يوجد فيه ، فهو غير صحيح !

قال الإمام الحنبلي أبو موسى المدني الأصفهاني المتوفى سنة ٥٨١ ، في كتابه خصائص مسند الإمام أحمد / ١٣ ، طبعة مكتبة التوبة بالرياض ١٤١٠ هجرية : « قال لنا حنبل

بن إسحاق : جمعنا عمي « أحمد » لي ولصالح ولعبد الله ، وقرأ علينا المسند وما سمعه منه يعني تاماً ، غيرنا ، وقال لنا : إن هذا الكتاب قد جمعته وأتقنته من أكثر من سبع مائة وخمسين ألفاً ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه ، فإن كان فيه ، وإلا فليس بحجة .

سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول : كتب أبي عشرة آلاف ألف حديث ، ولم يكتب سواداً في بياض إلا قد حفظه !

سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : قلت لأبي رحمه الله تعالى : لم كرهت وضع الكتب وقد عملت المسند ؟ فقال : عملت هذا الكتاب إماماً ، إذا اختلف الناس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجعوا إليه .

قال الشيخ الحافظ أبو موسى رحمه الله : ولم يخرج إلا عمّن ثبت عنده صدقه وديانته ، دون من طعن في أمانته .

قال أبو زرعة الرازي « تاريخ بغداد : ٥ / ١٨٥ » : « كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث ! فقيل له : وما يدريك ؟ قال : ذَاكِرْتُهُ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ الْأَبْوَابَ » .

فهو إذن ، يحفظ مليون حديث ، واختار منها سبع مائة وخمسين ألفاً ، ثم اختار منها الصحيح ، وهو مسنده الذي بلغت أحاديثه نحو ثلاثين ألفاً !

وهذا الكلام لا يوافق عليه أحد من المحدثين ، حتى علماء الحنابلة أنفسهم !

كما أن مسنده يستحيل أن يكون كله صحيحاً ، لكثرة المتناقضات فيه .

فإذا تجاوزنا كتابه ، وجدنا يغلو في شخصه ، وأولاده صالح وحنبل وعبد الله يغلون فيه ، وتلاميذه خاصة المروزي . وتبدأ مبالغتهم من طفولته ، ونسبه ، الى علمه ، وزهده في الدنيا ، وموته ، وقبره ، وأن الله تعالى ينزل ويور قبره !

قالوا عن أصل أحمد : جاءت أمه الى بغداد وهي حامله به

قالوا : كان حنبل جندياً في بخارى في زمن المنصور ، مع المسيب بن زهير ، وقد أدبه المسيب هو وإسحاق بن عيسى السعدي ، لأنهما حركا الجند للشغب ، فضربهما المسيب وحلق رأسيهما ، وقد يكون نفاه الى مرو ، أو رضي عليه وولاه سرخس ، لأنهم قالوا ولي سرخس ، وكان من أبناء الدعوة . « تاريخ بغداد : ٥ / ١٨١ » .

والصحيح أن حنبلاً أو غيره من أجداده لم يكونوا من أبناء الدعوة العباسية ، بل أحد أقاربهم المهذليين ، والمرجح أنه قريتهم بالتحالف أو الولاء .

وذكروا أن محمداً مات في مرو خراسان ، وخرجت زوجته وهي حامل بأحمد ، وجاءت الى بغداد فولدته . ولم يذكروا هل تزوجت بعد ذلك .

وقد تفرد ابن كثير فقال « النهاية : ١٠ / ٣٥٩ » : « قالوا : وقدم به أبوه من مرو وهو حمل فوضعت أمه ببغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه » .

مع أن أحمد نفسه قال إن أمه جاءت به وهو حمل في بطنها ، ولم يقل أحد غير ابن كثير إن أباه جاء به ! ولعله اخترع ذلك ليرفع المهانة عن إمامه أحمد !

لم يكن أحمد من شييان وقد يكون حليفهم

لم يدع أحمد طول عمره أنه من شييان ، فقد قال يحيى بن معين : « ما سمعت أحمد بن حنبل يقول : أنا من العرب قط .. محمد بن الفضل يقول : وضع أحمد بن حنبل عندي نفقته ، وكان يجيء في كل يوم فيأخذ منه حاجته ، فقلت له يوماً : يا أبا عبد الله ، بلغني أنك من العرب ، فقال : يا أبا النعمان نحن قوم مساكين ، فلم يزل يدافعني حتى خرج ولم يقل لي شيئاً » . « تهذيب الكمال : ١ / ٤٤٤ » .

لكن ابنه الصغير صالح كتب نسباً ، وقالوا رآه أبوه ولم ينكره . ولم يذكر صالح من أين أخذه ! قال ابن كثير في النهاية « ١٠ / ٣٥٩ » « وروي عن صالح بن الإمام أحمد قال : رأى أبي هذا النسب في كتاب لي فقال : وما تصنع به ؟ ولم ينكر النسب » .

وحرفوا كلام ابنه صالح ، فصار النسب في كتاب لأبيه ، قال الذهبي في سيره « ١١ / ١٧٨ » : « قال الحافظ أبو محمد بن أبي حاتم في كتاب مناقب أحمد : حدثنا صالح بن أحمد ، قال : وجدت في كتاب أبي نسبه ، فساقه إلى مازن ! »

والنسب كما في كتاب العلل « ١ / ٤٥ » : « أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شييان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » .

وقد تبناه الحنابلة ، وقال عنه المزي في تهذيب الكمال « ١ / ٤٤٣ » : « وهكذا قال أبو نصر بن ماکولا ، إلا أنه زاد بعد مازن : ابن زهل بن شييان بن زهل بن ثعلبة . وقال الحافظ أبوبکر الخطيب : قول عباس الدوري وأبي بكر بن أبي داود أن أحمد من بني زهل بن شييان غلط ، إنما كان من بني شييان بن زهل بن ثعلبة ، وزهل بن ثعلبة هذا هو عم زهل بن شييان .. وهذا هو زهل المسن الذي منه دغفل ابن حنظلة ، والقعقاع بن شور .. فينبغي أن يقال : أحمد بن حنبل الذهلي » .

ومع أنه لم يشهد بهذا النسب أحدٌ من خبراء الأنساب ، فقد اعتبره الحنابلة صحيحاً ، وافتخروا بأن إمامهم عربي ، في محيط يفتخر بالعرب ويحتقر الموالي !

أما قولهم إن حنبلاً كان من أبناء الدعوة العباسية ، فقد أخذوه من كلام أحمد المتقدم الذي استعطف به المعتصم ، كما في كتاب : الإنباء في تاريخ الخلفاء « ١ / ١٠٥ » لابن العمراني قال : « ثم قال في أثناء كلامه : يا أمير المؤمنين إن لآبائي سبقاً في هذه الدعوة فليسعني ما وسع أصحاب رسول الله من السكوت والرضا من جميعهم » .

وهو يقصد أبا داود خالد بن إبراهيم الذهلي الذي كان نقيباً ، وهو من فرع آخر ، وليس من أجداد أحمد ، وإن افتخر به حنبل .

كان جده حنبل معجداً مشاغياً

قالوا إن جده حنبلاً كان معجداً في بخارى ، وكان مشاغياً فأدبه قائده . وقالوا إنه صار والي سرخس ، ولم أجد مؤشراً على صحة هذا القول ، فلو ترقى وصار والياً على محافظة مهمة في خراسان كسرخس ، فلماذا كان ابنه محمد في مَرُو فقيراً ؟

قال في تاريخ بغداد « ١٨١ / ٥ » : « وجده حنبل بن هلال ولي سرخس ، وكان من أبناء الدعوة . فسمعت إسحاق بن يونس صاحب ابن المبارك يقول : ضرب حنبل بن هلال وأبا النجم إسحاق بن عيسى السعدي المسيب بن زهير الضبي بينخارى ، في دسهم إلى الجند في الشغب ، وحلقهما » .

وقلنا إن الذي كان من أبناء الدعوة وتقرب به أحمد إلى العباسيين ، هو خالد بن إبراهيم الشيباني ، وهو بحسب النسب الذي ادعوه لأحمد من أعمام آبائه :

قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب / ٣١٩ : « ومن بني عمرو بن شيان بن ذهل بن ثعلبة : أبوداود خالد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن قعبل بن الحارث ، أحد النقباء لبني العباس ، وهو ولي خراسان بعد أبي مسلم . ومنهم : دغفل النسابة ، وهو دغفل بن حنظلة بن يزيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيان بن ذهل بن ثعلبة . والقعقاع بن شور ومطير بن القعقاع بن شور ، حكم بجهة الموصل . والفقيه الجليل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيان بن ذهل بن ثعلبة ، وابناه : عبد الله قاضي حمص ، وصالح قاضي الثغر وابن ابنه : زهير بن صالح ، محدث . وابن أخيه محمد بن أحمد بن صالح ، محدث » .

فالنقيب أبو داود الذهلي ، كان قائداً عند أبي مسلم ، قال ابن خلدون « ١٢٤ / ٣ » : « ثم بعث أبو مسلم كعباً من النقباء إلى أبيورد فافتتحها ، ثم أبا داود خالد بن إبراهيم من النقباء إلى بلخ ، وبها زياد بن عبد الرحمن القشيري ، فجمع له أهل بلخ

وترمذ وجند طخارستان ، ونزل الجوزجان ولقيهم أبوداود فهزمهم ، وملك مدينة بلخ . وقال في أنساب الأشراف « ٢٢٨ / ٤ » : « لما مات أبوداود خالد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن قعبل بن ثابت بن سالم بن حذلم بن الحارث بن عمرو بن سالم بن الحارث بن عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة ، كتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن بن سليم بولاية خراسان ، ثم عزله بعد أربعين يوماً » .

والنتيجة : أن أحمد لم يقل يوماً إنه عربي ، لكن أولاده قالوا ذلك لحاجتهم اليه بعد أن صار أبوهم أحمد مشهوراً . ونسبه الذي ذكره لا يوجب الإطمئنان ، ولا ينطبق على ما رووه عن جده حنبل ، إلا أن يكون حنبل حليفاً لهلال بن أسد وليس ابنه ، أو كان أصله من تميم ، وهو يخفيه لأنه من أولاد حرقوص بن زهير .

قال علماء : إن أحمد من ذرية حرقوص رأس الخوارج ؟

ألف الطبري المؤرخ كتاباً في إثبات سند حديث الغدير ، سماه : الرد على الحرقوصية ، وهو يقصد الحنابلة .

وقد تكون تسميته لهم بالحرقوصية لأن إمامهم ابن حنبل من ذرية رئيس الخوارج حرقوص بن زهير ، أو لأنهم نواصب كالخوارج أتباع حرقوص .

وقد اختار المستشرق كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي « ٥٠ / ٣ » في تفسير إسم : الرد على الحرقوصية ، أن الحرقوصية هم الحنابلة ، وأن الطبري سماهم بذلك ، لأن أحمد بن حنبل من أولاد زهير بن حرقوص !

وقال السيد ابن طاوس رحمته الله في الإقبال / ٤٥٣ : « من ذلك ما رواه محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ الكبير ، صنفه وسماه كتاب الرد على الحرقوصية ، روى فيه حديث الغدير وما نص النبي صلى الله عليه وآله على علي بالولاية والمقام الكبير ، وروى ذلك من خمس وسبعين طريقاً » .

وقال في الطوائف / ٣٨ : « ورأيت في بعض ما صنفه الطبري في صحة خبر يوم الغدير أن إسم الكتاب : الرد على الحرقوصية ، يعني الحنبلية ، لأن أحمد بن حنبل من ولد حرقوص بن زهير الخارجي ، وقيل : إنما سماه الطبري بهذا الإسم ، لأن البر بهاري الحنبلي تعرض للطعن في شيء مما يتعلق بخبر يوم غدير خم » .

وجزم به الصدوق في علل الشرائع « ٢ / ٤٦٧ » فروى عن إبراهيم بن سفيان : « إنما كانت عداوة أحمد بن حنبل مع علي بن أبي طالب عليه السلام أن جده ذا الندية قتله علي بن أبي طالب يوم النهروان ، وكان رئيس الخوارج » . ونحوه المناقب « ٣ / ٢١ و ٢٢٠ » .

وذكر النجاشي الرجالي المعروف / ٣٢٢ ، كتاب الرد على الحرقوصية ، قال : « محمد بن جرير أبو جعفر الطبري عامي ، له كتاب الرد على الحرقوصية ، ذكر طرق خبر يوم الغدير ، أخبرنا القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن مخلد قال : حدثنا أبي قال : حدثنا محمد بن جرير بكتابه الرد على الحرقوصية » .

وعليه ، لا بد أن يكون انتساب جده حنبل الى بني شيبان بالتحالف ، تهرباً من نسبه الى حرقوص التميمي ذي الندية ، لأنه نسبٌ منفورٌ عند جميع المسلمين !

كانت الفارسية اللغة الأم لأحمد بن حنبل

وذلك لأن أمه فارسية من مَرُو ، وعاش في بغداد بين المَرُوين الخراسانيين ، فقد روى الذهبي في سيره « ١١ / ٢١٨ » عن حفيده زهير بن صالح ، قال : « وسأل « أحمد » ابن خالته عمن بقي من أهلها بخراسان ، في خلال الأكل ، فرمما استعجم عليه فيكلمه جدي بالفارسية ، ويضع اللحم بين يديه وبين يدي » .

ومما يشير الى محيطه الفارسي قول تلميذه المروزي في : الرد على الجهمية / ٤٧ : « كان أبو عبد الله لا يلحن في الكلام ، قال : وأخبرت أنه لما نواظر بين يدي الخليفة لم يتعلق عليه بلحن .. وقال لي ابن أبي حسان الوراق : طلب مني أبو عبد الله وهو في السجن كتاب حمزة في العربية ، فدفعته إليه فنظر فيه قبل أن يُمتحن » .

سبب تناقض ابن حنبل في موقفه من أهل البيت عليهم السلام

يوجد تناقض في أحاديث ابن حنبل وأقواله في أهل البيت النبوي عليهم السلام ! ولا نجد سبباً لذلك إلا الجو السياسي الذي كان يميل اليهم في زمن المأمون والمعتصم والواثق ، ثم صار جواً معادياً لهم في زمن المتوكل !

ففي طبقات الحنابلة « ١ / ٣٢٠ » : « سمعت محمد بن منصور يقول : كنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل : يا أبا عبد الله ، ما تقول في هذا الحديث الذي يروى أن علياً قال : أنا قسيم النار ؟ فقال : وما تنكرون من ذا ، أليس رويناه أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي : لا يجبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ؟ قلنا : بلى . قال : فأين المؤمن ؟ قلنا في الجنة . قال : وأين المنافق ؟ قلنا : في النار . قال : فعلي قسيم النار » .

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي « ٢٥٧ / ١ » : « وحكى جدي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلى بن الفراء في كتابه المعتمد في الأصول ، بإسناده الى صالح بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي إن قوماً ينسبوننا الى توالي يزيد ؟ فقال يا بني ، وهل يتوالى يزيد أحد يؤمن بالله ؟ فقلت : فلم لاتلعه ؟ فقال : وهل رأيتني لعنت شيئاً يا بني ، لم لا تلعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقلت : وأين لعن الله يزيد في كتابه ؟ فقال في قوله تعالى : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . فهل يكون فساد أعظم من القتل » .
والمسائل والرسائل المروية عن أحمد : ١ / ٤١٠ ، والصواعق المحرقة / ٢٢٢ .

وقال ابن حجر في فتح الباري « ٨١ / ٧ » : « أخرج ابن الجوزي أيضاً من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية ؟ فأطرق ثم قال : أعلم أن علياً كان كثير الأعداء ، ففتش أعداؤه له عيباً فلم يجدوا ، فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه ، كياداً منهم لعلي ! فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له ! وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة ، لكن ليس فيها ما يصح من طريق الإسناد . وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما » .

وفي مناقب آل أبي طالب « ٢٢٥ / ١ » : « وسأل المعتصم أحمد بن حنبل : كان أبو بكر أفضل الصحابة أم علي ؟ قال : أبو بكر أفضل الصحابة وعلي أفضل أهل البيت ، قال : أترجح ابن العم على العم ؟ قال : إن حمزة والعباس قالوا ذلك لرسول الله يوم أمر بسد الأبواب » .

أقول : كان كلام ابن حنبل في تفضيل علي وأهل البيت عليهم السلام وفي ذم معاوية ويزيد وبني أمية ، قبل أن يؤسس المتوكل حزب أهل الحديث والأثر ، ويجعله إماماً لهم ، ويتبنى بغض علي عليه السلام وحب معاوية وأحاديث التشبيه والرؤية !

أما بعد ذلك ، فصار مذهب ابن حنبل مدح بني أمية ، وبغض عليّ لكن قليلاً ، وانتبه أن لا تبغضه كثيراً فتخرج عن السنة !

روى البياضي في الصراط المستقيم « ٣ / ٢٢٤ » : « قال أحمد : لا يكون الرجل سنياً حتى يبغض علياً قليلاً » . وفي علل الشرائع « ٢ / ٤٦٨ » : « سمعت علي بن خشرم يقول كنت في مجلس أحمد بن حنبل فجرى ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : لا يكون الرجل سنياً حتى يبغض علياً قليلاً ! قال علي بن خشرم : فقلت لا يكون الرجل سنياً حتى يجبه كثيراً . وفي غير هذه الحكاية قال علي بن خشرم : فضربوني وطرودوني ! »

من غلو الحنابلة ومبالغاتهم في إمامهم وأنفسهم

ملك (بحري) يبشر أحمد :

في تاريخ بغداد « ٥ / ١٨٦ » : « حدثنا سلمة بن شبيب قال : كنا عند أحمد بن حنبل فجاءه رجل فدق الباب ، وكنا قد دخلنا عليه خفياً ، فظننا أنه قد غمز بنا ، فدق ثانية وثالثة ، فقال أحمد : أدخل . قال : فدخل فسلم وقال : أيكم أحمد ؟ فأشار بعضنا إليه ، قال : جئت إلى البحر من مسيرة أربع مائة فرسخ ، أتاني آتٍ في منامي فقال : إئت أحمد بن حنبل وسل عنه فإنك تُدل عليه ، وقل له : إن الله

عنك راض وملائكة سماواته عنك راضون ، وملائكة أرضه عنك راضون .
قال : ثم خرج فما سأله عن حديث ولا مسألة .

أحمد حجة الله في أرضه :

في النهاية لابن كثير « ١٠ / ٣٧٠ » : « قال لي علي بن المديني بعدما امتحن أحمد وقيل قبل أن يمتحن : يا ميمون ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل . فعجبت من هذا عجباً شديداً ، وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة علي بن المديني فقال : صدق ، إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً ، وإن أحمد بن حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان . ثم أخذ أبو عبيد يطري أحمد ويقول : لست أعلم في الإسلام مثله .

وقال إسحاق بن راهويه : أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه . وقال علي بن المديني : إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان .

وقال أيضاً : إني اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ، ثم قال : ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله .

فقد أحمد كفقد النبي صلى الله عليه وسلم :

قال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٢٠ » : « كانت وفاة أحمد بن حنبل في خلافة المتوكل بمدينة السلام ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، ودفن بباب حرب في الجانب الغربي ، وصلى عليه محمد بن طاهر ، وحضر جنازته خلق من الناس لم يُرَ مثل ذلك اليوم والجمع في جنازة من سلف قبله ،

وكان للعامّة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الأمور : منها أن رجلاً منهم كان ينادي : إلعنوا الواقف عند الشبهات ، وهذا بالضد عما جاء عن صاحب الشريعة عليه السلام في ذلك . وكان عظيم من عظمائهم ومقدم فيهم يقف موقفاً بعد موقف أمام الجنازة وينادي بأعلى صوته :

وأظلمت الدنيا لفقده محمد وأظلمت الدنيا لفقده ابن حنبل

يريد بذلك أن الدنيا أظلمت عند وفاة محمد عليه السلام ، وأنها أظلمت عند موت ابن حنبل ، كظلمتها عند موت الرسول صلى الله عليه وآله .

من لم يحبه فليس بسني :

في تاريخ دمشق « ٢٩٣ / ٥ » : « سمعت ابن أبي حاتم يقول سمعت أبي يقول : إذا رأيتم الرجل يحب أحمد بن حنبل ، فاعلموا أنه صاحب سنة » .

أجاب في سبعة أيام عن سبعين ألف مسألة :

في طبقات الحنابلة « ١٢ / ١ » : « وقال إسماعيل بن حرب : أحصي ما رد أحمد بن حنبل حين جيء به إلى العسكر ، فإذا هو سبعون ألفاً » .

أي بلغ عدد المسائل التي أجاب عليها في سامراء سبعين ألف مسألة ، وقد بقي فيها نحو أسبوع ! فيكون أجاب في اليوم عن عشرة آلاف !

أحمد يزوره الله في قبره :

في مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي / ٤٥٤ : « حدثني أبوبكر بن مكارم بن أبي يعلى الحرابي ، وكان شيخاً صالحاً قال : كان قد جاء في بعض السنين مطراً كثيراً جداً قبل دخول رمضان بأيام ، فتمت ليلة في رمضان فأريت في منامي كأنني قد جئت على

عادي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره ، فرأيت قبره قد التصق بالأرض حتى بقي بينه وبين الأرض مقدار ساف أو سافين ، فقلت : إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث ! فسمعت من القبر وهو يقول : لا ، بل هذا من هيبة الحق عز وجل لأنه عز وجل قد زارني ! فسألته عن سر زيارته إياي في كل عام فقال عز وجل : يا أحمد ، لأنك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحارب . فأقبلت على لحده أقبله ثم قلت : يا سيدي ما السر في أنه لا يقبل قبر إلا قبرك ؟ فقال لي : يا بني ، ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله ! لأن معي شعرات من شعره ! ألا ومن يجني يزورني في شهر رمضان . قال ذلك مرتين !

هكذا هكذا ، وإلا فلا ، لا :

قال ابن عربي في الفتوحات « ١ / ٢٤٧ » : « زوي عن الإمام أحمد بن حنبل ، المتبع ، المقتدي ، سيد وقته ، في تركه أكل البطيخ ، لأنه ما ثبت عنده كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه وآله ! فدل ذلك على قوة اتباعه كيفيات أحوال الرسول صلى الله عليه وآله في حركاته وسكناته ، وجميع أفعاله وأحواله . وإنما عرف هذا منه ، لأنه كان في مقام الوراثة في التبليغ والإرشاد ، بالقول والعمل والحال ، لأن ذلك أمكن في نفس السامع فهو « أي ابن حنبل » وأمثاله ، حفاظ الشريعة على هذه الأمة » .

وقال في الفتوحات « ٤ / ٤٥٧ » : « ولقد بلغني عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه ما أكل البطيخ ، ف قيل له في ذلك فقال : ما بلغني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكله ! فلما لم تبلغ إليه الكيفية في ذلك تركه . وبمثل هذا تقدم علماء هذه

الأمة على سائر علماء الأمم . هكذا هكذا ، وإلا فلا ، لا . فهذا الإمام علم وتحقق معنى قوله تعالى عن نبيه : **فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ .** وقوله : **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ! ونحوه في الفتوحات « ٤ / ٨٤ » .

أقول : هذا استحماز للناس ! بأن هذا الإمام أحمد كان ملتزماً حرفياً بـ « سنة » النبي ﷺ حتى في تفاصيل المستحبات والمباحات ! وأنه بلغ من تقواه أنه لم يأكل البطيخ لأنه يريد أن يقتدي فيه برسول الله ﷺ ، وحيث لم يبلغه كيف كان يأكله ، فقد تركه !

ثم افتخر ابن عربي بفعله وقال : هكذا هكذا ، وإلا فلا ، لا . أي هكذا فليكن التدين والإقتداء برسول الله ﷺ ، وإلا فلا !

وعلى هذا يجب على ابن حنبل وابن عربي وتلاميذهم ، أن يتركوا أكثر الأعمال والتصرفات من أكل وشرب ورواح ومجئ ونوم ويقظة وتعلم وتعليم ، إلا ما ثبت لهم فيه السنة وفي تفاصيله ، فيقتدوا به !

هذا ، وفي تاريخ بغداد « ٥ / ١٨٧ » أن أحمد مات سنة ٢٤١ ، وعمره سبع وسبعون سنة .

* *

الإمام الهادي عليه السلام ينقض مذهب أحمد والمتوكل

المأمون عالمُ الخلفاء والمتوكل من جهالهم

اتفق المؤرخون على أن المأمون أعلم الخلفاء العباسيين والأمويين . وقد ورد وصفه في حديث اللوح الذي أهده الله تعالى إلى الزهراء عليها السلام ، وفيه أسماء الأئمة من أبنائها عليها السلام ، فقال عن الثامن منهم : « يقتله عفريت مستكبر ، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح « ذوالقرنين » إلى جنب شر خلقي . حقَّ القولُ مني لأسرَّتُهُ بمحمد ابنه ، وخليفته من بعده ووارث علمه » . « الكافي : ١ / ٥٢٧ » .

أما مسألة أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، فأخذها المأمون من متكلمي المسلمين قبله ، ورفعها شعاراً فقال : من قال إنه غير مخلوق فمعناه أنه قديمٌ مع الله تعالى فيكون شريكاً لله ، أو يكون كلام الله جزءاً منه فيكون الله مركباً . وهذا يخالف قوله تعالى : **وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ .**

وبدأ المأمون في سنة ٢١٢ بامتحان العلماء والمحدثين ، فكان يجلس من لم يقل إن القرآن مخلوق ، ويُجرَّم عليه أن يكون قاضياً ، أو موظفاً في الدولة .

واستمر الإمتحان عشرين سنة في زمن المأمون والمعتصم والواثق ، حتى تولى المتوكل سنة ٢٣٢ فأوقفه ، وتعصب للرأي الآخر ، وقال إن القرآن قديمٌ غير مخلوق ، وتبنى أحاديث رؤية الله تعالى بالعين .

وقد اتفق المؤرخون على أن المتوكل لم يكن له بضاعة من العلم ، وأنه كان يتزيبا بزبي المختشين فحبسه أخوه الوثائق ليمنعه من التخنث . ولم يدع ولا ادعى له أحداً أنه كان عالماً ، وأنه اختار مذهباً بموازن علمية ، بل كان يعيش في مجتمع فيه صراع بن اتجاهين : اتجاه يؤكد على تنزيه الله تعالى عن الجسم والشبيه ، ويقول بفضائل أهل البيت عليه السلام ، واتجاه يميل الى التجسيم ، ويكره أهل البيت النبوي بشكل صريح أو مبطن ، فتبنى هذا الإتجاه .

ومن الظواهر العجيبة أن القول بالتشبيه توأم دائماً مع عداوة أهل البيت عليه السلام . فأينما وجدت مجسماً فهو ناصبي ، وأينما وجدت ناصبياً فهو مجسّم أو مُشبه ! لذلك يترجح عندنا أن المتوكل كان مبغضاً لعلي عليه السلام من نشأته ، وعندما صار خليفة تجمع عليه أشكاله فعلموه التشبيه وأحاديث رؤية الله تعالى بالعين !

جواب أهل البيت عليه السلام على مقولة خلق القرآن

كان موقف الأئمة عليه السلام النهي عن الإنشغال بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق .

فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام قبل المأمون بخمسين سنة : « يا ابن رسول الله ، ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله ، وقول الله ، وكتاب الله ، ووحى الله وتنزيله وهو الكتاب العزيز الذي : **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** » . « أمالي الصدوق / ٦٣٨ » .

وسئل الإمام الكاظم عليه السلام : « يا ابن رسول الله ، ما تقول في القرآن ، فقد اختلف فيه من قبلنا ، فقال قوم إنه مخلوق ، وقال قوم إنه غير مخلوق ؟ فقال عليه السلام : أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون ، ولكني أقول إنه كلام الله عز وجل » . « أمالي الصدوق / ٦٤٧ » .

وكذلك موقف الإمام الرضا عليه السلام وهو معاصر للمأمون ، ففي أمالي الصدوق / ٦٣٩ : « عن الحسين بن خالد ، قال : قلت للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله ، أخبرني عن القرآن ، أخالق أو مخلوق ؟ فقال : ليس بخالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله » .

الإمام الهادي عليه السلام يشرح مسألة خلق القرآن

وعندما تفاقمت مقولة القرآن مخلوق في زمن الإمام الهادي عليه السلام كتب الى بعض شيعته ببغداد : « بسم الله الرحمن الرحيم ، عصمنا الله وإياك من الفتنة ، فإن يفعل فأعظم بما نعمة ، وإلا يفعل فهي الهلكة . نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب ، فتعاطى السائل ما ليس له ، وتكلف المجيب ما ليس عليه . وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق ، والقرآن كلام الله . لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين . جعلنا الله وإياك من الذين يحشون رهم بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون » . « أمالي الصدوق / ٦٣٩ » .

فقد أعطى الإمام عليه السلام القاعدة بأن كل ما سوى الله تعالى مخلوق ، لكنه منع من وصف كلامه تعالى بأنه مخلوق ، حتى لا يتسرب الى الذهن حدوث للمتكلم .

ومعنى قوله عليه السلام : تكلف المجيب ما ليس عليه : أنه أجاب بغير علم وهو لا يعرف مفهوم وجود القرآن ، ولا مفهوم المخلوق وغير المخلوق .

وأما قوله عليه السلام : فتعاطى السائل ما ليس له ، فقد يشكل عليه بأنه كيف يصح المنع من السؤال ، وتقسيم المسائل الى ما ينبغي طرحه وما لا ينبغي .

والجواب : لأنه لا يصح السؤال إلا إذا كان واضحاً محدداً ، وهذا في مسألتنا يتوقف على فهم السائل لمعنى القرآن ومعنى الخلق ، وإلا فلا يحق له السؤال .

والسائل في نظر الإمام عليه السلام لا يفقه معنى القرآن ، وأنواع وجوده ، قبل نزوله الى جبرئيل ، ثم نزول جبرئيل به الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم عندنا ، الى أن يتجسد بصورة إنسان في يوم القيامة !

أما معنى الخلق فالسائل أشد جهلاً به ، فهو أنواع ، ونحن لا نعرف كيفية خلق المطر وتكوين ذراته الأولى مع أنه يتم أمام أعيننا . ولا كيفية خلق أنفسنا من عدم ولا كيفية تسويتها بعد ذلك ولا القوى التي سواها الله بها ، وأقسم بها !

وما دام السائل لا يفقه جوهر سؤاله ولا مغزاه ، فهو يتعاطى أمراً لا يفقهه ، ولا يعرف لغته التي تستعمل فيه ، فيفرض ألفاظه على الموضوع ، كالذي يسأل عن مسألة رياضية معقدة بألفاظ عامية ، لا تصلح للتعبير عنها .

قال الشريف المرتضى في رسائله « ١ / ١٥٢ » : « وسأل أحسن الله توفيقه عن القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟ الجواب ، وبالله التوفيق : إن القرآن مُحدثٌ لا محالة ، وأمارات الحدث في الكلام أبين وأظهر منها في الأجسام وكثير من الأعراض ، لأن الكلام يعلم تجرده بالإدراك ، ونقيضه بفقد الإدراك ، والمتجدد لا يكون إلا محدثاً ، والنقيض لا يكون قديماً ، وما ليس بقديم وهو موجود محدث ، فكيف لا

يكون القرآن محدثاً وله أول وآخر .. وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه محدث
مصرحاً غير ملوح ، ولا يجوز أن يصفه بغير ما يستحقه من الأوصاف .

فأما الوصف للقرآن بأنه مخلوق ، فالواجب الإمتناع منه والعدل عن إطلاقه ،
لأن اللغة العربية تقتضي فيما وصف من الكلام بأنه مخلوق أو مختلق أنه مكذوب
مضاف إلى غير فاعله ، ولهذا قال الله عز وجل : إن هذا إلا اختلاق . وتخلقون إفكاً .
ولا فرق بين قول العربي لغيره كذبت ، وبين قوله خلقت كلامك واختلقته .

وقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام في هذا المعنى أخبار كثيرة تمنع من وصف القرآن بأنه
مخلوق ، وأنهم عليهم السلام قالوا : لا خالق ولا مخلوق .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في قصة التحكيم : إنني ما حكمت مخلوقاً
وإنما حكمت كتاب الله عز وجل . ويشبهه أن يكون الوجه في منع أئمتنا عليهم السلام من
وصف القرآن بأنه مخلوق ما ذكرناه ، وإن لم يصرحوا عليهم السلام به .

وقال الشيخ الطوسي في كتابه الخلاف « ٦ / ١١٩ » : « كلام الله تعالى : فعله ، وهو
محدث ، وامتنع أصحابنا من تسميته بأنه مخلوق لما فيه من الإيهام بكونه منحولاً .
وقال أكثر المعتزلة إنه مخلوق ، وفيهم من منع من تسميته بذلك ، وهو قول أبي
عبد الله البصري وغيره . وقال أبوحنيفة وأبيوسف ومحمد : إنه مخلوق . قال
محمد : وبه قال أهل المدينة . قال الساجي : ما قال به أحد من أهل المدينة .

قال أبيوسف : أول من قال بأن القرآن مخلوق أبوحنيفة . قال سعيد بن سالم :
لقيت إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة في دار المأمون ، فقال : إن القرآن مخلوق هذا

ديني ودين أبي وجددي . وروي عن جماعة من الصحابة الإمتناع من تسميته بأنه مخلوق . وبه قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فإنه سئل عن القرآن فقال : لا خالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله ، وبه قال أهل الحجاز ..

ولم يُرَوَّ عن واحد من هؤلاء أنه قال : القرآن قديم ، أو كلام الله قديم . وأول من قال بذلك الأشعري ومن تبعه على مذهبه ، ومن الفقهاء من ذهب مذهبه .

دليلنا على ما قلناه : ما ذكرناه في الكتاب في الأصول ليس هذا موضعها ، فمنها قوله : **مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ** ، فسماه محدثاً . وقال : **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** ، وقال : **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ** . فسماه عربياً والعريية محدثة . وقال : **نَزَّلْنَا الذِّكْرَ** ، وقال : **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ** ، فوصفه بالتنزيل . وهذه كلها صفات المحدث . ومن وصفه بالقدم فقد أثبت مع الله تعالى قديماً آخر !

الإمام الهادي عليه السلام يوضح أصول التوحيد

١. ردَّ الإمام عليه السلام ما نسبته المجسمة الى رسول الله صلى الله عليه وآله من أحاديث عن رؤية الله تعالى بالعين . قال أحمد بن إسحاق الأشعري وهو من كبار علماء قم : « كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب : لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواءٌ ينفذه البصر ، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية ، وكان في ذلك الإشتباه ، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الإشتباه ، وكان ذلك التشبيه . لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات » . « الكافي : ١ / ٩٧ » .

٢. في الإحتجاج « ٢ / ٢٥٠ » : « سئل أبو الحسن عليه السلام عن التوحيد فقيل له : لم يزل الله وحده لا شئ معه ثم خلق الأشياء بديعاً ، واختار لنفسه الأسماء ، ولم تنزل الأسماء والحروف له معه قديمة ؟

فكتب : لم يزل الله موجوداً ثم كَوَّنَ ما أراد ، لا راداً لقضائه ولا مُعقِبَ لحكمه ، تاهت أوهام المتوهمين ، وقصر طُرْفُ الطارفين ، وتلاشت أوصاف الواصفين ، واضمحلت أقاويل المبطلين ، عن الدَّرِكِ لعجيب شأنه ، أو الوقوع بالبلوغ على غُلُوِّ مكانه ، فهو بالموضع الذي لا يتناهى ، وبالمكان الذي لم تقع عليه عيون بإشارة ولا عبارة . هيهات هيهات !

٣. وفي التوحيد للصدوق / ٦١ : « عن الفتح بن يزيد الجرجاني ، قال : لقيته عليه السلام على الطريق عند منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق فسمعتة يقول : من اتقى الله يُتقى ، ومن أطاع الله يطاع . فتلطفت في الوصول إليه فوصلت فسلمت فرد علي السلام ، ثم قال : يا فتح من أرضى الخالق لم يبالي بسخط المخلوق ، ومن أسخط الخالق فَقَمِنُ أن يُسلط عليه سخط المخلوق ، وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار عن الإحاطة به . جلَّ عما وصفه الواصفون ، وتعالى عما ينعتة الناعتون ، نأى في قربه ، وقرب في نأيه ، فهو في بُعد قربه ، وفي قربه بعيد ، كيف كيف فلا يقال له : كيف . وأيُّن الأيُنَ فلا يقال له أين ، إذ هو مبدع الكيفوية والأينونية .

يا فتح : كل جسم مُعَدَّى بغذاء إلا الخالق الرزاق ، فإنه جَسَمَ الأجسام ، وهو ليس بجسم ولا صورة ، لم يتجزأ ، ولم يتناه ، ولم يتزايد ، ولم يتناقص ، مبرأً من ذات ، ما رُكِبَ في ذاتٍ من جسمه .

وهو اللطيف الخبير ، السميع البصير ، الواحد الأحد الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، منشىء الأشياء ، ومجسم الأجسام ، ومصور الصور .

لو كان كما يقول المشبهة ، لم يعرف الخالق من المخلوق ، ولا الرزاق من المرزوق ، ولا المنشئ من المنشأ ، لكنه المنشئ ، فرق بين من جَسَمَهُ وصَوَّرَهُ وشَيَّأَهُ وبَيَّنَّهُ ، إذ كان لا يشبهه شيء .

قلت : فالله واحد والإنسان واحد ، فليس قد تشابحت الوحدانية ؟

فقال : أَحَلَّتْ ثبَتَكَ اللهُ ، إنما التشبيه في المعاني ، فأما في الأسماء فهي واحدة ، وهي دلالة على المسمى ، وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد ، فإنه يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين ، والإنسان نفسه ليس بواحد ، لأن أعضائه مختلفة ، وألوانه مختلفة غير واحدة ، وهو أجزاء مجزأة ليس سواء ، دمه غير لحمه ، ولحمه غير دمه ، وعصبه غير عروقه ، وشعره غير بشره ، وسواده غير بياضه ، وكذلك سائر جميع الخلق ، فالإنسان واحد في الإسم ، لا واحد في المعنى ، والله جل جلاله واحد لا واحد غيره ، ولا اختلاف فيه ، ولا تفاوت ، ولا زيادة ، ولا نقصان .

فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف ، فمن أجزاء مختلفة وجواهر شتى ، غير أنه بالإجماع شيء واحد .

قلت : فقولك : اللطيف فسره لي ، فإني أعلم أن لطفه خلاف لطف غيره للفصل غير أني أحب أن تشرح لي ، فقال : يا فتح إنما قلت : اللطيف للخلق اللطيف ولعلمه بالشئ اللطيف ، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف وفي الخلق اللطيف من أجسام الحيوان من الجرجس والبعوض وما هو أصغر منهما مما لا يكاد تستبينه العيون ، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى ، والمولود من القديم ، فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت ، والجمع لما يصلحه بما في لجج البحار ، وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار ، وإفهام بعضها عن بعض منطقتها ، وما تفهم به أولادها عنها ، ونقلها الغذاء إليها ، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة ، علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف ، وأن كل صانع شئ فمن شئ صنع ، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شئ .

قلت : جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى يقول : **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ** . فقد أحرر أن في عباده خالقين منهم عيسى بن مريم ، خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله ، والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار .

قلت : إن عيسى خلق من الطين طيراً دليلاً على نبوته ، والسامري خلق عجلاً جسداً لنقض نبوة موسى ، وشاء الله أن يكون ذلك كذلك ، إن هذا هو العجب !

فقال : ويحك يا فتح إن الله إرادتين ومشيتين إرادة حتم وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ، ويأمر وهو لا يشاء ، وأما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ، ولو لم يشأ لم يأكلا ، ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشية الله . وأمر إبراهيم يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام ، وشاء أن لا يذبحه ، ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشيعة الله عز وجل !

قلت : فَرَجَّحتَ عني فَرجَّ اللهُ عنكَ ، غير أنك قلت : السميع البصير ، سميع بالأذن وبصير بالعين ؟ فقال : إنه يسمع بما يبصر ، ويرى بما يسمع ، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين ، وسميع لا بمثل سمع السامعين ، لكن لما لم يخف عليه خافية من أثر الذرة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار ، قلنا : بصير ، لا بمثل عين المخلوقين . ولما لم يشتهه عليه ضروب اللغات ، ولم يشغله سمع عن سمع ، قلنا : سميع ، لا مثل سمع السامعين .

قلت : جعلت فداك قد بقيت مسألة ، قال : هات لله أبوك .

قلت : يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون ؟

قال : ويحك إن مسائلك لصعبة ، أما سمعت الله يقول : **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** . وقوله : **وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ** . وقال يحكي قول أهل النار : **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** . وقال : **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ، فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون .

فقمت لأقبل يده ورجله ، فأدنى رأسه فقبلت وجهه ورأسه ، وخرجت وبى من السرور والفرح ما أعجز عن وصفه ، لما تبينت من الخير والحظ .

قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه : إن الله تبارك وتعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة ، وقد علم أنهما يأكلان منها ، لكنه عز وجل شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة ، كما منعهما من الأكل منها بالنهي والزجر ، فهذا معنى مشيئته فيهما ، ولو شاء عز وجل منعهما من الأكل بالجبر ، ثم أكلا منها لكانت مشيئتهما قد غلبت مشيئته ، كما قال العالم عليه السلام . «

٤ . ورواه المسعودي في إثبات الوصية « ١ / ٢٣٥ » ، بلفظ آخر وفيه : « كَيْفَ الكَيْفَ فلا يقال كيف ، وأَيُّنَ الأيِّنَ فلا يقال أيِّن ، إذ هو منقطع الكيفية والأينية ، الواحد الأحد جل جلاله . بل كيف يوصف بكنهه محمد صلى الله عليه وآله وقد قرنَ الخليل إسمه باسمه ، وأشركه في طاعته وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته ، فقال : **وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ** . وقال تبارك اسمه يحكى قول من ترك طاعته : **يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ** . أم كيف يوصف من قرنَ الخليل طاعته بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول : **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ** .

يا فتح : كما لا يوصف الخليل جل جلاله ، ولا يوصف الحجة ، فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا ، فبيننا صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ، ووصينا عليه السلام أفضل الأوصياء . ثم قال لي بعد كلام : فأورد الأمر إليهم وسلّم لهم .

ثم قال لي : إن شئت . فانصرفت منه . فلما كان في الغد تلطفت في الوصول إليه فسلمت فرد السلام فقلت : يا ابن رسول الله تأذن لي في كلمة اختلجت في صدري ليلتي الماضية ؟ فقال لي : سل وأصيحْ الى جوابها سمعك ، فإن العالم والمتعلم شريكان في الرشد ، مأموران بالنصيحة ، فأما الذي اختلج في صدرك فإن يشأ العالم أنبأك . إن الله لم يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، وكل ما عند الرسول فهو عند العالم ، وكل ما اطلع الرسول عليه ، فقد اطلع أوصياؤه عليه .

يا فتح : عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك في بعض ما أوردت عليك وأشكك في بعض ما أنبأتك ، حتى أراد إزالتك عن طريق الله وصراطه المستقيم فقلت : متى أيقنثُ أنهم هكذا : فهم أرباب ! معاذ الله ، إنهم مخلوقون مربوبون مطيعون داخرون راغمون !

فإذا جاءك الشيطان بمثل ما جاءك به ، فاقمعه بمثل ما نبأتك به !

قال فتح : فقلت له : جعلني الله فداك فرجت عني ، وكشفت ما لبس الملعون عليّ ، فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب . قال : فسجد علياً فسمعته يقول في سجوده : راغماً لك يا خالقي داخراً خاضعاً . ثم قال : يا فتح كدت أن تهلك ! وما ضرَّ عيسى أن هلك من هلك . إذا شئت رحمك الله . قال : فخرجت وأنا مسرور بما كشف الله عني من اللبس .

فلما كان في المنزل الآخر دخلت عليه وهو متكئ ، وبين يديه حنطة مقلوّة يعبث بها ، وقد كان أوقع الشيطان لعنه الله في خلدي أنه لا ينبغي أن يأكلوا ولا يشربوا فقال : أجلس يا فتح فإن لنا بالرسول أسوة ، كانوا يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ، وكل جسم متغذّ إلا خالق الأجسام الواحد الأحد ، منشئ الأشياء ومجسم الأجسام ، وهو السميع العليم . تبارك الله عما يقول الظالمون ، وعلا علواً كبيراً . ثم قال : اذا شئت رحمك الله .

وقدم به عليه السلام بغداد ، وخرج إسحاق بن إبراهيم وجملة القواد فتلقوه « .

وينفي عن الله تعالى الجسم والصورة

« عن الصقر بن دلف عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال : يا ابن دلف ، إن الجسم محدث والله محدثه ومجسمه « . « الفصول المهمة : ١ / ١٤٧ » .

عن حمزة بن محمد قال : « كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة فكتب : سبحان من ليس كمثلته شيء ، لا جسم ولا صورة « . « الكافي : ١ / ١٠٢ » .

وكتب إليه أيوب بن نوح يسأله عن الله عز وجل : « أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها ، أو لم يعلم ذلك حتى خلقها ، وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كون عندما كون ؟ فوقع بخطه : لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء ، كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء « . « الكافي : ١ / ١٠٨ » .

وكتب إليه إبراهيم بن محمد الهمداني : « إن من قَبَلْنَا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد ، فمنهم من يقول جسم ومنهم من يقول صورة . فكتب عليه السلام بخطه : سبحان من لا يُجَد ولا يُوصف ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . « الكافي : ١ / ١٠٢ » .

وفي الكافي « ١ / ١٠٥ » : « عن محمد بن الفرغ الرخجي قال : كتبت إلى أبي الحسن أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم ، وهشام بن سالم في الصورة فكتب : دع عنك حيرة الحيران ، واستعد بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال المشامان » .

أقول : كان هشام بن الحكم رضي الله عنه أقوى المناظرين في بغداد ، وكان هارون الرشيد يعقد له مجالس المناظرة مع كبار علماء المذاهب والأديان ، ويجلس خلف الستار يستمع . ويظهر أن هشاماً قال ذات مرة عن الله تعالى إنه جسم لا كالأجسام ، بدل أن يقول شيء لا كالأشياء ، فطار بها خصومه وقالوا هو مجسم !

أما هشام بن سالم الجواليقي رضي الله عنه ، فربما روى حديث أن الله على صورة الإنسان ، وقد يكون قَبْلَهُ ، فطار بها خصومه وحرفوا كلامه أيضاً !

قال الشهرستاني في الملل والنحل « ١ / ١٨٥ » : « وقال هشام بن سالم : إنه تعالى على صورة إنسان ، أعلاه مُجَوَّفٌ وأسفله مصمت ، وهو نور ساطعٌ يتلألأ ، وله حواسٌ خمسٌ ويد ورجلٌ وأنفٌ وأذنٌ وفمٌ . وله وَفَرَةٌ سوداءٌ هي نورٌ أسود ، ولكنه ليس بلحم ولا دم » .

وقال الأمين في الغدير « ٢ / ٢٨٤ » عن كتاب الملل والنحل : « هذا الكتاب وإن لم يكن يضاهي الفصل في بذاءة المنطق ، غير أن في غضونه نسباً مفتعلة وآراء مختلفة وأكاذيب جمّة ، لا يجد القارئ ملتجداً عن تفنيدها ، فإليك نماذج منها :

١ - قال : قال هشام بن الحكم متكلم الشيعة : إن الله جسم ذو أبعاض في سبعة أشبار بشبر نفسه ، في مكان مخصوص وجهة مخصوصة .

٢ . قال في حق علي : إنه إله واجب الطاعة .

٣ - وقال هشام بن سالم : إن الله على صورة إنسان ، أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ، ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم ، وله فرة سوداء ، وهو نور أسود ، لكنه ليس بلحم ولا دم . وإن هشام هذا أجاز المعصية على الأنبياء ، مع قوله بعصمة الأئمة .

٤ - وقال زرارة بن أعين : لم يكن الله قبل خلق الصفات عالماً ، ولا قادراً ولا حياً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلماً .

٥ . قال محمد بن النعمان : إن الله نورٌ على صورة إنسان ، وبأبي أن يكون جسماً .

٦ - وزعم يونس بن عبد الرحمن القمي أن الملائكة تحمل العرش ، والعرش تحمل الرب ، وهو من مشبهة الشيعة ، وصنف لهم في ذلك كتاباً . انتهى .

أقول : وكل ذلك مكذوباتهم على الشيعة أو تحريفٌ لكلامهم ، وقد نشروا هذه الأكاذيب يومها ، فسأل الشيعة عنها الأئمة عليهم السلام فنفوا مقولة الجسم والصورة .

المتوكل يمتحن علم الإمام الهادي عليه السلام

وفي مناقب آل أبي طالب « ٣ / ٥٠٧ » : « قال المتوكل لابن السكيت : إسأل ابن الرضا مسأله عوصاء بحضرتي ، فسأله فقال : لم بعث الله موسى بالعصا ، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ، وبعث محمداً بالقرآن والسيف ؟

فقال أبوالحسن عليه السلام : بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر ، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم ، وأثبت الحجة عليهم . وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ، في زمان الغالب على أهله الطب ، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم . وبعث محمداً بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر ، فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ، ما بهر به شعرهم وقهر سيفهم ، وأثبت الحجة عليهم .

فقال ابن السكيت : فما الحجة الآن ؟ قال : العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب . فقال يحيى بن أكثم : ما لابن السكيت ومناظرته ، وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة ، ورفع قرطاساً فيه مسائل فأملى علي بن محمد على ابن السكيت جوابها ، وأمره أن يكتب : سألت عن قول الله تعالى : **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ** ، فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف ، ولكنه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان عليه السلام أودعه آصف بأمر الله ، ففهمه ذلك لئلا يختلف في إمامته وولايته من بعده ، ولتأكيد الحجة على الخلق .

وأما سجود يعقوب لولده فإن السجود لم يكن ليوسف ، وإنما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله تعالى وتحية ليوسف ، كما أن السجود من الملائكة لم يكن لآدم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى بإجماع الشمل . ألم تر أنه يقول في شكره في ذلك الوقت : **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ..** الآية .

وأما قوله : **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ** ، فإن المخاطب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شك مما أنزل الله إليه ، ولكن قالت الجهلة : كيف لم يبعث نبياً من الملائكة ؟ ولم لم يفرق بينه وبين الناس في الإستغناء عن المأكل والمشرب والمشى في الأسواق ؟ فأوحى الله إلى نبيه : **فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ** ، بمحضر من الجهلة ، هل بعث الله نبياً قبلك إلا وهو يأكل الطعام والشراب ، ولك بهم أسوة يا محمد ، وإنما قال : **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ** ، ولم يكن ، للنصفة كما قال : **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** . ولو قال : تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم ، لم يكونوا يجيبوا إلى المباهلة ، وقد علم الله أن نبيه مؤدّ عنه رسالته ، وما هو من الكاذبين ، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله بأنه صادق فيما يقول ، ولكن أحب أن ينصف من نفسه .

وأما قوله : **وَلَوْ أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ ..** الآية ، فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر مداً يمده سبعة أبحر مداً ، حتى انفجرت الأرض عيوناً ، كما انفجرت في الطوفان ، ما نفدت كلمات الله ..

وأما الجنة ففيها من المأكّل والمشرب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، وأباح الله ذلك لآدم . والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد ، عهد الله إليهما أن لا ينظر إلى من فضله الله عليهما ، وإلى خلأته بعين الحسد ، فَنسي ولم يجد له عزمًا .

وأما قوله : **أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا** ، فإن الله تعالى زوج الذكران المطيعين ، ومعاد الله أن يكون الجليل العظيم عنى ما كَبَسَتْ على نفسك ، تطلب الرخص لارتكاب المحارم ! **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا .** إن لم يتب . (وكان ابن أكرم مشهوراً باللواط) !

فأما قول شهادة امرأة وحسدها التي جازت ، فهي القابلة التي جازت شهادتها مع الرضا ، فإن لم يكن رضا فلا أقل من امرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة ، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها ، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها . فأما قول علي عليه السلام في الخنثى فهو كما قال : يرث من المبال ، وينظر إليه قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة ، ويقوم الخنثى خلفهم عريانة ، وينظرون إلى المرأة ، فيرون الشيء ويحكمون عليه .

وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة ، فإن عرفها ذبحها وأحرقها ، وإن لم يعرفها قسمها الإمام نصفين وساهم بينهما ، فإن وقع السهم على أحد القسمين ، فقد أقسم النصف الآخر ، ثم يفرق الذي وقع عليهم السهم نصفين

ويقرع بينهما ، فلا يزال كذلك حتى تبقى اثنتان ، فيقرع بينهما ، فأيتهما وقع السهم عليها ذبحت وأحرقت ، وقد نجا سايرهما .

وأما قول أمير المؤمنين عليه السلام : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله . وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة ، لأنه علم أنه يقتل في فتنة النهروان . وأما قولك : إن علياً قاتل أهل صفين مقبلين ومدبرين ، وأجهز على جريحهم وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريحهم ، وكل من ألقى سيفه وسلاحه آمنه ، فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير متحاربين ولا محتالين ولا متجسسين ولا متبارزين ، فقد رضوا بالكف عنهم ، وكان الحكم فيه رفع السيف والكف عنهم ، إذ لم يطلبوا عليه أعواناً .

وأهل صفين يرجعون إلى فئة مستعدة ، وإمام منتصب ، يجمع لهم السلاح من الرماح والدروع والسيوف ، ويستعد لهم ، ويسنى لهم العطاء ، ويهيئ لهم الأموال ، ويعقب مريضهم ، ويجبر كسيرهم ، ويداوي جريحهم ، ويحمل راجلهم ، ويكسو حاسرهم ، ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم ، فإن الحكم في أهل البصرة الكف عنهم ، لما ألقوا أسلحتهم إذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها ، والحكم في أهل صفين أن يتبع مدبرهم ويجهز على جريحهم ، فلا يساوي بين الفريقين في الحكم .

ولولا أمير المؤمنين وحكمه في أهل صفين والجمل لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد ، فمن أبى ذلك عرض على السيف . وأما الرجل الذي أقر باللواط ، فإنه أقر بذلك متبرعاً من نفسه ولم تقم عليه بينة ولا أخذه سلطان ، وإذا كان الإمام الذي من الله أن يعاقب في الله ، فله أن يعفو في الله . أما سمعت الله يقول لسليمان : **هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ** ، فبدأ بالمن قبل المنع .

فلما قرأ ابن أكرم قال للمتوكل : ما نحب أن تسأل هذا الرجل عن شئ بعد مسائلي هذه ، وإنه لا يرد عليه شئ بعدها إلا دونها ، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة !

ردُّ الإمام الهادي عليه السلام تفسير المجسمة للمقام المحمود

قال الله تعالى : **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا .**
وقال الإمام الصادق عليه السلام في تفسيرها ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا قمْتُ المقام المحمود تشفَعْتُ في أصحاب الكبائر من أمي ، فيشَفِّعُنِي اللهُ فيهم . والله لا تشفَعْتُ فيمن أذى ذريتي » . « أمالي الصدوق / ٣٧٠ » .

وروى غيرنا أيضاً أن المقام المحمود هو شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لأمته ، كما في مسند أحمد بن حنبل « ٤٤١ / ٢ » والبحاري « ٥ / ٢٢٨ » . وفسر بعض المشبهة المقام المحمود بأنَّ الله تعالى يُتعد النبي صلى الله عليه وآله معه على العرش !

قال ابن عبد البر في التمهيد « ١٩ / ٦٤ » : « روي عن مجاهد أن المقام المحمود أن يقعد معه يوم القيامة على العرش ، وهذا عندهم منكر في تفسير هذه الآية .

والذي عليه جماعة العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين ، أن المقام المحمود هو المقام الذي يشفع فيه لأمته . وقد روي عن مجاهد مثل ما عليه الجماعة من ذلك ، فصار إجماعاً في تأويل الآية من أهل العلم بالكتاب والسنة » .

لكن رواية مجاهد أعجبت جماعة المتوكل فتبنوها ، مع أنها ضعيفة السند ، لأن راويها ليث بن أبي سليم اختلط وخرف !

ولم يقف مجسمة الحنابلة عند قبولها فقط ، بل جعلوها التفسير الوحيد للمقام المحمود ، وجعلوا تفسيره بغير ذلك كفراً !

قال الخلال الحنبلي في كتابه : السنة « ١ / ٢١٥ » : « قال أبو بكر بن أبي طالب : من رده فقد رد على الله عز وجل » !

وجعل جماعة ابن صاعد ذلك شعراً ، وجماعة أبي بكر المروزي ، تلميذ ابن حنبل ، وأخذوا يفرضونه على العلماء الذين يأتون الى بغداد !

قال الصفدي في الوافي « ٢ / ٢١٣ » : « لما قدم « الطبري » من طبرستان إلى بغداد تعصب عليه أبو عبد الله ابن الجصاص وجعفر ابن عرفة والبياضي . وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل يوم الجمعة في الجامع ، وعن حديث الجلوس على العرش ، فقال أبو جعفر : أما أحمد بن حنبل فلا يُعَدُّ خلافه . فقالوا له : فقد ذكره العلماء في الإختلاف ، فقال : ما رأيته روي عنه ، ولا رأيت له أصحاباً يُعَوَّل عليهم . وأما حديث الجلوس على العرش فمحال . ثم أنشد :

سبحانَ من ليس له أنيسُ ولا له في عرشه جليسُ

فلما سمعوا ذلك وثبوا ورموه بحايرهم ، وقد كانت ألوفاً ، فقام بنفسه ودخل داره ، فدموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتلّ العظيم !

وركب نازوك صاحب الشرطة في عشرات ألوف من الجنود يمنع عنه العامة ووقف على بابه إلى الليل ، وأمر برفع الحجارة عنه ، وكان قد كتب على بابه البيت المتقدم ، فأمر نازوك بمحو ذلك ، وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث :

لأحمد منزلاً لا شكَّ عالٍ إذا وافى إلى الرحمن وافدٌ
فيُدينه ويُقعده كريمًا على رغيهم لهم في أنفٍ حاسد

على عرشٍ يُعلِّفُهُ بطيبٍ على الأكار يا باغٍ وعانِد
إلا هذا المقام يكون حقاً كذاك رواه ليثٌ عن مجاهد

فخلا في داره ، وعمل كتاب المشهور في الإعتذار إليهم ، وذكر مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فيه غير ذلك ، وقرأ الكتاب عليهم وفضّل أحمد بن حنبل وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده ، ولم يخرج كتابه في الإختلاف حتى مات ، فوجدوه مدفوناً في التراب فأخرجوه ونسخوه !

ومعنى قول الطبري : أما أحمد بن حنبل فلا يُعدُّ خلافه ، أنه ليس من الفقهاء الذي يحسب له حساب إذا خالف فتوى الآخرين .

فثاروا عليه بوحشية ، كما نرى في ثورة الوهابية على من خالفهم ! فحضع الطبري وألف كتاباً ضد عقيدته ، وتقرب به الى مجسمة الحنابلة !

ثم ألف كتاباً ضدّهم سماه الرد على الحرّوصية ، بعد أن خفت موجتهم .

ويظهر أن المجسمة في بغداد كانوا قلة لكنهم شريرون يخشاهم عوام المسلمين !

قال ابن كثير في النهاية « ١١ / ١٨٤ » : « وفيها « سنة ٣١٧ » وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين طائفة من العامة ، اختلفوا في تفسير قوله تعالى : **عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّخْمُودًا** ، فقالت الحنابلة : يجلسه معه على العرش . وقال الآخرون : المراد بذلك الشفاعة العظمى ، فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى » .

وتبنى ابن تيمية رأي مجسمة الحنابلة فقال : « حدّث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون ، أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله يجلسه ربه على العرش معه !

وزعم أنه يبقى من العرش أربع أصابع ! « مجموعة الفتاوى : ٤ / ٣٧٤ و ١٦ / ٤٣٨ » .

أما أهل البيت عليهم السلام فكان موقفهم ثابتاً بأن المقام المحمود الشفاعة ، وأن الله تعالى منزّه عن الجسمية والجلوس ، وكان الإمام الهادي عليه السلام يؤكد هذه العقيدة :

ففي أمالي الطوسي / ٢٩٨ ، عن الإمام الهادي عليه السلام عن جده أمير المؤمنين عليه السلام قال :
« سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني منادٍ يا رسول الله إن الله جل اسمه قد أمكنك من مجازاة محبيك ، ومحبي أهل بيتك ، الموالين لهم فيك ، والمعادين لهم فيك ، فكافئهم بما شئت . وأقول : يا رب الجنة ، فأبوؤهم منها حيث شئت ، فذلك المقام المحمود الذي وعدتُ به » .

تكريم الإمام لعالم مناظر وإفحامه العباسيين

في الإحتجاج « ٢ / ٢٥٩ » : « اتصل بأبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام : أن رجلاً من فقهاء شيعته كلم بعض النصاب ، فأفحمه بحجته حتى أبان عن فضيحته ، فدخل إلى علي بن محمد عليه السلام وفي صدر مجلسه دستٌ (كالفرش) عظيم منصوبٌ وهو قاعد خارج الدست ، وبحضرتة خلق من العلويين وبني هاشم ، فما زال يرفعه حتى أجلسه في ذلك الدست ، وأقبل عليه .

فاشتد ذلك على أولئك الأشراف ، فأما العلوية فأجلّوه عن العتاب ، وأما الهاشميون « العباسية » فقال له شيخهم : يا ابن رسول الله ، هكذا تؤثر عامياً على سادات بني هاشم من الطالبين والعباسيين ! فقال عليه السلام : إياكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم : **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى كِتَابِ**

اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ . أترضون بكتاب الله حكماً؟
قالوا : بلى .

قال : أليس الله يقول : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ إِلَى قَوْلِهِ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ . فلم
يرض للعالم المؤمن إلا أن يرفع على المؤمن غير العالم ، كما لم يرض للمؤمن إلا أن
يرفع على من ليس بمؤمن .

أخبروني عنه قال : يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ؟ أو قال :
يرفع الذين أوتوا شرف النسب درجات ؟ أوليس قال الله : هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون . فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله ! إن كسر هذا لفلان
الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأفضل له من كل شرف في النسب .

فقال العباسي : يا ابن رسول الله قد أشرفت علينا ، هوذا تقصير بنا عن من ليس له نسب
كنسبنا ، وما زال منذ أول الإسلام يقدم الأفضل في الشرف على من دونه فيه .
فقال عليه السلام : سبحان الله ، أليس عباس بايع أبا بكر وهو تيمي والعباس هاشمي ؟
أوليس عبد الله بن عباس كان يخدم عمر بن الخطاب ، وهو هاشمي أبو الخلفاء ، وعمر
عدوي ! وما بال عمر أدخل البعداء من قريش في الشورى ولم يدخل العباس ؟ فإن
كان رفعنا لمن ليس بهاشمي على هاشمي منكرًا ، فأنكروا على عباس بيعته لأبي بكر ،
وعلى عبد الله بن عباس خدمته لعمر بعد بيعته ، فإن كان ذلك جائزاً فهذا جائز .
فكأنما ألقم الهاشمي حجراً !

عالمٌ يعرض عقيدته على الإمام الهادي عليه السلام

روى الصدوق عليه السلام في التوحيد / ٨١ : « عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال : دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلما بصرتني قال لي : مرحباً بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً ، قال : فقلت له : يا ابن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضياً أثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل .

فقال : هات يا أبا القاسم ، فقلت : إني أقول إن الله تبارك وتعالى واحد ، ليس كمثلته شيء ، خارج عن الحدين : حد الإبطال وحد التشبيه ، وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر ، بل هو مجسم الأجسام ، ومُصور الصور ، وخالق الأعراض والجواهر ، ورب كل شيء ومالكه ، وجاعله ومحدثه ، وإن محمداً عبده ورسوله ، خاتم النبيين ، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة .

وأقول إن الإمام والخليفة وولي الأمر من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم أنت يا مولاي . فقال عليه السلام : ومن بعدي الحسن ابني ، فكيف للناس بالخلف من بعده ، قال فقلت : وكيف ذاك يا مولاي ؟ قال : لأنه لا يرى شخصه ، ولا يحل ذكره باسمه ، حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

قال فقلت : أقررت . وأقول إن وليهم ولي الله ، وعدوهم عدو الله ، وطاعتهم طاعة الله ، ومعصيتهم معصية الله . وأقول : إن المعراج حق ، والمسألة في القبر حق ، وإن الجنة حق ، وإن النار حق ، والصراط حق ، والميزان حق ، وإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وإن الله يبعث من في القبور .

وأقول : إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقال علي بن محمد (ع) : يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ، ثبتك الله بالقول الثابت ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

محاولة ابن تيمية التشكيك بفضائل الإمام الهادي عليه السلام

أورد العلامة الحلي رحمته الله في كتابه منهاج الكرامة ترجمة مختصرة للإمام الهادي عليه السلام فتصدى ابن تيمية لردّها والتنقيص من الإمام عليه السلام مهما كلفه الأمر !

قال ابن تيمية في منهاجه « ٧٥ / ٤ » : « قال الرافضي : وكان ولده علي الهادي عليه السلام ويقال له العسكري ، لأن المتوكل أشخصه من المدينة إلى بغداد ، ثم منها إلى سر من رأى ، فأقام بموضع عندها يقال له العسكر ، ثم انتقل إلى سر من رأى ، فأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر . وإنما أشخصه المتوكل لأنه كان يبغض علياً فبلغه مقام علي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه فدعا يحيى بن هبيرة « هرثمة » ، وأمره بإحضاره فضج أهل المدينة لذلك خوفاً عليه لأنه كان محسناً إليهم ملازماً

للعبادة في المسجد ، فحلف يحيى أنه لا مكروه عليه ، ثم فتش منزله فلم يجد فيه سوى مصاحف وأدعية وكتب العلم ، فعظم في عينه ، وتولى خدمته بنفسه .

فلما قدم بغداد بدأ بإسحاق بن إبراهيم الطائي « الطاهري » والي بغداد فقال له : يا يحيى هذا الرجل قد ولده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتوكل من تعلم فإن حرضته عليه قتله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمك يوم القيامة . فقال له يحيى : والله ما وقفت منه إلا على خير . قال فلما دخلت على المتوكل أخبرته بحسن سيرته وورعه وزهده ، فأكرمه المتوكل .

ثم مرض المتوكل فنذر إن عوفي تصدق بدراهم كثيرة ، فسأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً ، فبعث إلى علي الهادي فسأله فقال : تصدق بثلاثة وثمانين درهماً ، فسأله المتوكل عن السبب فقال : لقوله تعالى : **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ** ، وكانت المواقف سبعمائة وعشرين غزاة ، وبعث ستاً وخمسين سرية .

قال المسعودي : نُمِّيَ إلى المتوكل بعلي بن محمد أن في منزله سلاحاً من شيعة من أهل قم ، وأنه عازم على الملك فبعث إليه جماعة من الأتراك فهجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ، ووجدوه في بيت مغلق عليه وهو يقرأ ، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى ، متوجهاً إلى الله تعالى يتلو القرآن ، فحمل على حالته تلك إلى المتوكل ، فأدخل عليه وهو في مجلس الشراب والكأس في يد المتوكل ، فعظمه وأجلسه إلى جانبه وناوله الكأس فقال : والله ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني ، فأعفاه وقال له : أسمعني صوتاً ، فقال : كم تركوا من

جنات وعيون .. الآيات . فقال أنشدني شعراً ، فقال إني قليل الرواية للشعر ، فقال لا بد من ذلك ، فأنشده :

| | |
|---------------------------------------|--------------------------------------|
| باتوا على قُللِ الأَجبالِ تحرسَهُم | غُلِبَ الرجالِ فما أغنتَهُمُ القُللُ |
| واستُنزِلُوا بعدَ عِزٍّ عن معاقِلِهِم | فأودعوا حُفراً يا بئسَ ما نزلوا |
| ناداهُم صاخٌّ من بعد ما قُبِروا | أين الأسِرَّةُ والتيجانِ والحُللُ |
| أين الوجوهُ التي كانت مُنعمَةً | من دونها تُضربُ الأستارِ والكِللُ |
| فأفصحَ القبرِ عنهم حين ساءلَهُم | تلك الوجوهُ عليها الدودُ يقتلُ |
| قد طال ما أكلوا دهرًا وما شربوا | فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أكلوا |
| وظالما عمروا دوراً لتحصنَهُم | ففارقوا الدورَ والأهلينَ وانتقلوا |
| وظالما كنزوا الأموالَ وادخروا | فخلفوها على الأعداءِ وارتحلوا |
| أضحَتَ منازلُهُم قُفراً مُعطلَةً | وساكنوها إلى الأجداثِ قد رحلوا » |

فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته . انتهى .

ثم عَقَّب ابن تيمية بقوله : « فيقال : هذا الكلام من جنس ما قبله لم يذكر منقبة بحجة صحيحة ، بل ذكر ما يعلم العلماء أنه من الباطل ، فإنه ذكر في الحكاية أن والي بغداد كان إسحاق بن إبراهيم الطائي ، وهذا من جهله فإن إسحاق بن إبراهيم هذا خزاعة معروف هو وأهل بيته كانوا من خزاعة ، فإنه إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب ، وابن عمه عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، أمير خراسان المشهور المعلوم سيرته ، وابن هذا محمد بن عبد الله بن

طاهر ، كان نائباً على بغداد في خلافة المتوكل وغيره ، وهو الذي صلى على أحمد بن حنبل لما مات . وإسحاق بن إبراهيم هذا كان نائباً لهم في إمارة المعتصم والوائق وبعض أيام المتوكل . وهؤلاء كلهم من خزاعة ، ليسوا من طيء ، وهم أهل بيت مشهورون » .

أقول : يظهر أن نسخة ابن تيمية من كتاب العلامة فيها تصحيف الطاهري بالطائي ، وهرثمة بهبيرة ، وقد تحامل عليه ابن تيمية بسببها ، ورماه بالجهل بغير حق !

على أن ابن طاهر المشهور ليس خزاعياً بل مولاهم ، كما بيناه في فصل ثورات العلويين بعد هدم قبر الحسين عليه السلام ، وقتل ابن طاهر للثائر العلوي ، وزوال ملكهم بعده !

ثم قال ابن تيمية : « وأما الفتيا التي ذكرها من أن المتوكل نذر إن عويّ يتصدق بدراهم كثيرة ، وأنه سأل الفقهاء عن ذلك فلم يجد عندهم جواباً ، وأن عليّ بن محمد أمره أن يتصدق بثلاثة وثمانين درهماً ، لقوله تعالى : **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ** ، وأن المواطن كانت هذه الجملة ، فإن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غزا سبعاً وعشرين غزاة ، وبعث ستاً وخمسين سرية .

فهذه الحكاية أيضاً تحكى عن علي بن موسى مع المأمون ، وهي دائرة بين أمرين : إما أن تكون كذباً ، وإما أن تكون جهلاً ممن أفتى بذلك ، فإن قول القائل له عليّ دراهم كثيرة أو والله لأعطين فلاناً دراهم كثيرة ، أو لأتصدقن بدراهم كثيرة ، لا يحمل على ثلاث وثمانين ، عند أحد من علماء المسلمين ! والحجة المذكورة باطلة لوجوه :

أحدها ، أن قول القائل إن المواطن كانت سبعاً وعشرين غزاة ، وستاً وخمسين سرية ، ليس بصحيح ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغز سبعاً وعشرين غزاة باتفاق أهل العلم بالسير ، بل أقل من ذلك .

الثاني : أن هذه الآية نزلت يوم حنين ، والله قد أخبر بما كان قبل ذلك فيجب أن يكون ما تقدم قبل ذلك مواطن كثيرة ، وكان بعد يوم حنين غزوة الطائف ، وغزوة تبوك ، وكثير من السرايا كانت بعد يوم حنين ، كالسرايا التي كانت بعد فتح مكة ، مثل إرسال جرير بن عبد الله إلى ذي الخليفة ، وأمثال ذلك . وجرير إنما أسلم قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بنحو سنة . وإذا كان كثير من الغزوات والسرايا كانت بعد نزول هذه الآية ، امتنع أن تكون هذه الآية المخيرة عن الماضي إخباراً بجميع المغازي والسرايا .

الثالث : أن الله لم ينصرهم في جميع المغازي ، بل يوم أحد تولوا وكان يوم بلاء وتمحيص ، وكذلك يوم مؤتة وغيرها من السرايا ، لم يكونوا منصورين فيها ، فلو كان مجموع المغازي والسرايا ثلاثاً وثمانين ، فإنهم لم ينصروا فيها كلها حتى يكون مجموع ما نصروا فيه ثلاثاً وثمانين . الرابع : اختصاص هذا القدر بذلك ، فإن لفظ الكثير لفظ عام يتناول الألف والألفين والآلاف ، وإذا عم أنواعاً من المقادير ، فتخصيص بعض المقادير دون بعض تحكم .

الخامس : أن الله تعالى قال : **مَنْ ذَا الَّذِي يُفْرِضُ اللَّهُ فَرَضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً** ، والله يضاعف الحسنة إلى سبع مائة ضعف بنص القرآن ، وقد ورد أنه يضاعفها ألفي ألف حسنة ، فقد سمى هذه الأضعاف كثيرة ، وهذه المواطن

كثيرة ، وقد قال تعالى : **كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ .** والكثرة هاهنا تناول أنواعها من المقادير ، لأن الفئات المعلومة مع الكثرة لا تحصر في عدد معين ، وقد تكون الفئة القليلة ألفاً ، والفئة الكثيرة ثلاثة آلاف ، فهي قليلة بالنسبة إلى كثرة عدد الأخرى ، وقد قال تعالى : **إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ .** ومعلوم أن الله أراه أهل بدر أكثر من مائة ، وقد سمى ذلك قليلاً بالنسبة والإضافة ، وهذا كله مما يبين أن القلة والكثرة أمر إضافي ، ولهذا تنازع الفقهاء فيما إذا قال : له عليّ مال عظيم أو خطير أو كثير أو جليل ، هو يرجع في تفسيره إليه فيفسره بما يتمول ، كقول الشافعي ، وطائفة من أصحاب أحمد ، أو لا يقبل تفسيره إلا بما له قدر خطير ، كقول أبي حنيفة ومالك . وبعض أصحاب أحمد على قولين ، وأصحاب القول الثاني منهم من قدره بنصاب السرقة ، ومنهم من قدره بنصاب الزكاة ، ومنهم من قدره بالدية ، وهذا النزاع في الإقرار ، لأنه خير والخير عن أمر ماض قد علمه المقر .

وأما المسألة المذكورة فهي إنشائي كما لو أوصى له بدراهم كثيرة ، والأرجح في مثل هذا أن يرجع إلى عرف المتكلم ، فما كان يسميه مثله كثيراً حمل مطلق كلامه على أقل احتمالاته ، والخليفة إذا قال دراهم كثيرة في نذر نذره لم يكن عرفه في مثل هذا مائة درهم ونحوها ، بل هو مستقل هذا ولا يستكثره ، بل إذا حمل كلامه على مقدار الدية اثنة عشر ألف درهم ، كان هذا أولى من حمله على ما دون ذلك . واللفظ يحتمل أكثر من ذلك ، لكن هذا مقدار النفس المسلمة في الشرع ولا يكون عوض المسلم إلا كثيراً ، والخليفة يحمل الكثير منه على ما لا يحمل الكثير

من آحاد العامة ، فإن صاحب ألف درهم ، إذا قال أعطوا هذا دراهم كثيرة
احتمل عشرة وعشرين ، ونحو ذلك بحسب حاله .

فمعنى القليل والكثير هو من الأمور النسبية الإضافية كالعظيم ، والخير يتنوع
بتنوع الناس فيحمل كلام كل إنسان على ما هو المناسب لحالة في ذلك المقام .

أقول : يحاول ابن تيمية دائماً تكذيب أي فضيلة لأهل البيت عليهم السلام لأنه يبغضهم ! وقد
أطال في رد هذه الفتيا التي رواها العلامة عن الإمام الهادي عليه السلام .

وقد رواها الخطيب البغدادي « ١٢ / ٥٦ » بسنده الصحيح ، ونصها : « اعتل المتوكل في
أول خلافته ، فقال : لئن برئت لأتصدقن بدنانير كثيرة ، فلما برئ جمع الفقهاء
فسألهم عن ذلك فاختلفوا ، فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر
فسأله فقال : يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً فعجب قوم من ذلك وتعصب قوم
عليه ، وقالوا : تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا ؟ فرد الرسول إليه فقال له
قل لأمير المؤمنين في هذا الوفاء بالندر ، لأن الله تعالى قال : **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي**
مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ، فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات
كانت ثلاثة وثمانين موطناً ، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين ، وكلمة زاد أمير
المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له ، وأجر عليه في الدنيا والآخرة .

ورواها الذهبي في تاريخه « ١٩ / ٢١٨ » بسند صحيح عن الصولي ، ولم ينتقدها .

ورواها ابن الجوزي في المنتظم « ١٢ / ٧٥ » ولم ينتقدها .

ورواها أحمد بن محمد النيسابوري الثعلبي في الكشف والبيان ، كما في إحقاق الحق

« ١٤ / ٢٥٠ » . ورواها السمعاني في الأنساب « ٤ / ١٩٦ » .

ورواها من مصادرها علي بن إبراهيم في تفسيره بسند صحيح « ١ / ٢٨٤ » ونصها :
« كان المتوكل قد اعتل علة شديدة فنذر إن عافاه الله أن يتصدق بدنانير كثيرة أو
قال بدراهم كثيرة ، فعوفي ، فجمع العلماء فسألهم عن ذلك فاختلفوا عليه ، قال
أحدهم عشرة آلاف وقال بعضهم مائة ألف ، فلما اختلفوا قال له عبادة : إبعث
إلى ابن عمك علي بن محمد بن علي الرضا فاسأله ، فبعث إليه فسأله فقال : الكثير
ثمانون ، فقالوا له رد إليه الرسول فقل : من أين قلت ذلك ؟ فقال من قوله تعالى
لرسوله : لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، وكانت المواطن ثمانين موطناً » .

فلا معنى لتشكيك ابن تيمية في أصلها بعد هذه الإستفاضة .

وأما تشكيكه في الفتيا بعدد المواطن التي نصر الله بها المسلمين ، فقد أيد علماء
السيرة قول الإمام الهادي عليه السلام وأن مواطن النصر ثمانون .

أما تشكيكه بالفتيا يُحتمل ويُحتمل ، وبكثرة احتمالات الفقهاء في المسألة ، فهذا
لا يضر بقول الإمام عليه السلام الذي قبله الفقهاء الذين كانوا حول المتوكل ، وكان
فيهم رأي مخالف كرأي ابن تيمية ، فردوه ولم يأخذوا به ، فقد ردوا رأيه أيضاً !

ثم قال ابن تيمية عن إحضار المتوكل للإمام عليه السلام : « والحكاية التي ذكرها عن
المسعودي منقطعة الإسناد ، وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصىه إلا
الله تعالى ، فكيف يوثق بحكاية منقطعة الإسناد في كتاب قد عرف بكثرة الكذب
مع أنه ليس فيها الفضيلة إلا ما يوجد في كثير من عامة المسلمين ، ويوجد فيهم
ما هو أعظم منها » .

يقول ابن تيمية : إن القصة كاذبة ، ولو صحت فلا فضيلة فيها تُتميز الإمام الهادي عليه السلام ! وهذا من تعصبه وهواه ، فالمسعودي ثقة ، ولم يتفرد بها ، بل استفاضت روايتها ، وصححها شيوخ يوثقهم ابن تيمية ولكنه أعشى !
فقد أرسلها الذهبي إرسال المسلمات ، ولم ينتقد سندها ولا متنها .

قال في تاريخه « ١٨ / ١٩٩ » : « وكان قد سُعيَ بأبي الحسن إلى المتوكل ، وأن في منزله سلاحاً وكتباً من أهل قم ، ومن نيته التوثب . فكَبَسَ بيته ... » .

بل صححها في سيره « ١٢ / ٤١ » فمدح إمامه المتوكل لأنه بكى من موعظة الإمام الهادي عليه السلام قال : « وقد بكى من وعظ علي بن محمد العسكري العلوي » .

وكذلك قبلها ابن كثير فقال في النهاية « ١١ / ١٩ » : « ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحاً وكتباً كثيرة من الناس ، فبعث كبسة فوجدوه جالساً مستقبلاً القبلة .. الخ . » .

وكذلك فعل القلقشندي في مآثر الخلافة « ١ / ٢٣١ » قال : « ومن غريب ما اتفق له في ذلك أنه طلب علياً الزكي ، ويقال علي الهادي وعلي التقى ... فحمل إلى المتوكل والمتوكل في مجلس شرابه ، والكأس في يده فلما رآه ... » .

وكذلك فعل ابن خلكان في وفيات الأعيان « ٣ / ٢٧٢ » .

وأبو الفداء في تاريخه / ٢٣٣ ، والدميري في حياة الحيوان / ٥٥٣ ، وغيرهم .

فتبين أن ابن تيمية صاحب هوى يريد تكذيب قصة فاحت منها رائحة الخمر من إمامه ، وفاضت منها الكرامة النبوية من الإمام الهادي عليه السلام !

الإمام الهادي عليه السلام يطلق منشور الغدير والزيارة الجامعة

منشور الغدير في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

قامت عقيدة المتوكل والنواصب على ركنين : بُغْضَ عَلِيٍّ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وما سموه أحاديث الصفات ، أي وصف الله تعالى بالجسم وشبهه . فكان المتوكل يقرب النواصب والجسمة ، ويغدق عليهم المال .

أما بغضه لعلي عليه السلام فقال الذهبي في تاريخه « ١٧ / ١٨ » : « أمر المتوكل بهدم قبر السيد الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهدم ما حوله من الدور .. وكان معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء ، دعبل وغيره » .

والإنصاف أن بغض المتوكل لعلي عليه السلام مشهورٌ ككفر إبليس ، فقد كان يعقد مجالس الغناء والرقص ، والسخرية من علي عليه السلام في دار الخلافة !

قال ابن الأثير في الكامل « ٦ / ١٠٨ » : « وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته ، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم ! وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث ، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع ، ويرقص بين يدي المتوكل ، والمغنون يغنون قد أقبل الأصلع البدين ، خليفة المسلمين ، يحكي بذلك علياً ! والمتوكل يشرب

ويضحك ! ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر ، فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفاً منه ، فقال المتوكل ما حالك ؟ فقام وأخبره ، فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك ، وشيخ أهل بيتك وبه فحرك ! فكل أنت لحمه إذا شئت ، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه ! فقال المتوكل للمغنين : غنوا جميعاً :

غَارَ الْفَتَى لِابْنِ عَمِّهِ رَأْسُ الْفَتَى فِي حَرِّ أُمَّهُ « !

وقد روى ذلك عامة المؤرخين ، وتقدم في ترجمة المتوكل .

وكذلك تبني المتوكل للتجسيم ، قال الخطيب في تاريخ بغداد « ١٠ / ٦٧ » : « حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال : سنة أربع وثلاثين ومائتين ، فيها أشخص المتوكل الفقهاء والمحدثين ، فكان فيهم مصعب الزبيري ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وعبد الله وعثمان ابنا محمد بن أبي شيبه الكوفيان وهما من بني عبس ، وكانا من حفاظ الناس . فقسمت بينهم الجوائز وأجريت عليهم الأرزاق ، وأمرهم المتوكل أن يجلسوا للناس ، وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، وأن يحدثوا بالأحاديث في الرؤية !

فجلس عثمان بن محمد بن أبي شيبه في مدينة أبي جعفر المنصور ، ووضع له منبر واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً من الناس . فأخبرني حامد بن العباس أنه كتب عن عثمان بن أبي شيبه . وجلس أبوبكر بن أبي شيبه في مسجد الرصافة ، وكان أشد تقدماً من أخيه عثمان ، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً » .

وقد واجه الإمام الهادي عليه السلام ضالتي النص والتجسيم ، فصعد بتنزيه الله تعالى وبفضائل جده أمير المؤمنين عليه السلام ، وتعمد أن يكون دخوله الى العراق عن طريق حائل ، ثم النحف ، ليكون فيها يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة ويزور قبر جده أمير المؤمنين عليه السلام مع وفود شيعته هناك ، ويطلق نص الزيارة المعروفة بزيارة الغدير ، وهي في الحقيقة منشور إسلامي يبين مقام علي عليه السلام في الإسلام ، وولايته المفروضة في رقاب الأمة .

وهذا نص الزيارة من كتاب المزار لمحمد بن المشهدي عليه السلام / ٢٦٣ ، قال :

« أخبرني الفقيه الأجل أبو الفضل شاذان بن جبرئيل القمي رضي الله عنه ، عن الفقيه العماد محمد بن أبي القاسم الطبري ، عن أبي علي ، عن والده ، عن محمد بن محمد بن النعمان ، عن أبي القاسم جعفر بن قولويه ، عن محمد بن يعقوب الكليني ، عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أبي القاسم بن روح ، وعثمان بن سعيد العمري ، عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري ، عن أبيه صلوات الله عليهما ، وذكر أنه عليه السلام زار بها في يوم الغدير ، في السنة التي أشخصه المعتصم « المتوكل » . تقف عليه وتقول :

السلام على محمد رسول الله ، خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وشفوة رب العالمين .
أمين الله على وحيه ، وعزائم أمره ، الخاتم لما سبق ، والفتاح لما استقبل ، والمهيمن على ذلك كله ، ورحمة الله وبركاته ، وصلواته وتحياته .

السلام على أنبياء الله ورسوله ، وملائكته المقربين ، وعباده الصالحين .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، ووارث علم النبيين ، وولي رب العالمين ، ومولاي ومولي المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، يا أمينَ الله في أرضه ، وسفيره في خلقه ، وحقته البالغة على عباده . السلام عليك يا دينَ الله القويم ، وصراطه المستقيم .

السلام عليك أيها النبأ العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ، وعنه يُسألون .

السلام عليك يا أمير المؤمنين . آمنتَ بالله وهم مشركون ، وصَدَقْتَ بالحق وهم مكذبون ، وجاهدتَ وهم محجمون ، وعبدتَ الله مخلصاً له الدين ، صابراً محتسباً حتى أتاك اليقين ، ألا لعنةُ الله على الظالمين .

السلام عليك يا سيدَ المسلمين ، ويعسوبَ المؤمنين ، وإمامَ المتقين ، وقائدَ الغرِّ المحجلين ، ورحمةُ الله وبركاته .

أشهد أنك أخو الرسول ووصيُّه ، ووارثُ علمه ، وأمينُهُ على شرعه ، وخليفتهُ في أمته وأولُ من آمنَ بالله ، وصَدَقَ بما أنزلَ على نبيه . وأشهد أنه قد بلغَ عن الله ما أنزله فيك ، وصَدَعَ بأمره ، وأوجب على أمته فرضَ ولايتك ، وعقد عليهم البيعةَ لك ، وجعلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، كما جعلك الله كذلك ، ثم أشهد الله تعالى عليهم فقال : أَلَسْتُ قَدْ بَلَّغْتُ ؟ فقالوا : اللهم بلى ، فقال : اللهم اشهد وكفى بك شهيداً ، وحاكماً بين العباد . فلعن الله جاحدَ ولايتك بعدَ الإقرار ، وناكثَ عهدك بعدَ الميثاق .

وأشهد أنك أوفيتَ بعهد الله تعالى ، وأن الله تعالى مُوفٍ بعهدك لك : وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَمِئُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا .

وأشهد أنك أميرُ المؤمنين الحقُّ ، الذي نطق بولايتك التنزيلُ ، وأخذ لك العهدَ على الأمة بذلك الرسولُ . وأشهد أنك وعمك وأخاك ، الذين تاجرتم الله بنفوسكم فأنزل الله فيكم : إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ

فَاسْتَبَشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ
السَّائِحُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ .

أشهد يا أمير المؤمنين أن الشاك فيك ما آمنَ بالرسول الأمين ، وأن العادل بك غيرك
عادلٌ عن الدين القويم ، الذي ارتضاه لنا رب العالمين ، فأكملة بولايتك يوم الغدير .

وأشهد أنك المعنِيُّ بقول العزيز الرحيم : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

ضلَّ والله وأضلَّ من اتبع سواك ، وَعَنَدَ عن الحق من عاداك .

اللهم سمعنا لأمرك ، وأطعنا واتبعنا صراطك المستقيم ، فاهدنا ربنا ولا تزغ قلوبنا
بعد الهدى عن طاعتك ، واجعلنا من الشاكرين لأنعمك .

وأشهد أنك لم تنزل للهوى مخالفاً ، وللتقى مخالفاً ، وعلى كظم الغيظ قادراً ، وعن
الناس عافياً ، وإذا عصي الله ساخطاً ، وإذا أطيع الله راضياً ، وبما عهد الله إليك عاملاً ،
راعياً ما استحفظت ، حافظاً ما استودعت ، مبلغاً ما حُمِلتَ ، منتظراً ما وُعدت .

وأشهد أنك ما اتقيت ضارعاً ، ولا أمسكتَ عن حَقك جازعاً ، ولا أحجمتَ عن
مجاهدة عاصيك ناكلاً ، ولا أظهرتَ الرضا بخلاف ما يُرضي الله مُداهنأً ، ولا وهنتَ
لما أصابك في سبيل الله ، ولا ضعفتَ ولا استكنتَ عن طلب حَقك مراقباً .

معاذ الله أن تكون كذلك ، بل إذ ظلمتَ فاحتسبتَ ربك ، وفوضتَ إليه أمرك ،
وذكَّرتَ فما ذكروا ، ووَعظتَ فما اتَّعظوا ، وخوفتهم الله فما خافوا .

وأشهد أنك يا أمير المؤمنين جاهدت في الله حقَّ جهاده ، حتى دعاكَ الله إلى جواره ،
وقبضك إليه باختياره ، وألزم أعداءك الحجة ، بقتلهم إياك ، لتكون لك الحجة عليهم
مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، عبدت الله مخلصاً ، وجاهدت في الله صابراً ، وجُدت
بنفسك صابراً محتسباً ، وعملت بكتابه ، واتبعت سنة نبيه ﷺ ، وأقمت الصلاة ،
وآتيت الزكاة ، وأمرت بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ما استطعت ، مبتغياً مرضاة ما
عند الله ، راغباً فيما وعد الله . لا تحفل بالنوائب ، ولا تهن عند الشدائد ، ولا تُحجم عن
محارب . أفك من نسب غير ذلك ، وافترى باطلاً عليك ، وأولى لمن عندك .

لقد جاهدت في الله حق الجهاد ، وصبرت على الأذى صبر احتساب ، وأنت أول من
آمن بالله وصلى له ، وجاهد وأبدي صفحته في دار الشرك ، والأرض مشحونة ضلالةً ،
والشيطان يُعبد جهرةً . وأنت القائل لا تزيدني كثرة الناس حولي عزةً ، ولا تُفرفهم
عني وحشةً ، ولو أسلمني الناس جميعاً لم أكن مُتضرعاً .

اعتصمت بالله فعززت ، وآثرت الآخرة على الأولى فزهدت ، وأيدك الله وهداك
وأخلصك واجتباك . فما تناقضت أفعالك ، ولا اختلفت أقوالك ، ولا تقلبت
أحوالك ، ولا ادعيت ولا افتريت على الله كذباً ، ولا شرهت إلى الحطام ، ولا دنستك
الآثام ، ولم تزل على بيئة من ربك ويقين من أمرك ، تهدي إلى الحق والى صراط مستقيم .

أشهد شهادة حق ، وأقسم بالله قسم صدق أن محمداً وآله صلوات الله عليهم سادات
الخلق ، وأنت مولاي ومولى المؤمنين ، وأنت عبد الله ووليُّه ، وأخوالرسول ووصيُّه
ووارثه ، وأنه القائل لك : والذي بعثني بالحق ما آمن بي من كفر بك ، ولا أقر بالله من

جَحَدَكَ . وقد ضلَّ من صدَّ عنك ، ولم يهتد إلى الله تعالى ولا إليَّ من لا يهتدى بك ، وهو قول ربي عز وجل : **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ، إلى ولايتك .

مولاي ، فضلك لا يخفى ، ونورك لا يُطفى ، وإنَّ من جَحَدَكَ الظُّلومُ الأشقى .

مولاي ، أنت الحجَّةُ على العباد ، والهادي إلى الرشاد ، والعدَّةُ للمعاد .

مولاي ، لقد رفع الله في الأولى منزلتك ، وأعلى في الآخرة درجتك ، وبصَّرَكَ ما عمي على من خالفك ، وحال بينك وبين مواهبِ الله لك . فلعن الله مُسْتَحِلِّي الحرمة منك وذائدي الحقِّ عنك . وأشهد أنهم الأخسرون : **الذين تَلَفَحُوا وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** .

وأشهد أنك ما أقدمت ولا أحجمت ولا نطقت ولا أمسكت إلا بأمر من الله ورسوله . قلت : والذي نفسي بيده لنظر إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أضرب قُدَامَهُ بسيفي فقال : يا عليُّ أنت عندي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي . وأعلمك أن موتك وحياتك معي وعلى سنتي . فوالله ما كذبت ولا كُذِّبتُ ، ولا ضللتُ ولا ضلَّ بي ، ولا نسيْتُ ما عهد إليَّ ربي ، وإني لعلی بينة من ربي ، بيَّنها لنيبه ، وبينها النبي لي ، وإني لعلی الطريق الواضح ، ألقطه لقطاً .

صدقتَ والله ، وقلتَ الحق ، فلعن الله من ساواك بمن ناواك ، والله جل ذكره يقول : **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** . ولعن الله من عدلَ بك من فرَضَ الله عليه ولايتك .

وأنت وليُّ الله وأخو رسوله ، والذابُّ عن دينه ، والذي نطق القرآن بتفضيله ، قال الله تعالى : **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** . وقال الله تعالى : **أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ . يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ .

أشهد أنك المخصوصُ بِمِدْحَةِ اللَّهِ ، المُخلص لطاعة الله ، لم تَبْغِ بالهدى بَدَلًا ، ولم تُشرك بعبادة ربِّك أحداً ، وأن الله تعالى استجاب لنبيه ﷺ فيك دعوتَه ، ثم أمره باظهار ما أولاك لأمته ، إعلاءً لشأنك ، وإعلاناً لبرهانك ، ودخضاً للأباطيل ، وقطعاً للمعاذير . فلما أشفق من فتنة الفاسقين ، واتقى فيك المنافقين ، أوحى الله رب العالمين : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ .

فوضع عن نفسه أوزارَ المسير ، ونهض في رمضاء الهجير ، فخطبَ فأسمع ، ونادى فأبلغ ، ثم سألهم أجمع فقال : هل بلغتُ ؟ فقالوا : اللهم بلى ، فقال : اللهم اشهد . ثم قال : ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فقالوا : بلى ، فأخذ بيدك وقال : من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله . فما آمنَ بما أنزل الله فيك على نبيه إلا قليل ، ولا زادَ أكثرهم إلا تخسيراً .

ولقد أنزلَ الله تعالى فيك من قبل وهم كارهون : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ .

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ .

اللهم إنا نعلم أن هذا هو الحقُّ من عندك ، فالعن من عارضه واستكبر ، وكذب به وكفر . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وأول العابدين ، وأزهد الزاهدين ، ورحمة الله وبركاته ، وصلواته وتحياته . أنتَ مطعم الطعام على جبه مسكيناً وبيماً وأسيراً لوجه الله ، لا تريد منهم جزاءً ولا شكوراً ، وفيك أنزل الله تعالى : وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

وأنت الكاظم للغيظ ، والعافي عن الناس والله يحب المحسنين . وأنت الصابر في البأساء والضراء وحين البأس ، وأنت القاسم بالسوية ، والعاذل في الرعية ، والعالم بحدود الله من جميع البرية .

والله تعالى أخبر عما أولاك من فضله بقوله : أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .

وأنت المخصوص بعلم التنزيل ، وحكم التأويل ، ونصر الرسول ، ولك المواقف المشهورة ، والمقامات المشهورة ، والأيام المذكورة ، يوم بدر ، ويوم الأحزاب : إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَ . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا

فِرَارًا . وقال الله تعالى : وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا . فقتلت عمرهم ، وهزمت جمعهم : وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا .

ويوم أُحد : إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ . وأنت تذود بهم المشركين عن النبي ذات اليمين وذات الشمال ، حتى صرفهم عنكم خائفين .

ويوم حنين ، على ما نطق به التنزيل : لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ . والمؤمنون أنت ومن يليك . وعُثْكَ العباس ينادي المنهزمين : يا أصحاب سورة البقرة ، يا أهل بيعة الشجرة ، حتى استجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة ، وتكفلت دونهم المعونة ، فعادوا آيسين من المثوبة ، راجين وعد الله تعالى بالتوبة ، وذلك قوله جل ذكره : ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وأنت حائزٌ درجة الصبر ، فائزٌ بعظيم الأجر .

ويوم خيبر ، إذ أظهر الله خَوَرَ المنافقين ، وقطع دابر الكافرين ، والحمد لله رب العالمين : وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا .

مولاي ، أنت الحجّة البالغة ، والمحجّة الواضحة ، والنعمة السابعة ، والبرهان المنير ، فهنيئاً لك ما آتاك الله من فضل ، وتباً لشانئك ذي الجهل . شهدت مع النبي جميع حروبه ومغازيه ، تحمل الراية أمامه ، وتضرب بالسيف قدامه .

ثم لحزمتك المشهور ، وبصيرتك بما في الأمور ، أمرت في المواطن ، ولم يك عليك أمير .

وكم من أمرٍ صدَّكَ عن إمضاء عزمك فيه التُّقى ، واتبع غيرك في نيله الهوى ، فظنَّ الجاهلون أنك عجزت عما إليه انتهى ، ضلَّ والله الظان لذلك وما اهتدى .

ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهمَ وامْتَرى ، بقولك صلى الله عليك : قد يَرى الحُوْلُ القُلْبُ وَجَهَ الحيلة ، ودونها حاجزٌ من تقوى الله ، فيدعُها رأيَ العين ، وينتهزُ فرصتها من لا جريحة له في الدين ! صدقت وخسر المبطلون .

وإذ ما كرك الناكثان فقالا : نريدُ العمرة ، فقلت لهما : لعمري ما تريدان العُمرة لكن العُدرة ، وأخذت البيعة عليهما ، وجددت الميثاق ، فجداً في النفاق ، فلما نبهتهما على فعلهما أغفلا وعادا ، وما انتفعا ، وكان عاقبة أمرهما خسرا .

ثم تلاهما أهل الشام ، فسرت إليهم بعد الإعذار ، وهم لا يدينون دين الحق ولا يتدبرون القرآن ، همجٌ رعاغٌ ضالون ، وبالذي أنزل على محمد فيك كافرون ، ولأهل الخلاف عليك ناصرون . وقد أمر الله تعالى باتباعك وندب إلى نصرك ، قال الله تعالى :
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ .

مولاي بك ظهر الحق ، وقد نبذه الخلق ، وأوضحت السنن بعد الدروس والطمس ، ولك سابقة الجهاد على تصديق التنزيل ، ولك فضيلة الجهاد على تحقيق التأويل ، وعدوك عدو الله ، جاحدٌ لرسول الله ، يدعو باطلاً ، ويحكم جائراً ، ويتأمر غاصباً ، ويدعو حزبه إلى النار . وعمار يجاهد وينادي بين الصفين : الرواح الرواح إلى الجنة . ولما استسقى فسقى اللبن كَبَّرَ وقال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : آخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن ، وتقتلك الفئة الباغية ، فاعترضه أبو العادية الفزاري فقتله . فعلى أبي العادية لعنةُ الله ولعنةُ ملائكته ورسله أجمعين ، وعلى من سلَّ سيفه عليك وسللت عليه سيفك يا أمير المؤمنين ، من المشركين والمنافقين إلى يوم الدين ، وعلى من رضيَ بما ساءك ولم

يكرهه ، وأغمض عينه ولم ينكره ، أو أعان عليك بيد أو لسان ، أو قعد عن نصرك ، أو خذّل عن الجهاد معك ، أو غمطَ فضلك ، أو جحدَ حقك ، أو عدلَ بك من جعلك الله أولى به من نفسه . وصلوات الله عليك ورحمة الله وبركاته ، وسلامه وتحياته ، وعلى الأئمة من آلِكَ الطاهرين ، إنه حميد مجيد .

والأمر الأعجب والخطب الأفظع ، بعد جحدِكَ حَقِّكَ ، غَضَبُ الصديقة الزهراء سيدة النساء فدكاً ، ورد شهادتك وشهادة السيدين ساللتك ، وعثرة أخيك المصطفى صلوات الله عليكم ، وقد أعلى الله تعالى على الأمة درجتكم ، ورفع منزلتكم ، وأبان فضلكم ، وشرفكم على العالمين ، فأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً !

قال الله جل وعز : **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ، إِلَّا الْمُصَلِّينَ ،** فاستثنى الله تعالى نبيه المصطفى ، وأنت يا سيد الأوصياء ، من جميع الخلق فما أعمّه من ظلمك عن الحق .

ثم أفضوك سهم ذوي القربى مكرراً ، وأحادوه عن أهله جوراً ، فلما آل الأمر إليك أجرته على ما أجريا ، رغبةً عنه بما عند الله لك ، فأشبهت محتكك بهما محن الأنبياء عليهم السلام عند الوحدة وعدم الأنصار .

وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام إذ أجبت كما أجاب ، وأطعت كما أطاع إسماعيلُ ، صابراً محتسباً ، إذ قال له : **يَا بُنَيَّ إِنَّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ .** وكذلك أنت لما أباتك النبي صلى الله عليكما ، وأمرك أن تضطجع في مرقده ، واقياً له بنفسك ، أسرعت إلى إجابته مطيعاً ، ولنفسك على القتل موطناً ، فشكر الله تعالى طاعتك ، وأبان عن جميل فعلك بقوله جل ذكره : **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ .**

ثم محتثك يوم صفين ، وقد زُفعت المصاحف حيلةً ومكرًا ، فأعرض الشكُّ وعزَفَ الحق ، وأتبع الظن ، أشبهت محنة هارون إذ أمره موسى على قومه ففترقوا عنه ، وهارون يناديهم : **يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي . قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى .**

وكذلك أنت لما زُفعتِ المصاحف قلت : يا قوم إنما فتنتم بها وخذعتم ، فعصوك وخالفوا عليك ، واستدعوا نصب الحكامين ، فأبيت عليهم ، وتبرأت إلى الله من فعلهم وفوضته إليهم . فلما أسفر الحق وسَفِهَ المنكر ، واعترفوا بالزلزل والجور عن القصد ، واختلفوا من بعده ، وألزموك على سفه التحكيم الذي أبيتته ، وأحبوه وحظرتته ، وأباحوا ذنبهم الذي اقترفوه . وأنت على نهج بصيرةٍ وهدى ، وهم على سنن ضلالةٍ وعمى ، فما زالوا على النفاق مصرين ، وفي الغيِّ مترددين ، حتى أذاقهم الله وبال أمرهم ، فأمات بسيفك من عاندك فشقي وهوى ، وأحيا بحجتك من سعد فهدى .

صلوات الله عليك غاديةً ورائحةً ، وعاكفةً وذاهبةً ، فما يحيطُ المادحُ وصفك ، ولا يُحِبُّ الطاعنُ فضلك . أنت أحسنُ الخلق عبادةً ، وأخلصهم زهادةً ، وأذبُّهم عن الدين . أقيمت حدود الله بجهدك ، وفللت عساكر المارقين بسيفك ، تُخمد لهب الحروب بينانك ، وتهتك ستورُ الشُّبه ببيانك ، وتكشف لَبَسَ الباطل عن صريح الحق ، لا تأخذك في الله لومة لائم . وفي مدح الله تعالى لك غنى عن مدح المادحين ، وتقريظ الواصفين ، قال الله تعالى : **مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا .**

ولما رأيت أنك قد قاتلت الناكثين والقاسطين والمارقين ، وصدقك رسول الله صلى الله عليه وآله وعده ، فأوفيت بعهده ، قلت : أما آن أن تخضب هذه من هذه ، أم متى يبعث أشقاها ،

وأتقاً بأنك على بينة من ربك ، وبصيرة من أمرك ، قادماً على الله ، مستبشراً ببيعك الذي بايعته به ، وذلك هو الفوز العظيم .

اللهم العن قتلة أنبيائك وأوصياء أنبيائك ، بجميع لعناتك ، وأصلهم حرّاً نارك ، والعن من غضبٍ وليك حقه ، وأنكر عهدَه ، وجحدَه بعد اليقين والإقرار بالولاية له ، يوم أكملت له الدين .

اللهم العن قتلة أمير المؤمنين ، ومن قتله ، وأشياعهم وأنصارهم . اللهم العن ظالمي الحسين وقاتليه ، والمتابعين عدوه وناصريه ، والراضين بقتله وخاذليه ، لعناً وبيلاً .

اللهم العن أول ظالم ظلم آل محمد ، ومنايعهم حقوقهم . اللهم خص أول ظالم وغاصب لآل محمد باللعن ، وكل مُسْتَنٍّ بما سنَّ إلى يوم الدين .

اللهم صل على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وآله الطاهرين ، واجعلنا بهم متمسكين ، وبموالاتهم من الفائزين الآمنين ، الذين لا خوف عليهم ولا يحزنون . إنك حميد مجيد » .

* *

ملاحظات

١ . نلاحظ صراحة العقيدة التي طرحها الإمام عليه السلام في أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك في مواجهة الحملة التي كان المتوكل يشنها على أمير المؤمنين عليه السلام وأبنائه ، وعمله لإبادتهم ، وإقامته الحفلات في دار الخلافة للسخرية من أمير المؤمنين عليه السلام !

فكان الإمام عليه السلام يقول للشيعية : واجهوا خطة المتوكل والنواصب ومحاولاتهم طمس فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والطعن في شخصيته ، بإعلان عقيدتكم فيه كاملة غير منقوصة ، وبينوا جهاده ونصرته لرسول الله ﷺ من بدء البعثة الى

شهادته ، ولو تضمن ذلك التعريض بمن ظلمه وخالفه ، من الذين لم يسهموا في نصرته النبي عليه السلام بضربة سيف ولا رمية سهم ، وكانوا يهربون في الحروب ، فجعلوهم أنداداً لعلی عليه السلام !

وهكذا يقدم منشور الغدير مذهب أهل البيت عليهم السلام كاملاً صريحاً ما عدا تسمية الأشخاص بأسمائهم . وبذلك يُعلم الإمام الهادي عليه السلام شيعته أن يتَّخِذُوا الخليفة ونظامه بالجهر بمذهبهم ومقام علي عليه السلام الذي جعله الله له في الإسلام .

٢ . انتشرت هذه الزيارة من يومها ، فقد كان جمهور الشيعة ينتظرون إمامهم صلوات الله عليه في النجف ، ليتعلموا منه ، ويزوروا معه أمير المؤمنين عليه السلام .

ويدل على ما ذكرناه أنه عليه السلام مرَّ لساعات قرب بغداد ، فازدحم عليه شيعته ، حتى أن والي بغداد أخَّر زيارته له الى الليل من ازدحام الناس . فلا بد أن يكون اجتماع النجف أكثر لأن شيعته عليه السلام في الكوفة أكثر عدداً منهم في بغداد ، وأجراً .

٣ . تضمنت زيارة الغدير أهم أسس عقيدة الولاية الواجبة على المسلمين لأمر المؤمنين وأئمة عترته النبي عليهم السلام . ونكتفي هنا ببيان فهرس علمي لما تضمنته .

فهرس علمي أولي لزيارة الغدير

١ . افتتح الإمام الزيارة بالسلام على نبينا والأنبياء عليهم السلام ، ثم بدأ بالسلام على أمير المؤمنين عليه السلام لأنه وارثهم وفي سياقهم .

٢. وأول صفة وصفه بها : أمير المؤمنين ، وخاطبه بها في كل الزيارة ليثبت عقيدة أهل البيت عليه السلام بأنها لقب خاص به عليه السلام ، أنزله الله وبلغه رسوله ﷺ فأخذه الآخرون مع ما أخذوا مما خص الله به علياً عليه السلام من ألقاب وصفات .

٣. لقب : سيد الوصيين : فعقيدتنا في أوصياء الأنبياء عليه السلام أن الوصي يتناسب مقامه مع من هو وصيه ، ونبينا ﷺ سيد الأنبياء ، فوصيه سيد الأوصياء عليه السلام .

٤. وارث علم النبيين : لأن عقيدتنا أن النبي ﷺ ورث علم الكتاب ، وكل موارث الأنبياء عليه السلام ، الى علي والعترة عليه السلام .

٥. وولي رب العالمين ، ومولاي ومولى المؤمنين : فقد استحق الولاية على الناس بأمر الله تعالى لعمق ولايته لله ، قال عز وجل : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** . « المائدة : ٥٥ » .

٦. يا أمين الله في أرضه : فهو أمين الله على الدين ، وعلى علوم النبي ﷺ ، وعلى إدارة أمور المسلمين . وهي أمانة بأمر الله تعالى ، على كل الرسالة وتطبيقها .

٧. وسفيره في خلقه : فقد ختمت سفارة النبوة بين الله وخلقه بنبينا ﷺ ، لكن سفارة الإمامة والوصية لم تنته . فالأئمة هم سفراء الله تعالى الى خلقه .

٨. وحجته البالغة على عباده : والحجة تقوم على العباد بالعلم والمعجزة ، وقد كانا عند علي والأئمة عليه السلام .

٩. السلام عليك يا دين الله القويم : فعلي هو الدين لأنه تجسيد للدين ، وأتباعه اتباع للدين . فهو مع القرآن والقرآن معه ، كما نص رسول الله ﷺ .

١٠. وصراطه المستقيم : والصراط المستقيم مصطلح قرآني للوحي الذي نزل على رسول الله ﷺ ، وهدي الرسول وسيرته ، وقد تجسد في هدي علي عليه السلام وسيرته .

١١. السلام عليك أيها النبا العظيم ، الذي هم فيه مختلفون ، وعنه يسألون : تفسير للآيات التي نزلت في أول البعثة عندما جمع النبي ﷺ بني هاشم واختار منهم علياً بأمر ربه ، وكان غلاماً ، فقالت قريش : يريد النبوة والملك لبني هاشم ، وقد جعل ابن عمه وصيه ! وقد روى محمد بن سليمان في المناقب « ٢ / ٢٧٦ » من تفسير القبطان عن وكيع ، عن سفيان عن السدي ، عن عبد خير ، عن علي قال : « أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هذا الأمر بعدك ، لنا أم لِمَنْ ؟ قال : يا صخر الأمر بعدي لمن هو بمنزلة هارون من موسى ! قال : فأنزل الله تعالى : **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .** منهم المصدق بولايته وخلافته ، ومنهم المكذب بهما » .

١٢. آمنت بالله وهم مشركون ، صدقت بالحق وهم مكذبون : وهذه عقيدتنا في أن علياً وخديجة عليهما السلام أول المؤمنين . وقد قال سعد بن أبي وقاص إن أبا بكر أسلم بعد أكثر من خمسين . أما عمر فأسلم قريب هجرة النبي ﷺ .

١٣. وجاهدت وهم مُحجّمون : وهذا معروف عنه في الحروب والمهمات الصعبة . وقد وصف علي عليه السلام من جعلوهم أنداداً له بقوله ، كما في رواية سليم بن قيس / ٢٤٧ :

« ألا إن العجب كل العجب من جهال هذه الأمة وضلالها ، وقادتها وساققتها إلى النار ، لأنهم قد سمعوا رسول الله ﷺ يقول عوداً وبدءاً : ما ولت أمة رجلاً قط أمرها وفيهم أعلم منه ، إلا لم يزل أمرهم يذهب سفلاً حتى يرجعوا إلى ما تركوا ! فولوا أمرهم قبلي ثلاثة رهط ، ما منهم رجل جمع القرآن ، ولا يدعي أن له علماً بكتاب الله ولا سنة نبيه . وقد علموا يقيناً أنني أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه ، وأفقههم وأقرأهم لكتاب الله وأقضاهم بحكم الله .

وإنه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول الله ﷺ ولا غناء معه في جميع مشاهدته ، فلا رمى بسهم ، ولا طعن برمح ، ولا ضرب بسيف ، جنباً ولؤماً ، ورغبةً في البقاء . وقد علموا أن رسول الله ﷺ قاتل بنفسه فقتل أبي بن خلف ، وقتل مسجع بن عوف ، وكان من أشجع الناس وأشدهم لقاء ، وأحقهم بذلك .

وقد علموا يقيناً أنه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامي ، ولا يبارز الأبطال ولا يفتح الحصون غيري ، ولا نزلت برسول الله ﷺ شديدة قط ، ولا كربة أمر ولا ضاق مستصعب من الأمر ، إلا قال : أين أخي علي ، أين سيفي ، أين رحمي ، أين المفرج غمي عن وجهي ! فيقدمني فأتقدم فأفديه بنفسي ، ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه . والله عز وجل ولرسوله بذلك المن والظؤل ، حيث خصني بذلك ووقفني له . لم يكن لأبي بكر وعمر أي سابقة في الدين ، وإن بعض من سميت ما كان ذا بلاء ولا سابقة ولا مبارزة قرن ، ولا فتح ولا نصر ، غير مرة واحدة ،

ثم فرّ ومنح عدوه دُبْرَه ، ورجع يُجَبِّن أصحابه ويجبنونه ، وقد فرّ مراراً ! فإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلم وتَعَبَّر « أظهر الغيرة » وأمر ونهى !

١٤ . وعبدت الله مخلصاً له الدين ، صابراً محتسباً حتى أتاك اليقين ، ألا لعنة الله على الظالمين : إشارة الى الظلامه الكبرى التي أوقعوها بالأمة في حرمانها منه عليه السلام وظلامته هو ، بسلب حقه .

١٥ . السلام عليك يا سيد المسلمين ، ويعسوب المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين : وهذه صفات وصفه بها النبي ﷺ ، وروتها مصادر الطرفين .

ففي أمالي الصدوق / ١٨٨ : « معاشر الناس ، إن علياً مني وأنا من علي ، خُلق من طينتي ، وهو إمام الخلق بعدي ، يُبين لهم ما اختلفوا فيه من سنتي ، وهو أمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين ، ويعسوب المؤمنين ، وخير الوصيين ، وزوج سيده نساء العالمين ، وأبو الأئمة المهديين .

معاشر الناس : من أحب علياً أحببته ، ومن أبغض علياً أبغضته ، ومن وصل علياً وصلته ، ومن قطع علياً قطعته ، ومن جفا علياً جفوته ، ومن والى علياً واليته ، ومن عادى علياً عاديته .

معاشر الناس : أنا مدينة الحكمة وعلي بن أبي طالب بابها ، ولن تؤتى المدينة إلا من قبل الباب ، وكذب من زعم أنه يجني ويغض علياً » .

وفي مجمع الزوائد « ١٠٢ / ٩ » : « وعن أبي ذر وسلمان قالا : أخذ النبي بيد علي فقال : إن هذا أول من آمن بي ، وهذا أول من يصفحني يوم القيامة ، وهذا الصديق

الأكبر ، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظالمين » .

١٦. أشهد أنك أخو الرسول : روى الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله اتخذته أحماً دون غيره ففي الدر المنثور : ٣ / ٢٠٥ : « عن ابن عباس قال : كان رسول الله آخى بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ، فأخى بين حمزة بن عبد المطلب وبين زيد بن حارثة ، وبين عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء ، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وبين أبي بكر وطلحة ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وقال لسائر أصحابه : تأخوا ، وهذا أخي ، يعني علي بن أبي طالب » .

١٧. ووصيه : وأحاديث الوصية متواترة صريحة ، لكن فسرها المخالفون بأن النبي صلى الله عليه وآله جعله وصيه على أهل بيته ، مع أنها تنص على أنه وصيه على أمته !

١٨. ووارث علمه : وقد شهدوا بأنه أعلم الصحابة ، فقال عمر بن الخطاب : « وأفضانا علي » « البخاري : ٥ / ١٤٩ » والأعلم بالقضاء هو الأعلم مطلقاً .

وقال الله تعالى : **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا** . وأولهم وخيرهم علي عليه السلام .

١٩. وأمينه على شرعه ، وخليفته في أمته : ويكفي في النص على خلافة علي عليه السلام الحديث الصحيح في أول البعثة عندما أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله أن ينذر عشيرته الأقربين ويتخذ من يعاهده منهم علي مؤازرته في دعوته ، وزيراً وخليفة ، فاستجاب له علي عليه السلام وأعلنه لهم وصياً وخليفة وأمرهم بطاعته !

فقد رواه الطبري في تاريخه « ٦٣ / ٢ » وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله قال لهم : « يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتم به ، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأياكم يوازني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم ؟ قال فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقال علي : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ثم قال : إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا . قال فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع « ! وأبوالفداء : ١ / ١١٧ ، وغيره .

ورواه الطبري في تفسيره « ١٩ / ١٤٩ » لكن قال فيه : « إن هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا » . فحرفه لأنه يخاف نقل النص على خلافة علي عليه السلام !

أما محمد حسين هيكل فأورده كتابه حياة محمد في الطبعة الأولى / ١٠٤ ، ثم حذفه من الطبعة الثانية / ١٣٩ !

وقال الشيخ مُعَنِّيَّة في فلسفة التوحيد والولاية / ١٧٩ : « وذلك لقاء خمس مائة جنيه ، أو لقاء شراء ألف نسخة من كتابه « ! أي من سفارة الوهابية .

٢٠ . وأول من آمن بالله ، وصدق بما أنزل على نبيه : بهذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله ووصفه بالصديق الأكبر والفاروق ، لكنهم صادروا صفاته وأعطوها لغيره !

٢١ . وأشهد أنه قد بلغ عن الله ما أنزله فيك ، وصدع بأمره : وهذا معروف عند الجميع . قال المناوي في فيض القدير « ٤ / ٤٦٨ » : « قال الإمام أحمد : ما جاء في أحد

من الفضائل ما جاء في علي ! وقال النيسابوري : لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأحاديث الحسان ، ما ورد في حق علي .

٢٢ . وأوجب على أمته فرض ولايتك : فعقد عليهم البيعة لك ، وجعلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما جعله الله ، ثم أشهد الله تعالى عليهم فقال : أأست قد بلغت ؟ فقالوا : اللهم بلى ، فقال : اللهم اشهد ، وكفى بك شهيداً وحاكماً بين العباد :

هذه الفقرات من نصوص خطبة النبي صلى الله عليه وآله في يوم الغدير ، وقد روى أصلها أكثر من مئة صحابي ، وروى مخالفونا منها ما فيه حجة بالغة كالحديث الصحيح الذي لامطعن لأحد في سنده ، رواه في تاريخ دمشق : ٤٢ / ٢٣٣ وغيره ، عن أبي هريرة قال : « من صام يوم ثمانى عشرة من ذى الحجة كتب له صيام ستين شهراً ، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي « ص » بيد علي بن أبي طالب فقال : أأست ولي المؤمنين ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : من كنت مولاه فعلي مولاه . فقال عمر بن الخطاب : بخ لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ! فأنزل الله عز وجل : **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** » .

٢٣ . فلعن الله جاحد ولايتك بعد الإقرار ، وناكث عهدك بعد الميثاق : هذا اللعن للجاحدين الذي عرفوا فتمت عليهم الحجة ، ثم أنكروا ، كما قال تعالى : **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** . أما غير الجاحدين ، فبعضهم لا يعرف القضية لكنه أطاع من خالف أمير المؤمنين عليه السلام فأولئك محشورون مع ساداتهم . وبعضهم لا يعرف وأحسن الظن بالذين خالفوا ، فهؤلاء مرجون لأمر الله تعالى .

٢٤. وأشهد أنك أوفيت بعهد الله تعالى ، وأن الله تعالى موف بعهدك لك ، **وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ**
اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا : والمقصود به عهد الله الذي أعطاه علي عليه السلام
لرسول الله ﷺ في مرض وفاته أن يصبر على ما يرتكب في حقه وحق زوجته
وأولاده . من ذلك ما رواه في الكافي « ١ / ٢٨١ » : « فقال أمير المؤمنين : والذي فلق
الحبة وبرأ النسمة ، لقد سمعت جبرئيل يقول للنبي : يا محمد عرفه أنه تنتهك
الحرمة ، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله ، وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم
عبيط . قال أمير المؤمنين : فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل حتى
سقطت على وجهي ، وقلت : نعم قبلت ورضيت ، وإن انتهكت الحرمة وعطلت
السنن ومزق الكتاب وهُدمت الكعبة وخُضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط ،
صابراً محتسباً أبداً ، حتى أقدم عليك » .

٢٥. وأشهد أنك أمير المؤمنين حقاً : فقد ثبت عندنا أن هذا اللقب سمي الله به
علياً عليه السلام ثم أحذه الآخرون ، ففي الكافي « ١ / ٤١١ » : أن الإمام الصادق عليه السلام قال :
« ذاك إسمٌ سمي الله به أمير المؤمنين عليه السلام ، لم يُسمَّ به أحدٌ قبله ، ولا يتسمى به
بعده إلا كافر » . وقيل إن الكافر في مثل هذا الحديث بمعنى كافر النعمة .

٢٦. الذي نطق بولايتك التنزيل : كقوله تعالى : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**
الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . والآية نص في ولاية علي عليه السلام ،
لفظها عام ومصداقها خاص ، فهو الذي تصدق بخاتمته وهو راعع ، والواو في :
وهم راععون ، حالية ، ولا يصح كونها عاطفة .

٢٧. وأخذ لك العهد على الأمة بذلك الرسول صلى الله عليه وآله : في مثل قوله صلى الله عليه وآله : « هذا وليكم من بعدي ، فإن أطمعوه رشدتم » . « الكافي : ١ / ١٥٣ » . وقوله صلى الله عليه وآله لبريدة : « لا تقع في علي ، فإنه مني وأنا منه ، وهو وليكم بعدي » . « مسند أحمد : ٥ / ٣٥٦ » .

٢٨ . وأشهد أنك وعمك وأخاك ، الذين تاجرتم الله بنفوسكم فأنزل الله فيكم : إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني النيسابوري « ٢ / ٦ » : « عن عبد الله بن عباس في قول الله تعالى : مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ : يعني علياً وحمزة وجعفر . مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ : يعني حمزة وجعفر . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ : يعني علياً كان ينتظر أجله والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله » .

٢٩ . أشهد يا أمير المؤمنين أن الشاك فيك ما آمن بالرسول الأمين ، وأن العادل بك غيرك عادل عن الدين القويم : فمن ثبت عنده أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى لعلي عليه السلام هذه المكانة ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، فكيف يرد قول رسول الله صلى الله عليه وآله ويكفر به .

والذي ينحرف عن ولايته ويتولى غيره من الأنداد ، فقد انحرف عن الدين القويم الذي أكمله الله بولايته بحكم قوله : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .

٣٠. وأشهد أنك المعني بقول العزيز الرحيم : **وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** : ومعنى هذه الفقرة واضح .

٣١. وأشهد أنك لم تنزل للهوى مخالفاً ، وللتقى مخالفاً ، وعلى كظم الغيظ قادراً ، وعن الناس عافياً ، وإذا عصي الله ساخطاً ، وإذا أطيع الله راضياً ، وبما عهد الله إليك عاملاً : هذا بيان لحالة الثبات والصمود في موقف أمير المؤمنين عليه السلام وهي صفة صاحب الدين والمبدأ . وقد عرف بذلك عليه السلام في الحرب والسلام ، والشدة والرخاء .

٣٢. وأشهد أنك ما اتقيت ضارعاً ، ولا أمسكت عن حرك جازعاً : وهذا بيان لسياسة عليه السلام مع أهل السقيفة ، فقد كان يلين وقت اللين ويشتد وقت الشدة ، ويقيم الحجة بالبرهان ، وهو في ذلك ينفذ أمر النبي صلى الله عليه وآله .

قال عليه السلام : « أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بما الأمة صانعة بي بعده ، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم مني ولا أشد يقيناً مني به قبل ذلك ، بل أنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقيناً مني بما عاينت وشهدت » . « كتاب سليم بن قيس / ٢١٥ » .

٣٣. وأشهد أنك يا أمير المؤمنين جاهدت في الله حق جهاده ، حتى دعاك الله إلى جواره : روى النسائي في خصائص علي عليه السلام / ٤٠ ، والحاكم : ٣ / ١٢٢ ، وصححه على شرط الشيخين ، عن أبي سعيد الخدري قال : كنا جلوساً ننظر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج الينا قد انقطع شسع نعله فرمى به إلى علي عليه السلام فقال : إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله ، قال أبوبكر : أنا ؟ قال : لا . قال عمر : أنا ؟ قال : لا ، ولكن خاصف النعل » .

٣٤. السلام عليك يا أمير المؤمنين ، عبدت الله مخلصاً ، وجاهدت في الله صابراً .. لا تحفل بالنواب ، ولا تهن عند الشدائد ، ولا تحجم عن محارب . أفك من نسب غير ذلك ، وافترى باطلاً عليك : وهذه باقة من صفاته عليه السلام في الجهاد والسياسة . وقد رد في آخرها ما يحاوله أعداؤه وفي طليعتهم المتوكل أن يفتروا عليه غير ذلك .

٣٥. وأنت أول من آمن بالله وصلى له ، وجاهد وأبدى صفحته في دار الشرك ، والأرض مشحونة ضلالةً ، والشيطان يعبد جهرةً : وهذا وصف لشجاعته عليه السلام في مرحلة مكة قبل إسلام الناس ، ثم عندما كانوا يتعدون بأنفسهم عن النبي صلى الله عليه وآله !

ففي السنوات الثلاث الأولى لم يكن أحد مسلماً غير بضعة من بني هاشم ، وقد هاج زعماء المشركين وعملوا ليل نهار لقتل النبي صلى الله عليه وآله فكان علي عليه السلام مهموماً في حراسته ليله ونهاره ، مع أبيه ، وعمه حمزة ، وأخيه جعفر .

وبعد الثلاث سنوات كان حصار الشعب ، وكان يوجد بعض المسلمين ، لكنهم لم يسدوا فراغاً ولا وقفوا في منع خطر أو ضرر . وقد ادعوا بعد ذلك لبعضهم بطولات ، لكن اعترفوا بأنهم لم يوصلوا صاع حنطة الى النبي صلى الله عليه وآله في الشعب ! وأن ثقل الأمور طوال كان على عاتق بني هاشم ، وأمير المؤمنين عليه السلام خاصة .

وقد رووا أن أبا بكر أجاره ابن الدغنة سيد الأحابيش ، وأن عمر أجاره العاص بن وائل ، أما علي عليه السلام فلم يستجر بأحد ، وكان مضرب المثل في خدمته لرسول الله صلى الله عليه وآله والدفاع عنه ، وتحديه لأعدائه !

٣٦. وأنت القائل لاتزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، ولو أسلمني الناس جميعاً لم أكن متضرعاً . اعتصمت بالله فعززت :

فَبَيَّنَ بهذه الفقرة أن سبب شجاعته درجةً اعتصامه وعبوديته لله تعالى .

٣٧. أشهد شهادة حق ، وأقسم بالله قسم صدق أن محمداً وآله صلوات الله عليهم سادات الخلق .. وأنه القائل لك : والذي بعثني بالحق ما آمن بي من كفر بك :

ويؤيد هذه الشهادة النبوية أحاديث متعددة نص بعضها على أفضلية بني هاشم على غيرهم ، ونص بعضها على أن عترة النبي صلى الله عليه وآله لا يقاس بهم أحد .

ففي مناقب أحمد لابن الجوزي / ١٦٣ : « سمعت عبد الله بن حنبل يقول : حدث أبي بحديث سفينة فقلت : يا أبة ما تقول في التفضيل ؟ قال : في الخلافة أبوبكر وعمر وعثمان . فقلت فعلي بن أبي طالب ؟ قال : يا بني علي بن أبي طالب من أهل البيت لا يقاس بهم أحد » .

وفي الرياض النضرة للطبري « ٢ / ٢٧٥ » : « قال رجل لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن : فعلي كرم الله وجهه ؟ قال ابن عمر : علي من أهل البيت لا يقاس بهم ، علي مع رسول الله في درجته ، إن الله عز وجل يقول : **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ** ، فاطمة مع رسول الله في درجته ، وعلي مع فاطمة الزهراء » .

٣٨. مولاي ، فضلك لا يخفى ، ونورك لا يُطفى ، وإن من جحدك الظلوم الأشقى : أهم هذه الصفات أنه عليه السلام حجة الله على خلقه ، وله أدلته من القرآن والسنة . ولعن مستحلي حرمة العترة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله لأنه قال : « خمسة لعنتهم وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والتارك لسنتي ، والمكذب بقدر الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والمستأثر بالفئ ، والمستحل له » . « الكافي : ١ / ٢٩٣ » .

« ستة لعنتهم ولعنهم الله ، وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت ليزل من أعز الله ويعز من أذل الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والمستحل لحرم الله » . « الحاكم : ٢ / ٥٢٥ وصححه » .

٣٩. وأشهد أنك ما أقدمت ، ولا أحجمت ، ولا نطقت ، ولا أمسكت ، إلا بأمر من الله ورسوله ﷺ : وقد رووا أن خالد بن الوليد بعث بريدة يشتكى على علي للنبي ﷺ ، قال بريدة : « فوقعت في علي حتى فرغت ، ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب غضباً لم أره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير ، فنظر إلى فقال : يا بريدة أحب علياً فإنما يفعل ما أمر به ! فقمتم وما من الناس أحد أحب إلى منه » . « أوسط الطبراني : ٥ / ١١٧ ، ومجمع الزوائد : ٩ / ١٢٩ ، وتاريخ دمشق : ٤٢ / ١٩١ ، وفي رواية أخرى فيه : « قال له : أنافقت بعدي يا بريدة ! »

٤٠. وأنت ولي الله وأخو رسوله ، والذائب عن دينه ، والذي نطق القرآن بتفضيله : قال الله تعالى : **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا . دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا .** « النساء : ٦٨ - ٦٩ » . وجهاد علي عليه السلام بين يدي رسول الله ﷺ كافٍ لتفضيله على كافة الصحابة خاصة الفارين في الحروب ، لكن القرشيين عصّبوا دماء مشركيهم الذين قتلهم النبي ﷺ بعلي عليه السلام لأنه كبير بني هاشم ، وانتقموا من النبي ﷺ بشخص علي ! ومن انتقامهم أنهم جعلوا الجهاد الدعوة الى الإسلام وليس القتال . فعلي مقاتل وليس مجاهداً ، وفلان وفلان مجاهدون ولو لم يقاتلوا ! وقد استمات الفخر الرازي لإثبات هذا التزييف القرشي ، فقال إن أبا

بكر جاهد بالدعوة الى الإسلام ، وعلي قاتل فقط ! قال في تفسيره « ٩ / ١١ » : « وهذا النوع من الجهاد هو حرفة النبي « ص » وأما جهاد علي فإنما كان بالقتل ، ولا شك أن الأول أفضل » !

٤١ . أشهد أنك المخصوص بمدحة الله ، المخلص لطاعة الله ، لم تبغ بالهدى بدلاً ، ولم تشرك بعبادة ربك أحداً ، وإن الله تعالى استجاب لنبيه صلى الله عليه وآله فيك دعوته :

ففي كمال الدين / ٢٨٥ ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : « أخبرني ربي جل جلاله أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك ، فقلت : يا رسول الله ومن شركائي من بعدي ؟ قال : الذين قرّهم الله عز وجل بنفسه وبني ، فقال : **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** . فقلت : يا رسول الله ومن هم ؟ قال : الأوصياء مني إلى أن يردوا علي الحوض كلهم هاد مهتد ، لا يضرهم من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه ، بهم تنصر أمّتي وبهم يمضون وبهم يدفع عنهم البلاء ويستجاب دعاؤهم » .

٤٢ . فلما أشفق من فتنة الفاسقين واتقى فيك المنافقين ، أوحى الله رب العالمين : **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** . فوضع على نفسه أوزار المسير ، ونهض في رمضاء الهجير فخطب فأسمع ، ونادى فأبلغ :

ومعنى عصمة الله لنبيه صلى الله عليه وآله في الآية أن يعصمه من ارتداد أمته ، ولا يصح تفسيرها بغير ذلك ، كما بينا في كتاب : تفسير آيات الغدير الثلاث .

٤٣ . فما آمن بما أنزل الله فيك على نبيه إلا قليل ، ولا زاد أكثرهم إلا تخسيراً ، ولقد أنزل الله تعالى فيك من قبل وهم كارهون : **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ..**

٤٤ . السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وسيد الوصيين ، وأول العابدين ..

٤٥ . أنت مطعم الطعام على حبه مسكيناً ویتيماً وأسيراً لوجه الله لا تريد منهم جزاء ولا شكوراً ... وأنت الكاظم للغيظ ، والعافي عن الناس ، والله يحب المحسنين . وأنت الصابر في البأساء والضراء وحين البأس ..

وهذه صفات ثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام دون مخالفه ، وقد روتها مصادر الجميع .

٤٦ . والله تعالى أخبر عما أولاك من فضله بقوله : **أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ** . وقد ورد تفسيرها بأمر المؤمنين عليه السلام .

٤٧ . وأنت المخصوص بعلم التنزيل ، وحكم التأويل ، ونصر الرسول ، ولك المواقف المشهورة ، والمقامات المشهورة ، والأيام المذكورة ، يوم بدر ويوم الأحزاب :

وقد روى المؤرخون أن المسلمين قتلوا نصف قتلى بدر من عتاة المشركين ، وقتل علي عليه السلام وحده نصفهم . وحاول القرشيون بعدها أن يطمسوا بطولة علي عليه السلام !

قال عمر بن عبد العزيز كما في شرح النهج : ٤ / ٥٨ : « كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود ، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن علياً ، فكره ذلك ودخل المسجد ، فتركت الصبيان وجمت إليه لأدرس عليه وردني ، فلما رأني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني ، حتى أحسست

منه بذلك ، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي ، فقلت له : ما بال الشيخ ؟ فقال لي : يا بني ، أنت اللاعن عالياً منذ اليوم ؟ قلت : نعم ، قال : فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ! فقلت : يا أبت ، وهل كان علي من أهل بدر ؟ فقال : ويحك ! وهل كانت بدر كلها إلا له ! فقلت : لا أعود ، فقال : الله أنك لا تعود ! قلت : نعم ، فلم ألعنه بعدها .

ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه ، حتى يأتي إلى لعن علي فيججم ، ويعرض له من الفهاة والحصر ما الله عالم .

٤٨ . **وَيَوْمَ أُحُدٍ : إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ : وَأَنْتَ**

تدود المشركين عن النبي صلى الله عليه وآله ذات اليمين وذات الشمال :

وقد وصف الله تعالى فرار المسلمين في أحد في نحو ستين آية إذ تركوا نبيهم صلى الله عليه وآله لسيوف المشركين ، وثبت معه أول الأمر أبو دجانة ونسيبة بنت عمارة وعلي عليه السلام فجرح الأولان وبقي علي عليه السلام وحده ، فقاتل هو والنبي حتى وقع النبي صلى الله عليه وآله في حفرة واجتمع المشركون ليقتلوه ، فكشفهم علي عليه السلام وأمر جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله أن يقعد في ظل الصخرة ، وأن يقاتل علي عليه السلام وحده ، فواصل رد حملاتهم عن النبي صلى الله عليه وآله حتى نصره الله ، وقرر المشركون أن ينسحبوا !

٤٩ . **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَىٰ مَا نطق به التنزيل : لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ**

أَعَجَبْتَكُمْ كَثَرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَّتْ مُدْبِرِينَ .

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ . « التوبة : ٢٥ » والمؤمنون أنت ومن يليك :

وقد انهزم في حنين جميعاً وكانوا اثني عشر ألفاً ! ونكثوا بيعتهم تحت الشجرة في الحديبية على أن لا يفروا ! وثبت مع النبي صلى الله عليه وآله بنو عبد المطلب ومعهم أيمن بن أم أيمن فقط ، فقاتل النبي صلى الله عليه وآله قتال الأبطال ، ورتب علي عليه السلام بني هاشم لحماية النبي صلى الله عليه وآله ، وحمل على هوازن وكانوا عشرين ألفاً ، وكان يقصد قادتهم واحداً بعد الآخر ، حتى قتل أربعين من حملة الرايات ! وكان يأسر بعضهم ويأتي بهم فيضعهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله ! وقد أقسم ابن هشام في السيرة « ٤ / ٨٩٦ » فقال : « فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله . » وكان علي عليه السلام هو الذي أسرهم وكتفهم !

٥٠ . ويوم خيبر إذ أظهر الله خَوَرَ المنافقين ، وقطع دابر الكافرين ، والحمد لله رب العالمين : **وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا :**

وكان النبي صلى الله عليه وآله فتح القسم الأول من خيبر واسمه : النطاة ، وترك فيه علياً عليه السلام يرتب أموره ، وجاء الى القسم الآخر واسمه : الكتيبة ، والفاصلة بينهما بضعة كيلومترات ، فحاصر حصونها وأهمها : القموص ، والسلام والوطيح ، حاصرها أكثر من عشرين يوماً ، وكان يرسل المسلمين بقيادة الصحابة المعروفين فيرجعون منهزمين ، وقد وبخهم الله تعالى بقوله : **وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا .**

ثم قال الصحابة أرسل الى علي عليه السلام فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وآله وجاء وكان أرمم العينين ، فشافاه رسول الله صلى الله عليه وآله بريقه ، وقال فيه كلمته المعروفة .

قال ابن هشام « ٧٩٧ / ٣ » : « بعث أبا بكر الصديق برأيه إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل فرجع ولم يك فتح ، وقد جَهِدَ ! ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جَهِدَ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ليس بفرار ! فدعا رسول الله عليه وآله وهو أرمد فتفل في عينه ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك . يقول سلمة : فخرج والله بها يأنج ، يهرول هرولة ، وأنا خلفه نتبع أثره حتى ركز رأيه في رضم من حجارة تحت الحصن .. فما رجع حتى فتح الله على يديه » .

٥١. مولاي ، أنت الحجة البالغة ، والمحجة الواضحة ، والنعمة السابعة ، والبرهان المنير ، فهنيئاً لك ما آتاك الله من فضل ، وتباً لشانئك ذي الجهل ... شهدت مع النبي صلى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه ، تحمل الراية أمامه ، وتضرب بالسيف قدامه ...

٥٢. وكم من أمرٍ صدَّك عن إمضاء عزمك فيه التُّقى ، واتبع غيرك في نيله الهوى .. ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم وامترى ، بقولك صلى الله عليه وآله : قد يرى الحُوْلُ القُلْبُ وَجَهَ الحيلة ، ودونها حاجزٌ من تقوى الله ، فيدعها رأي العين ، ويتتهز فرصتها من لا جريحة له في الدين ! صدقت وخسر المبطلون :

وهذه ميزة سامية لأمر المؤمنين عليهم السلام على غيره ، في إصراره على طهارة الوسي لة والهدف ، فهدفه إعادة العهد النبوي ، وتثبيت قيم الإسلام ، حتى لو كان فيها خسارة سياسية عليه . وقد انتقد سياسة الغدر ومخالفة قيم الإسلام ، فقال « نهج البلاغة : ٩٢ / ١ » : « ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ! ما لهم قاتلهم الله . قد يرى الحُوْلُ القُلْبُ وجه

الحيلة ودونه مانع من أمر الله ونهيه ، فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين » .

وقال عليه السلام « الكافي : ٢٤ / ٨ » : « وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية .. تصفية العمل أشد من العمل ، وتخليص النية من الفساد ، أشد على العاملين من طول الجهاد . هيهات لولا التقى لكنت أدهى العرب » .

٥٣ . وإذ ما كرك الناكثان فقالا : نريد العمرة ، فقلت لهما : لعمري ما تريدان العمرة لكن الغدرة ، وأخذت البيعة عليهما ، وجددت الميثاق فجدا في النفاق ، فلما نهتهما على فعلهما أغفلا وعادا ، وما انتفعا ، وكان عاقبة أمرهما خسرا .

٥٤ . ثم تلاهما أهل الشام فسرت إليهم بعد الإعدار ..

٥٥ . مولاي ، بك ظهر الحق .. وعدوك عدو الله ، جاحدٌ لرسول الله ﷺ ، يدعو باطلاً ويحكم جائراً ، ويتأمر غاصباً ، ويدعو حزبه إلى النار ..

٥٦ . وعلى من سلَّ سيفه عليك وسللت عليه سيفك يا أمير المؤمنين ..

٥٧ . والأمر الأعجب والخطب الأفظع بعد جحدك حقك ، غضب الصديقة الزهراء سيدة النساء فدكاً ..

٥٨ . قال الله جل وعز : **إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا .. إِلَّا الْمُصَلِّينَ** ، فاستثنى الله تعالى نبيه المصطفى وأنت يا سيد الأوصياء من جميع الخلق ..

٥٩ . ثم أفضوك سهم ذوي القربى مكرراً ، وأحادوه عن أهله جوراً ..

روى النسائي في سننه « ١٢٨ / ٧ » : « أن نجدة الحروري حين خرج في فتنة ابن الزبير أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سهم ذي القربى لمن تراه ؟ قال : هو لنا لقربى رسول الله صلى الله عليه وآله قسمه رسول الله لهم ، وقد كان عمر عرض علينا شيئاً رأيناه دون حقنا ، فأبيناه أن نقبله ، وكان الذي عرض عليهم أن يعين ناكحهم ، ويقضي عن غارمهم ، ويعطي فقيرهم ، وأبى أن يزيدهم على ذلك » .

٦٠ . وأشبعت في البيات على الفراش الذبيح عليه السلام إذ أجبت كما أجاب ..

٦١ . ثم محنتك يوم صفين ، وقد رُفعت المصاحف حيلةً ومكراً ..

٦٢ . صلوات الله عليك غاديةً ورائحةً ، وعاكفة وذاهبة .. وفي مدح الله تعالى لك غنى عن مدح المادحين وتقريظ الواصفين ، قال الله تعالى : **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** .

٦٣ . ولما رأيت أنك قد قاتلت الناكثين والقاسطين والمارقين ، وصدقك رسول الله وعده صلى الله عليه وآله فأوفيت بعهده ، قلت : أما آن أن تخضب هذه من هذه ..

٦٤ . اللهم العن قتلة أنبيائك وأوصياء أنبيائك بجميع لعناتك ، وأصلحهم حرَّ نارك ، والعن من غضب وليك حقه وأنكر عهده ، وجحدته بعد اليقين والإقرار ..

٦٥ . اللهم صل على محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين وآله الطاهرين ، واجعلنا بهم متمسكين وبموالاتهم .. « .

الإمام الهادي عليه السلام يطلق (إياذة) الشيعة في الأئمة عليهم السلام

١. الزيارة الجامعة نصُّ فريدٌ أملاه الإمام علي الهادي عليه السلام على موسى بن عمران النخعي ، عندما قال له : علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً ، إذا زرتُ واحداً منكم . فعلمه هذه الزيارة التي عرفت بالزيارة الجامعة .

وتقع في نحو عشر صفحات ، وتتضمن أهم صفات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم ومقامهم عند الله تعالى .

ومنذ صدورها ، أخذت مكانتها الخاصة عند علماء الشيعة ومتدبريهم ، فهم يتلونّها في مشاهدهم ومساجدهم وحسينياتهم وبيوتهم ، لأنّها تعبر عن عقيدتهم في أئمتهم عليهم السلام ، فهي بحق ملحة عقيدة المسلم الشيعي ، وأنشودته المحببة الى وجدانه ، وقصيدته العصماء التي يجب أن يلقيها في مديحهم .

فهي جديرة بأن يتأملها من أراد معرفة عقيدة الشيعة في أئمتهم عليهم السلام ، وأن يدرسها الشيعي ليتفهم مكانة نبيه وأئمة المعصومين عليهم السلام عند الله تعالى .

٢. أملى الإمام الهادي هذه الملحة بلغة لا يجيدها إلا أهل البيت عليهم السلام الذين هم أفصح من نطق بالضاد ، وأقدر من تمكن من قيادها ، وأبرع معماريها .

تقرأ في هذه الزيارة مثل هذه الفقرة : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، ومعدن الرسالة ، وخزان العلم ، ومنتهى

الحلم ، وأصول الكرم ، وقادة الأمم ، وأولياء النعم ، وعناصر الأبرار ، ودعائم الأخيار ، وساسة العباد ، وأركان البلاد ، وأبواب الإيمان ، وأمناء الرحمن ، وسلالة النبيين ، وصفوة المرسلين ، وعتره خيرة رب العالمين ، ورحمة الله وبركاته .

وهذه الفقرة : السلام على محال معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله ، وحفظة سر الله ، وحملة كتاب الله ، وأوصياء نبي الله ، وذرية رسول الله ..

فتبهرُك قدرة معمارها على بناء العبارة العربية ، وخبرته في انتقاء الكلمات من أسفاطها كما ينتقي الخبير جواهره ، وتبهرك خيوط ربطه وحروف التعديّة التي يشد بها الأفعال والأسماء والحروف ، فتقابل الكلمات وال فقرات وتتناغم .

هذا ، ولا يتسع المجال لوصف خصائص التعبير والمضمون في الزيارة الجامعة .

٣ . في شخصية النبي والإمام سرٌّ وهيام : سرٌّ هو ارتباط المعصوم بربه ، ومدده منه . وهيام المؤمنين به ، إيماناً وحباً وطاعةً . كما تجدد ذلك في سيرتهم عليهم السلام وفي تعامل المؤمنين معهم ، وتتعرف عليه في الزيارة الجامعة .

وقد كان ذلك حقيقة من عهد النبي صلى الله عليه وآله ، ففي أمالي الصدوق / ٤١٤ : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وأهلي أحب إليه من أهله وعترتي أحب إليه من عترته ، وذاتي أحب إليه من ذاته » .

وفي الكافي « ٧٨ / ٨ » قال الإمام الصادق عليه السلام : « كان رجل يبيع الزيت وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله حباً شديداً . كان إذا أراد أن يذهب في حاجته لم يمض حتى ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد عرف ذلك منه فإذا جاء تطاول له حتى ينظر إليه » .

٣. بَلَغَ النبي ﷺ أمته أن الله تعالى أعطى الأئمة من عترته عليهم السلام السر من بعده وأمر أمته أن تحبهم معه ، لكن قريشاً عملت ضد العترة ، لأن خلافة النبي برأيها يجب أن تكون لبطون قريش ، وليس لعترة النبي ﷺ .

واتهمت قريش أنصار العترة النبوية بأنهم يغالون في النبي ﷺ وفيهم ، ويدعون أنهم يعلمون الغيب ، وكانو يسموئهم : عبّاد محمد ﷺ !

وقد قال لهم أبو بكر في المدينة وسهيل بن عمرو في مكة ، بعد وفاة النبي ﷺ :
« من كان يعبد محمداً ، فإن محمداً قد مات » . « مسند أحمد » ٦ / ٢٢٠ .

٤. يتصور البعض أن المشكلة في قضية أهل البيت عليهم السلام هي الغلو ، لكن الغلو محصور في حفنة أهّوا أهل البيت والعياذ بالله ، وقد حسم الأئمة عليهم السلام الموقف منهم ، وكفّروا كل من ألّه مخلوقاً ، أو أشركه مع الله تعالى .

بل المشكلة تقصير المسلمين في حق أهل البيت عليهم السلام ، وإعراضهم عنهم ورفعهم مخالفيهم وظالمهم مقابلهم ! وقد حاربت قريش بعد النبي ﷺ من أحبهم وكأنه ارتكب جريمة ، ووصفوه بالضلال والغلو ، والكفر ! كما قال الكميت رحمه الله :

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| وطائفةٌ قالوا مسئئ ومذنبُ | وطائفةٌ قد كفرتني بخببكم |
| ولا عيبُ هاتيك التي هي أعيبُ | فما ساءني تكفيرُ هاتيك منهم |
| على حبكم بل يسخرون وأعجب | يعيبونني من خببهم وضالهم |
| بذلك أدعى فيهم وألقب | وقالوا ترابي هوأه ورأيه |
| ولا زلت في أشياعكم أتقلب | فلا زلت منهم حيث يتهمونني |
| ويُنصبُ لي في الأبعدين فأنصب | وأحمل أحقاد الأقارب فيكم |

بخاتمكم غصباً تجوز أمورهم
فقل للذي في ظلِّ عمياءِ جُونةٍ
فلم أرَ غصباً مثله حين يغصب
ترى الجور عدلاً أين لا أين تذهب
بأيِّ كتابٍ أم بأيةِ سنةٍ
ترى حُبهم عاراً عليٍّ وتَحْسِبُ
فَمَا لِي إِلَّا آلَ أحمدَ شيعةً
ومالي إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

٥. لم تستطع الحكومات القرشبية المتعاقبة أن تبعد الأمة عن العترة النبوية ، فكانت لهم شيعة يؤمنون بهم ، وتنامى وجودهم رغم الإضطهاد .

وكان الناس في كل جيل يشاهدون أنواع الكرامات والمعجزات لأمرير المؤمنين والصديقة الزهراء والحسن والحسين وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي ، والحسن العسكري والإمام المهدي ، صلوات الله عليهم . وترويهها مصادرهم .

وقد رووا أن عتَّاباً القائد قال للإمام الهادي عليه السلام : « الناس يقولون إنك تعلم الغيب ، وقد تبينتُ من ذلك خَلَّتَيْنِ » . « مناقب آل أبي طالب : ٣ / ٥١٥ » .

وقال تلميذ الطيب بختيشوع عن الإمام الهادي عليه السلام : « إن كان مخلوق يعلم الغيب فهو » . « دلائل الإمامة / ٤١٨ » .

ظاهرة النصب والغلو في أهل البيت عليهم السلام

اختلفت الأمة في عليٍّ والأئمة من عترة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، من تكفيرهم .. الى تأليهم ! قال الشهرستاني في الملل والنحل « ١ / ٢٧ » : « كان علي رضي الله عنه مع الحق والحق معه ، وظهر في زمانه الخوارج عليه ، مثل الأشعث بن قيس ، ومسعود بن فدكي

التميمي ، وزيد بن حصين الطائي ، وغيرهم . وكذلك ظهر في زمانه الغلاة في حقه مثل عبد الله بن سبأ ، وجماعة معه . ومن الفريقين ابتدأت البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي (ص) : يهلك فيه اثنان : محبُّ غالٍ ، ومبغضٍ قالٍ .

أما الوسطية بين التكفير والتأليه ، فهي عند الإمام الهادي عليه السلام الإيمان بصفاتهم التي نصت عليها الزيارة الجامعة . ولذلك كان موقف الأئمة عليهم السلام شديداً ممن غلوا فيهم وألوههم ، ومن أنقصوهم حقهم ، أو صادروه وأعطوه لغيرهم !

فمذهب أهل بيت النبوة عليهم السلام هو الوحي النقي ، وهو بنقائه ينفي عنه تقصير المقصرين ، وغلوا الغالين ، وادعاء الكذابين ، نفيًا بتألاً لبسٍ فيه !

وقد سجلت المصادر مواقف الأئمة عليهم السلام الحاسمة ممن ادعى لهم الألوهية ، أو الشراكة مع الله تعالى ، أو النبوة ، أو الحلول . فهؤلاء الغلاة أعشت أبصارهم معجزات الأئمة عليهم السلام ، وبدل أن تكون سبباً لتعميق إيمانهم بالله تعالى ، ضاقت عقولهم عن عظمة الله عز وجل وعظائمه لأوليائه ، وسؤل لهم الشيطان أن الله تعالى حلَّ فيهم ، معاذ الله !

موقف أمير المؤمنين عليه السلام من الذين ألوهوه

في مناقب آل أبي طالب « ١ / ٢٢٧ » : « أن عبد الله بن سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين هو الله ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين فدعاه وسأله فأقر بذلك وقال : أنت هو ، فقال له ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب ! فلما أبى حبسه واستتابه ثلاثة أيام فأحرقه بالنار ! وروي أن سبعين رجلاً

من الزط أتوه عليه السلام بعد قتال أهل البصرة يدعونه إلهاً بلسانهم وسجدوا له قال لهم : ويلكم لا تفعلوا إنما أنا مخلوق مثلكم ! فأبوا عليه فقال : فإن لم ترجعوا عما قلتم فيّ وتوبوا إلى الله لأقتلنكم ، قال : فأبوا فخذّ لهم أحاديث وأوقد ناراً فكان قنبر يحمل الرجل بعد الرجل على منكبه ، فيقذفه في النار ، ثم قال :

إنني إذا أبصرتُ أمراً منكراً أوقدتُ ناراً ودعوتُ قنبراً
ثم احتفرتُ حفراً فحُفراً وقنبرٌ يخطم خطماً منكراً .

والصحيح أنه عليه السلام حسبهم واستتابهم ، فحفر لهم حفراً مثقوبة على بعضها ودخن عليهم ، فلم يرجع بعضهم فقتلهم .

قال ابن عبد البر في التمهيد « ٣١٧ / ٥ » : « فاتخذوه رباً وادعوه إلهاً ، وقالوا له : أنت خالقنا ورازقنا ، فاستتابهم واستأنى وتوعدهم ، فأقاموا على قولهم ، فحفر لهم حفراً دخن عليهم فيها طمعاً في رجوعهم فأبوا فحرقهم » . ونحوه فتح الباري : ١٢ / ٢٣٨ ، وتاريخ الذهبي : ٣ / ٦٤٣ ، وأنساب السمعاني : ٥ / ٤٩٨ ، ورجال الطوسي : ١ / ٢٨٨ .

موقف الإمام الصادق عليه السلام من الذين ألّهوه

في رجال الطوسي « ٥٨٧ / ٢ » : « عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله : يا أبا محمد إبرأ ممن يزعم أنا أرباب ، قلت : برئ الله منه ، قال : إبرأ ممن يزعم أنا أنبياء . قلت : برئ الله منه » .

وفي أصل زيد الزراد / ٤٦ ، قال : « لما لي أبو الخطاب بالكوفة وادعى في أبي عبد الله عليه السلام ما ادعى ، دخلت على أبي عبد الله مع عبيد بن زرارة فقلت له : جعلت

فذاك لقد ادعى أبو الخطاب وأصحابه فيك أمراً عظيماً ! إنه لي : لبيئك جعفر لبيك معراج ! وزعم أصحابه أن أبا الخطاب أسرى به إليك ، فلما هبط إلى الأرض من ذلك دعا إليك ، ولذلك لي بك !

قال : فرأيت أبا عبد الله عليه السلام قد أرسل دمعه من حماليق عينيه وهو يقول : يا رب برئت إليك مما ادعى في الأجدع عبد بني أسد ! خشع لك شعري وبشري ، عبدك لك ابن عبد لك ، خاضع ذليل . ثم أطرق ساعة في الأرض كأنه يناجي شيئاً ثم رفع رأسه وهو يقول : أجل أجل ، عبد خاضع خاشع ذليل لربه ، صاغر راغم ، من ربه خائف وجل . لي والله رب أعبد لا أشرك به شيئاً !

ماله أخزاه الله وأرعبه ، ولا آمن روعته يوم القيامة . ما كانت تلبية الأنبياء هكذا ولا تلبية الرسل ، إنما لبيت : بليك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك !

وفي رجال الطوسي « ٢ / ٥٨٤ » : « ثم قال : على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك . وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشيا ، ثم قال : أما والله إني لأنفس على أجساد أُصليت معه النار . »

موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الدين الههوه

ففي رجال الطوسي « ٢ / ٥٨٧ » : « فقال يحيى : جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب ؟ فقال : سبحان الله سبحان الله ، ضع يدك على رأسي ، فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت ! قال ثم قال : لا والله ، ما هي إلا وراثه عن رسول الله صلى الله عليه وآله . »

موقف الإمام الرضا عليه السلام من الذين ألّهوه

وكذلك موقف الإمام الرضا عليه السلام : ففي معجم رجال الحديث « ١٨ / ١٣٥ » : « قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : آذاني محمد بن الفرات ، آذاه الله وأذاقه الله حر الحديد ، آذاني لعنه الله ما آذى أبو الخطاب لعنه الله جعفر بن محمد عليه السلام بمثله ، وما كذب علينا خطابي مثل ما كذب محمد بن الفرات ، والله ما من أحد يكذب علينا إلا ويذيقه الله حر الحديد . قال محمد بن عيسى : فأخبراني وغيرهما : أنه ما لبث محمد بن الفرات إلا قليلاً حتى قتله إبراهيم بن شكلة ، أخبث قتلة » .

وفي الإعتقادات للصدوق / ٩٩ : « كان الرضا عليه السلام يقول في دعائه : اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك ، لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً . اللهم من زعم أننا أربابٌ فنحن إليك منه براء ، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق ، فنحن إليك منه براء ، كبراءة عيسى من النصارى » .

موقف الإمام الهادي عليه السلام من الذين ألّهوه

ففي رجال الطوسي « ٢ / ٨٠٥ » : « قال نصر بن الصباح : الحسن بن محمد المعروف بابن بابا ، ومحمد بن نصير النميري ، وفارس بن حاتم القزويني . لعن هؤلاء الثلاثة عليُّ بن محمد العسكري عليه السلام . وذكر أبو محمد الفضل بن شاذان في بعض كتبه أن من الكذابين المشهورين : ابن بابا القمي . قال سعد : حدثني العبيدي قال : كتب إلي العسكري عليه السلام ابتداءً منه : أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي فأبرأ منهما ، فإني محذرك وجميع مواليتي ، وإني ألعنهما عليهما لعنة الله ،

مستأكلين يأكلان بنا الناس ، فتأين مؤذنين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً .
يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب ! عليه لعنة الله ، سخر منه الشيطان فأغواه ،
فلعن الله من قبل منه ذلك ! يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل ،
فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة » .

ونلاحظ أن أغلب هؤلاء المذمومين الملعونين على لسان الأئمة عليهم السلام كانوا شخصيات
في عصرهم ، وبعضهم كان يساندتهم خلفاء أو وزراء ! وقد زاد عددهم في زمن الإمام
الهادي عليه السلام الى نحو عشرين شخصاً . وكان له منهم مواقف حاسمة !
وسوف نأتي على خبرهم في سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

سند الزيارة الجامعة وشروحها

١ . بحث علماؤنا سند الزيارة الجامعة ووثيقة روايتها ، وتوقف بعضهم في موسى
بن عمران النخعي ، ووثقه بعضهم لوروده في سند كتاب كامل الزيارة ، الذي
نص مؤلفه أنه لا يروي إلا عن ثقات ، ووثقه السيد الخوئي لأنه ورد في سند علي
بن إبراهيم القمي في تفسيره . ووثقه آخرون لأنه راوي أحاديث عمه الحسين بن
يزيد النوفلي ، وشيخه إسماعيل بن أبي زياد السكوني ، وقد عمل الأصحاب
بروايات السكوني ، فيكون عملهم توثيقاً له .. الخ .

والصحيح أنه يكفي في توثيق موسى بن عمران ، رواية كامل الزيارة عنه ،
فكيف إذا ضم الى ذلك بقية الأدلة والمؤشرات .

وقد تعجبت من تشكيك المحقق الميرزا النوري رحمته الله في رواية الصدوق « مستدرک الوسائل : ١١ / ١٧١ » واعتماده رواية الكفعمي المرسله ! وقد كفانا الرد عليه السيد الخوئي رحمته الله « معجم رجال الحديث : ١٧ / ٣٤٧ » .

بل لا يحتاج الأمر عندي الى بحث السند بعد أن بلغ المتن مستوى من العلو والتميز بحيث يجزم من له خبرة بالعريضة والقرآن والسنة ، بأنه صادر من معدن العلم النبوي ، وأن الرواة لو اجتمعوا على أن يضعوا مثله لما استطاعوا !
ويكفي لتصديق ما ذكرنا أن تتأمل في فقراتٍ من هذه الزيارة الفريدة .

إنها نوعٌ من الكلام الشامخ ، تيعا عن غوره الأذهان ، وتعجز عن أبعاده العقول ، وتكل عنه المشاعر ، وتنوء بحمله الصدور .

وكذلك هي لغة أهل البيت ومقاماتهم صلوات الله عليهم ، فالأولى بمن صَعُب عليه شئ من معانيها أن لا يتعجل بنفيه ، فلعل المشكلة في فهمه لا في النص .

٢ . للزيارة الجامعة بعض الشروح ، من أوسعها شرح الشيخ أحمد الأحسائي رحمته الله وهو مكتوب بلغة خاصة ومُشرب خاص ، قلَّ من يستوعبه ويجزم بمقصوده .

ومن أحدث الشروح كتاب آية الله السيد الميلاني دام ظله ، وقد رأيت منه مجلداً وهو شرح جيد نافع ، جرى الله مؤلفه خيراً .

وينبغي الإلفات الى أن الزيارة الجامعة في عمقها وجمالها من نوع تعبير الصحيفة السجادية ، وأنها مع الشروح الموجودة لها تحتاج الى شروح أخرى ، تركز على أبعادها البلاغية ، والفكرية ، والكلامية المقارنة ، والإجتماعية السياسية .

نص الزيارة الجامعة

قال الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام « ١ / ٣٠٤ » : « حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رضي الله عنه ، ومحمد بن أحمد السناني ، وعلي بن عبد الوراق ، والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتَّب ، قالوا : حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي ، وأبو الحسين الأسدي قالوا : حدثنا محمد بن إسماعيل المكي البرمكي قال : حدثنا موسى بن عمران النخعي قال : قلت لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم ، فقال : إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين ، وأنت على غسل . فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل : الله أكبر ثلاثين مرة .

ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار ، وقارب بين خطاك ، ثم قف وكبر الله عز وجل ثلاثين مرة . ثم اذُن من القبر وكبر الله أربعين مرة ، تمام مئة تكبيرة ، ثم قل :

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحي ، ومعدن الرسالة ، وخزان العلم ، ومنتهى الحلم ، وأصول الكرم ، وقادة الأمم وأولياء النعم ، وعناصر الأبرار ، ودعائم الأخيار ، وساسة العباد ، وأركان البلاد ، وأبواب الإيمان ، وأمناء الرحمن ، وسلالة النبيين ، وصفوة المرسلين ، وعتره خيرة رب العالمين ، ورحمة الله وبركاته .

السلام على أئمة الهدى ، ومصايح الدجى ، وأعلام التقى ، وذوي النهى ، وأولي الحجى ، وكهف الورى ، وورثة الأنبياء ، والمثل الأعلى ، والدعوة الحسنى ، وحجج الله على أهل الآخرة والأولى ، ورحمة الله وبركاته .

السلام على محال معرفة الله ، ومساكن بركة الله ، ومعادن حكمة الله ، وحفظة سر الله وحملة كتاب الله ، وأوصياء نبي الله ، وذرية رسول الله ، ورحمة الله وبركاته .

السلام على الدعاة إلى الله ، والأدلاء على مرضات الله ، والمستقرين في أمر الله ونهيه ، والتامين في محبة الله ، والمخلصين في توحيد الله ، والمظهرين لأمر الله ونهيه ، وعباده المكرمين ، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، ورحمة الله وبركاته .

السلام على الأئمة الدعاة ، والقادة الهداة ، والسادة الولاة ، والذادة الحماة ، أهل الذكر وأولي الأمر ، وبقية الله ، وخيرته ، وحزبه ، وعيبة علمه ، وحجته ، وصراطه ، ونوره ، وبرهانه ، ورحمة الله وبركاته .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، كما شهد الله لنفسه ، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، ولوكره المشركون .

وأشهد أنكم الأئمة الراشدون ، المهديون المعصومون ، المكرمون المقربون ، المتقون الصادقون ، المصطفون المطيعون لله ، القوامون بأمره ، العاملون بإرادته ، الفائزون بكرامته ، اصطفاكم بعلمه ، وارتضاكم لدينه ، واختاركم لسره ، واجتباكم بقدرته ، وأعزكم بهداه ، وخصكم ببرهانه ، وانتجبكم لنوره ، وأيدكم بروحه ، ورضيكم خلفاء في أرضه ، وحججاً على بريته ، وأنصاراً لدينه وحفظة لسره ، وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته ، وتراجمةً لوحيه ، وأركاناً لتوحيده ، وشهداء على خلقه ، وأعلاماً لعباده ، ومناراً في بلاده ، وأدلاء على صراطه . عصمكم الله من الزلل ، وآمنكم من الفتن ، وطهركم من الدنس ، وأذهب عنكم الرجس ، وطهركم تطهيرا .

فعظمت جلاله ، وكبرت شأنه ، ومجّدتكم كرمه ، وأدّمتكم ذكره ، ووگّدتكم ميثاقه ، وأحكمتكم عقد طاعته ، ونصحتكم له في السر والعلانية ، ودعوتكم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبذلتكم أنفسكم في مرضاته ، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم في الله حق جهاده ، حتى أعلنتم دعوته ، وبينتم فرائضه ، وأقمتم حدوده ، ونشرتكم شرائع أحكامه ، وسننتم سنته ، وصرتكم في ذلك منه إلى الرضا ، وسلمتم له القضا ، وصدقتم من رسله من مضى . فالراغب عنكم مارق ، واللازم لكم لاحق ، والمقصر في حقكم زاهق ، والحق معكم وفيكم ، ومنكم وإيكم ، وأنتم أهله ومعدنه .

وميراث النبوة عندكم ، وإياب الخلق إليكم ، وحسابهم عليكم ، وفصل الخطاب عندكم ، وآيات الله لديكم ، وعزائمهم فيكم ، ونوره وبرهانه عندكم ، وأمره إليكم .

من والاكم فقد والى الله ، ومن عاداكم فقد عادى الله ، ومن أحبكم فقد أحب الله ، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله .

أنتم السبيل الأعظم ، والصراط الأقوم ، وشهداء دار الفناء ، وشفعاء دار البقاء ، والرحمة الموصولة ، والآية المخزونة ، والأمانة المحفوظة ، والباب المبتلى به الناس ، من أتاكم نجا ، ومن لم يأتكم هلك ، إلى الله تدعون ، وعليه تدلون ، وبه تؤمنون ، وله تسلمون ، وبأمره تعملون ، وإلى سبيله ترشدون ، وبقوله تحكمون .

سعد الله من والاكم ، وهلك من عاداكم ، وخاب من جحدكم ، وضل من فارقكم وفاز من تمسك بكم ، وأمن من لجأ إليكم ، وسلم من صدقكم ، وهدي من اعتصم بكم . من اتبعكم فالجنة مأواه ، ومن خالفكم فالنار مشواه ، ومن جحدكم كافر ، ومن حاربكم مشرك ، ومن رد عليكم فهو في أسفل درك من الجحيم .

أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضى ، وجارٍ لكم فيما بقي ، وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة ، طابت وطهرت ، بعضها من بعض . خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه مُخَدِّقِينَ ، حتى منَّ علينا فجعلكم الله في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وجعل صلاتنا عليكم وما خصنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا ، وطهارةً لأنفسنا ، وتزكيةً لنا ، وكفارةً لذنوبنا ، فكنا عنده مُسَلِّمِينَ بفضلكم ، ومعروفين بتصديقنا إياكم .

فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين ، وأعلى منازل المقربين ، وأرفع درجات أوصياء المرسلين ، حيث لا يلحقه لاحق ، ولا يفوقه فائق ، ولا يسبقه سابق ، ولا يطمع في إدراكه طامع ، حتى لا يبقى ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ، ولا صديقٌ ولا شهيدٌ ، ولا عالمٌ ولا جاهل ، ولا دنيٌّ ولا فاضل ، ولا مؤمنٌ صالح ، ولا فاجرٌ طالح ، ولا جازٍ عنيد ، ولا شيطانٌ مرید ، ولا خلقٌ فيما بين ذلك شهيد ، إلا عَرَفَهُمْ جلاله أمركم ، وعِظَمَ خَطَرِكُمْ ، وكَبَّرَ شَأْنَكُمْ ، وتَمَامَ نُوْرِكُمْ ، وصدق مقاعدكم ، وثبات مقامكم ، وشرف محلكم ومنزلتكم عنده ، وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه ، وقرب منزلتكم منه .

بأبي أنتم وأمي ، وأهلي ومالي وأسرتي ، أشهد الله وأشهدكم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به . كافرٌ بعدوكم وبما كفرتم به ، مستبصرٌ بشأنكم وبضلالة من خالفكم ، مواليٌ لكم ولأوليائكم ، مبغضٌ لأعدائكم ومعاد لهم ، وسلمٌ لمن سالمكم ، وحرب لمن حاربكم ، محقق لما حققتم ، مبطل لما أبطلتم ، مطيع لكم ، عارفٌ بحقكم ، مقررٌ بفضلكم ، محتملٌ لعلمكم ، محتجبٌ بدمتكم ، معترفٌ بكم ، مؤمنٌ بإيابكم ، مصدقٌ برجعتكم ، منتظرٌ لأمركم ، مرتقبٌ لدولتكم ، آخذٌ بقولكم ، عاملٌ بأمركم ، مستجيرٌ بكم ، زائرٌ لكم عائذٌ بكم ، لائذٌ بقبوركم ، مستشفعٌ إلى الله عز وجل بكم ، ومتقربٌ بكم إليه ، ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي ، في كل أحوالي وأموري ، مؤمنٌ بسركم

وعلا نيبتكم ، وشاهدكم وغائبكم ، وأولكم وآخركم ، ومفوضٌ في ذلك كله إليكم ،
ومسلّمٌ فيه معكم ، وقلبي لكم مؤمن ، ورأيي لكم تبع ، ونصرتي لكم معدة ، حتى
يحيي الله تعالى دينه بكم ، ويردكم في أيامه ، ويظهركم لعدله ، ويمكنكم في أرضه .

فمعكم معكم لا مع عدوكم ، آمنت بكم ، وتوليت آخركم بما توليت به أولكم ،
وبرئت إلى الله تعالى من أعدائكم ، ومن الجبت والطاغوت ، والشياطين وحزبهم
الظالمين لكم ، والجاحدين لحقكم ، والمارقين من ولايتكم ، والغاصيين لإرثكم ،
الشاكين فيكم ، المنحرفين عنكم ، ومن كل وليجة دونكم ، وكل مُطاعٍ سواكم ، ومن
الأئمة الذين يدعون إلى النار .

فثبتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم ودينكم ، ووقفني لطاعتكم ، ورزقني
شفاعتكم ، وجعلني من خيار مواليكم ، التابعين لما دعوتهم إليه ، وجعلني ممن يقتص
آثاركم ، ويسلك سبيلكم ، ويهتدي بهداكم ، ويحشر في زميرتكم ، ويكرُّ في رجعتكم ،
ويملك في دولتكم ، ويُسْرَفُ في عافيتكم ، ويُمكنُ في أيامكم ، وتقر عينه غداً برؤيتكم .

بأبي أنتم وأمي ، ونفسي وأهلي ومالي ، من أراد الله بدأ بكم ، ومن وحده قبل عنكم ،
ومن قصده توجه إليكم ، مواليّ ، لا أحصي ثناءكم ، ولا أبلغ من المدح كنهكم ، ومن
الوصف قدركم ، وأنتم نور الأخيار ، وهداة الأبرار ، وحجج الجبار .

بكم فتح الله ، وبكم يختم ، وبكم ينزل الغيث ، وبكم يمسك السماء أن تقع على
الأرض إلا باذنه ، وبكم يُنْفَسُ الهمُّ ، وبكم يكشف الضرَّ ، وعندكم ما تنزل به رساله ،
وهبطت به ملائكته ، وإلى جدكم بعث الروح الأمين . آتاكم الله ما يؤت أحداً من
العالمين ، طأطأ كل شريف لشرفكم ، وبَنَعَ كل متكبر لطاعتكم ، وخضع كل جبار

لفضلكم ، وذلك كل شئ لكم ، وأشرفت الأرض بنوركم ، وفاز الفائزون بولايتكم ، بكم يسلك إلى الرضوان ، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن .

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي ، ذكركم في الذاكرين ، وأسماءكم في الأسماء وأجسادكم في الأجساد ، وأرواحكم في الأرواح ، وأنفسكم في النفوس ، وآثاركم في الآثار ، وقبوركم في القبور . فما أحلى أسماءكم ، وأكرم أنفسكم ، وأعظم شأنكم ، وأجل خطركم ، وأوفى عهدكم . كلامكم نورٌ ، وأمركم رشدٌ ، ووصيتكم التقوى ، وفعلكم الخير ، وعاداتكم الإحسان ، وسجيتكم الكرم ، وشأنكم الحق والصدق والرفق ، وقولكم حُكم وحتم ، ورأيكم علم وحلم وحزم ، إن ذكر الخير كنتم أوله ، وأصله ، وفرعه ، ومعدنه ، ومأواه ، ومنتهاه .

بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي ، كيف أصف حسن ثنائكم ، وكيف أحصي جميل بلائكم ، وبكم أخرجنا الله من الذل ، وفرج عنا غمرات الكروب ، وأنقذنا من شفا جرف الهلكات ومن النار .

بأبي أنتم وأمي ونفسي ، بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا ، وأصلح ما كان فسد من دنيانا ، وبموالاتكم تمت الكلمة ، وعظمت النعمة ، واثلفت الفرقة ، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ، ولكم المودة الواجبة ، والدرجات الرفيعة ، والمقام المحمود عند الله تعالى ، والمكان المعلوم ، والجاه العظيم ، والشأن الرفيع ، والشفاعة المقبولة .

ربنا آمننا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ربنا لا تنزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا .

ياوليَّ الله ، إن بيني وبين الله ذنوباً لا يأتي عليها إلا رضاكم ، فبحقّ من ائتمنكم على سره ، واسترعاكم أمرَ خلقه ، وقَرَنَ طاعتكم بطاعته ، لَمَّا استوهبتم ذنوبي ، وكنتم شفعائي ، إني لكم مطيع ، من أطاعكم فقد أطاع الله ، ومن عصاكم عصى الله ، ومن أحبكم فقد أحب الله ، ومن أبغضكم فقد أبغض الله .

اللهم إني لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي ، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك ، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم ، وبحقهم ، وفي زمرة المرجوين لشفاعتهم ، إنك أرحم الراحمين .

فهرس أولي للزيارة الجامعة

تتكون الزيارة الجامعة من الفصول التالية :

الفصل الأول : مراسم الزيارة ومقدماتها :

وهي الإغتسال للزيارة ، والتشهد عند الوصول الى الباب ، والتكبير مئة مرة أثناء الدخول الى مشهد المعصوم عليه السلام .

الفصل الثاني : التسليمات الخمس على الأئمة عليه السلام :

السلام الأول : فيه تسع عشرة صفة للأئمة عليه السلام ، تبدأ بقوله : « السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة » الى قوله : « وعتره خيرة رب العالمين » .

السلام الثاني : فيه عشر صفات للأئمة عليه السلام ، تبدأ بقوله : « السلام على أئمة الهدى ومصايح الدجى » الى قوله : « وحجج الله على أهل الآخرة والأولى » .

السلام الثالث : فيه سبع صفات للأئمة عليهم السلام ، تبدأ بقوله : « السلام على محال معرفة الله » الى قوله : « وذرية رسول الله » .

السلام الرابع : فيه سبع صفات للأئمة عليهم السلام ، تبدأ بقوله : « السلام على الدعوة إلى الله » الى قوله : « وهم بأمره يعملون » .

السلام الخامس : فيه أربع عشرة صفة للأئمة عليهم السلام ، تبدأ بقوله : « السلام على الأئمة الدعوة والقادة الهداة » الى قوله : « وصراطه ونوره وبرهانه » .

الفصل الثالث : التشهد .. والشهادة للأئمة عليهم السلام :

وهو تشهد لله تعالى بالوحدانية ، ولرسوله ﷺ بالرسالة ، وشهادة بإمامة الأئمة عليهم السلام ومقاماتهم وسيرتهم ، وقد تضمن أكثر من مئة صفة لهم عليهم السلام .
وتتكون الشهادة لهم من خمس فقرات :

الفقرة الأولى ، الشهادة بما أعطاهم الله من نعم :

من قوله : « وأشهد أنكم الأئمة الراشدون » الى قوله : « وطهركم تطهيرا » .

الفقرة الثانية ، أنهم قابلوا نعم الله بالطاعة والعبودية :

من قوله : « فعظمتم جلاله وكبرتم شأنه » الى : « وصدقتم من رسله من مضى » .

الفقرة الثالثة ، أنهم عليهم السلام ميزان الهدى والضلال والنجاة والهلاك :

من قوله : « فالراغب عنكم مارق » الى قوله : « ومن رد عليكم فهو في أسفل درك » .

الفقرة الرابعة ، في وحدة نور النبي والأئمة عليهم السلام في عالم الخلق والحجة :

من قوله : « أشهد أن هذا سابقٌ لكم فيما مضى وجار لكم فيما بقي » . الى قوله :
« فكنا عنده مسلمين بفضلكم ، ومعروفين بتصديقنا إياكم » .

الفقرة الخامسة ، الدعاء للأئمة عليهم السلام أن يبلغ الله فيهم هدفه :

من قوله : « فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين » الى قوله : « وخاصتكم لديه » .

الفقرة السادسة ، الشهادة لله بولايتهم عليهم السلام والبراءة من أعدائهم :

من قوله : « بأبي أنتم وأمي وأهلي ومالي وأسرتي » الى قوله : « ومن الأئمة الذين
يدعون إلى النار » .

الفصل الرابع : في أنهم عليهم السلام الطريق الى الله تعالى دون غيرهم :

من قوله : « بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي ، من أراد الله بدأ بكم » الى قوله :
« وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن » .

الفصل الخامس : أن الله منَّ على البشر فجعل فيهم النبي وآله عليهم السلام :

من قوله : « بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي » الى قوله : « إن ذكر الخير كنتم
أوله وأصله وفرعه » .

الفصل السادس : بيان نعمة النبي والأئمة عليهم السلام على شيعتهم ومحبيهم :

من قوله : « بأبي أنتم وأمي ونفسي وأهلي ومالي » الى قوله : « سبحان ربنا » .

الفصل السابع : الإستشفاع والتوسل الى الله تعالى بالنبي والأئمة عليهم السلام :

من قوله : « يا ولي الله إن بيني وبين الله ذنوباً » الى قوله : « وفي زمرة المرجوين
لشفاعتهم » .

شخصيات عاصرت الإمام الهادي عليه السلام

قضاة القضاة

قاضي القضاة يحيى بن أكثم :

كتبنا له ترجمة مختصرة في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ، وقلنا إنه شاب خراساني مولى لبني تميم ، أعجب به المأمون واختاره من خاصته ، ثم أرسله قاضياً على البصرة وشكا منه أهل البصرة لافتضاحه باللواط ، فلم يقبل منهم المأمون ، ثم زادت شكواهم بأنه أفسد أولادهم ، فأخذ المأمون الى البلاط في بغداد .

قال المسعودي في مروج الذهب « ٣ / ٤٣٤ » : « فُرِّعَ إِلَى المَأْمُونِ أَنَّهُ أَفْسَدَ أَوْلَادَهُمْ بِكَثْرَةِ لَوَاطِهِ ، فَقَالَ المَأْمُونُ : لَوْ طَعَنُوا عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ قُبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ! قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ظَهَرَتْ مِنْهُ الْفَوَاحِشُ وَارْتَكَبَ الْكِبَائِرَ ، وَاسْتَفَاضَ ذَلِكَ عَنْهُ ، وَهُوَ الْقَائِلُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فِي صِفَةِ الْغُلَمَانِ وَطَبَقَاتِهِمْ وَمِرَاتِبِهِمْ وَفِي أَوْصَافِهِمْ ... وَبَلَغَ مِنْ إِذَاعَتِهِ وَمَجَاهِرَتِهِ بِاللَوَاطِ ، أَنَّ المَأْمُونِ أَمْرَهُ أَنْ يَفْرُضَ لِنَفْسِهِ فَرَضاً يَرْكَبُونَ بِرُكُوبِهِ وَيَتَصَرَّفُونَ فِي أُمُورِهِ ، فَفَرَضَ أَرْبَعَ مَائَةَ غُلَامٍ مُزْدًا ، اخْتَارَهُمْ حَسَانَ الْوَجُوهِ فَافْتَضَحَ بِهِمْ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ رَاشِدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، يَذْكَرُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ يَحْيَى .. » .

قال في وفيات الأعيان « ١ / ٨٥ » : « قدم يحيى بن أكثم قاضياً على البصرة من خراسان من قبل المأمون في آخر سنة ٢٠٢ ، وهو حدث سنه نيف وعشرون .

فلما قدم المأمون بغداد في سنة أربع ومائتين قال ليحيى : إختري لي من أصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول إلي ، فاختار منهم عشرين ، فيهم ابن أبي دؤاد » .

وفي تاريخ بغداد « ١٤ / ٢٠١ » : « وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً ، وكان المأمون ممن برع في العلوم ، فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه ، حتى قلده قضاء القضاء ، وتدير أهل مملكته ، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً ، إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم ، ولا نعلم أحداً غلب على سلطانه في زمانه ، إلا يحيى بن أكثم ، وابن أبي دؤاد » .

وفي تاريخ يعقوبي « ٢ / ٤٦٥ » : « وشى يحيى بن أكثم بالعتصم إلى المأمون ، وقال له : إنه بلغني أنه يحاول الخلع ، فوجه إليه يأمره بالقدوم » .

ولم تنفع احتياطات المأمون ، فغلب بعده أخوه المعتصم على ابنه الضعيف العباس وأخذ منه الخلافة ، وكان أول ما فعله المعتصم أن عزل يحيى بن أكثم ، ونصب بدله صديقه ابن أبي دؤاد ، ونقل الخلافة من أولاد المأمون الى أولاده ، فتولاها ابنه الواثق ، ثم أخوه المتوكل !

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان « ١ / ٨٥ » : « ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضي القضاة ، وعزل يحيى بن أكثم » .

وكان المأمون طلب من يحيى بن أكثم أن يختار له ندماء خاصين ، فاختار له مجموعة منهم ابن أبي دؤاد ، الذي فاق ابن أكثم وتسلط على المأمون ، ثم دبّر الخلافة للمعتصم وقتل ابن المأمون ، ثم دبرها للوائق ، وبعده للمتوكل .

وحكم ابن أبي دؤاد نحو عشرين سنة ، في خلافة المعتصم والوائق وقسم من خلافة المتوكل ، ثم غضب عليه المتوكل فعزله وأعاد خصمه ابن أكثم ، وأيد ذلك أحمد بن حنبل ، لأن ابن أكثم كان يتقرب اليهم بالقول بعدم خلق القرآن .

وقال الخطيب في تاريخ بغداد « ١٤ / ٢٠١ » : « سمعت يحيى بن أكثم يقول : القرآن كلام الله ، فمن قال مخلوق يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه » !

قال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ١٤ » : « وفي سنة تسع وثلاثين ومائتين رضي المتوكل عن أبي محمد يحيى بن أكثم ، فأشخص الى سر من رأى وولي قضاء القضاة ، وسخط على أحمد بن أبي دؤاد وولده أبي الوليد محمد بن أحمد ، وكان على القضاء ، وأخذ من أبي الوليد مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، وجوهراً بأربعين ألف دينار ، وأحضر إلى بغداد » .

وفي تاريخ بغداد « ١ / ٣١٤ » : « عزل المتوكل أبا الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد .. ووليها يحيى بن أكثم لسبع بقين من شهر رمضان سنة سبع وثلاثين ومائتين » .

لكن لم يطل رضا المتوكل على ابن أكثم ، ففي الكامل لابن الأثير « ٧ / ٧٥ » : « في هذه السنة « ٢٤٠ » عزل يحيى بن أكثم عن القضاء ، وقبض منه ما مبلغه خمسة وسبعون ألف دينار ، وأربعة آلاف جريب بالبصرة » !

ومات ابن أكتم سنة ٢٤٢ ، عن عمر امتد ثلاثاً وثمانين سنة ، وامتلاً بالفتاوى المخالفة للشرع ، وبأحكام بالقتل والحبس ومصادرة الأموال ، شملت ألوف المسلمين . وكانت أكبر جرائمه أن الحججة تمت عليه بإمامة الرضا والجواد والهادي عليه السلام ، فكتمها وأمر بكتمانها ، ثم شارك في قتلهم !

قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد :

وقد كتبنا له ترجمة مختصرة أيضاً في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ، وقلنا إنه حكم الأمة الإسلامية بلا منازع نحو عشرين سنة ، حتى غضب عليه المتوكل . ولم يكن سلوكه أفضل من سلوك ابن أكتم ، بل كان أشدُّ نُبهاً وعداوةً لأهل البيت عليه السلام .

روى في تاريخ بغداد « ١ / ٣١٤ » عن محمد بن يحيى الصولي قال : « كان المتوكل يوجب لأحمد بن أبي دؤاد ويستحي أن ينكبه ، وإن كان يكره مذهبه ، لما كان يقوم به من أمره أيام الوثائق ، وعقد الأمر له والقيام به من بين الناس . فلما فُلج أحمد بن أبي دؤاد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ، أول ما ولي المتوكل الخلافة ، ولَّى المتوكل ابنه محمد بن أحمد أبا الوليد القضاة ومظالم العسكر مكان أبيه ، ثم عزله عنها يوم الأربعاء لعشر بقين من صفر سنة أربعين ومائتين ووكّل بضياعه وضياع أبيه . ثم صلح على ألف ألف دينار ، وأشهد على ابن أبي دؤاد وابنه بشراء ضياعهم ، وخذَّهم إلى بغداد ، وولى يحيى بن أكتم .

ومات أبو الوليد محمد بن أحمد ببغداد في ذي القعدة سنة أربعين ومائتين ، ومات أبوه أحمد بعده بعشرين يوماً . »

أقول : سبحان مغير الأحوال ، فقد كان ابن أبي دؤاد مطيعاً لسيده ابن أكرم ، فاختره نديماً للمأمون فصارت له عنده مكانة ، وأراد إزاحة ابن أكرم فلم يستطع .

ثم وضع خطة للمعتصم فسرق الخلافة من ابن أخيه المأمون ، فصار المعتصم خليفة وصار ابن أبي دؤاد مدير المملكة ، وحاكمها المطلق !

لقد عمل هذان القاضيان بقواعد سياسة القصور ومكائدها ، بالخبث ، والتجسس والتآمر ، والتزلف ، والتزيف ، والكذب ، والنفاق ، والخديعة ، والتلاعب بأحكام الله تعالى ، ومفاهيم الدين ، وقتل الخصم بالسلم ، وبأي طريقة ممكنة ! كل ذلك من أجل البقاء في منصب ، أو الحصول عليه ، أو شفاء غيظ ، أو إثبات الذات ، وإرضاء غرورها وكبرياتها . أعاذنا الله وعباده المؤمنين .

قاضي القضاة ابن أبي الشوارب :

كان محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب كبير أسرة أبي الشوارب ، وهو أموي من ذرية أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس .

كان محدثاً معروفاً في البصرة ، وفيه ميلٌ الى التشيع ، وقد أحضره المتوكل الى سامراء ، فاتفق مع زميله إبراهيم التيمي أن لا يقبلا القضاء ، فنكث التيمي !

قال في تاريخ بغداد « ٦ / ١٤٨ » : « أشخص إبراهيم بن محمد التيمي ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، فلما حضرا دار المتوكل أمر بإدخال ابن أبي الشوارب ، فلما دخل عليه قال : إني أريدك للقضاء . فقال : يا أمير المؤمنين لا أصلح له . فقال : تأبون يا بني أمية إلا كبيراً ! فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بي كبير ، ولكني لا

أصلح للحكم . فأمر بإخراجه ! وكان هو وإبراهيم التيمي قد تعاقدوا أن لا يتولى واحد منهما القضاء ، فدعا بإبراهيم فقال له المتوكل : إني أريدك للقضاء ، فقال : على شريطة يا أمير المؤمنين . قال : وما هي ؟ قال : أن تدعولي دعوة فإن دعوة الإمام العادل مستجابة ! فولاه .

أقول : لقد وفى ابن عبد الملك بعهدده ، لكن إبراهيم التيمي نكث ، ثم تزلف الى المتوكل وطلب منه أن يدعوله ، لأن دعاء الإمام العادل مستجاب !

ثم نجح المتوكل في إقناع الحسن بن أبي الشوارب ، ونصبه قاضي القضاة .

قال في تاريخ بغداد « ٧ / ٤٢٢ » : « الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، القرشي ثم الأموي : ولي القضاء بسر من رأى في أيام جعفر المتوكل وبعده » .

وقال الذهبي في سيره « ١١ / ١٠٤ » : « لما ولي ولده الحسن بن أبي الشوارب القضاء تخوف عليه ، وقال : يا حسن : أعيذ وجهك الحسن من النار » .

وقال في تاريخ بغداد « ٥ / ٢٥١ » : « قال أبو العلاء : فيرى الناس أن بركة امتناع محمد بن عبد الملك دخلت على ولده ، فولّي منهم أربعة وعشرون قاضياً ، منهم ثمانية تقلدوا قضاء القضاة ، آخرهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله ، وما رأينا مثله جلاله ونزاهة وصيانته » .

أقول : كيف يكون منصب القضاء مذموماً وتركه فضيلة ، ثم يكون نعمةً على أولاده ببركة تركه له ! فالأصح أن يقال إنه ترك القضاء ، وتورط فيه أولاده . وقد رووا عنه

فقالوا : يا ابن أمير المؤمنين وابن بنت رسول الله نبئنا الجواب . فقال : الجواب على أمير المؤمنين ، فقال أمير المؤمنين : إني كنت مع النبي ﷺ في صلاة صلاها فضرب بيده اليمنى إلى يدي اليمنى ، فاجتذبها فضمها إلى صدره ضمّاً شديداً ، ثم قال لي : يا علي ، قلت : لبيك يا رسول الله . قال : أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، فلعن الله من عقتنا ، قل : آمين ، قلت : آمين .

ثم قال : أنا وأنت مؤكياً هذه الأمة فلعن الله من أبق عنا ، قل : آمين ، قلت : آمين .

ثم قال : أنا وأنت راعياً هذه الأمة فلعن الله من ضل عنا ، قل : آمين .

قال أمير المؤمنين : وسمعت قائلين يقولان معي : آمين ، فقلت : يا رسول الله ومن القائلان معي : آمين ؟ قال : جبرئيل وميكائيل عليهما السلام .

أقول : يبدو أن محمد بن عبد الملك تأثر بابن عمه الأموي خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه ، وكان من كبار شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد وقف أيام السقيفة هو وأحد عشر مهاجراً وأنصارياً ، وواجهوا أبا بكر وعمر بشدة وخطبوا . وكان خالد من أبطال الإسلام ، وقد ترجمنا له في : قراءة جديدة في الفتوحات .

أما أولاد محمد بن عبد الملك ، فلم يكونوا مثل أبيهم ، وسيأتي ذكر بعضهم في سيرة الإمام الهادي ، والإمام الحسن العسكري عليه السلام .

رؤساء الوزارة

الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات :

كان محمد بن عبد الملك الزيات من أسرة عادية من الدسكرة « الأعلام : ٦ / ٢٤٨ » ، والظاهر أنها المقدادية الواقعة قرب بعقوبة . وقد استوزره المعتصم ، ثم الوثائق .

روى ابن الزيات أن المعتصم ضحك يوماً من نفسه ، فسألناه عن سبب ضحكته فقال إن منجماً رآه فقال له : « الطالع أسدٌ وهو الطالع في الدنيا ، وإنه يوجب لك الخلافة ، وأنت تفتح الآفاق وتزيل الممالك ويعظم جيشك ، وتبني بلاداً عظيمة ويكون من شأنك كذا ومن أمرك كذا ، وقصّ عليّ جميع ما أنا فيه الآن !

قلت : فهذا السعود ، فهل عليّ من نحوس ؟ قال : لا ، ولكنك إذا ملكت فارقت وطنك وكثرت أسفارك . قلت : فهل غير هذا ؟ قال : نعم ، ما شئ أنحس عليك من شئ واحد . قلت : ما هو ؟ قال : يكون المتولّون عليك في أيام ملكك أصولهم دنية سفلة ، فيغلبون عليك ويكونون أكابر أهل مملكتك ...

ولكني ما ذكرته إلى الآن ، ولما بلغت الرحبة وقعت عيني على موضعه فذكرته ، وذكرت كلمته وتأمّلتكما حواليّ وأنتما أكبر أهل مملكتي ، وأنت ابن زيات وهذا ابن قيّار ، وأوماً إلى ابن أبي دؤاد ، فإذا قد صح جميع ما قال !

فأنفذت هذا الخادم في طلبه والبحث عنه لأني له بسالف الوعد ، فعاد إليّ وذكر أنه قد مات قريباً .. وأخذني الضحك ، إذ ترأس في دولتي أولاد السُّقّل . قال : فانكسرنا ، ووددنا أنا ما سألناه « ! » « نشوار المحاضرة : ٧ / ٢١٢ » .

وقال في تاريخ بغداد « ٣ / ١٤٥ » : « كان بين محمد بن عبد الملك وبين أحمد بن أبي دؤاد ، عداوةً شديدة ، فلما ولي المتوكل دارَ ابن أبي داود على محمد ، وأغرى به المتوكل حتى قبض عليه ، وطالبه بالأموال . » .

وقال البغدادي في خزنة الأدب « ١ / ٤٢٨ » : « وكان ابن الزيات قد اتخذ تنوراً من حديد ، وأطراف مساميره المحددة إلى داخله ، وهي قائمة مثل رؤوس المسال ، وكان يعذب فيه أيام وزارته ، فكيفما انقلب المعذب أو تحرك من حرارة العقوبة تدخل المسامير في جسمه ! وإذا قال له أحد : إرحمني أيها الوزير ، فيقول له : الرحمة خَوْزٌ في الطبيعة ! فلما اعتقله المتوكل أمر بإدخاله في التنور وقيده بخمسة عشر رطلاً من الحديد ، فقال له : يا أمير المؤمنين إرحمني ، فقال له : الرحمة خَوْزٌ في الطبيعة ، كما كان يقول للناس ! وكان ذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وكانت مدة تعذيبه في التنور أربعين يوماً ، إلى أن مات فيه » !

وتدل روايتنا عن الإمام الهادي عليه السلام على أن المتوكل كان في سجن ابن الزيات ، فأخرجه ابن أبي دؤاد وعقد البيعة له ، ثم بطشوا بابن الزيات !

قال خيران الأسباطي « الكافي : ١ / ٤٩٨ » : « قدمت على أبي الحسن عليه السلام « الإمام الهادي » المدينة فقال لي : ما خبر الوثائق عندك ؟ قلت : جعلت فداك خلفته في عافية ، أنا من أقرب الناس عهداً به ، عهدي به منذ عشرة أيام . قال فقال لي : إن أهل المدينة يقولون : إنه مات . فلما أن قال لي : الناس ، علمت أنه هو . ثم قال لي : ما فعل جعفر « المتوكل » ؟ قلت : تركته أسوأ الناس حالاً في السجن . قال فقال : أما إنه

صاحب الأمر . ما فعل ابن الزيات ؟ قلت : جعلت فداك الناس معه والأمر أمره . قال فقال : أما إنه شؤم عليه . قال : ثم سكت وقال لي : لا بد أن تجري مقادير الله تعالى وأحكامه . يا خيران ، مات الوثائق ، وقد قعد المتوكل جعفر ، وقد قتل ابن الزيات . فقلت : متى جعلت فداك ؟ قال : بعد خروجك بستة أيام .

وذكر المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٥ » أن بطشهم بابن الزيات كان بعد أشهر ، قال : « سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك الزيات بعد خلافته بأشهر ، فقبض أمواله وجميع ما كان له ، وقلد مكانه أبا الوزير ، وقد كان ابن الزيات اتخذ للمصايرين والمغضوب عليهم تئوراً من الحديد رؤوس مساميره إلى داخله قائمة مثل رؤوس المسال ، في أيام وزارته للمعتصم والوثائق ، فكان يعذب الناس فيه ، فأمر المتوكل بإدخاله في ذلك التنور ، فقال محمد بن عبد الملك الزيات للموكل به أن يأذن له في دواة وبطاقة ليكتب فيها ما يريد ، فاستأذن المتوكل في ذلك فأذن له فكتب :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تُريك العين في النوم
لا تجز عن رويداً إنها دول دُنِيّاً تَنْقَلُ من قوم إلى قوم .

قال : وتشاغل المتوكل في ذلك اليوم فلم تصل الرقعة اليه ، فلما كان الغد قرأها فأمر بإخراجه فوجده ميتاً . وكان حبسه في ذلك التنور إلى أن مات أربعين يوماً ، وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً . «

وفي نشوار المحاضرة « ٨ / ١٩ » : « قال الفضل بن مروان : ولا نعلم وزيراً وَزَرَ وزارةً واحدةً بلا صَرْفٍ ، لثلاثة خلفاء متَّسقين ، غير محمد بن عبد الملك » .

وقال في النهاية « ١٤ / ٣٣٣ » : « أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك بن الزيات وزير الوثائق .. فطلبه فركب بعد غدائه يظن أن الخليفة بعث إليه ، فأنت به الرسل إلى دار إيتاخ أمير الشرطة فاحتيط عليه وقُيِّدَ ، وبعثوا في الحال إلى داره ، فأخذ جميع ما كان فيها من الأموال والآلئ والجواهر والحواصل والجواري والأثاث ، ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشراب ، وبعث الخليفة إلى حواصله وضياعه بسائر الاماكن ، فاحتيط عليها ، وأمر به أن يعذب فمنع من الطعام ، وجعلوا يساهرونه ، كلما أراد الرقاد نُحْسَ بالحديد ، ثم وضع بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير قائمة في أسفله ، فأقيم عليها ووُكِّلَ به من يمنعه من الرقاد ، فمكث كذلك أياماً حتى مات ..

ويقال : إنه أخرج من التنور وفيه رمق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب . ويقال : إنه أحرق ثم دفعت جثته إلى أولاده فدفنوه ، فنبشت عليه الكلاب فأكلت لحمه وجلده ، ساعه الله .. وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف دينار » .

أقول : كان هذا الأسلوب الدموي في انتقال السلطة وما زال ، أمراً ثابتاً عند الشعوب المختلفة ، وثقافةً سائدةً ، ففي نفس السنة التي قتل فيها المتوكل ابن الزيات ، قَتَلَ ملك الروم ميخائيل أمه تدورة ، بعد أن ملكت ست سنين . « النهاية : ١٤ / ٣٣٣ » .

أما الديمقراطيات الغربية فقد جعلت انتقال السلطة في الغرب سلمياً ، في الظاهر ، لكنها لم تحقق ذلك في شعوب العالم التي تحت نفوذها ، فبقي دمويّاً بشكل عام !

الوزير عمر بن الفرج الرخجي :

١. كتبنا له ترجمة في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ووصفناه بأنه ممسحة الخلفاء ، لأنهم كانوا يكلفونه بالمهمات القذرة ! وكان ناصبياً معادياً لأهل البيت عليه السلام ، بعكس أخيه محمد الذي كان من خيرة أصحاب الأئمة : الرضا والجواد والهادي عليه السلام ، وصار والياً للمتوكل على مصر لفترة . « تاريخ يعقوبي : ٢ / ٤٨٥ » .

٢. ذكرنا في سيرة الإمام الجواد عليه السلام أن عمر الرخجي كان والياً على مكة والمدينة وأنه حاول قتل الإمام الجواد عليه السلام بالسّم ، فقد قال كما في « الثاقب في المناقب / ٥١٧ » : « سمعت من أبي جعفر شيئاً لو رآه محمد أخي لكفر ! فقلت : وما هو أصلحك الله ؟ قال : إني كنت معه يوماً بالمدينة إذ قُرب الطعام فقال : أمسكوا . فقلت : فذاك أبي قد جاءكم الغيب ؟ فقال : عليّ بالخُبّاز ، فجئ به فعاتبه وقال : من أمرك أن تسمني في هذا الطعام ؟ فقال له : جعلت فداك ، فلان ! ثم أمر بالطعام فرفع وأتى بغيره » !

يقصد أنه رأى من الإمام الجواد عليه السلام شيئاً لو رآه أخوه محمد لصار من الغلاة فيه ، واعتقد أنه يعلم الغيب ، وكفر بذلك ! أما هو فلا يكفر ويقول إن الجواد عليه السلام ساحر ! ثم ذكر أن الإمام عليه السلام كشف محاولة قتله بالسّم ، وأبعد الرخجي التهمة عن نفسه وأنه هو صاحب المحاولة ، مع أنه كان والي مكة والمدينة ! فتفكيره كتفكير مشرقي قريش ،

فهم يرون أنهم غير معينين بالإيمان بالمعجزات التي يشاهدونها ولا بتفسيرها ! بل عليهم أن يقولوا إن صاحب المعجزة ساحر ، حتى لا يفتتن به الناس !

٣. وبعد أن قتل المعتصم الإمام الجواد عليه السلام أمره أن يوكل شخصاً بابنه الإمام الهادي عليه السلام بعنوان معلم ، ويكون تحت رقابته التامة ، ويعزله عن الناس حتى لا يفتنوا به كما فتنوا بأبيه ! فاختار الرخجي الجنيدي ونصبه لهذه المهمة ، وأمر حاكم المدينة أن ينفذ أوامره ، فكانت النتيجة إيمان الجنيدي بإمامة الهادي عليه السلام !

٤. وبعد المعتصم كان الوثائق يوكل اليه تعذيب الوزراء والجباة ، الذين يغضب عليهم ، ليستخرج منهم الأموال !

قال ابن حمدون في التذكرة « ١٠٦ / ٢ » : « لما أوقع الوثائق بأحمد بن الخصيب وسليمان بن وهب ، جعل سليمان في يد عمر بن فرج الرخجي ، ثم وجه إليه يوماً : طالب سليمان بمائة ألف دينار يؤديها بعد الذي أخذ منه ، فإن أذعن بها وإلا فجرده واضربه مائة سوط ، ولا تتوقف عن هذا لحظة واحدة ، ففعل عمر » .

٥. أما المتوكل فأوكل اليه أسوأ الأدوار ، ثم بطش به أسوأ البطش ! فقد غضب عليه في أول خلافته ، قال الطبري « ٣٤٧ / ٧ » : « وفيها « سنة ٢٣٣ » غضب المتوكل على عمر بن فرج ، وذلك في شهر رمضان فدفع إلى إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فحبسه عنده ، وكتب في قبض ضياعه وأمواله » .

وفي مروج الذهب « ١٩ / ٤ » : « سخط المتوكل على عمر بن الفرغ الرخجي ، وكان من عليّة الكتاب وأخذ منه مالاً وجوهرأ ، نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار ،

وأخذ من أخيه نحواً من مائة ألف وخمسين ألف دينار ، ثم صولح محمد على أحد وعشرين ألف ألف درهم ، على أن يرد إليه ضياعه ثم غضب عليه غضبةً ثانية ، وأمر أن يُصَفَّعَ في كل يوم ، فأحصي ما صفع فكان ستة آلاف صفقة ، وألبسه جبة صوف ، ثم رضي عنه ، وسخط عليه ثالثة ، وأحدر إلى بغداد ، وأقام بها حتى مات !

وفي تاريخ اليعقوبي « ٢ / ٤٨٥ » : « وسخط على عمر بن فرج الرخجي ، وعلى أخيه محمد ، وكان محمد بن فرج عامل مصر إذ ذاك » .

ووصف القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة « ٢ / ١٢ » ، بطش المتوكل به لما بلغه أنه كان في الأهواز يفتخر على قاضيها بقربه من المتوكل ، وأنه أخذ منه الألو ف ولم يحاسبه ، فوشى به القاضي الى المتوكل فأرسل جاء به الى سامراء ، وأركبه على حمار وسجنه وعذبه ، وباع أملاكه !

٦ . ثم رضي عليه المتوكل وأوكل اليه مهمة هدم قبر الحسين عليه السلام ، فبعثه أكثر من مرة بجيش ، وقاتل أهل الكوفة حتى أخضعهم ، ثم هدم القبر !

روى الطوسي في الإمالي / ٣٢٥ : « حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن فرج الرخجي قال : حدثني أبي ، عن عمه عمر بن فرج ، قال : أنفذني المتوكل في تخريب قبر الحسين عليه السلام فصرت إلى الناحية ، فأمرت بالبقر فمُرَّ بها على القبور ، فمرت عليها كلها ، فلما بلغت قبر الحسين عليه السلام لم تمر عليه ! قال عمي عمر بن فرج : فأخذت العصا بيدي فما زلت أضربها حتى تكسرت العصا في يدي ! فوالله ما جازت على

قبره ولا تخطئه . قال لنا محمد بن جعفر : كان عمر بن فرج شديد الإنحراف عن آل محمد عليهم السلام فأنا أبرأ إلى الله منه . وكان جدي أخوه محمد بن فرج شديد المودة لهم رحمه الله ورضي عنه ، فأنا أتولاه لذلك وأفرح بولادته « . أي أفرح بولادتي منه .

٧. ثم أوكّل اليه المتوكل حكم الحجاز ليضطهد العلويين ويفقرهم ويبيدهم ! قال أبو الفرج في مقاتل الطالبين / ٣٩٥ : « واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي ، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس ، ومنع الناس من البر بهم ، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرّ أحداً منهم بشئ وإن قلّ ، إلا أنهكته عقوبةً وأثقله عُزماً ، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ، ثم يرقعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر !

٨. وبعد أن نفذ أوامر المتوكل ، وارتكب لأجله الجرائم ، غضب عليه وعزله ، وأذله ! وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله : من أعان ظالماً سلطه الله عليه . « الخرائج : ٣ / ١٠٥٨ » .

وتقدم أن المتوكل أنه سمع بعائشة بنت عمر الرخجي ، فأمره في جوف الليل والمطر أن يأتيه بها ، فوطأها ثم ردها إلى منزل أبيها ! « المحاسن للجاحظ / ١١٨ » .

٩. وقد ورد أن الإمام الجواد عليه السلام دعا على عمر الرخجي ، ففي الكافي « ١ / ٤٩٧ » : « محمد بن سنان قال : دخلت على أبي الحسن « الإمام الهادي عليه السلام » فقال : يا محمد حدث بآل فرج حدث ؟ فقلت : مات عمر . فقال : الحمد لله ، حتى أحصيت له أربعاً وعشرين مرة . فقلت : يا سيدي لو علمت أن هذا يسرُّك لجئتُ حافياً أعدو إليك . قال : يا محمد أولاً تدري ما قال لعنه الله لمحمد بن علي أبي ؟ قال

قلت : لا . قال : خاطبه في شئ فقال : أظنك سكران ! فقال أبي : اللهم إن كنت تعلم أني أمسيت لك صائماً ، فأذقه طعم الحَرْبِ وذُلَّ الأسر . فوالله إن ذهبت الأيام حتى حَرِبَ ما له « خسره » وما كان له ، ثم أخذ أسيراً ، وهوذا قد مات لا رحمه الله . وقد أдал الله عز وجل منه . وما زال يديل أوليائه من أعدائه » .

أقول : استشكل الرجاليون في هذه الرواية بأن وفاة محمد بن سنان سنة ٢٢٠ ، ووفاة الرخجي ٢٣٧ ، لكن الرواية قرينة على أن وفاة ابن سنان بعد هذا التاريخ .

الوزير الفتح بن خاقان :

كان للمتوكل عدة وزراء ، لكن أهمهم الفتح بن خاقان الذي قُتل معه ، ثم عبيد الله بن يحيى بن خاقان . وعندما قُتل المتوكل ابن الزيات كلف شخصاً اسمه أبو الوزير فتسلم أمواله الواسعة . ثم استوزر الجرجرائي ، ثم استوزر عبيد الله بن يحيى بن خاقان . وكان فوقهم جميعاً الفتح بن خاقان .

قال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٣ و ٦ » : « فكانت أيام أبي الوزير في الوزارة يسيرة ، وقد كان اتخذ للوزارة محمد بن الفضل الجرجرائي ، ثم صرفه .. غلب عليه الفتح بن خاقان : وكان الفتح بن خاقان التركي مولاه ، أغلب الناس عليه ، وأقربهم منه ، وأكثرهم تقدماً عنده » .

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء « ١٢ / ٨٢ » : « الفتح بن خاقان : الأمير الكبير الوزير الأكمل ، أبو محمد التركي ، شاعر مترسل بليغ مفوه ، ذوسؤدد وجود ومحاسن ، على لعب فيه . وكان المتوكل لا يكاد يصير عنه ، استوزره ، وفوض إليه إمرة

الشام ، فبعث إليها نواباً عنه .. وكان أحد الأذكياء ، دخل المعتصم على الأمير خاقان فمزح ابنه هذا وهو صبي ، فقال : يا فتح ، أيما أحسن داري أو داركم ؟ فقال الفتح : دارنا إذا كنت فيها ، فوهبه مئة ألف . وكان الفتح ذا باع أطول في فنون الأدب . قتل مع المتوكل سنة سبع وأربعين » .

ومدحه ابن النديم في الفهرست فقال / ١٣٠ : « الفتح بن خاقان بن أحمد ، في نهاية الذكاء والفظنة وحسن الأدب ، من أولاد الملوك ، اتخذته المتوكل أخاً ، وكان يقدمه على سائر ولده وأهله ، وكان له خزانة « مكتبة » جمعها له علي بن يحيى المنجم لم يُرَ أعظم منها كثرةً وحسناً . وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين . قال أبو هرقان : ثلاثة لم أر قط ولا سمعتُ أحبَّ إليهم من الكتب والعلوم : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي » .

أقول : تدل أخبار الفتح على أنه كان إنساناً محترماً ، وكان في عمله مع المتوكل مهيناً أميناً ، لم يُؤذَ أحداً ، ولا دفع المتوكل الى ذلك . على عكس زميله عبيد الله بن يحيى بن خاقان ! قال أبو الفرج « مقاتل الطالبين / ٣٩٥ » : « كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب .. واتفق له أن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزيره يسئ الرأي فيهم ، فحسن له القبيح في معاملتهم ، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله . وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين عليه السلام وعفى آثاره ، ووضع على سائر الطرق مسالح له ، لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به ، فقتله أو أنهكه عقوبة » !

بل نجد أن الفتح بن خاقان كان يعتقد أن الإمام الهادي عليه السلام ولي الله تعالى ، ويطلب أن يدعو للمتوكل أو يعالجه ، فقد روى في الكافي « ١ / ٤٩٩ » : « عن إبراهيم بن محمد الطاهري قال : مرض المتوكل من خراج خرج به وأشرف منه على الهلاك ، فلم يجسر أحد أن يمسه بجديدة ، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد مالاً جليلاً من مالها . وقال له الفتح بن خاقان : لو بعثت إلى هذا الرجل فسألته فإنه لا يخلو أن يكون عنده صفة يفرج بها عنك ، فبعث إليه ووصف له علة ، فرد إليه الرسول بأن يؤخذ كُسْبُ الشاة « عصارة الدهن » فيداف بماء ورد ، فيوضع عليه .. » . وتقدم ذلك في فصل سياسة المتوكل مع الإمام عليه السلام .

وتذكر بعض رواياتنا أنه كان محباً للإمام الهادي عليه السلام ويعمل لدفع الضرر عنه ، فقد روى الشيخ الطوسي في الامالي / ٢٧٥ ، عن أبي موسى المنصوري وهو أمير عباسي من أولاد المنصور ، وكان منقطعاً إلى الإمام الهادي عليه السلام ، فبعث المتوكل إليه الفتح بن خاقان ، ولما جاء أكرمه ودفن له مخصصاته المتأخرة .

ولما خرج قال له الفتح : لست أشك أنك سألته دعاءً لك ، فالتمس لي منه دعاء ! فلما دخلت إليه عليه السلام قال لي : يا أبا موسى هذا وجه الرضا . فقلت : ببركتك يا سيدي .. قلت : إن الفتح قال لي كيت وكيت . قال : إنه يوالينا بظاهره ويجانبنا بباطنه ، الدعاء لمن يدعو به . إذا أخلصت في طاعة الله واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت ، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً ، لم يجرمك » .

وقال له الفتح : « ذكر الرجل يعني المتوكل خبر مال يجيء من قم ، وقد أمرني أن أرصده لأخبره به ، فقل لي : من أي طريق يجيء حتى أجتنبه » !

وقد يكون الفتح صادقاً ، وسيأتي ذلك في ترجمة المنصوري في أصحاب الإمام عليه السلام .

الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان :

ذكر القاضي التنوخي في نشوار المحاضرة « ١٢ / ٨ » كيف تمكن عبيد الله بن يحيى بن خاقان من المتوكل ، قال : « حدثنا أبو جعفر أحمد بن إسرائيل ، قال : كان سبب رفعه عبيد الله بن يحيى : طلب المتوكل لحدث من أولاد الكتاب يوقع بحضرتة في الأبنية والمهمات ، لأنه كان قد أسقط الوزارة ، بعد صرف محمد بن الفضل الجرجرائي واقتصر على أصحاب الدواوين ، وأمرهم أن يعرضوا الأعمال بأنفسهم ، وجعل التاريخ في الكتب باسم وصيف التركي ، وانتصب منصب الوزارة ، وإن كان لم يسم بها . فأسمي له جماعة فاختار عبيد الله من بينهم ، فحضر أول يوم ، فصلّى في الدار ركعات وجلس وعليه قباء وسيف ومنطقة وشاشية على رسم الكتاب . قال أبو الحسن لأنه لم يكن أحد يصل إلى الخليفة ، إلا بقباء وسيف ومنطقة من الناس كلهم ، إلا القضاة ، لا في موكب ولا غيره ، فإذا كان يوم موكب ، كانت الأقبية كلها سواداً ، وإذا كان غير يوم موكب فرمما كانت من بياض ، وفي الأكثر سواداً .

فلما صَلَّى عبيد الله وجلس لم يجتز به أحد من الحاشية كبير ولا صغير إلا قام إليه قائماً وسلّم عليه ، حتى قام إلى رئيس الفراشين ! فرآه بعض الحاشية فقال : من هذا الشقي الذي قد قام لسائر الناس حتى قام إلى الكلاب ؟ فقيل له فلان .

ثم أذن له المتوكل لما خلا ، فدخل إليه وكان على رأسه قلنسوة سوداء شاشية ، وكان طويل العنق فظهرت عنقه . فلما رآه المتوكل أوماً بيده إلى قفاه ومسحه شبه صفة ، فأخذ عبيد الله يده فقبلها فنفق عليه وخف على قلبه وسرّ بذلك ، واستخف روحه وقال له : أكتب . فكتب وهو قائم : **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ، إلى قوله عز وجل : **وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** . فكتب : وينصرك الله يا أمير المؤمنين نصرًا عزيزاً ، فزاد ذلك في تقبل المتوكل له وتفاءل بذلك ، وقال له : إلزم الدار ، فكان يلزمها منذ السحر ، إلى وقت نوم المتوكل في الليل .

وقوي أمره مع الأيام ، حتى صار يعرض الأعمال ، كما كان الوزراء يعرضونها وليس هو بعد وزير ، والتاريخ لوصيف . فأمره المتوكل في بعض الأيام أن يكتب نسخة في أمر الأنبياء فقال : نعم . فلما كان بعد ساعة سأله هل كتبت ؟ فقال : لم يكن معي دواة . فقال : أكتب الساعة ، فاستحضر دواة ، وكان إيتاخ الحاجب قائماً يسمع ذلك ، فلما خرج عبيد الله قال له : إنما طلبك أمير المؤمنين لتكتب بين يديه فإذا حضرت بلا دواة فلأي شيء تجيء ؟ فقال له عبيد الله : وأي مدخل لك أنت في هذا ، أنت حاجب أو وزير ؟ فاغتاظ من ذلك فأمر به فبُطح وضربه على رجليه عشرين مقرة ، وقال له : الآن علمت أن لي فيه مدخلاً !

فلم يتأخر عبيد الله عن الخدمة ، وعاد فجعل يمشي ويعرج ، فسأل المتوكل عن خبره فعرف الصورة ، فغلظ عليه ذلك ، وقال : إنما قَصَدَهُ إيتاخ لمحبتي له .

وكان قد اجتمع في نفس المتوكل من إيتاخ العظائم ، مما كان يعمل به في أيام الوائق ، ولا يقدر له على نكبته لتمكُّنه من الأتراك .

فأمر بأن يخلع على عبيد الله من الغد ، وأن لا يعرض أحد من أصحاب الدواوين عليه شيئاً ، وأن يدفعوا أعمالهم إليه ليعرضها ، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم ، فندم إيتاخ على ما فعله ، وجعل يداري عبيد الله ويثاقفه ، وقوي أمر عبيد الله حتى حذف بنفسه من غير أمر إسم وصيف من التاريخ وأثبت إسمه . ثم أمر له المتوكل برزق الوزارة ، ثم خوطب بالوزارة بعد مُدَيِّدَة وخلع عليه لها خلعاً آخر .

ثم قلَّده كتابة المعتز وخلع عليه ، ثم قلَّده كتابة المؤيد وخلع عليه ، وضمَّ المتوكل إلى ابنيه ، بضعة عشر ألف رجل ، وجعل تدبيرهم إلى عبيد الله ، فكان وزيراً أميراً . فلما تمكَّن هذا التمكُّن بالجيش والمحل ، عارض إيتاخ وبطأ حوائجه وقصده ، ووضع من كُتَّابه ، ولم يزل ذلك يقوى من فعله إلى أن دبَّر على إيتاخ ، فقتله على يد إسحاق بن إبراهيم الطاهري ببغداد ، بعد عود إيتاخ من الحجّ .

وقال اليعقوبي « ٢ / ٤٨٨ » : « سخط المتوكل على محمد بن الفضل كاتب ديوان التوقيع لأمر وقف عليه منه ، فصير مكانه عبيدالله بن يحيى بن خاقان ورفعه وأعلى مرتبته وولاه وأمره أن يكتب : مولى أمير المؤمنين وكان ولاؤه في الأزد » .

وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق « ٣٨ / ١٤٣ و ١٤٦ » : « عبيد الله بن يحيى بن خاقان بن عرطوج ، أبوالحسن التركي ، وزير المتوكل ، قدم مع المتوكل دمشق فيما وجدت بخط عبد الله بن محمد الخطابي الشاعر الدمشقي ، في تسمية من قدم مع المتوكل . وقدمها مرة أخرى منكوباً حين نفاه المستعين إلى برقة سنة ثمان وأربعين ومائتين . وكان عوده إلى بغداد سنة ثلاث وخمسين ومئتين بعد أن حج ، ثم استوزره المعتمد في شعبان سنة ست وخمسين ومئتين .. قال أحمد بن أبي طاهر : تقلد عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزارة مرتين وكان نُفي في وقت النكبة إلى برقة ، فاجتاز بدمشق ، وعيسى بن الشيخ يتقلدها فلقبه عيسى بن الشيخ وترجل له وأعظمه وبره وأكرمه وخدمه .. فلما تقلد عبيد الله بن يحيى الوزارة المرة الثانية حفظ له ذلك ، ولم يزل حتى قلده الديار البكرية وإرمينية » .

وكان الوزير عبيد الله بن خاقان أداة للمتوكل في هدم قبر الإمام الحسين عليه السلام واضطهاد الزاهدين لزيارته وتعذيبهم وقتلهم . فقد استمرت محاولات المتوكل لهدم القبر الشريف نحو سنة من شعبان سنة ٢٣٦ الى شعبان ٢٣٧ ، وورد فيها إسم الوزير عبيد الله بن خاقان ، وأنه أرسل عدداً من القادة في جند كثيف ، ومعهم متطرفون من النواصب . كما ذكرنا في فصل هدم القبر الشريف .

وعاش الوزير عبيد الله بعد المتوكل ، وكان وزيراً لعدة خلفاء ، حتى توفي فجأة سنة ٢٦٠ ، في أيام شهادة الإمام العسكري عليه السلام فقد روى الصدوق في كمال الدين / ٤٧٥ ، تفتيش السلطة عن الإمام المهدي عليه السلام قال : « فدخل جعفر بن علي والشيعية من حوله يقدمهم السمان .. فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي صلوات الله

عليه على نعشه مكفناً ، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه ، فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قشط بأسنانه تفلح ، فجبذ برداء جعفر بن علي وقال : تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي ، فتأخر جعفر ، وقد ازدَّ وجهه واصفراً .. فدخل جعفر بن علي المعتمد وكشف له ذلك ، فوجه المعتمد بخدمة فقبطوا على صقيل الجارية ، فطالبوها بالصبي فأنكرته وادعت حبلاً بها لتغطي حال الصبي ، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي . وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة ، وخرج صاحب الزنج بالبصرة ، فشغلوا بذلك عن الجارية ، فخرجت عن أيديهم ، والحمد لله رب العالمين » .

القائد العام لجيش الخلافة : إيتاخ

عندما توفي الوثاق اجتمع كبار شخصيات الدولة : « أحمد بن أبي دؤاد ، وإيتاخ ، ووصيف ، وعمر بن فرج ، وابن الزيات ، وأحمد بن خالد أبو الوزير ، فعزموا على البيعة لمحمد بن الوثاق ، وهو غلام أمرد ، فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية ، فإذا هو قصير » . « الطبري : ٧ / ٢٤١ » .

فكان إيتاخ القائد الأول ويلييه وصيف ، لأن جيش الخلافة كان أكثره من الأتراك ، فكان لقادتهم دور في اختيار الخليفة ، ثم صار لهم كل الدور . وكان إيتاخ غلاماً للمعتصم ، فأوكل اليه تربية المتوكل ، فكان بمنزلة أبيه !

قال ابن كثير في النهاية « ١٠ / ٣٤٣ » : « شرب ليلة مع المتوكل ، فعربد عليه المتوكل فهمم إيتاخ بقتله ، فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له : أنت أبي وأنت ربيتي ، ودسّ اليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج .. » .

قال الطبري « ٧ / ٣٥٠ » : « ذكر أن إيتاخ كان غلاماً خزرياً لسلام الأبرش طباحاً ، فاشتره منه المعتصم في سنة ١٩٩ وكان لإيتاخ رجلة وبأس ، فرفعه المعتصم ومن بعده الوثائق حتى ضم إليه من أعمال السلطان أعمالاً كثيرة ، وولاه المعتصم معونة سامرا مع إسحاق بن إبراهيم ، وكان من قبله رجلٌ ومن قبل إسحاق رجلٌ ، وكان من أراد المعتصم أو الوثائق فقتله فعند إيتاخ يقتل ، ويده يحبس ، منهم محمد بن عبد الملك الزيات ، وأولاد المأمون من سندس وصالح بن عجيف وغيرهم . فلما ولي المتوكل كان إيتاخ في مرتبته إليه الجيش ، والمغاربة ، والأترک ، والموالي ، والبريد ، والحجابه ، ودار الخلافة .

فخرج المتوكل بعد ما استوت له الخلافة متنزهاً إلى ناحية القاطول ، فشرب ليلة فعربد على إيتاخ فهمم إيتاخ بقتله ، فلما أصبح المتوكل قيل له فاعتذر إليه والتزمه وقال له : أنت أبي وربيتني ، فلما صار المتوكل إلى سامرا دسّ إليه من يشير عليه بالإستئذان للحج ففعل وأذن له ، وصيره أمير كل بلدة يدخلها ، وخلع عليه وركب جميع القواد معه ، وخرج معه من الشاكرية والقواد والغلمان سوى غلمانه وحشمه بشر كثير ، فحين خرج صيرت الحجابه إلى وصيف ..

لما قفل من مكة راجعاً إلى العراق وجّه المتوكل إليه سعيد بن صالح الحاجب ، مع كسوة وألطف ، وأمره أن يلقاه بالكوفة أو ببعض طريقه ، وقد تقدم المتوكل إلى عامله على الشرطة ببغداد بأمره فيه .

فذكر عن إبراهيم بن المدبر أنه قال خرجت مع إسحاق بن إبراهيم حين قرب إيتاخ من بغداد ، وكان يريد أن يأخذ طريق الفرات إلى الأنبار ، ثم يخرج إلى سامر ، فكتب إليه إسحاق بن إبراهيم إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد أمر أن تدخل بغداد ، وأن يلقاك بنوهاشم ووجهه الناس ، وأن تقعد لهم في دار خزيمه بن خازم فتأمر لهم بجوائز . قال فخرجنا حتى إذا كنا بالياسرية ، وقد شحن ابن إبراهيم الجسر بالجند والشاكرية ، وخرج في خاصته وطرح له بالياسرية صفةً فجلس عليها ، حتى قالوا قد قرب منك فركب فاستقبله فلما نظر إليه أهوى إسحاق لينزل فحلف عليه إيتاخ ألا يفعل ، قال : وكان إيتاخ في ثلاث مائة من أصحابه وغلمانه ، عليه قباءً أبيض متقلداً سيفاً بمائل ، فسارا جميعاً حتى إذا صارا عند الجسر ، تقدمه إسحاق عند الجسر وعبر حتى وقف على باب خزيمه بن خازم ، وقال لإيتاخ تدخل أصلح الله الأمير ، وكان الموكلون بالجسر كلما مر بهم غلام من غلمانه ، قدموه حتى بقي في خاصة غلمانه ، ودخل بين يديه قوم ، وقد فرشت له دار خزيمه ، وتأخر إسحاق وأمر ألا يدخل الدار من غلمانه إلا ثلاثة أو أربعة ، وأخذت عليه الأبواب ، وأمر بحراسته من ناحية الشط وكسرت كل درجة في قصر خزيمه بن خازم ، فحين دخل أغلق الباب خلفه ، فنظر فإذا

ليس معه إلا ثلاثة غلمان ، فقال قد فعلوها ! ولو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على أخذه ، ولو دخل إلى سامرا فأراد بأصحابه قتل جميع من خالفه ، أمكنه ذلك .

قال : فأتي بطعام قرب الليل فأكل فمكث يومين أو ثلاثة ، ثم ركب إسحاق في حراقة وأعد لإيتاخ أخرى ، ثم أرسل إليه أن يصير إلى الحراقة ، وأمر بأخذ سيفه فحذروه إلى الحراقة ، وصير معه قوم بالسلاح ، وصاعد إسحاق حتى صار إلى منزله ، وأخرج إيتاخ حين بلغ دار إسحاق ، فأدخل ناحية منها ، ثم قيد فأنقل بالحديد في عنقه ورجليه ، ثم قدم بابنيه منصور ومظفر وبكاتبيه سليمان بن وهب وقدامة ابن زياد النصراني ، بغداد وكان سليمان على أعمال السلطان ، وقدامة على ضياع إيتاخ خاصة فحبسوا ببغداد .

فأما سليمان وقدامة فضربا فأسلم قدامة ، وحبس منصور ومظفر .

وذكر عن تُرك مولى إسحق أنه قال : وقفت على باب البيت الذي فيه إيتاخ محبوس فقال لي : يا تُرك . قلت : ما تريد يا منصور . قال : أقرئ الأمير السلام وقل له : قد علمت ما كان يأمرني به المعتصم والوائق في أمرك ، فكنت أدفع عنك ما أمكنني فلينفعي ذلك عندك . أما أنا فقد مر بي شدة ورخاء ، فما أبالي ما أكلت وما شربت ، وأما هذان الغلامان فإنهما عاشا في نعمة ولم يعرفا البؤس ، فصير لهما مرققة ولحماً وشيئاً يأكلان منه .

قال تُرك : فوقفت على باب مجلس إسحاق قال لي : مالك يا تُرك ، أتريد أن تتكلم بشيء . قلت : نعم . قال لي إيتاخ : كذا وكذا ! قال وكانت وظيفة إيتاخ رغيفاً

وكوزاً من ماء ، ويأمر لابنيه بخوانٍ فيه سبعة أرغفة وخمس غرف « جمع غَرْفَة
بمعنى ملقعة » فلم يزل ذلك قائماً حياة إسحاق ، ثم لا أدري ما صنع بهما !

فأما إيتاخ ففُيِّدَ وصُيِّرَ في عنقه ثمانون رطلاً وقيدٌ ثقيل ، فمات يوم الأربعاء
لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٣٥ ، وأشهد إسحاق على موته أبا الحسن
إسحاق بن ثابت بن أبي عباد ، وصاحب بريد بغداد ، والقضاة ، وأراهم إياه ،
لا ضربَ به ولا أثرَ ! وحدثني بعض شيوخنا أن إيتاخ كان موته بالعطش ، وأنه
أُطعم فاستسقى فمنع الماء حتى مات عطشاً ، وبقي إبناه في الحبس حياة المتوكل
فلما أفضى الأمر إلى المنتصر أخرجهما ، فأما مظفر فإنه لم يعيش بعد أن أخرج من
السجن إلا ثلاثة أشهر حتى مات ، وأما منصور فعاش بعده .

قال المسعودي في التبيين والإشراف / ٣١٣ : « بويح المتوكل جعفر بن محمد المعتصم ..
وجفا الموالي من الأتراك واطَّرحهم وحوطَّ مراتبهم ، وعمل على الإستبداد بهم
والإستظهار عليهم » .

أقول : لم يترك المتوكل أحداً من أولياء نعمته وأصدقائه إلا وغدر به ! وقد حقد
عليه الترك لغدره بقائدهم إيتاخ ، وتبايعوا على قتله .

قال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٣٤ » : « ولما عزم بُغا الصغير على قتل المتوكل
دعا بباغر التركي ، وكان قد اصطنعه واتخذَه ومالاً عينه من الصَّلات ، وكان
مقدماً أهوج ، فقال له : يا باغر أنت تعلم محبتي لك وتقديمي إياك وإشاري لك
وإحساني إليك ، وإني قد صرت عندك في حد من لا يُعصَى له أمر ، ولا يخرج

عن محبته ، وأريد أن أمرك بشئ فعرفني كيف قلبك فيه ، فقال : أنت تعلم كيف أفعل ، فقل لي ما شئت حتى أفعله ... ثم إنه أمسك عنه مدة مديدة ودعا به ، فقال : يا باغر ، قد حضرت حاجة أكبر من الحاجة التي قدمتها فكيف قلبك ؟ قال : قلبي على ما تحبُّ فقل ما شئت حتى أفعله ، فقال : هذا المنتصر قد صح عندي أنه على إيقاع التدبير عليّ وعلى غيري حتى يقتلنا ، وأريد أن أقتله فكيف ترى نفسك في ذلك ؟

ففكر باغر في ذلك ونكس رأسه طويلاً وقال : هذا لا يجيء منه شئ ، قال : وكيف ؟ قال : يقتل الابن والأب باقٍ ؟ إذاً لا يستوي لكم شئ ، ويقتلكم أبوه كلكم به ، قال : فما ترى عندك ؟ قال : نبدأ بالأب أولاً فنقتله ، ثم يكون أمر الصبي أيسر من ذلك ، فقال له : ويحك وتفعل هذا ويتهياً ؟ قال : نعم أفعله ، وأدخل عليه حتى أقتله ، فجعل يردد عليه ، فيقول : لا تفعل غير هذا ، ثم قال له : فادخل أنت في أثري فإن قتلته وإلا فاقتلني وضَع سيفك عليّ ، وقل : أراد أن يقتل مولاه ، فعلم بغا حينئذ أنه قاتله ، وتوجه له في التدبير في قتل المتوكل .

وقد روى الطبري « ٧ / ٤٣٤ » تفاصيل كثيرة ، في مكافأة باغر على قتله المتوكل ، وفي صراع الأتراك فيما بينهم ، وصراعهم مع الخلافة .

القائد وصيف التركي :

١. قال الصفدي في الوافي « ٢٧ / ٢٥٩ » : « الأمير التركي وصيف ، غلام الإمام المتوكل ، كان من كبار الأمراء القواد ، استولى على المعتز ، واحتجّر واصطفى لنفسه الأموال والذخائر ، فشغبت عليه الفراغنة والأشروسنية ، وطالبوه بالأرزاق ، فقال مالكم عندنا إلا التراب ! فوثبوا عليه وقتلوه بالدبابيس ، وقطعوا رأسه ونصبوه على رمح في سنة ثلاث وخمسين ومائتين .

وكان وصيف هو وبغا الشرايبي ، قد حجرا على المستعين ، حتى قال الشاعر :

خليفةً فـفي قفـصٍ بـينَ وصـيفٍ وبـغـا
يقول ما قالـا له كما تقـول البـغـا

وكان في الأصل مملوكاً لشيخ من أهل قم ، اشتراه لما سُبي من الديلم ، وأحسن تربيته ، وأسلمه مع ابنه في المكتب ، وكان إذا وقع في يده شيء تركه عند بقال في المحلة . ثم إنه بعد بلوغه تعلق بالعمل بالسلاح ، ثم توجه مع بعض الجنود إلى خراسان بعدما أخذ ماله من عند البقال ، ثم تقلبت به الأحوال إلى أن اتصل بالمتوكل . ولما تولى وصيف على قم طلب الشيخ أستاذه واعترف له بالرق ، فأنكر ذلك ، فقال له : أنا مملوكك فلان ، ودفع إليه ثلاث بدر وقماشاً ودواب وطيباً بمثل ذلك ، وأمر لابن الشيخ بعشرة آلاف درهم ، وبعث إلى زوجة الشيخ وبناته مالا كثيراً ، ودفع إلى البقال خمس مائة دينار ، وقال : يا أهل قم ، ما على وجه الأرض أحدٌ أوجب حقاً عليّ منكم ، إلا أني أخالفكم في التشيع » .

٢. كان وصيف قائداً كبيراً عند الواثق ، ولما مات عمل لتولية المتوكل : « لما توفي حضر الدار أحمد بن أبي دؤاد وإيتاخ ووصيف وعمر بن فرج وابن الزيات وأحمد

بن خالد أبوالوزير ، فعزموا على البيعة لمحمد بن الواثق وهو غلام أمرد ، فألبسوه دراعة سوداء وقلنسوة رصافية فإذا هو قصير فقال لهم وصيف : أما تتقون الله تُولون مثل هذا الخلافة ، وهو لا يجوز معه الصلاة » .

فاستقر رأيهم على تولية جعفر وجاءوا به من السجن . « الطبري : ٧ / ٣٤١ » .

ولهذا صار وصيف مقرباً عند المتوكل ، وقد ورد أنه عندما جاء أحمد بن حنبل الى بغداد لقيه في الطريق فلم يسلم عليه مباشرةً ، وأرسل له شخصاً يسلم عليه نيابةً عنه ويقول له : حرص المتوكل على خصمك ابن أبي دؤاد ليعزله !

قال الذهبي في تاريخه « ١٨ / ٨٧ » : « قال حنبل في حديثه .. فأخبرني أبي قال : لما دخلنا إلى العساكر إذا نحن بموكب عظيم مقبل ، فلما حاذى بنا قالوا : هذا وصيف .

وإذا فارس قد أقبل فقال لأحمد : الأمير وصيف يقرؤك السلام ويقول لك : إن الله قد أمكنك من عدوك ، يعني ابن أبي دؤاد ، وأمير المؤمنين يقبل منك فلا تدع شيئاً إلا تكلمت به . فما رد عليه أبو عبد الله شيئاً . وجعلت أنا أدعو للأمير المؤمنين ، ودعوت لوصيف » .

وهذا يدل على غطرسة وصيف ، وعلى أن نظرتهم لأحمد بن حنبل كانت عادية !

٣ . وعندما أراد المتوكل أن يغدر بإيتاخ ، أرسله الى الحج : « فحين خرج صيرت الحجابة إلى وصيف » . « الطبري : ٧ / ٣٥٠ » .

٤. ثم غدر المتوكل بوصيف ، فقلص صلاحياته وكتب فرامين بمصادرة أمواله في البلاد . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء « ١٢ / ٣٨ » : « وانخرفت الأتراك على المتوكل لمصادرتة وصيفاً وبغا ، حتى اغتالوه » .

وقال ابن تغري في مورد اللطافة « ١ / ١٥٧ » : « وكان المتوكل بايع ولده المنتصر محمداً . ثم إنه أراد أن يعزله ويولي ولده المعتز لمحبتة لأمه قبيحة ، فسأل المتوكل ولده المنتصر أن ينزل عن العهد لأخيه المعتز فأبى ، فغضب المتوكل عليه ، وصار يحضره المجالس العامة ويحط منزلته ، ويتهدده ويشتمه ويتوعده .

ثم اتفق أن الترك انخرقوا عن المتوكل لكونه صادر وصيف التركي وبغا ، فاتفق الأتراك حينئذ مع المنتصر على قتل أبيه المتوكل » .

٥. قال الذهبي في سيره « ١٢ / ٣٩ » : « وسكر المتوكل سكرًا شديدًا ، ومضى من الليل إذ أقبل باغر في عشرة متلثمين تبرق أسيافهم ، فهجموا علينا ، وقصدوا المتوكل ، وصعد باغر وآخر إلى السرير فصاح الفتح : ويلكم مولاكم . وتهارب الغلمان والجلساء والندماء ، وبقي الفتح ، فما رأيت أحداً أقوى نفسه منه بقي يمانعهم ، فسمعت صيحة المتوكل إذ ضربه باغر بالسيف المذكور على عاتقه ، ففده إلى خاصرته وبعج آخر الفتح بسيفه ، فأخرجه من ظهره ، وهو صابر لا يزول ، ثم طرح نفسه على المتوكل فماتا ، فُلِّقًا في بساط ثم دفنا معاً .

وكان بغا الصغير استوحش من المتوكل لكلام ، وكان المنتصر يتألف الأتراك ، لا سيما من يُبعده أبوه » .

وفي سمط النجوم « ٣ / ٤٦٦ » : « حملهم الطغيان على الفتك بالخليفة المتوكل ، لما أراد أن يصادر مملوك أبيه وصيفاً التركي لكثرة أمواله وخزائنه ، فتعصب له باغر التركي ، وانحرف الأتراك عن المتوكل فدخل باغر ومعه عشرة أتراك ، وهو في مجلس أنسه ، بعد مضي هزيع من الليل ، فصاح الفتح : ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم ! وهرب من كان حوله من الغلمان والندمان على وجوههم ، فبقي الفتح وحده والمتوكل غائب سكران ، فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقده إلى حقوه ، فطرح الفتح نفسه عليه ، فضربهما باغر ضربة ثانية فماتا جميعاً ، فلفهما معاً في بساط ومضى هو ومن معه ، ولم ينتطح في ذلك عنزان . »

٦ . وأرسل المنتصر وصيفاً إلى غزو الروم ، وكتب له أن يبقى هناك أربع سنين ، ففي تاريخ الطبري « ٧ / ٤٠٨ » : « كتب معه المنتصر كتاباً إلى وصيف يأمره بالمقام ببلاد الثغر ، إذا هو انصرف من غزاته أربع سنين ، يغزو في أوقات الغزو منها » .

وهذا يدل على أن المنتصر أخذ يعمل للتخلص من وصيف ، فلما قتل المنتصر عاد وصيف وبغا ، وصار مقربين عند المستعين الذي صار خليفة بعد المنتصر .

وفي التنبية والإشراف / ٣١٥ : « وبويع المستعين أحمد بن محمد المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر ، وغلب على التدبير والأمر والنهي أوتامش بن أخت بغا الكبير .. ولم يزل مقيماً بسر من رأى إلى أن قتل وصيفاً وبُغَا باغرَ التركي أحد المتقدمين في قتل المتوكل ، فشغب الموالي وتحزبوا ، فانحدر ومعه وصيف وبغا إلى مدينة السلام ، لثلاث خلون من المحرم سنة ٢٥١ . وبايع الأتراك بسر من رأى أبا عبد الله المعتز لحرب من بمدينة السلام ، فكانت الحروب بينهم سنة إلا أياماً يسيرة ، والقيم بأمر المستعين محمد

بن عبد الله بن طاهر ، إلى أن خلع المستعين نفسه ، وسَلَّمَ الخلافة إلى المعتز لليلتين خلتا من المحرم سنة ٢٥٢ .. وصار إليه وصيف وبغا فردهما إلى مراتبهم ، ولم يزل يعمل في الحيلة عليهما إلى أن شغب الموالي فقتلوا وصيفاً الجمعة سلخ شوال سنة ٢٥٣ . » .

القائد صالح بن وصيف :

برز صالح بن وصيف بعد قتل أبيه ، وكانت له أدوار في قيادة الترك لا تقل عن أبيه ، فكان الأمر الناهي في خلافة المستعين ، وهو الذي اتفق مع بُغا على قتل باغر قاتل المتوكل ، فثار عليهما الجند الأتراك ، فهربا مع أبيه وصيف والخليفة المستعين إلى بغداد ، فبايع الأتراك المعتز ، ووقعت الحرب بينه وبينه والمستعين ، ثم اتفقوا على خلع المستعين وتثبيت المعتز في الخلافة .

ورجع صالح بن وصيف إلى سامراء وبايع المعتز ، ثم جاء بالمهتدي من بغداد إلى سامراء ونصبه خليفة ، وأجبر المعتز على خلع نفسه ، ثم قتله ، وصار الأمر الناهي في دولة المهتدي ، حتى جاء القائد التركي موسى بن بُغا بجيشه من الري فقتل صالح بن وصيف ، ثاراً للمعتز ، وقتل المهتدي أيضاً !

في تاريخ الخلفاء / ٢٦٤ ، ملخصاً : « وقدم موسى بن بُغا من الري يريد سامرا ، لقتل صالح بن وصيف بدم المعتز ، وأخذ أموال أمه ومعه جيشه ، فصاحت العامة على ابن وصيف : يا فرعون قد جاءك موسى ! فطلب موسى من بغا الإذن على المهتدي فلم يأذن له ، فهجم بمن معه عليه وهو جالس في دار العدل فأقاموه وحملوه على فرس ضعيفة وانتهبوا القصر ، وأدخلوا المهتدي إلى دار ناجود وهو يقول : يا موسى إتق الله ، ويحك ما تريد ! قال : والله ما نريد إلا خيراً ، فاحلف

لنا ألا تمالي صالح بن وصيف ، فحلف لهم ، فبايعوه حينئذ ثم طلبوا صالحاً ليناظروه على أفعاله فاختمى ، وندبهم المهتدي إلى الصلح فاتهموه أنه يدري مكانه ، فجرى في ذلك كلام ، ثم تكلموا في خلعه . فخرج إليهم المهتدي من الغد متلقداً بسيفه ، فقال : قد بلغني شأنكم ، لست كمن تقدمني مثل المستعين والمعتز ، والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحنظ وقد أوصيت وهذا سيفي ! والله لأضربن ما استمسكت قائمته بيدي ، أما دينن ، أما حياء ، أما رعة ؟ لم يكن الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ؟

ثم قال : ما أعلم علم صالح ، فرضوا وانفضوا . ونادى موسى بن بغا : من جاء بصالح فله عشرة آلاف دينار ، فلم يظفر به أحد ، واتفق أن بعض الغلمان دخل زقاقاً وقت الحر ، فرأى باباً مفتوحاً فدخل فمشى في دهليز مظلم ، فرأى صالحاً نائماً ، فعرفه وليس عنده أحد ، فجاء إلى موسى فأخبره ، فبعث جماعة فأخذوه وقُطعت رأسه ، وطيفَ به .. فكتب المهتدي إلى بكيال أن يقتل موسى ومفلحاً أحد أمراء الأتراك أيضاً ، أو يمسكهما ، ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم ! فأوقف بكيال موسى على كتابه وقال : إني لست أفرح بهذا وإنما هذا يعمل علينا كلنا ، فأجمعوا على قتل المهتدي وساروا إليه ، فقاتل عن المهتدي المغاربة والفراغنة والأشروسنية ، وقُتل من الأتراك في يوم أربعة آلاف ، ودام القتال إلى أن هُزم جيش الخليفة وأمسك هو ، فعُصر على خصيته فمات ، وذلك في رجب سنة ست وخمسين !

رئيس الأطباء بخت يشوع :

١. معنى بختيشوع : عبد المسيح ، فالبخت في اللغة السريانية العبد ، ويشوع عيسى عليه السلام . وكان بختيشوع يلحق بأبيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لأعمالها ، وخدم هارون الرشيد ، وتميز في أيامه . « طبقات الأطباء / ١٨٦ » .

« جورجس بن جبرئيل : طيب سرياني الأصل . هو أبو بختيشوع الطيب ورأس هذا البيت . كان رئيس الأطباء في جنديسابور ، واعتل المنصور العباسي ، فأرشد إليه ، فاستدعاه فقدم بغداد سنة ١٤٨ ، فأحبه المنصور ، فمكث حظياً عنده ونقل له كتباً كثيرة من اليونانية إلى العربية . ثم اعتل جورجس وطلب الأوبة إلى جنديسابور فأذن له المنصور ، فعاد سنة ١٥٢ ومات فيها .

من تصانيفه عدا ما ترجمه إلى العربية : كناش ، ألفه بالسريانية وترجمه حنين بن إسحاق إلى العربية . « الأعلام : ٢ / ١٤٦ »

٢. وفي طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة / ٢٠١ : « بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع : كان سريانياً نبيل القدر ، وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ، ما لم يبلغه أحد من سائر الأطباء الذين كانوا في عصره ، وكان يضاهي المتوكل في اللباس والفرش . ونقل حنين بن إسحاق لبختيشوع بن جبرائيل كتباً كثيرة من كتب جالينوس إلى اللغة السريانية والعربية .

قال فثيون الترجمان : لما ملك الواثق الأمر ، كان محمد بن عبد الملك الزياد وابن أبي دؤاد يعاديان بختيشوع ويجسدانه على فضله وبره ومعروفه وصدقائه ، وكمال

مروءته ، فكانا يغريان الوثائق عليه إذا خلوا به ، فسخط عليه الوثائق وقبض على أملاكه وضياعه ، وأخذ منه جملة طائلة من المال ، ونفاه إلى جندي سابور ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين ، فلما اعتل بالإستسقاء وبلغ الشدة في مرضه ، أنفذ من يحضر بختيشوع ، ومات الوثائق قبل أن يوافي بختيشوع .

ثم صلحت حال بختيشوع بعد ذلك في أيام المتوكل حتى بلغ في الجلالة والرفعة وعظم المنزلة وحسن الحال وكثرة المال وكمال المروءة ومباراة الخلافة في الزي واللباس والطيب والفرش والصناعات والتفسيح والبذخ في النفقات ، مبلغاً يفوق الوصف ، فحسده المتوكل وقبض عليه .

قال فثيون الترجمان : كان المعتز بالله قد اعتل في أيام المتوكل علة من حرارة امتنع معها من أخذ شئ من الأدوية والأغذية ، فشق ذلك على المتوكل كثيراً ، واغتم به وصار إليه بختيشوع والأطباء عنده وهو على حاله في الإمتناع ، فمازحه وحادثه ، فأدخل المعتز يده في كُفِّ جُبَّةِ وَشِيٍّ يمانٍ مُثْقَلِه ، كانت على بختيشوع وقال : ما أحسن هذا الثوب ، فقال بختيشوع : يا سيدي ما له والله نظير في الحسن وثنه عليّ ألف دينار ، فكل لي تفاحتين وخذ الجبة ، فدعا بتفاح فأكل اثنتين ، ثم قال له : تحتاج يا سيدي الجبة إلى ثوب يكون معها ، وعندني ثوب هو أخُّ لها فاشرب لي شربة سكنجبين وخذ ، فشرب شربة سكنجبين ، ووافق ذلك اندفاع طبيعته . فبرأ المعتز وأخذ الجبة والثوب وصلح من مرضه .

فكان المتوكل يشكر هذا الفعل أبداً لبختيشوع .

٣. وحدث أبو محمد بدر بن أبي الإصبع ، عن أبيه عن أبي عبد الله محمد بن الجراح عن أبيه ، أن المتوكل قال يوماً لبختيشوع : أدعني . فقال : السمع والطاعة فقال : أريد أن يكون ذلك غداً . قال : نعم وكرامة . وكان الوقت صائفاً وحره شديداً . فقال لبختيشوع لأعوانه : وأصحابه أمرنا كله مستقيم إلا الخيش فإنه ليس لنا منه ما يكفي ، فأحضر وكلاءه وأمرهم بابتیاع كل ما يوجد من الخيش بسر من رأى ففعلوا ذلك ، وأحضروا كل من وجدوه من النجادين والصناع ، فقطع لداره كلها صونها وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها ، خيشاً ، حتى لا يجتاز الخليفة في موضع غير مخيش . وإنه فكر في روائحه التي لا تزول إلا بعد استعماله مدة ، فأمر بابتیاع كل ما يقدر عليه بسر من رأى من البطيخ ، وأحضر أكثر حشمه وغلماؤه وأجلسهم يَدْلِكُونَ الخيشَ بذلك البطيخ ليلتهم كلها ، وأصبح وقد انقطعت روائحه ..

وأمر طبائحه بأن يعملوا خمسة آلاف جونة « طبق » في كل جونة باب خبز سميد دَسَتْ رِقَاق ، وزن الجميع عشرون رطلاً ، وحمْلٌ مشويٌّ وِجْدِيٌّ باردٌ ، وفائقةٌ ودجاجتين مصدرتان ، وفرخان ومصوصان ، وثلاثة ألوان ، وجام حلواء .

فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الخيش وجدته فقال : أي شيء ذهب برائحته ، فأعاد عليه حديث البطيخ ، فعجب من ذلك ، وأكل هو وبنو عمه والفتح بن خاقان على مائدة واحدة ، وأجلس الأمراء والحجاب على سماطين عظيمين ، لم

يُـرَ مثلهما لأمثاله ، وفُـرقت الجُـونُ على الغلمان والخدم والنقباء والركابية والفراشين والملاحين وغيرهم من الحاشية ، لكل واحد جونة .

وقال : قد أمنتُ ذمَّهم لأنني ما كنت آمن لو أطمعوا على موائد ، أن يرضى هذا ويغضب الآخر ، ويقول واحد شبتت ويقول آخر لم أشبع ، فإذا أعطى كل إنسان جونةً من هذه الجُـونُ كفته ، واستشرف المتوكل على الطعام ، فاستعظمه جداً . وأراد النوم فقال لبختيشوع : أريد أن تنومني في موضع مضئ ، لا ذباب فيه ، وظن أنه يتعنته بذلك ، وقد كان بختيشوع تقدم بأن تجعل أجاجين السيلان « أوبي الدبس » في سطوح الدار ، ليجمع الذباب عليه ، فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة ! ثم أدخل المتوكل إلى مربع كبير سقفه كله كُـواء فيها جامات يضئ البيت منها ، وهو مخيَّش مُظَهَّر بعد الخيش بالدبقي المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور ، فلما اضطلع للنوم أقبل يشم روائح في نهاية الطيب ، لا يدري ما هي ، لأنه لم يرَ في البيت شيئاً من الروائح والفاكهة والأنوار ، ولا خلف الخيش لا طاقات ، ولا موضع يجعل فيه شيء من ذلك ، فتعجب وأمر الفتح بن خاقان أن يتتبع حال تلك الروائح حتى يعرف صورتها ، فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صغاراً لطافاً كالطاقات ، محشوة بصنوف الرياحين والفواكه واللخاخ والمشام ، التي فيها التفاح والبطيخ المستخرج ما فيها ، المحشوة بالنمام والحماحم اليماني المعمول بماء الورد والخلوق والكافور ، والشراب العتيق ، والزعفران الشعر .

ورأى الفتح غلماناً قد وُكَلوا بتلك الطاقات ، مع كل غلام مجمرة فيها نِدٌّ يسجره ويخرب به ، والبيت من داخله إزارٌ من اسفيداج مخرم خروماً صغاراً لا تبين ، تخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة إلى البيت .

فلما عاد الفتح وشرح للمتوكل صورة ما شاهده ، كثر تعجبه منه ، وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته وكمال مروءته ، وانصرف من داره قبل أن يستتم يومه ، وادعى شيئاً وجدّه من التياث بدنه ، وحقد عليه ذلك ، فنكبه بعد أيام يسيرة ، وأخذ له مالاً كثيراً لا يُقدر ، ووجد له في جملة كسوته أربعة آلاف سراويل دقيقي سيتيزي ، في جميعها تكك إبريسم أرميني .

وحضر الحسين بن مخلد فحتم على خزانته ، وحمل إلى دار المتوكل ما صلح منها وباع شيئاً كثيراً ، وبقي بعد ذلك حطب وفحم ونبيد وتوابل ، فاشتره الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار . وذكر أنه باع من جملة بمبلغ ثمانية آلاف دينار .

ثم حسده حمدون ووشى إلى المتوكل وبذل فيما بقي في يده مما ابتاعه ستة آلاف دينار ، فأجيب إلى ذلك وسلم إليه فباعه بأكثر من الضعف .

وكان هذا في سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة .

ولما توفي بختيشوع خلف عبيد الله ولده وخلف معه ثلاث بنات ، وكان الوزراء والنظار يصادرونهم ويطالبونهم بالأموال ، فتفرقوا واختفوا ، وكان موته يوم الأحد لثمان بقين من صفر ، سنة ست وخمسين ومائتين .

٤. وفي معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني « ١ / ٧٠ » : « دخل بختيشوع على المتوكل يوم مهرجان « عيد نيروز الفرس » فقال : أين هديتك ؟ فقال : هديتي لم يملكها خليفة قبلك ولا ملك ! وأخرج ملعقة زبرجد توزن ثمانية مثاقيل ، وحكى عن أبيه جبريل أنه فصد دنانير جارية يحيى بن خالد ، وأنه لما عاد إليها للثنية وجدها تأكل رماناً بهذه الملعقة ، وحين تم التسريح وشد العرق قالت له : خذ هذه الملعقة فأخذتها . فاعجب بها المتوكل وقال بحق ما أهلكوا أنفسهم !

وأحضر عتاب الجوهري لتقويمها فنكل وقال : ما أعرف لهذه قيمة !

٥. وفي تاريخ الطبري « ٣ / ٣٨٢ » : « وفيها « سنة ٢٤٤ » غضب المتوكل على بختيشوع وقبض ماله ، ونفاه إلى البحرين » .

وفي تاريخ الطبري « ٧ / ٣٨٧ » : « وفيها « سنة ٢٤٥ » ضرب بختيشوع المتطيب مائة وخمسين مفرعة ، وأثقل بالحديد ، وحبس في المطبخ في رجب » .

أقول : تدل هذه النصوص على أن المتوكل شخصية مريضة ، فبدل أن يُقدر طبيبه ويحبه ، ويستفيد من فكره ونبوغه لنفع المسلمين ، أو نفعه الشخصي ، حسده وحقد عليه ودمر حياته ، وخسّر المجتمع طبيباً نابغاً !

فلا شك أنه مريض بالحسد ، وصاحب شخصية معقدة غير سوية .

تسليط العلماء النواصب والمجسمة على الأمة

تقدم في ترجمة المتوكل أنه قَرَّبَ النواصب والمجسمة : « فكان فيهم مصعب الزبيرى وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وإبراهيم بن عبد الله الهروي ، وعبد الله وعثمان ابنا محمد بن أبي شيبه الكوفيان وهما من بنى عبس ، وكانا من حفاظ الناس . فقسمت بينهم الجوائز وأجريت عليهم الأرزاق ، وأمرهم المتوكل أن يجلسوا للناس ، وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية ، وأن يحدثوا بالأحاديث في الرؤية ! فجلس عثمان بن محمد بن أبي شيبه في مدينة أبي جعفر المنصور ، ووضع له منبر ، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً من الناس فأخبرني حامد بن العباس أنه كتب عن عثمان بن أبي شيبه . وجلس أبوبكر بن أبي شيبه في مسجد الرصافة ، وكان أشد تقدماً من أخيه عثمان ، واجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً . « تاريخ بغداد : ١٠ / ٦٧ » .

وتقدمت ترجمة بعضهم ، ولا يتسع المجال لترجمة الجميع ، ومنهم يحيى بن محمد بن صاعد عالم جسمة الحنابلة ، وجدده من غلمان المنصور . « العرش لابن أبي شيبه / ٢٦ » .

هشام بن عمار الدمشقي :

وهذه فقرات من ترجمته من سير أعلام النبلاء : ١١ / ٤٢٠ ، قال : « الإمام الحافظ العلامة المقرئ ، عالم أهل الشام ، أبو الوليد السلمي .. وحدث عنه من أصحاب الكتب : البخاري ، وأبوداود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وروى الترمذي عن رجل عنه ، ولم يلقه مسلم ، ولا ارتحل إلى الشام ..

قال صالح بن محمد جزرة : كان هشام بن عمار يأخذ على الحديث ولا يحدث ما لم يأخذ . كنت شارطت هشاماً أن أقرأ عليه بانتخابي ورقة ، فكنت آخذ الكاغد الفرعوني وأكتب مقرمطاً ، فكان إذا جاء الليل أقرأ عليه إلى أن يصلي العتمة ، فإذا صلى العتمة يقعد وأقرأ عليه فيقول : يا صالح ليس هذه ورقة ، هذه شقة !

قال : وكان يأخذ على كل ورقتين درهماً ويشارط ويقول : إن كان الخط دقيقاً فليس بيني وبين الدقيق عمل .. سمعت محمد بن عوف يقول : أتينا هشام بن عمار في مزرعة له ، وهو قاعد على مورج له وقد انكشفت سوءته ، فقلنا : يا شيخ غط عليك . فقال : رأيتموه لن ترمد عينكم أبداً ، يعني يمزح .

أخبرني بعض أصحاب الحديث ببغداد أن هشام بن عمار قال .. وجَّه المتوكل بعض ولده ليكتب عني .. قال : ونحن نلبس الأزرق ولا نلبس السراويلات فجلست فانكشف ذكري فرآه الغلام ، فقال : إستتر يا عم . قلت : رأيته ، قال : نعم . قلت : أما إنه لا ترمد عينك أبداً إن شاء الله !

قال : فلما دخل على المتوكل ضحك ، قال فسأله فأخبره بما قلت له ، فقال : فأل حسن تفاعل لك به رجل من أهل العلم ! إحملوا إليه ألف دينار .

قلت : لم يخرج له الترمذي سوى حديث سوق الجنة .. ونصه بتمامه : إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ، ويتبدي لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ، ويجلس

أدناهم وما فيهم من دني على كتمان المسك والكافور ، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً .

قال أبوهريرة : قلت : يا رسول الله ، وهل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، قال : هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا : لا . قال : كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم : يا فلان ابن فلان ، أتذكر يوم كذا وكذا ، فيذكره ببعض غدراته في الدنيا ، فيقول : يا رب ، أفلم تغفر لي ؟ فيقول : بلى ، فسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه .. ويقول ربنا تبارك وتعالى : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم ، فنأتي سوقاً قد حفت به الملائكة وفيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب ، فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها ولا يشتري . وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضاً ..

ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحباً وأهلاً ، لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه ، فيقول : إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا !

ونلاحظ في شخصية هشام ابن عمار ماديته ، وعدم تقييد الأخلاقي ، وأحاديث تجسيم الله تعالى وتشبيهه ، وكأن الله تعالى شخص من أقارب هشام بن عمار ورواته !

علي بن جهم : مستشار المتوكل :

قال القاضي نور الله في الصوارم المهركة / ٣٠٠ : « وقد أرشدهم إلى ذلك كلام القاضي ابن خلكان من علماء أهل السنة في تاريخه المشهور ، عند بيان أحوال علي بن جهم القرشي ، حيث قال ما حاصله : إن التسنن لا يجتمع مع حب علي بن أبي طالب ! وما كتبه أهل ما وراء النهر في زمان السلطان الأعظم الأمير تيمور وغيره من فتوى اشترط بغض علي عليه السلام بقدر شعيرة ، أو حبة رمانة ، في صحة الإسلام ، مشهورٌ ، وفي ألسنة الجمهور مذكور « !

وفي الإمامة وأهل البيت « ٣ / ١٩٣ » : « وكان المتوكل يقرب علي بن جهم لا لشيء إلا لأنه كان يبغض أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنه وكرم الله وجهه في الجنة ، وكان ابن الجهم هذا مأبوناً ، سمعه أبوالعیناء يوماً يطعن على الإمام علي ، فقال له : إنك تطعن على الإمام علي ، لأنه قتل الفاعل والمفعول من قوم لوط ، وأنت أسفلهما « .

وقال في شرح النهج « ٣ / ١٢٢ » : « ومن المنتسبين إلى سامة بن لؤي علي بن الجهم الشاعر .. وكان مبغضاً لعلي عليه السلام . وقد هجاه أبوعبادة البحراني فقال فيه :

| | |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| إذا ما حُصِّدَتْ عَلِيًّا قَرِيشٌ | فلا في العير أنت ولا النفير |
| وما الجهمُ بن بدر حين يعزى | من الأقمار ثم ولا البدر |
| علام هجوت مجتهداً علياً | بما لفقّت من كذبٍ وزور |
| أمالك في استك الوجعاء شغلٌ | يكفك عن أذى أهل القبور |

قال أبوالفرج : وكان علي بن الجهم من الحشوية ، شديد النصب ، عدواً للتوحيد والعدل .. خطب امرأة من قريش فلم يزوجه ، وبلغ المتوكل ذلك فسأل عن

السبب فحدث بقصة بني سامة بن لؤي ، وأن أبا بكر وعمر لم يدخلاهم في قريش ، وأن عثمان أدخلهم فيها ، وأن علياً عليه السلام أخرجهم منها ، فارتدوا ، وأنه قتل من ارتد منهم وسي بقيتهم فباعهم من مصقلة بن هبيرة .

فضحك المتوكل وبعث إلى علي بن الجهم فأحضره وأخبره بما قال القوم ، وكان فيهم مروان بن أبي حفصة المكنى أبا السمط وهو مروان الأصغر ، وكان المتوكل يغيره بعلي بن الجهم ، ويضعه على هجائه وثلبه فيضحك منهما ، فقال مروان :

| | |
|---------------------|------------------------|
| إن جهماً حين تنسبه | ليس من عجم ولا عرب |
| لجّ في شتمي بلا سبب | سارق للشعر والنسب |
| من أناس يدعون أباً | ماله في الناس من عقب . |

* *

الفصل الثالث عشر :

الإمام الهادي عليه السلام مع المنتصر والمستعين والمعتز

ثلاثة خلفاء في ست سنين

عاصر الإمام الهادي صلوات الله عليه بعد المتوكل ، ثلاثة خلفاء في ست سنين :
المنتصر « ٢٤٧ - ٢٤٨ » والمستعين « ٢٤٨ - ٢٥٢ » والمعتز « ٢٥٢ - ٢٥٥ » . واستشهد عليه في
خلافة المعتز . ثم جاء المهتدي « ٢٥٥ - ٢٥٦ » فحكم سنة واحدة ثم جاء المعتمد
فحكم طويلاً : « ٢٥٦ . ٢٧٩ » .

عصفت العاصفة بالمتوكل ومن بعده !

جرت سفينة النظام العباسي بريحٍ طيبةٍ في زمن المتوكل ، فكانت الأمور طَوْعاً
بيديه ، وعشرات ألوف الجنود الأتراك الذين اشتراهم أبوه يركعون أمامه
ويؤدون له فروض الإحترام . وتوسع في البذخ والترف حتى فاق آباءه وأجداده
في عدد القصور التي شيدها ، والجواري التي ملكها ، والملايين التي أنفقها !

ثم جاء غضب الله على المتوكل والعباسيين ، فاضطرب نظام الخلافة بعده ،
وقصرت أعمار الخلفاء ، وتسلمت القادة الأتراك على مقدرات الدولة !

فقد ارتكب المتوكل خطأً فادحاً عندما قتل إيتاخ القائد العام للجنود الأتراك ،
وكان أبوه المعتصم سَلَّمَهُ الى إيتاخ وهو طفلٌ فرَّاه ، وكان المتوكل يناديه يا أبي !

وبقتله حقد عليه الأتراك ، حتى قتلوه شر قتلة وهو سكران ، ونصبوا بدلله ابنه المنتصر ، لأنه كان على خلاف مع أبيه .

قال الطبري « ٧ / ٣٩٠ » ملخصاً : « ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين ، كان فيها مقتل المتوكل .. سبب ذلك : أن المتوكل كان أمر بإنشاء الكتب بقبض ضياع وصيف بأصبهان والجل ، وإقطاعها الفتح بن خاقان . فكتبت الكتب بذلك وصارت إلى الخاتم « غرفة حتم المراسيم » على أن تتقدم يوم الخميس لخمس خلون من شعبان ، فبلغ ذلك وصيفاً واستقر عنده الذي أمر به في أمره .

وذكر بعضهم أن المتوكل عزم هو والفتح أن يُصَيِّرَا غداهم عند عبد الله بن عمر البازيار ، يوم الخميس لخمس ليال خلون من شوال ، على أن يفتك بالمنتصر ويقتل وصيفاً وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ، فكثير عبثه يوم الثلاثاء قبل ذلك بيوم ، فيما ذكر ابن الحفصي بابنه المنتصر ، مرة يشتمه ، ومرة يسقيه فوق طاقتة ، ومرة يأمر بصفعه ، ومرة يتهدده بالقتل ..

حدثني بعض من كان في الستارة من النساء أنه التفت إلى الفتح فقال له : برئت من الله ومن قرابتي من رسول الله إن لم تلطمه يعني المنتصر !

فقام الفتح ولطمه مرتين يُمِرُّ يده على قفاه ! فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين لو أمرت بضرب عنقي كان أسهل عليّ مما تفعله بي ! فقال : إسقوه « !

وقال الذهبي في سيره : ١٢ / ٣٩ ، وتاريخه : ١٨ / ٢٠١ : « وسكر المتوكل سكرًا شديدًا ، ومضى من الليل ثلاث ساعات ، إذ أقبل باغر في عشرة مثلثمين تبرق أسيافهم ،

فهموا علينا وقصدوا المتوكل ، وصعد باغر وآخر إلى السرير فصاح الفتح : ويلكم مولاكم ! وتهارب الغلمان والجلساء والندماء وبقي الفتح ، فما رأيت أحداً أقوى نفساً منه ، بقي يمانعهم ، فسمعت صيحة المتوكل إذ ضربه باغر بالسيف المذكور على عاتقه فقدّه إلى خاصرته ، وبعج آخر الفتح بسيفه فأخرجه من ظهره وهو صابراً لا يزول ، ثم طرح نفسه على المتوكل فماتا ، فُلِّقا في بساط ثم دفنا معاً . وكان بُغا الصغير استوحش من المتوكل لكلام ، وكان المنتصر يتألف الأتراك ، لا سيما من يُعده أبوه .

وتقدم من سمط النجوم « ٣ / ٤٦٦ » : « فضرهما باغر ضربة ثانية فماتا جميعاً ، فلفهما معا في بساط ، ومضى هو ومن معه ، ولم ينتطح في ذلك عنزان » .

أقول : لم ينتطح في المتوكل عنزان ، لأن غير الأتراك لا قرون لهم ، والأتراك أصحاب القرون أمسكوا برقبة الخلافة ، ينصبون من يعجبهم ويعزلون من لا يعجبهم .

سيطرة المماليك على خلافة العباسيين !

كان شراء المماليك في زمن بني أمية رائجاً ، ففي تاريخ الطبري « ٥ / ٥٣٣ » : « وفي هذه السنة « ١٢٥ هجرية » كتب يوسف بن عمر « والي العراق الأموي » إلى نصر بن سيار « والي خراسان » يأمره بالقدوم عليه ، ويحمل معه ما قدر عليه من الهدايا والأموال .. فلما أتى نصرأ كتابه ، قسّم على أهل خراسان الهدايا ، وعلى عماله « أي شراءها » فلم يدع بخراسان جارية ولا عبداً ، ولا برذوناً فارهاً إلا أعده ، واشترى ألف مملوك وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل .

قال : وقال بعضهم كان قد أعد خمس مائة وصيفة ، وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضة وتمائيل الطباء ورؤوس السباع والأيايل وغير ذلك ، فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثه فسرح الهدايا حتى بلغ أوائلها بيهق ، فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطناير ، فقال بعض شعرائهم :

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| أبشـرُ يا أمـينَ الله | أبشـرُ بتباشـيرِ |
| يا بـلٍ يـحُمـلُ المـا | لُ عليـها كالأـنـابـيرِ |
| بغـالٍ تحـمـلُ الخـمـرَ | حقائـبُها طـنـابـيرِ |
| ودُلُّ البربريـمـات | بصـوتِ الـبـبِّمِّ والزَّيـرِ |
| وقـرعِ الـدـفِّ أحيـاناً | ونفـخِ بـالمـزاميرِ |
| فهـذا لك في الـدنيا | وفي الجـنـة تحيـرُ . |

وقال الدكتور شفيق جاسر أحمد في كتابه : الممالك البحرية « ١ / ١٠٩ » : « زوي عن أبي جعفر المنصور أنه سأل أحد الأمويين عن وجدوا عندهم الوفاء بعدما أصابهم ؟ فقال : المولي ، فقرر المنصور أن يعتمد على مواليه ويستعين بهم . وكان الخليفة المأمون العباسي أول من استكثر من الممالك ، ثم تلاه أخوه المعتصم الذي أراد أن يحد من نفوذ جنوده من الفرس والعرب ، فكون جيشاً أغلبه من التركمان . كان يشتريهم صغاراً ويربيهم ، حتى وصل عددهم إلى عشرين ألفاً » .

وفي الفخري في الآداب السلطانية « ١ / ٢٢٨ » : « وقيل إن المعتصم استكثر من الممالك ، فضاقت بهم بغداد وتأذى بهم الناس وزاحموهم في دورهم ، وتعرضوا للنساء ، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جماعة .. وسار إلى موضع سامرا فبناها ، وكان ذلك في سنة إحدى وعشرين ومائتين » .

وفي موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ،
بقلم هيئة التحرير / ٦٢٨ : « يُعد الخليفة المعتصم أول من بدأ بجلب المماليك
الأتراك ، ليقوى بهم في الحروب التي واجهته ، وليكونوا موضع ثقته ، بعد أن
خاف أن يكون هوى الجند العرب مع منافسيه العلويين » !

أقول : كانت أم المعتصم تركية فكان يجيد التركية ، واعتنى باقتناء غلمان الترك
لحراسته : « وكان يجلبهم من بلاد ما وراء النهر ، من سمرقند وفرغانة والسند ،
وأشروسنة والشاش والقوقاز ، وأعالي نهر جيحون وحوارزم ونيسابور ومرو ،
وبلغاريا الممتدة من بحر قزوين إلى الأدرباتيكي . وراجت بسببه تجارة الرقيق
الترك ، ونشط يهود سكسونيا الشرقية ، وأنشؤوا مراكز تجمع للرقيق ، ومراكز
خصاء ، فبلغ ما اقتناه المعتصم منهم بضعة عشر ألفاً ، ثم تزايد العدد أضعافاً .

وكانوا يسلمون المماليك إلى فقهاء ليربؤهم على الإسلام ، ثم يلحقونهم بالخدمة
العسكرية ، ثم يرقونهم من الإسطبلات إلى الحراسة الأمنية ، إلى قيادة عشرة ،
إلى إمارة السرايا والجيوش » . « تحفة الترك » ١ / ٧ « لنجم الدين الحنفي المتوفى ٧٥٨ » .

وقد راجت تجارة الغلمان خاصة من آسيا الوسطى ، وصار العصابات تسرق
الناس لتبيعهم الى الخليفة ووكلائه !

ومن رواياتهم أنهم سرقوا جماعة كان فيهم عالم دين ، فكانوا في طريقهم يَحْتُون
وثاقه ليصلي بهم إماماً ، فقال لهم يوماً : هل يجوز بيع القرآن ؟ قالوا : لا ، فقال :
إن الإمام كالقرآن فلا يجوز لكم بيعي فأطلقوني !

فتشاوروا بينهم ثم قالوا له : هل يجوز إهداء القرآن ؟ قال نعم . قالوا له : أنت كالقرآن لا نبيعك بيعاً ، بل نهديك لوكيل الخليفة هديةً !

وكان الخليفة يختار القادة الكبار لجنده ، لكنه كان ملزماً بتعيين من يرضون قيادته ويحبونه ، فكان القائد التركي الناجح هو الذي يكسب رضا الجنود ورضا الخليفة ، ورضا القائد الأكبر منه .

وكان كبار قادة الأتراك : إيتاخ الذي قتله المتوكل ، ووصيف ، وابنه صالح ، وئغا الصغير ، وئغا الكبير ، وموسى بن بغا ، وبايكباك ، وأوتامش .. الخ .

أما المستوى الثقافي والسلوكي لهم فكان واطئاً خشناً ، وقل منهم من دخل الإيمان قلبه ، واتصف بالتقوى والورع ، أو تصرف بنبل ومكارم أخلاق . وسترى نماذج من تصرفاتهم وقسوتهم !

أجيال الترك الأوائل لم يدخل الإيمان في قلوبهم

كان غالب المماليك الترك من آسيا الوسطى ، قرب الصين ومنغوليا ، وأصولهم مغولية أو قريبة منها ، وكلهم يقدسون جنكيز خان ، ويرجعون في خلافاتهم الى شريعته المكتوبة بإسم : الياسة !

وحق الذين أسلموا منهم كانوا يقدسون الياسة ويقبلون أحكامها !

لا فرق في ذلك بين ممالك المعتصم ، ومغول هولوكو الذين حكموا العراق ، والمماليك الشراكسة الذين حكموا مصر وسوريا ، فكلهم يقدسون الإلياسة ، ويشربون الخمر ويفعلون الفواحش ، لا تكاد تستثني منهم أحداً !

ولم أجد في ملوكهم صادقاً في إسلامه والتزامه بالشريعة ، مثل محمد خدابنده الذي أسلم على يد نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي ، رضي الله عنهم .

أما عامتهم فهم أسرى الثقافة المغولية ، فشبابهم مثلاً يلعبون ألعاب الفروسية ويجعلون جزاء من يخسر أن يلوط به الراح في ساحة الرماية !

فكان سلطان مصر ابن الظاهر بيبرس يلعب معهم ، وعندما يخسر يفعلون به ! قال في النجوم الزاهرة « ٢٥٩ / ٧ » : « الخامس من ملوك الترك بمصر سمى بركة خان على اسم جده لأمه بركة خان بن دولة خان الخوارزمي » . حفيد هولوكو .

وفي نهاية ابن كثير « ٣٣٨ / ١٣ » : « غلبت عليه الخاصكية فجعل يلعب معهم في الميدان الأخضر فيما قيل ، وربما جاءت التوبة عليه فينزل لهم « أي يفعلون به » ! فأنكرت الأمراء الكبار ذلك ، وأنفوا أن يكون ملوكهم يلعب مع الغلمان ، ويجعل نفسه كأحدهم ، فراسلوه في ذلك ليرجع عما هو عليه ، فلم يقبل » !

وينبغي التنبيه هنا الى أن طريقتهم التي قتلوا بها أكثر الخلفاء بعصر خصيتيه ، مأخوذة من طريقتهم في ذبح الحيوان بمرس قلبه أو خصيتيه :

قال المقرئ في السلوك « ١٠٧ / ٣ » : « كانوا يعتمدون في ذبح الحيوان أن تكتف قوائمه ويشق جوفه ، ويدخل أحدهم يده إلى قلبه ويهرسه فركاً حتى يموت ، أو يخرج قلبه . ومن ذبح كذبيحة المسلمين ذبح ! ومن وقع جملة أو فرسه وثقله في كر أوفر ، ومر عليه من يتلوه بعده ، ولم ينزل لمساعدته ، قُتل » .

ويظهر أن اختيارهم هذه الطريقة للمحافظة على دم الذبيحة ، لأنه باعتقادهم غذاءً . كما أن عصر الخصيتين لاتظهر فيه آثار القتل على جسد المقتول !

وليس كل أحد يجيد مَرَس الخصيتين ، بل هو تخصص كما يظهر ، حيث ورد في قتلهم للخليفة المهدي « الطبري : ٧ / ٥٨٢ » : « فدخلوا عليه فجعلوا يصفعونه وبيزقون في وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخُرْثي « الأثاث » فأقر لهم بست مائة ألف قد أودعها الكرخيُّ الناسَ ببغداد .. فأخذوا رقعته بست مائة ألف دينار ، ودفعوه إلى رجل ، فوطأ على خصييه حتى قتله » .

ويمكن إرجاع بعض أنواع التعذيب في السجون المصرية والعريية ، الى هذه الثقافة . كما أن الذين قتلوا النسائي المحدث ، لأنه ألف كتاباً في فضائل علي عليه السلام فداسوا خصييته ، كانوا شراكسة ، أو مثقفين بثقافتهم !

الخليفة المنتصر بن المتوكل

١ . قال الطبري « ٧ / ٣٩٩ » : « وفيها « سنة ٢٤٧ » بويع للمنتصر محمد بن جعفر بالخلافة في يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال وهو ابن خمس وعشرين سنة .. حضر الناس الجعفرية من القواد والكتاب والوجوه والشاكرية والجنند وغيرهم ، فقرأ عليهم أحمد بن الخصيب كتاباً يخبر فيه عن أمير المؤمنين المنتصر أن الفتح بن خاقان قتل أباه جعفر المتوكل فقتله به ، فبايع الناس . وحضر عبيد الله بن يحيى بن خاقان فبايع ، وانصرف » .

وقال الطبري « ٧ / ٤٠٨ » : « ذكر أن محمداً المنتصر بالله لما استقامت له الأمور قال أحمد بن الخصيب لوصيف وبغا : إننا لا نأمن الحداث وأن يموت أمير المؤمنين فيلي الأمر المعتز ، فلا يُبقى منا باقية ويُيبد حضراءنا ، والرأي أن نعمل في خلع هذين الغلامين قبل أن يظفرا بنا ، فجد الأتراك في ذلك وأحسوا على المنتصر وقالوا : يا أمير المؤمنين تخلعهما من الخلافة وتبايع لابنك عبد الوهاب ، فلم يزالوا به حتى فعل ، ولم يزل مكرماً المعتز والمؤيد على ميل منه شديد إلى المؤيد » .

وقال المسعودي في التنبية / ٣١٤ : « وتوفي بسر من رأى لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ، وله ثمان وعشرون سنة ، مسموماً فيما قيل ، وإن الموالي لما علموا سوء نيته فيهم وأنه على التدبير عليهم بادروه بذلك ، فكانت خلافته ستة أشهر ويوماً . وكان مربعاً ، حسن الوجه ، أسمر ، مسمناً ، ذا شهامة ومعرفة .

كان المنتصر أظهر الإنصاف في الرعية ، فمالوا إليه مع شدة هيئته .

وقال علي بن يحيى المنجم : ما رأيت مثل المنتصر ، ولا أكرم فعلاً بغير تبجح ، لقد رأيت مغموماً فسألني فوريت ، فاستحلفني فذكرت إضاعة في ثمن ضيعة ، فوصلني بعشرين ألفاً . وكان قد أبعده وصيفاً في عسكر إلى ثغر الروم ، وكان قد ألح عليه هو وبغا وابن الخصيب في خلع إخوته ، خوفاً من أن يلي المعتز فيستأصلهم .. فقال المنتصر : أترياني خلعتكما طمعاً في أن أعيش بعدكما حتى يكبر ابني عبد الوهاب وأعهد إليه ! والله ما طمعت في ذلك ، ولكن هؤلاء أحووا عليّ وخفت عليكما من القتل . فقبلاً يده ، وضمهما إليه » .

٢. بادر المنتصر الى تطبيق سياسته المخالفة لسياسة أبيه ، فمنع اضطهاد العلويين ورفع حظر زيارة كربلاء وبنى مشهد الحسين عليه السلام ردّ فدك الى ورثة فاطمة عليها السلام . وأمر قاضي البصرة بالإمساك عن إصدار الأحكام . وعزل والي المدينة ومكة . وأكد على الوالي الجديد احترام العلويين .

قال الطبري « ٧ / ٤١٦ » : « كان أول شيء أحدث من الأمور عَزُلُ صالح عن المدينة وتولية علي بن الحسين بن إسماعيل بن العباس بن محمد إياها ، فذكر عن علي بن الحسين أنه قال : دخلت عليه أودعه ، فقال لي : يا علي إني أوجهك إلى حمي ودمي ، ومد جلد ساعده وقال : إلى هذا وجهتك ، فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم ، يعني آل أبي طالب . فقلت : أرجو أن أمثل رأي أمير المؤمنين أيده الله فيهم إن شاء الله ، فقال : إذا تسعد بذلك عندي » .

وقال المسعودي في مروج الذهب « ٤ / ٥١ » : « وكان آل أبي طالب قبل خلافته في محنة عظيمة وخوف على دمائهم ، قد مُنعوا زيارة قبر الحسين ، والغري من أرض الكوفة ، وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد .. فأمن الناس ، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب ، وترك البحث عن أخبارهم ، وأن لا يمنع أحد زيارة الحير ، لقبر الحسين رضي الله تعالى عنه ، ولا قبر غيره من آل أبي طالب ، وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين ، وأطلق أوقاف آل أبي طالب ، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم » .

وفي مناقب آل أبي طالب « ٢ / ٥٣ » : « فأحسن المنتصر سيرته ، وأعاد التربة في أيامه .

والمعتز حرق المشهد بمقابر قريش على ساكنه السلام » .

وفي مستدرک سفينة البحار « ٢ / ٤٧٦ » : « تاريخ عمارة الحائر الحسيني في كربلاء ، على ما رأيت في بعض المكاتب واستنسخته في كربلاء : أوله بناء بني أسد لما دفنوا الشهداء مع مولانا الإمام السجاد عليه السلام ، بنوا على قبورهم الشريفة رسوماً لكي يعرف الزائرون مواضع الزيارة . ثم إن المختار بن أبي عبيدة الثقفي شيد المشهد ، وأسس قرية صغيرة حوله وبقي معموراً . وكان للحائر الحسيني بابان شرقي وغربي يزوره المؤمنون . هكذا إلى أيام خلافة هارون الرشيد ، وهو هدم البناء حتى أمر بقطع السدرة التي كانت في وسط المشهد الشريف .

ولما تولى المأمون الخلافة ، أمر بإعادة البناء ، وبقي معموراً إلى زمان المتوكل .

وفي سنة ٢٣٧ جرى من المتوكل ما جرى على حائر الحسين عليه السلام وأرسل ديزج اليهودي ، فأمر بهدم البناء الشريف ، ومنع من زيارته ، كما هو المشهور .

ولما تولى ابنه المنتصر سار على منهج المأمون ، فأمر بإعادة البناء ، وأقام عليه ميلاً لإرشاد الزائرين . وفي سنة ٢٧٣ تداعت بناية المنتصر ، فقام بتجديدها محمد بن زيد القائم بطبرستان . وفي سنة ٣٦٩ بناها عمران بن شاهين مع أحد الأروقة في المشهد المقدس . وفي سنة ٣٧٠ زار عضد الدولة البويهبي المشهد الحسيني ، فأمر بتعمير عام في كافة أنحاء المشهد وما حوله .

وفي سنة ٤٠٧ وقعت النار حول الضريح من شمعتين فانهدم ، فقام بإعادتها مع السور الحسن بن الفضل وزير الدولة البويهبية .

وفي سنة ٤٦٧ في عهد السلطان أويس أمر بتجديد البناء ، وأكملها ابنه السلطان حسين . وفي سنة ٤٧٩ زار ملك شاه ، فأمر بترميم سور المشهد .

وفي سنة ٩١٤ لما فتح إسماعيل الصفوي بغداد ذهب إلى زيارة مشهد الحسين وأمر بتذهيب حواشي الضريح ، وأهدى اثني عشر قنديلاً من الذهب ، وهذا أول إدخال الذهب على العمارة المقدسة .

وفي سنة ٩٣٢ أهدى السلطان إسماعيل الصفوي الثاني شبكة بديعة الصنع من الفضة ، لتوضع على القبر الشريف .

وفي سنة ٩٨٣ في عهد علي باشا والي بغداد جدد بناء القبّة السامية .

وفي سنة ١٠٤٨ شيد السلطان مراد الرابع العثماني للقبّة وخصصها من الخارج .

وفي سنة ١١٣٥ أمرت زوجة نادر شاه بتعمير عام فيه وأنفقت له أموالاً كثيرة .

وفي سنة ١٢٢٧ تضععت بناية المشهد فكتب أهل كربلاء إلى السلطان فتح علي شاه ، فأمر بتجديدها وتبديل صفائح الذهب وعمل الترسيم ، وأهدى شبكة من الفضة لتوضع على قبر الحسين عليه السلام وأمر ببناء قبتي الحسين والعباس وتذهيبهما . ويتولى الإنفاق الصدر الأعظم إبراهيم خان الشيرازي ، وكان ذلك في سنة ١٢٥٠ . وفي سنة ١٢٨٧ جاء السلطان ناصر الدين شاه القاجار إلى العراق بدعوة رسمية من الحكومة العثمانية ، فزار ، وأمر بتجديد الأبنية في المشهد الحسيني ، وتبديل صفائح الذهب ، وتذهيب القبّة الطاهرة السامية ، واستملك دوراً فأضافها إلى الصحن الشريف من الجهة الغربية » .

هل قتل المنتصر أباه المتوكل ؟

توجد قرائن تشير الى أن المنتصر كان وراء الأتراك في قتلهم لأبيه المتوكل :

منها : ما رواه الطوسي في أماليه / ١٢٨ : « قال أبو الفضل : إن المنتصر سمع أباه يشتم فاطمة ، فسأل رجلاً من الناس عن ذلك ، فقال له : قد وجب عليه القتل ، إلا أنه من قتل أباه لم يطل له عمر . قال : ما أبالي إذا أطعت الله بقتله ، أن لا يطول لي عمر ، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر » . ونحوه في مناقب آل أبي طالب « ٣ / ٢٢١ » .

ومنها : قول يعقوبي « ٢ / ٤٩٢ » : « وكان المتوكل قد جفا ابنه محمداً المنتصر ، فأغروه به ودبروا على الوثوب عليه ، فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة ٢٤٧ ، دخل جماعة من الأتراك منهم : بغا الصغير ، وأوتامش صاحب المنتصر ، وباجر ، وبغلو ، ويريد ، وواجن ، وسعلفه ، وكندش ، وكان المتوكل في مجلس خلوة ، فوثبوا عليه فقتلوه بأسياهم ، وقتلوا الفتح بن خاقان معه » .

فقلوه : أغروه به ، وكون أوتامش صاحبه وكان صاحب الكلمة الأولى في خلافته ، قريبةً على أن المنتصر هو المدبر والأمر بقتل أبيه .

ومنها : رواية الحضيني : « إن هذا الطاغية يبني مدينة يكون حنقه فيها على يد ابنه المسمى بالمنتصر ، وأعوانه عليه الترك » . « الهداية الكبرى / ٣٢٠ » .

لكن توجد قرائن تقابلها تدل على أن الفاعل الأتراك ، وقد يكون المنتصر على اطلاع :

فمنها : أن الأتراك تحملوا نسبة القتل اليهم ، ولم يتهموا المنتصر .

ومنها : أنهم جاهرُوا بأن لهم عند المتوكل ثأراً بقتله فائدهم إيتاخ ، وأنه باشر بمصادرة أموال وصيف ، وبنقل صلاحياته الى الفتح بن خاقان .

ومنها : أن المتوكل قتل إيتاخ في أوائل خلافته ، ومن يومها أخذ الأتراك يعملون للشأ منه ، قال المسعودي في مروج الذهب « ٣٣ / ٤ » : « كان الأتراك قد رأوا أن يقتلوا المتوكل بدمشق ، فلم يمكنهم فيه حيلة بسبب بُغا الكبير ، فإنهم دبّروا في إبعاده عنه ، فطرحوا في مضرب المتوكل الرقاع يقولون فيها : إن بُغا دبّر أن يقتل أمير المؤمنين .. فقرأ المتوكل الرقاع فُبّهت مما تضمنته » .

ومنها : أن المنتصر كان يجهر بأنهم قتلوا أباه ، وبدأ بإبعاد كبير قادتهم وصيف عن العاصمة ، وقد صرحت الروايات بأنهم دبّروا قتله .

ومنها : ما رواه الذهبي في تاريخه « ٢٠٠ / ١٨ » أن بغا الصغير دعا بباغر التركي ، وكان باغر أهوج مقداماً ، فكلمه واختبره في أشياء فوجده مسارعاً إليها ، فقال : « يا باغر هذا المنتصر قد صح عندي أنه عامل على قتلي وأريد أن تقتله فكيف قلبك ؟ ففكر طويلاً ثم قال : هذا لا شئ ، كيف نقتله وأبوه يعني المتوكل باقٍ ، إذا يقتلكم أبوه . قال : فما الرأي عندك ؟ قال : نبدأ بالأب . قال : ويجك وتفعل ؟ قال : نعم ، وهو الصواب » . فرتبوا قتل المتوكل .

ومنها : أن ميزان القوة انتقل من المتوكل الى الأتراك ، ثم لم يرجع الى أحد من الخلفاء العباسيين ، حتى جاء البويهيون وقضوا على الأتراك .

فهذه القرائن المتقابلة توجب التوقف في نسبة قتل المتوكل الى المنتصر ، نعم يظهر أنه كان مطلعاً على نيتهم ، أو محرراً إضافياً لهم .

لم يستفد المنتصر من توجيه الإمام الهادي عليه السلام

لم أجد مديحاً من الأئمة عليهم السلام للمنتصر ، ولا أنه كان يراجع إمامه الهادي عليه السلام في أموره أو مشكلاته ، والمرجح عندي أن تشيعه كان ناقصاً ، وأنه كان يعمل برأيه وكأنه كان لا يرى ضرورةً لأخذ توجيه الإمام عليه السلام !

فقد ورد أنه لما سمع من أبيه المتوكل شتم الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام استشار أستاذه أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي الكوفي الديلمي ، المعروف بأبي عصيدة ، فأفتى له بوجوب قتل أبيه « الكنى والألقاب : ١ / ١٢٤ » وهذا عجيبٌ منه ، لأنه إن كان شيعياً فلماذا لم يستشر الإمام الهادي عليه السلام .

وقد يكون المنتصر كبعض من كان في محيطه ممن يعتقد بأن الإمام الهادي عليه السلام ولي الله ، كأب المتوكل ، وكانت تنذر له النذور ليقضي الله حاجتها ، والمسيحي الذي خاف من المتوكل فنذر للإمام عليه السلام وقال : اشترت نفسي بهذا النذر .

والمفروض أن يكون تدين المنتصر حسناً ، لكن لم نجد دليلاً عليه من سلوكه ، ولا من شهادة الإمام عليه السلام ، بل كثرت الرواية عن مجالس لهو وشربه الخمر !

وُثِّعَت الرواية التالية ببعده عملياً عن الإمام عليه السلام ، فعن المعلى بن محمد قال : « قال أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام : إن هذا الطاغية يبني مدينة يقال لها سامرا ، يكون حنقه فيها على يد ابنه المسمى بالمنتصر ، وأعوانه عليه الترك » . « الهداية الكبرى / ٣٢٠ » . فقولُه عليه السلام : المسمى بالمنتصر ، يشعر بنقد التسمية وصاحبها .

وقال أبوالفرج في مقاتل الطالبين / ٤١٩ : « وكان المنتصر يظهر الميل إلى أهل هذا البيت ، ويخالف أباه في أفعاله . فلم يجز منه على أحد منهم قتل أو حبس ، ولا مكروه فيما بلغنا ، والله أعلم » . أي لم يبلغه أنه آذى أحداً منهم ، وقد يكون فعل !

وقع المنتصر فيما وقع فيه أبوه !

وقع المنتصر في خطأ أيه ، ففتح المعركة مع الأتراك ، فقتلوه وقرروا أن لا يولوا أحداً من أولاد المتوكل ، لئلا ينتقم منهم ويثار لأبيه ، فجاؤوا بالمستعين حفيد المعتصم وبايعوه ، وكان لنا مطيعاً للقائدين وصيف وبُغا .

لكن الخلاف وقع بين القادة الأتراك أنفسهم ، فخاف المستعين أن يقتلوه مع وصيف وبغا ، وذهبوا ثلاثتهم مغاضبين الى بغداد ، فحاول الأتراك إرجاعهم واسترضاء المستعين فلم يرض ، فبايعوا المعتز وطلبوا من المستعين أن يخلع نفسه فلم يقبل ، فنشبت الحرب بينه وبين المعتز لمدة سنة ، وتدهور الوضع في بغداد وسامراء وبقية المناطق . ثم ضعف المستعين ، وطلب الإيمان ليخلع نفسه ، فأعطوه الإيمان وخلع نفسه وبايع المعتز ، لكن المعتز قتله . وكان حكمه أقل من أربع سنوات ، وكذلك كان مصير قاتله المعتز ، فقد أجبروه على خلع نفسه وأعطوه الإيمان ، فخلع نفسه ، ثم قتلوه شر قتلة !

وذكرت المصادر أن المنتصر مات قتلاً بالسم ، فعن جعفر بن عبد الواحد قال :
« دخلت على المنتصر بالله فقال لي : يا جعفر لقد عولجت فما أسمع بأذني ولا أبصر

بعيني وكان في مرضه الذي مات فيه .. أصابته الذبحة في حلقه .. ويقال إن الطيفوري سمه في محامه « . « تاريخ بغداد : ٢ / ١١٩ » .

وفي تاريخ الطبري « ٥ / ٣٥٢ » عن موسى بن عيسى الكاتب : « أن المنتصر لما أفضت الخلافة إليه ، كان يكثر إذا سَكِرَ قتل أبيه المتوكل ويقول في الأتراك : هؤلاء قتلة الخلفاء ، ويذكر من ذلك ما تخوفوه ، فجعلوا لخادم له ثلاثين ألف دينار على أن يجتال في سمه ، وجعلوا لعلي بن طيفور جملة ، وكان المنتصر يكثر أكل الكمثرى إذا قدمت إليه الفاكهة ، فعمد ابن طيفور إلى كمثراة كبيرة نضيجة ، فأدخل في رأسها خلالة ثم سقاها سمّاً ، فجعلها الخادم في أعلى الكمثرى الذي قدمه إليه فلما نظر إليها المنتصر أمره أن يقشرها ويطعمه إياها فقشرها وقطعها ، ثم أعطاه قطعة قطعة حتى أتى عليها . فلما أكلها وجد فترة فقال لابن طيفور : أجد حرارة فقال يا أمير المؤمنين ، إحتجم تبراً من علة الدم .. ففصده بمبضع مسموم » !

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي / ٣٨٥ : « كان مليح الوجه ، أسمر ، أعين ، أقنى ، ربعة جسيماً ، بطيناً ، مليحاً ، مهيباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير ، قليل الظلم ، محسناً إلى العلويين وصولاً لهم ، أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين .. ولما ولي صار يسب الأتراك ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء ! فعملوا عليه ، وهُمُّوا به فعجزوا عنه لأنه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً ، فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه ، فأشار بفصده ، ثم فصده بريشة مسمومة ، فمات » .

قتل المنتصر ونصب المستعين « أحمد بن محمد بن المعتصم »

قال اليعقوبي في البلدان / ٦٨ : « مات المنتصر بسر من رأى في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وولي المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم ، فأقام بسر من رأى سنتين وثمانية أشهر ، حتى اضطرت أموره فانحدر إلى بغداد في المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين ، فأقام بها يحارب أصحاب المعتز سنة كاملة والمعتز بسر من رأى معه الأتراك وسائر الموالي ، ثم خلع المستعين وولي المعتز ، فأقام بها حتى قتل ثلاث سنين وسبعة أشهر ، بعد خلع المستعين .

وبويع محمد المهدي بن الواثق في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، فأقام حولاً كاملاً ينزل الجوسق ، حتى قتل .

وولي أحمد المعتمد بن المتوكل ، فأقام بسر من رأى في الجوسق وقصور الخلافة ، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي بسر من رأى ، فبنى قصرًا موصوفًا بالحسن سماه المعشوق ، فنزله فأقام به حتى اضطرت الأمور فانتقل إلى بغداد ثم إلى المدائن » .

وقال ابن العبراني في الإنباء في تاريخ الخلفاء « ١ / ١٢٥ » : « ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائتين ، واستشعر المستعين من باغر وقيل له : إنه قد اجتمع جماعة من الأتراك وتبايعوا وتحالفوا على قتلك وقتل بغا ووصيف . فاستدعى وصيفاً وبُغَا الصغير وانحدر إلى بغداد في رابع محرم من هذه السنة ، وهما في صحبته ، وبقي الأتراك بسامراء متحيرين ، فنفذوا جماعة لترضيه واستلال ما في نفسه منهم

فردهم ولم يعد ، فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا : نبايع غيره . فاجتمع رأيهم على مبايعة المعتز فبايعوه وأجلسوه على سرير الخلافة .

وضعف أمر المستعين ببغداد لأن دار الملك إذ ذاك كانت سامراء والمعتز بها مع جمهور العسكر ، وبها خزائن الأموال والسلاح . وخاف على نفسه منهم فنفذوا إليه وطلبوا منه أن يخلع نفسه فأبى ، ثم لما رأى ضعف أمره وقلته المال والعساكر عنده ، أجابهم إلى ذلك بشرط أن يعطوه خمسين ألف دينار ، ويقطعوه ما يرتفع منه ثلاثون ألف دينار ويقوم بالبصرة .. وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر . وقتل وله ثلاث وثلاثون سنة » .

وفي سير الذهبى « ١٢ / ٤٧ » « وكان أحمر الوجه ، رُئع القامة ، خفيف العارضين ، مليح الصورة ، بوجهه أثر جدري ، بمقدم رأسه طول . يلبغ بالسنين كالثاء . وأمه أم ولد . وكان متلافاً للمال مبدراً ، فرق الجواهر وفاخر الثياب .

اختلت الخلافة بولايته واضطرت الأمور . استوزر أبا موسى أوتامش بإشارة كاتبه شجاع بن القاسم ، ثم قتلها ، واستوزر أحمد بن صالح بن شيرزاد » .

وفي مروج الذهب « ٤ / ٩٤ » : « أحدث لبس الأكمام الواسعة ولم يكن يعهد ذلك ، فجعل عرضها ثلاثة أشبار ونحو ذلك ، وصغر القلانس ، وكانت قبل ذلك طوالاً كأقباغ القضاة » !

قتل المستعين ونصب المعتز « الزبير بن المتوكل »

في تاريخ دمشق « ١٨ / ٣٠٨ » : « فلما بويع المعتز بالله بالخلافة وانتصب للأمر والنهي والتدبير ، وجه أخاه أبا أحمد بن المتوكل على الله إلى بغداد لحرب المستعين بالله ، وأوعز معه بالجيوش والكرع وال سلاح والعدة والآلة ، فصار أبو أحمد بالجيش إلى أكناف بغداد ، وأخذ محمد بن عبد الله بن طاهر في الإستعداد للحرب ببغداد وبنى سور ببغداد وأحكمه وحفر خندقها وحصنها ، ونزل أبو أحمد بن المتوكل على الله على بغداد ، فحضر المستعين بالله ومن معه من الناس ، ونصب لهم الحرب ، وتجرد من بغداد للقتال فعدوا وراحوا على الحرب ، ونصب المجانيق والعرادات حول سور بغداد ، فلم يزل القتال بينهم سنة اثنا عشر شهراً ، وعظمت الفتنة وكثر القتل ، وغلت الأسعار ببغداد بشدة الحصار ، وأضر ذلك بالناس وجهدوا .. وداهن محمد بن عبد الله بن طاهر « والي بغداد » في نصرة المستعين ومال إلى المعتز وكاتبه سراً فضعف أمر المستعين .. وسعى في الصلح على خلع المستعين وتسليم الأمر للمعتز ، حتى تقرر الأمر على ذلك » .

وقال ابن العبراني في الإنباء في تاريخ الخلفاء « ١ / ١٢٥ » : « وضعف أمر المستعين ببغداد لأن دار الملك إذ ذاك كانت سامراء والمعتز بهما مع جمهور العسكر ، وبها خزائن الأموال والسلاح . وخاف على نفسه منهم ، فنذوا إليه وطلبوا منه أن يخلع نفسه فأبى ، ثم لما رأى ضعف أمره وقلة المال والعساكر عنده ، أجابهم » .

وفي سمط النجوم « ٣ / ٤٧٢ » : « ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاماً ، وجيشوا على المستعين بالله جيشاً إلى أن خلع نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك ، وانحدروا به إلى واسط وحبسوه تسعة أشهر ، ثم دسوا إليه سعيداً الحاجب فذبحه في الحبس في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، وجاء برأسه إلى المعتز وهو يلعب الشطرنج ، فقبل له هذا رأس المخلوع ، فقال : دعوه هناك حتى أفرغ من اللعب ! »

ووصف المسعودي العداة المستحکم بين المعتز وبغا الصغير ، فقال في مروج الذهب « ٤ / ٩١ » : « وكان المعتز في حياة بُغا لا يلتذ بالنوم ، ولا يخلع سلاحه لا في ليل ولا نهار خوفاً من بغا ، وقال : لا أزال على هذه الحالة حتى أعلم لبغا رأسي أو رأسه لي ! وكان يقول : إنني لأخاف أن ينزل عليّ بُغا من السماء أو يخرج عليّ من الأرض وقد كان بغا عزم على أن ينحدر سراً فيصل الى سامرا في الليل ، ويصرف الأتراك عن المعتز ، ويفيض فيهم الأموال . »

وقد وصف الطبري في عدة روايات « ٧ / ٤٣٤ » الحرب العبيثة بين المعتز ، والمستعين !

قتل المعتز ونصب المهدي « محمد بن الواثق »

في مروج الذهب « ٤ / ٩٢ » : « ولما رأى الأتراك إقدام المعتز على قتل رؤسائهم ، وإعماله الحيلة في فنائهم ، وأنه قد اصطنع المغاربة والفراغنة دونهم ، صاروا إليه بأجمعهم ، وذلك لأربع بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وجعلوا يقرعونه بذنوبه ، ويوبخونه على أفعاله وطالبوه بالأموال ، وكان المدبر لذلك صالح بن وصيف مع قواد الأتراك ، فليج وأنكر أن يكون قبلكه شيء من المال ،

فلما حصل المعتز في أيديهم بعث « وصيف » إلى مدينة السلام في محمد بن الوائق الملقب بالمهتدي ، وقد كان المعتز نفاه إليها واعتقله فيها ، فأتى به في يوم وليلة إلى سامرا ، فتلقاه الأولياء في الطريق ودخل إلى الجوسق ، وأجاب المعتز إلى الخلع .

وفي تاريخ مختصر الدول / ١٤٧ : « وفي سنة خمس وخمسين ومائتين صار الأتراك إلى المعتز يطلبون أرزاقهم فمأطلمهم بحقهم ، فلما رأوا أنه لا يحصل منه شيء دخل إليه جماعة منهم فجروا برجله إلى باب الحجره وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في الدار ، وكان يرفع رجلاً ويضع رجلاً لشدة الحر ! ثم سلّموه إلى من يعذبه ، فمنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ، ثم أدخلوه سرداباً وجصصوا عليه فمات . وكانت خلافته .. أربع سنين وسبعة أشهر . »

أقول : كانت أمه من أجمل جواري المتوكل ، وسماها قبيحة ليرد عنها الحسد ! وكانت تجمع الأموال والذهب والكنوز ، فلما احتاج ابنها المعتز رواتب لجنوده ليخلص نفسه من القتل ، بنخلت عليه ، فقتلوا ابنها قاتل الإمام الهادي عليه السلام . ثم وجدوها واستخرجوا ثروتها الهائلة .

قال في النجوم الزاهرة « ٣ / ٢١ » : « وفيها « سنة ٢٥٥ » عظم أمر ابن وصيف ، وقبض على حواشي المعتز بالله الخليفة ، فسأله المعتز في إطلاق واحد منهم فلم يفعل ، ولا زال أمره يعظم إلى أن خلع المعتز بالله من الخلافة في رجب ، ثم قتل بعد خلعه بأيام . واختفت أم المعتز قبيحة ، ثم ظهرت فصارها صالح بن وصيف المذكور ، وأخذ منها أموالاً عظيمة ، ثم نفاها إلى مكة ، وكان مما أخذ منها ابن

وصيف ألف ألف دينار وثلاث مائة ألف دينار ، وأخذ منها من الجواهر ما قيمته ألفا ألف دينار .

وكان الجند سألوا المعتز في خمسين ألف دينار ويصطلحون معه ، فسألها المعتز في ذلك فقالت : ما عندي شيء . فلما رأى ابن وصيف هذا المال قال : قبح الله قبيحة عرّضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار ، وعندها هذا كله » .

وفي تاريخ الخلفاء / ٢٦٢ : « أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه ، فأدخلوه الحمام فلما اغتسل عطش فمنعوه الماء ، ثم أخرج فسقوه ماء بثلج فشربه وسقط ميتاً ، وذلك في شهر شعبان المعظم سنة خمس وخمسين ومائتين ، واختفت أمه قبيحة ، ثم ظهرت في رمضان وأعطت صالح بن وصيف مالاً عظيماً ، من ذلك ألف ألف دينار وثلاث مائة ألف دينار ، وسفط فيه مكوك زمرد ، وسفط فيه لؤلؤ حب كبار ، وكيلجة ياقوت أحمر وغير ذلك ، فقومت السفاط بألفي ألف دينار !

فلما رأى ابن وصيف ذلك قال : قبحها الله عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار ، وعندها هذا ، فأخذ الجميع ونفاها إلى مكة ، فبقيت بها إلى أن تولى المعتمد ، فردها إلى سامرا ، وماتت سنة أربع وستين » .

وقال الذهبي في سيره « ١٢ / ٥٣٥ » : يمدح المهدي الذي بايعوه بعد المعتز : « وكان المهدي أسمر رقيقاً مليح الوجه ، ورعاً ، عادلاً ، صالحاً ، متعبداً ، بطلاً ، شجاعاً ، قوياً في أمر الله ، خليقاً للإمارة ، لكنه لم يجد معيناً ولا ناصرًا .. وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين ، يجلس بنفسه ويؤجلس بين يديه الكتاب

يعملون الحساب .. وقد ضرب جماعة من الكبار ، ونفى جعفر بن محمود إلى بغداد لرفض فيه .. وفي أوائل خلافته عبأ موسى بن بغا جيشه ، وشهر السلاح بسامراء لقتل صالح بن وصيف بدم المعتز ، ولأخذه أموال أمه قبيحة وأموال الدواوين .. فهجم بمن معه والمهتدي جالس في دار العدل ، فأقاموه وحملوه على أكدش « بغل » وانهبوا القصر ..

ثم خرج المهتدي وعليه ثياب بيض وتقلد سيفاً ، وأمر بإدخالهم إليه فقال : قد بلغني شأنكم ، ولست كالمستعين والمعتز ، والله ما خرجت إلا وأنا متحنط وقد أوصيت ، وهذا سيفي فلاضربن به ما استمسك بيدي ، أما دينٌ أما حياةٌ أما رعةٌ؟ كم يكون الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ! فركب المهتدي وصالح بن علي في عنقه المصحف يصيح : أيها الناس ، أنصروا إمامكم ..

وتفلى جمع المهتدي واستحر بهم القتل ، فولى والسيف في يده يقول : أيها الناس قاتلوا عن خليفتمكم ، ثم دخل دار صالح بن محمد بن يزيد ، ورمى السلاح ولبس البياض ليهرب من السطح ، وجاء حاجب باكيال فأعلم به ، فهرب فرماه واحد بسهم ونفحه بالسيف ، ثم حمل إلى الحاجب فأركبوه بغلاً وخلفه سائس ، وضربوه وهم يقولون : أين الذهب ؟ فأقر لهم بست مئة ألف دينار مودعة ببغداد ، فأخذوا خطه بها ، وعصَرَ تركي على أنثييه فمات ! وقيل : أرادوا منه أن يخلع نفسه فأبى فقتلوه عليه السلام ، وبايعوا المعتمد على الله .

أقول : نلاحظ أن المهدي ليس بطلاً كما زعم الذهبي . كما نلاحظ أن الخليفة صار جزءاً من الأطراف التركية المتصارعة ، بل آلةً بيدها !

وأن صراع الأتراك بينهم كان شديداً ، فقد جاء موسى بن بغا من خراسان لينتقم من وصيف ويحاسبه على ثروته الطائلة ، التي حصل عليها !

قتل المهدي ونصب المعتمد « أحمد بن المتوكل »

حدثت تطورات عديدة بعد شهادة الإمام الهادي عليه السلام ، فقد ظهرت حركة الزنج في البصرة ، وحركة الخوارج في الموصل ، وانقسم الترك الى قسمين : قسم مع المهدي في سامراء بقيادة صالح بن وصيف ، وقسم ضدهم بقيادة موسى بن بغا ، وسيأتي ذلك إن شاء الله في سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

وكانت نهاية المهدي لأنه حاول أن يوقع بين الأتراك ، فاتفقوا عليه فكشف المهدي مؤامرتهم ، فقتل القائد بايكباك ، فحاش الترك عليه وهاجموه ، وكانت بينهم معارك انتهت بهزيمة المهدي وقتله .

قال الطبري « ٧ / ٥٨٢ » : « وفي رجب من هذه السنة « ٢٥٦ » لأربع عشرة ليلة خلت منه خلع المهدي ، وتوفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب .

ذكر أن ساكني الكرخ بسامرا والدور تحركوا لليلتين خلتا من رجب من هذه السنة يطلبون أرزاقهم ، فوجه إليهم المهدي طبايعو الرئيس عليهم ، وعبد الله أخوا المهدي ، فكلهم فلم يقبلوا منهما ، وقالوا نحن نريد أن نكلم أمير المؤمنين

مشافهة ، وخرج أبو نصر بن بغا تحت ليلته إلى عسكر أخيه وهو بالسن بالقرب من الشاري ، ودخل دار الجوسق جماعة منهم .. » .

ثم ذكر الطبري محاورة المهدي مع بايكباك ، وكيف قام بقتله وألقى رأسه إلى الأتراك فجاشوا واتحدوا ، ليأخذوا منه ثأرهم !

قال الطبري « ٧ / ٥٨٤ » : « فاجتمع جميع الأتراك فصار أمرهم واحداً ، فجاء منهم زهاء عشرة آلاف رجل ، وجاء طوغتيا أخو بايكباك وأحمد بن خاقان حاجب بايكباك في نحو من خمس مائة ، مع من جاء مع طغوتيا من الأتراك والعجم .

وخرج المهدي ومعه صالح بن علي والمصحف في عنقه يدعو الناس إلى أن ينصروا خليفتهم ، فلما التحم الشر مال الأتراك الذين مع المهدي إلى أصحابهم الذين مع أخي بايكباك ، وبقي المهدي في الفراغنة والمغاربة ومن خف معه من العامة ، فحمل عليهم طغوتيا أخو بايكباك حملة نائر حران موتور فنقض تعيبتهم وهزمهم ، وأكثر فيهم القتل وولوا منهزمين ، ومضى المهدي يركض منهزماً والسيف في يده مشهور ، وهو ينادى يا معشر الناس أنصروا خليفتكم ! حتى صار إلى دار أبي صالح عبد الله بن محمد بن يزداد وهو بعد خشبة بابك ، وفيها أحمد بن جميل صاحب المعونة ، فدخلها ووضع سلاحه ولبس البياض ليعلوداراً وينزل أخرى ويهرب ، فطلب فلم يوجد .

وجاء أحمد بن خاقان في ثلاثين فارساً يسأل عنه ، حتى وقف على خبره في دار ابن جميل ، فبادرهم ليصعد فرمى بسهم وبعج بالسيف ، ثم حمله أحمد بن خاقان على دابة أو بغل ، وأردف خلفه سائساً حتى صار به إلى داره ، فدخلوا عليه فجعلوا يصفعونه ويزقون في وجهه ، وسألوه عن ثمن ما باع من المتاع والخرشي ، فأقر لهم بست مائة

ألف قد أودعها الكرخي الناس ببغداد ، وأصابوا عنده خَسَف الواضحة ، مغنية ، فأخذوا رقعته بست مائة ألف دينار . ودفعوه إلى رجل فوطاً على خصيه حتى قتله « !

أخبار الإمام الهادي عليه السلام في عهد المستعين والمعزز

اتضح بما تقدم أن الخلافة كانت بعد المعتز للمهتدي ، ثم للمعتد ، وكانت شهادة الإمام الهادي عليه السلام سنة ٢٥٤ ، في خلافة المعتز ، قبل المعتد . فعبارة : سمه المعتد ، التي وردت في سيرته عليه السلام تصحيفاً أو لأن المعتد كان منفذاً .

وفي مناقب آل أبي طالب « ٣ / ٥٣٠ » : « علي بن محمد بن زياد الصيمري قال : دخلت على أبي أحمد بن عبد الله بن طاهر ، وفي يديه رقعة أبي محمد عليه السلام فيها : إني نازلت الله في هذا الطاغى يعني المستعين ، وهو آخذه بعد ثلاث ، فلما كان اليوم الثالث خلع ، وكان من أمره ما كان ، إلى أن قتل » .

وزمن هذه الحادثة لا بد أن يكون سنة ٢٥٢ ، وأن يكون أبا محمد ورد فيها بدل أبا الحسن عليه السلام لأن المستعين خلع نفسه في هذه السنة ، ثم قتلوه .

والرواية تدل على أن المستعين كان يؤذي الإمام الهادي عليه السلام ويستهدفه فدعا عليه ، وأخبر أن دعاءه يستجاب بعد ثلاثة أيام !

كما توجد حادثة رويت على أنها للمستعين مع الإمام العسكري عليه السلام ، فلا بد أن تكون في حياة الإمام الهادي عليه السلام أيضاً ، لأن المستعين مات قبل شهادته عليه السلام .

وقد رواها الكليني « ١ / ٥٠٧ » وخلاصتها أن المستعين كان عنده بغلٌ عجزت الرّاضة عن ترويضه ، فقال له بعض ندمائه : يا أمير المؤمنين ألا تبعث إلى الحسن

بن الرضا حتى يجيء ، فإما أن يركبه وإما أن يقتله فتستريح منه ، قال : فبعث إلى أبي محمد ومضى معه أبي فقال أبي : لما دخل أبو محمد الدار كنت معه فنظر أبو محمد إلى البغل واقفاً في صحن الدار ، فعدل إليه فوشَّع بيده على كفله ، قال فنظرت إلى البغل وقد عرق حتى سال العرق منه ، ثم صار إلى المستعين فسلم عليه فرحب به وقرب ، فقال : يا أبا محمد أجم هذا البغل .. » ثم تقول الرواية : إنه أجمه وأسرجه وركبه ، فتعجب الخليفة ووهبه له .

ومعناها أن المستعين دبَّرَ هذه المكيذة للإمام الحسن العسكري عليه السلام أو أراد أن يمتحن مقامه عند الله تعالى ، وهل يخضع له البغل الشموس .

وبما أن المستعين مات بدعوة الإمام الهادي فلا بد أن تكون القصة في حياته عليه السلام وربما كانت معه هو ، وجعلها الراوي مع ولده الحسن عليه السلام . أو يكون الخليفة الذي هو طرفها ، غير المستعين .

* *

من معجزات الإمام الهادي عليه السلام

الأئمة أفضل أوصياء الأنبياء عليهم السلام

لكل واحد من الأئمة عليهم السلام معجزات كثيرة ، وقد حفظ الرواة للإمام الهادي عليه السلام أكثر من مئة معجزة ، وتقدم عددٌ منها ، ونورد فيما يلي عدداً آخر ، ونذكر قبلها حديثاً يصف ما أعطى الله تعالى لأئمة العترة النبوية .

قال النوفلي « الكافي : ١ / ٢٣١ » : « سمعته عليه السلام يقول : إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً ، كان عند آصف حرفٌ فتكلم به ، فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ ، فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان عليه السلام ، ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً . وحرفٌ عند الله مستأثرٌ به في علم الغيب » .

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام « ١ / ١٩٢ » : « للإمام علامات : يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس ، وأتقى الناس ، وأحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأسخى الناس ، وأعبد الناس ، ويولد مختوناً ويكون مطهراً ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، ولا يكون له ظل ، وإذا وقع إلى الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين ، ولا يحتلم ، وتنام عينه ولا ينام قلبه ، ويكون محدثاً ، « تحدثه الملائكة » ويكون دعاؤه مستجاباً حتى أنه لودعا على صخره لانشقت بنصفين .. إن الإمام مؤيدٌ بروح القدس ، وبينه وبين الله عمودٌ من نور ، يرى فيه أعمال العباد وكلما احتاج إليه .. ييسط له فيعلم ، ويقبض عنه فلا يعلم » .

يحيى بن هرثمة يحدث بمعجزات الإمام عليه السلام

يوجد قبر في ضواحي مشهد الإمام الرضا عليه السلام يزوره الناس ويسمونه : خاجه مراد ، فقصدناه ووجدنا مكتوباً عليه أنه قبر هرثمة بن أعين ، وقيل قبر يحيى بن هرثمة . فقدمنا على سفرنا لأننا لا نزرور قبر هرثمة وأمثاله من قادة جيش العباسيين ! فقد كان يحيى كأبيه هرثمة قائداً عند المتوكل ، ينفذ أوامره القذرة في قتل المسلمين ، ثم واصل ذلك مع غيره من الخلفاء . ولا يوجد ليحيى حسنة في تاريخه إلا روايته لمعجزات الإمام الهادي عليه السلام ! وقوله إنه تاب وأناب عندما رآها ، وهو مجرد قول بلا عمل .

قال الطبري « ٧ / ٤٧٩ » : « وفيها « سنة ٣٤٨ » كانت وقعة بين يحيى بن هرثمة وأبي الحسين بن قريش ، قتل من الفريقين جماعة ، ثم انهزم أبو الحسين بن قريش » .

وقد أورد السيد الخوئي في معجمه « ٢١ / ١٠٢ » رواية تشيعه ولم يعلق بشئ .

ووصفه في مستدرك سفينة البحار « ٣ / ٢٨ » بحُسن الخاتمة ، ولا نعرف له حسنة إلا روايته لما شاهد من معجزات الإمام الهادي عليه السلام ، وذلك بعد موت المتوكل .

١ . ظهر الماء في الصحراء ورويت القافلة :

قال المسعودي في إثبات الوصية « ١ / ٢٣٢ » : « وروي عن يحيى بن هرثمة قال : رأيت من دلائل أبي الحسن عليه السلام الأعاجيب في طريقنا . منها : أننا نزلنا منزلاً لا ماء فيه فأشفينا ودوابنا وجمالنا من العطش على التلف ، وكان معنا جماعة وقوم قد تبعدوا من أهل المدينة ، فقال أبو الحسن عليه السلام : كأني أعرف على أميال موضع ماء . فقلنا له : إن نشطت وتفضلت عدلت بنا إليه وكنا معك . فعدل بنا عن الطريق فسرنا نحو ستة أميال « نحو عشرة كيلومتر » فأشرفنا على واد كأنه زهر الرياض فيه

عيون وأشجار وزروع ، وليس فيها زارع ولا فلاح ولا أحد من الناس ، فنزلنا وشربنا وسقينا دوابنا ، وأقمنا الى بعد العصر ثم تزودنا وارتويننا ، وما معنا من القرب ورحنا راحلين . فلم نبعد أن عطشتُ وكان لي مع بعض غلماني كوز فضة يشده في منطقتة . وقد استسقيته فلجلج لسانه بالكلام ، ونظرتُ فإذا هو قد أنسي الكوز في المنزل الذي كنا فيه . فرجعت أضرب بالسوط على فرس لي جواد سريع وأغذ السير ، حتى أشرفت على الوادي فرأيته جدياً يابساً ، قاعاً محلاً ، لاماء فيه ولا زرع ولا خضرة ، ورأيت موضع رحالنا وروث دوابنا وبعر الجمال ومناخاتهم ، والكوز موضوع في موضعه الذي تركه الغلام ! فأخذته وانصرفت ولم أعرفه شيئاً من الخبر . فلما قربت من القطر والعسكر وجدته عليه السلام واقفاً ينتظر فتبسم صلى الله عليه ولم يقل لي شيئاً ، ولا قلت له سوى ما سألت من وجود الكوز فأعلمته أبي وجدته !

٢ . عرف الإمام بموعد نزول المطر في الصيف :

قال يحيى : وخرج في يوم صائف آحر ونحن في ضحو وشمس حامية تُحرق ، فركب من مضربه وعليه ممطر ، وذنبتُ دابته معقوداً وتحتته لبدٌ طويل ، فجعل كل من في العسكر وأهل القافلة يضحكون تعجباً ويقولون : هذا الحجازي ليس يعرف الرأي ، فما سرنا أميلاً حتى ارتفعت سحابة من ناحية القبلة وأظلمت وأظلمت بنا بسرعة ، وأتى من المطر الهاطل كأفواه القرب ، فكدنا أن نتلف وغرقنا حتى جرى الماء من ثيابنا الى أبداننا وامتألت خفافنا ، وكان أسرع وأعجل من

أن يمكن أن نخط ونخرج اللباييد ، فصرنا شهرةً ، وما زال عليه السلام يتبسم تبسماً ظاهراً تعجباً من أمرنا . « إثبات الوصية / ٢٣٤ » .

٣. الإمام يشفي عين طفل ويرد بصره :

قال يحيى : وصارت إليه في بعض المنازل امرأة معها ابنٌ لها أرمُدُ العين ، ولم تنزل تستذل وتقول : معكم رجل علوي ذُلوني عليه حتى يرقى عين ابني هذا . فدللتها عليه ففتح عين الصبي حتى رأيتها ولم أشك أنها ذاهبة ، فوضع يده عليها لحظة يحرك شفثيه ثم نحأها فإذا عين الغلام مفتوحة صحيحة ما بها علة !

٤. رواية أخرى لحادثة المطر في الصيف :

في الخرائج « ١ / ٣٩٢ » والثاقب لابن حمزة / ٥٥١ ، عن يحيى بن هرثمة ، قال : « دعاني المتوكل فقال : إخرت ثلاث مائة رجل ممن تريد ، واخرجوا إلى الكوفة ، فخلفوا أثقالكم فيها ، واخرجوا على طريق البادية إلى المدينة فأحضروا علي بن محمد بن الرضا إلى عندي مكرماً معظماً مبجلاً . قال : ففعلت وخرجنا . وكان في أصحابي قائد من الشراة « الخوارج » وكان لي كاتب يتشيع ، وأنا على مذهب الحشوية « أهل الحديث » وكان ذلك الشاري يناظر ذلك الكاتب ، وكنيت أستريح إلى مناظرتهمما لقطع الطريق . فلما صرنا إلى وسط الطريق قال الشاري للكاتب : أليس من قول صاحبكم علي بن أبي طالب أنه ليس من الأرض بقعة إلا وهي قبر أو ستكون قبراً ؟ فانظر إلى هذه البرية أين من يموت فيها حتى يملأها الله قبوراً كما تزعمون ؟ قال فقلت للكاتب : أهذا من قولكم ؟ قال : نعم . قلت : صدق . أين

من يموت في هذه البرية العظيمة حتى تمتلئ قبوراً؟! وتضاحكنا ساعة ، إذ انخذل الكاتب في أيدينا . قال : وسرنا حتى دخلنا المدينة ، فقصدت باب أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا فدخلت إليه ، فقرأ كتاب المتوكل فقال : إنزلوا وليس من جهتي خلاف . قال : فلما صرت إليه من الغد ، وكنا في تموز أشد ما يكون من الحر ، فإذا بين يديه خياطٌ وهو يقطع من ثياب غلاظ خفّاتين « الخفتان : معطف وهو القفطان » له ولغلمانه ، ثم قال للخياط : إجمع عليها جماعة من الخياطين ، واعمد على الفراغ منها يومك هذا ، وبكر بها إليّ في هذا الوقت . ثم نظر إلي وقال : يا يحيى ، إقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم ، واعمل على الرحيل غداً في هذا الوقت .

قال : فخرجت من عنده وأنا أتعجب منه من الخفّاتين ، وأقول في نفسي : نحن في تموز وحر الحجاز ، وإنما بيننا وبين العراق مسيرة عشرة أيام ، فما يصنع بهذه الثياب ! ثم قلت في نفسي : هذا رجل لم يسافر ، وهو يقدر أن كل سفر يحتاج فيه إلى هذه الثياب ، وأتعجب من الرافضة حيث يقولون بإمامة هذا مع فهمه هذا . فعدت إليه في الغد في ذلك الوقت فإذا الثياب قد أحضرت ، فقال لغلمانه : أدخلوا وخذوا لنا معكم لباييد وبرانس . ثم قال : إرحل يا يحيى .

فقلت في نفسي : وهذا أعجب من الأول ، أخاف أن يلحقنا الشتاء في الطريق حتى أخذ معه اللباييد والبرانس ! فخرجت وأنا أستصغر فهمه .

فسرنا حتى وصلنا إلى موضع المناظرة في القبور ارتفعت سحابة واسودت وأرعدت وأبرقت ، حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت علينا بَرْدًا مثل الصخور ، وقد شدَّ على نفسه وعلى غلمانة الخفّاتين ، ولبسوا اللباييد والبرانس ، وقال لغلمانة : إُدفعوا إلى يحيى لبادة ، وإلى الكاتب برنسا .

وتجمعنا والبَرْد يأخذنا حتى قتل من أصحابي ثمانين رجلاً ، وزالت ورجع الحرُّ كما كان ، فقال لي : يا يحيى إنزل أنت ومن بقي من أصحابك ليدفنوا من قد مات من أصحابك . ثم قال : فهكذا يملأ الله هذه البرية قبوراً !

قال : فرميت بنفسي عن دابتي وعدوت إليه فقَبَلت ركابه ورجله ، وقلت : أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنكم خلفاء الله في أرضه ، وقد كنتُ كافراً ، وإنني الآن قد أسلمت على يدك يا مولاي . قال يحيى : وتشيعت ، ولزمت خدمته إلى أن مضى .

ملاحظة

شَنَّعَ ذلك الخارجي على زميله الكاتب الشيعي بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام : « ليس من الأرض بقعة إلا وهي قبر ، أو ستكون قبراً » ولم أجد هذا الحديث في المصادر المعروفة . لكن معناه صحيح فكل بقعة ، أي كل نوع من الأرض فيه قبور أو سيكون فيه ، وليس معناه أن كل مكان في الأرض قبرٌ أو سيكون قبراً .

قال الخليل في العين « ١ / ١٨٤ » : « البَقْعُ : لونٌ يخالف بعضه بعضاً ، مثل الغراب الأسود في صدره بياض ، غراب أبقع ، وكلب أبقع . والبقعة : قطعة من أرض على غير هيئة التي على جنبها ، كل واحدة منها بقعة وجمعها بقاع ويقع . »

على أن كل تستعمل للتعميم النسبي ، فقد روي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى عن اليهود : **وَقَطَعْنَا فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ** . « الأعراف : ١٦٨ » قال : « هم اليهود بسطهم الله في الأرض ، فليس من الأرض بقعة إلا وفيها عصاة منهم وطائفة » . « تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٦٠٥ » وبهذا المعنى وردت البقعة في حديث المهدي عليه السلام : « وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربها ولا تبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها » . « كمال الدين : ٢ / ٣٤٥ » .

وقصد الخارجي من تشييعه على الكاتب ، تكذيب أمير المؤمنين عليه السلام ، ولعل الكاتب شكى الى الإمام الهادي عليه السلام سخرتهم به ، فأجرى الله على يد عليه السلام هذه الكرامة لتصدق ما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام !

أما قول ابن هرثمة : وتشيعت ، ولزمت خدمته إلى أن مضى . فادعاء لم يصح !

٥ . رواية ثانية لظهور الماء وري القافلة :

في الخرائج « ١ / ٤١٥ » : « روى أبو محمد البصري ، عن أبي العباس خال شبل كاتب إبراهيم بن محمد ، قال : كلما أجرينا ذكر أبي الحسن عليه السلام فقال لي : يا أبا محمد لم أكن في شيء من هذا الأمر وكنت أعيب على أخي ، وعلى أهل هذا القول عيباً شديداً بالذم والشتم ، إلى أن كنت في الوفد الذين أوفد المتوكل إلى المدينة في إحضار أبي الحسن عليه السلام فخرجنا إلى المدينة ، فلما خرج وصرنا في بعض الطريق ، طوينا المنزل وكان يوماً صائفاً شديد الحر ، فسألناه أن ينزل قال : لا .

فخرجنا ولم نطعم ولم نشرب ، فلما اشتد الحر والجوع والعطش فينا ، ونحن إذ ذاك في أرض ملساء لا نرى شيئاً ولا ظلاً ولا ماء نستريح إليه ، فجعلنا نشخاص

بأبصارنا نحوه . فقال : ما لكم أحسبكم جوعاً وقد عطشتم ؟ فقلنا : إي والله ، وقد عيينا يا سيدنا . قال : عرّسوا « إنزلوا » وكلوا واشربوا .

فتعجبت من قوله ونحن في صحراء ملساء لا نرى فيها شيئاً نستريح إليه ، ولا نرى ماءً ولا طلاً . قال : ما لكم ! عرّسوا . فابتدرت إلى القطار لأنيخ ثم التفتُ وإذا أنا بشجرتين عظيمتين يستظل تحتهما عالمٌ من الناس ، وإني لأعرف موضعهما أنه أرض بَرَاخٍ قفرٌ ، وإذا أنا بعين تسيح على وجه الأرض أعذب ماءً وأبرده ! فنزلنا وأكلنا وشربنا واسترحنا ، وإن فينا من سلك ذلك الطريق مراراً !

فوقع في قلبي ذلك الوقت أعاجيب ، وجعلت أحد النظر إليه وأتأمله طويلاً ، وإذا نظرت إليه تبسم وزوى وجهه عني ، فقلت في نفسي : والله لأعرفن هذا كيف هو ؟ فأتيت من وراء الشجرة فدفنت سيفي ووضعت عليه حجرين ، وتغوطت في ذلك الموضع ، وتهيأت للصلاة .

فقال أبو الحسن : استرحتم ؟ قلنا : نعم ، قال : فارتحلوا على اسم الله ، فارتحلنا فلما أن سرنا ساعة رجعت على الأثر فأتيت الموضع فوجدت الأثر والسيف كما وضعت والعلامة ، وكان الله لم يخلق ثم شجرةً ولا ماءً وظلالاً ولا بلاءً ! فتعجبت ورفعت يدي إلى السماء فسألت الله بالثبات على المحبة والإيمان به والمعرفة منه . وأخذت الأثر ولحقت القوم ، فالتفت إليّ أبو الحسن عليه السلام وقال : يا أبا العباس فعلتها ؟ قلت : نعم يا سيدي ، لقد كنت شاكاً ، ولقد أصبحت وأنا

عند نفسي من أغنى الناس بك في الدنيا والآخرة . فقال : هو كذلك ، هم معدودون معلومون ، لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً » .

أقول : لم أجد ترجمة أبي العباس خال كاتب إبراهيم بن محمد ، والظاهر أن إبراهيم بن محمد هذا هو العباسي المسمى بـ بُرَيْه ، وقد ذكر الطبري « ٦ / ٤٧٢ و ٦٠٤ ، و : ٨ / ١٥ » أنه كان والياً على الحرمين ، وأنه حج بالناس سنة ٢٥٩ .

٦ . ما ظهر للفتح بن يزيد الجرجاني :

في إثبات الوصية « ١ / ٢٣٥ » : « وروى الحميري قال : حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن الفتح بن يزيد الجرجاني قال : ضمني وأبا الحسن عليهما السلام الطريق لما قدم به المدينة فسمعت في بعض الطريق يقول : من اتقى الله يتقى ومن أطاع الله يطاع .

فلم أزل أدلف حتى قربت منه وذنوت ، فسلمت عليه ورد عليّ السلام فأول ما ابتدأني أن قال لي : يا فتح من أطاع الخالق لم ييال بسخط المخلوقين ، ومن أسخط الخالق فليوقن أن يحل به سخط المخلوقين .

يا فتح إن الله جل جلاله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، فأني يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام أن تناله ، والخطرات أن تحده ، والأبصار أن تحيط به ، جل عما يصفه الواصفون ، وتعالى عما ينعتة الناعتون ، نأى في قربه وقرب في نأيه ، فهو في نأيه قريب ، وفي قربه بعيد ، كَيْفَ الكيف فلا يقال كيف ، وأَيِّنَ الأين فلا يقال أين ، إذ هو منقطع الكيفية والأينية ، الواحد الأحد جل جلاله ، بل كيف يوصف بكنهه محمد صلى الله عليه وآله وقد قرن الخليل اسمه باسمه وأشركه

في طاعته وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته ، فقال : وما نقموا منه إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله . وقال تبارك اسمه يحكي قول من ترك طاعته : يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول . أم كيف يوصف من قرن الجليل طاعته بطاعة رسول الله ﷺ حيث يقول : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .

يا فتح كما لا يوصف الجليل جل جلاله ، ولا يوصف الحجة ، فكذلك لا يوصف المؤمن المسلم لأمرنا . فنبينا ﷺ أفضل الأنبياء ووصينا ﷺ أفضل الأوصياء . ثم قال لي بعد كلام : فأورد الأمر إليهم وسلم لهم . ثم قال لي : إن شئت . فانصرفت منه . فلما كان في الغد تلفت في الوصول إليه فسلمت فرد السلام فقلت : يا ابن رسول الله تأذن لي في كلمة اختلجت في صدري ليلتي الماضية ؟

فقال لي : سل وأصخ إلى جوابها سمعك ، فإن العالم والمتعلم شريكان في الرشد ، مأموران بالنصيحة ، فاما الذي اختلج في صدرك فإن يشأ العالم أنبأك الله ، إن الله لم يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، وكل ما عند الرسول فهو عند العالم ، وكل ما اطلع الرسول عليه فقد اطلع أوصياؤه عليه .

يا فتح : عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك في بعض ما أوردت عليك وأشكك في بعض ما أنبأتك ، حتى أراد إزالتك عن طريق الله وصراطه المستقيم ! فقلت متى أيقنت أنهم هكذا فهم أرباب ! معاذ الله ، إنهم مخلوقون مريبون مطيعون داخرون راغمون . فإذا جاءك الشيطان بمثل ما جاءك به فاقمعه بمثل

ما نبأتك به . قال فتح : فقلت له : جعلني الله فداك فرجت عني ، وكشفت ما لبس الملعون عليّ ، فقد كان أوقع في خلدي أنكم أرباب .

قال : فسجد عليه السلام فسمعته يقول في سجوده : راغماً لك يا خالقي داخراً خاضعاً .

ثم قال : يا فتح كدت أن تهلك وما ضر عيسى إن هلك من هلك . إذا شئت رحمك الله . قال : فخرجت وأنا مسرور بما كشف الله عني من اللبس .

فلما كان في المنزل الآخر دخلت عليه وهو متكئ وبين يديه حنطة مقلوبة يعبث بها ، وقد كان أوقع الشيطان لعنه الله في خلدي أنه لا ينبغي أن يأكلوا ولا يشربوا . فقال : اجلس يا فتح ، فإن لنا بالرسول أسوة ، كانوا يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ، وكل جسم متغذّ إلا خالق الأجسام الواحد الأحد ، منشئ الأشياء ومجسم الأجسام وهو السميع العليم . تبارك الله عما يقول الظالمون وعلا علواً كبيراً . ثم قال : إذا شئت رحمك الله .

٧. قال البغدادون : أقبل بيت الله الحرام :

في إثبات الوصية « ١ / ٢٣٦ » : « وقدم به عليه السلام ببغداد وخرج إسحاق بن إبراهيم وجملة القواد فتلقوه ، فحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلبي القاضي قال : حدثني الحضرمي بن محمد البزاز وكان شيخاً مستوراً ثقة ، يقبله القضاة والناس قال : رأيت في المنام كأي شاطئ دجلة بمدينة السلام في رجة الجسر والناس مجتمعون خلق كثير يزحم بعضهم بعضاً ، وهم يقولون : قد أقبل بيت الله الحرام .

فبينما نحن كذلك إذ رأيت البيت بما عليه من الستائر والديباج والقباطي ، قد أقبل ماراً على الأرض ، يسير حتى عبر الجسر ، من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ، والناس يطوفون به وبين يديه حتى دخل دار خزيمه ، وهي التي آخر من ملكها بعد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر القمي ، وأبوبكر الفتى بن أخت إسماعيل بن بلبل بدر الكبير الطولوي ، المعروف بالحمامي ، فإنه أقطعها .

فلما كان بعد أيام خرجت في حاجة ، حتى انتهيت الى الجسر ، فرأيت الناس مجتمعين وهم يقولون : قد قدم ابن الرضا من المدينة ، فرأيته قد عبر من الجسر على شهري تحته كبير ، يسير عليه المسير رقيقاً ، والناس بين يديه وخلفه ، وجاء حتى دخل دار خزيمه بن حازم ، فعلمت أنه تأويل الرؤيا التي رأيتها .

ثم خرج الى سر من رأى فتلقيه جملة من أصحاب المتوكل حتى دخل إليهم ، فأعظمه وأكرمه ومهد له . ثم انصرف عنه الى دار أعدت له وأقام بسر من رأى .

أقول : يدل ذلك هذا على علاقة الناس العقائدية العميقة بالإمام الهادي عليه السلام ، فالبراز هذا من علماء العامة ، وقد رأى هذا المنام عن الإمام عليه السلام .

٨. عرف الإمام عليه السلام ما في ضميره فاستبصر :

في إثبات الوصية « ١ / ٢٣٧ » : « وروى احمد بن محمد بن قانداذ الكاتب الإسكافي قال : تقلدت ديار ربيعة وديار مضر ، فخرجت وأقمت بنصيبين ، وقلدت عمالي وأنفذتهم الى نواحي أعمالي ، وتقدمت أن يحمل إلي كل واحد منهم كل من يجده في عمله ممن له مذهب ، فكان يرد علي في اليوم الواحد والإثنان والجماعة منهم ،

فأسمع منهم وأعامل كل واحد بما يستحقه . فأنا ذات يوم جالسٌ إذ ورد كتاب عامل بكفرتوثي يذكر أنه قد وجه إليَّ برجل يقال له إدريس بن زياد ، فدعوت به فرأيتَه وسيماً قسيماً قبلته نفسي ، ثم ناجيته فرأيتَه ممطوراً ورأيتَه من المعرفة بالفقه والأحاديث على ما أعجبنى ، فدعوته الى القول بإمامة الإثني عشر عليه السلام فأبى وأنكر عليَّ ذلك وخاصمني فيه !

وسألته بعد مقامه عندي أياماً أن يهب لي زُورَةً الى سر من رأى لينظر الى أبي الحسن عليه السلام وينصرف فقال لي : أنا أقضي حَقك بذلك .

وشخص بعد أن حملته ، فأبطأ عني وتأخر كتابه ، ثم إنه قدم فدخل إليَّ فأول ما رأني أسبل عينيه بالبكاء ، فلما رأيتَه باكياً لم أتمالك حتى بكيت ، فدنا مني وقبل يدي ورجلي ثم قال : يا أعظم الناس منةً ، نجيتني من النار وأدخلتني الجنة .

وحدثني فقال لي : خرجت من عندك وعزمي إذا لقيت سيدي أبا الحسن عليه السلام أن أسأله من مسائل ، وكان فيما أعددته أن أسأله عن عرق الجنب ، هل يجوز الصلاة في القميص الذي أعرق فيه وأنا جنب أم لا ؟ فصرت الى سر من رأى ، فلم أصل إليه وأبطأ من الركوب لعله كانت به ، ثم سمعت الناس يتحدثون بأنه يركب ، فبادرت ففاتي ودخل دار السلطان فجلست في الشارع ، وعزمت أن لا أبرح أو ينصرف . واشتد الحرُّ عليَّ فعدلت الى باب دار فيه ، فجلست أرقبه ونعست فحملتني عيني فلم أنتبه إلا بمقرعة قد وضعت على كتفي ، ففتحت عيني فإذا هو مولاي أبو الحسن عليه السلام واقف على دابته ، فوثبت فقال لي : يا إدريس

أما آن لك؟ فقلت: بلى يا سيدي. فقال: إن كان العرق من حلال فحلال، وإن كان من حرام فحرام. من غير أن أسأله، فقلت به وسلمت لأمره.»

أقول: قول الإمام عليه السلام: أما آن لك يدل على أنه رأى منه آيات قبل أن يجيبه على ما في نفسه. لكنه لم يذكرها في هذا الحديث.

٩. النصراني الكاتب مع الإمام الهادي عليه السلام:

في الخرائج «٣٩٦ / ١»: «عن هبة الله بن أبي منصور الموصلي، قال: كان بديار ربيعة كاتب لنا نصراني وكان من أهل كفرثوثا، يسمى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة. قال: فوافي ونزل عند والدي فقال ما شأنك قدمت في هذا الوقت؟ قال: قد دعيْتُ إلى حضرة المتوكل، ولا أدري ما يراد مني، إلا أنني قد اشتريت نفسي من الله تعالى بمائة دينار، قد حملتها لعلي بن محمد بن الرضا، معي! فقال له والدي: وفقك في هذا. قال: وخرج إلى حضرة المتوكل وانصرف إلينا بعد أيام قلائل فرحاً مستبشراً، فقال له أبي: حدثني بحدثك.

قال: سرت إلى سر من رأى وما دخلتها قط، فنزلت في دار وقلت: يجب أن أوصل المائة دينار إلى أبي الحسن بن الرضا عليه السلام قبل مصيري إلى باب المتوكل، وقبل أن يعرف أحد قدومي. قال: فعرفت أن المتوكل قد منعه من الركوب وأنه ملازم لداره، فقلت: كيف أصنع؟ رجل نصراني يسأل عن دار ابن الرضا! لا آمن أن ينذر بي فيكون ذلك زيادة فيما أحاذره. قال: فتفكرت ساعة في ذلك، فوقع في قلبي أن أركب حماري وأخرج من البلد، ولا أمنعه من حيث يريد،

لعلي أقف على معرفة داره من غير أن أسأل أحداً . قال : فجعلت الدراهم في كاغدة وجعلتها في كمي ، وركبت فكان الحمار يخرق الشوارع والأسواق يمر حيث يشاء ، إلى أن صرت إلى باب دار ، فوقف الحمار ، فجهدت أن يزول فلم يزل ، فقلت للغلام : سل لمن هذه الدار ؟ فقيل : هذه دار ابن الرضا عليه السلام فقلت : الله أكبر ، دلالة والله مقنعة !

قال : فإذا خادمٌ أسودٌ قد خرج فقال : أنت يوسف بن يعقوب ؟ قلت : نعم . قال : إنزل فنزلت ، فأقعدني في الدهليز ودخل ، فقلت في نفسي : وهذه دلالةٌ أخرى ! من أين يعرف هذا الخادم إسمي وليس في هذا البلد أحدٌ يعرفني ولا دخلته قط !

قال : فخرج الخادم وقال : المائة دينار التي في كمك في الكاغذ هاتهما . فناولته إياها وقلت : هذه ثلاثة ، ثم رجع إليّ وقال : أدخل ، فدخلت إليه وهو في مجلسه وحده ، فقال : يا يوسف أما بآن لك ؟ فقلت : يا مولاي ، قد بان من البراهين ما فيه كفاية لمن اكتفى . فقال : هيهات هيهات ، أما إنك لا تسلم ، ولكن سيسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا . يا يوسف ، إن أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالك . كذبوا والله ، إنما لتنفع أمثالك ، إمض فيما وافيت فإنك ستري ما تحب !

قال : فمضيت إلى باب المتوكل ، فبنت كلما أردت ، وانصرفت .

قال هبة الله : فلقيت ابنه بعد هذا وهو مسلم حسن التشيع ، فأخبرني أن أباه مات على النصرانية ، وأنه أسلم بعد موت والده وكان يقول : أنا بشارة مولاي عليه السلام . «

ملاحظات

١. هذا المسيحي من الموصل من كفرتوثا ، وهي قرب رأس عين على الحدود العراقية السورية . وكان شخصية لأن المتوكل طلب حضوره للتحقق من قضية أو لتكليفه بأمر مهم . وكان يعرف إمامة أهل البيت وخصائص الإمام عليه السلام وينذر له ، ويعتقد أنه بنذره يؤمن نفسه من خطر المتوكل . وهذا من مؤشرات انتشار التشيع في بقاع العالم الإسلامي ، وقد ورد أن أحد العمال الشيعة هناك دعا شخصاً الى التشيع ، وأرسله ليرى الإمام الهادي عليه السلام فراه واستبصر .

٢. لاحظ أن المتوكل كان منع الإمام الهادي عليه السلام من الركوب ، أي الخروج من سامراء والمشاركة في مناسباتها الاجتماعية ، فهو يخاف أن « يفتن » به الناس !

٣. يظهر أن يعقوب بن يوسف كان يخاف من المتوكل إن هو أسلم وأعلن تشيعه . ومع ذلك بشره الإمام عليه السلام بأن إيمانه به نوع من الولاية وأنه ينفعه : إنها لتنفع أمثالك . ثم بشره بأنه يرزق ولدًا يكون مؤمناً ، فكان كما أخبر عليه السلام .

وفي الحديث دليل على أن ولاية أهل البيت عليهم السلام قد توجد بدرجة ما في غير المسلم وأنها تنفعهم في الآخرة .

١٠. طيب نصراني يسلم على يد الإمام عليه السلام :

قال الطبري الشيعي في دلائل الإمامة / ٤١٩ : « وحدثني أبو عبد الله القمي ، قال : حدثني ابن عياش ، قال : حدثني أبو الحسن محمد بن إسماعيل بن أحمد الفهقلي

الكاتب بسر من رأى سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة ، قال : حدثني أبي قال : كنت بسر من رأى أسير في درب الحصاء فرأيت يزيدا النصراني تلميذًا بختيشوع وهو منصرف من دار موسى بن بغا ، فسأيرني وأفضى بنا الحديث إلى أن قال لي : أتري هذا الجدار ، تدري من صاحبه ؟ قلت : ومن صاحبه ؟ قال : هذا الفتى العلوي الحجازي ، يعني علي بن محمد بن الرضا عليه السلام وكنا نسير في فناء داره ، قلت ليزداد : نعم ، فما شأنه ؟ قال : إن كان مخلوق يعلم الغيب فهو !

قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أخبرك عنه بأعجوبة لن تسمع بمثلها أبداً ، ولا غيرك من الناس ، ولكن لي الله عليك كفيلاً وراعٍ أنك لا تحدث به عني أحداً ، فلإني رجل طيب ولي معيشة أرهاها عند هذا السلطان ، وبلغني أن الخليفة استقدمه من الحجاز فرقاً منه ، لئلا ينصرف إليه وجوه الناس ، فيخرج هذا الأمر عنهم ، يعني بني العباس .

قلت : لك علي ذلك ، فحدثني به وليس عليك بأس ، إنما أنت رجل نصراني ، لا يتهمك أحد فيما تحدث به عن هؤلاء القوم ، وقد ضمنت لك الكتمان .

قال : نعم ، أعلمك أني لقيته منذ أيام وهو على فرس أدهم ، وعليه ثياب سود ، وعمامة سوداء ، وهو أسود اللون ، فلما بصرت به وقفت إعظاماً له ، لا وحق المسيح ما خرجت من فمي إلى أحد من الناس وقلت في نفسي : ثياب سود ، ودابة سوداء ورجل أسود « كان عليه السلام شديد السمرة » سواد في سواد في سواد ! فلما بلغ إلي وأحد النظر قال : قلبك أسود مما ترى عيناك من سواد في سواد في سواد ! قال

أبي عليه السلام : قلت له : أجل فلا تحدث به أحداً ، فما صنعتَ وما قلت له ؟ قال : سقط في يدي فلم أجد جواباً . قلت له : أفما ابيض قلبك لما شاهدت ؟

قال : الله أعلم . قال أبي : فلما اعتل يزيداد بعث إليَّ فحضرت عنده فقال : إن قلبي قد ابيض بعد سواده ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن علي بن محمد حجة الله على خلقه وناموسه الأعظم ، ثم مات في مرضه ذلك ، وحضرت الصلاة عليه عليه السلام . »

١١ . عزم المتوكل على قتل علي بن جعفر :

روى الكشي « ٦٠٧ / ١ » : « عن علي بن جعفر قال : عُرض أمري على المتوكل ، فأقبل علي عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقال له : لا تُتعبن نفسك بعرض قصة هذا وأشباهه ، فإن عمه أخبرني أنه رافضي ، وأنه وكيل علي بن محمد ! وحلف أن لا يخرج من الحبس إلا بعد موته ! فكتبت إلى مولانا : أن نفسي قد ضاقت ، وأني أخاف الزيف ! فكتب إلي : أما إذا بلغ الأمر منك ما أرى فسأقصد الله فيك ! فما عادت الجمعة حتى أخرجت من السجن .

وفي رواية ثانية : كان علي بن جعفر وكيلاً لأبي الحسن عليه السلام فسعي به إلى المتوكل فحبسه فطال حبسه ، واحتال من قبل عبيد الله بن خاقان بمال ضمنه عنه ثلاثة آلاف دينار ، وكلمه عبيد الله فعرض جامعاً على المتوكل فقال : يا عبيد الله لو شككت فيك لقلت إنك رافضي ، هذا وكيل فلان وأنا على قتله .

قال : فتأدى الخبر إلى علي بن جعفر ، فكتب إلى أبي الحسن عليه السلام : يا سيدي الله الله في فقد والله خفتُ أن أرتاب ، فوقَّع عليه السلام في رقعته : أما إذا بلغ بك الأمر ما أرى فسأقصد الله فيك . وكان هذا في ليلة الجمعة ، فأصبح المتوكل محموماً فازدادت عنته حتى صُرخ عليه يوم الإثنين ، فأمر بتخليفة كل محبوس عُرض عليه اسمه حتى ذكر هو علي بن جعفر فقال لعبيد الله : لم لم تعرض عليّ أمره ؟ فقال : لا أعود إلى ذكره أبداً . قال : خل سبيله الساعة ، وسله أن يجعلني في حل ، فخلى سبيله وصار إلى مكة بأمر أبي الحسن عليه السلام فجاور بها ، وبرأ المتوكل من عنته .

١٢ . قصة زينب الكذابة :

روى في الخرائج « ١ / ٤٠٤ » عن أبي هاشم الجعفري قال : « ظهرت في أيام المتوكل امرأة تدعي أنها زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ! فقال لها المتوكل : أنت امرأة شابة ، وقد مضى من وقت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ما مضى من السنين . فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وآله مسح على رأسي وسأل الله أن يرد علي شبابي في كل أربعين سنة ، ولم أظهر للناس إلى هذه الغاية ، فلحقتني الحاجة فصرت إليهم .

فدعا المتوكل كل مشايخ آل أبي طالب ، وولد العباس وقريش فعرفهم حالها . فروى جماعة وفاة زينب في سنة كذا ، فقال لها : ما تقولين في هذه الرواية ؟ فقالت : كذب وزور ، فإن أمري كان مستوراً عن الناس ، فلم يعرف لي حياة ولا موت . فقال لهم المتوكل : هل عندكم حجة على هذه المرأة غير هذه الرواية ؟ قالوا : لا . قال : أنا برئ من العباس إن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة تلمزها . قالوا : فأحضر ابن الرضا فعمل عنده شيئاً من الحجة غير ما عندنا .

فبعث إليه فحضر فأخبره خبر المرأة فقال : كذبت فإن زينب توفيت في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا . قال : فإن هؤلاء قد رووا مثل هذه الرواية وقد حلفت أن لا أنزلها عما ادعت إلا بحجة تلزمها . قال : ولا عليك فها هنا حجة تلزمها وتلزم غيرها . قال : وما هي ؟ قال : لحوم ولد فاطمة عليها السلام محرمة على السباع ، فأنزلها إلى السباع فإن كانت من ولد فاطمة فلا تضرها .

فقال لها : ما تقولين ؟ قالت : إنه يريد قتلي . قال : فها هنا جماعة من ولد الحسن والحسين فأنزل من شئت منهم .

قال : فوالله لقد تغيرت وجوه الجميع ! فقال بعض المتعصبين : هو يحيل على غيره لم لا يكون هو ؟ فمال المتوكل إلى ذلك رجاء أن يذهب من غير أن يكون له في أمره صنع . فقال : يا أبا الحسن لم لا يكون أنت ذلك ؟ قال : ذاك إليك .

قال : فافعل ، قال : أفعل إن شاء الله . فأتى بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسد . فنزل أبو الحسن عليه السلام إليها ، فلما دخل وجلس صارت إليه ، ورمت بأنفسها بين يديه ، ومدت بأيديها ، ووضعت رؤوسها بين يديه !

فجعل يمسح على رأس كل واحد منها بيده ، ثم يشير له بيده إلى الإعتزال فيعتزل ناحية ، حتى اعتزلت كلها وقامت بإزائه .

فقال له الوزير : ما كان هذا صواباً ، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره . فقال له : أبا الحسن ما أردنا بك سوءاً ، وإنما أردنا أن نكون على يقين مما قلت ، فأحب أن تصعد . فقام وصار إلى السلم وهي حوله تتمسح بثيابه ، فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها وأشار بيده أن ترجع . فرجعت وصعد فقال : كل من زعم أنه من ولد فاطمة فليجلس في ذلك المجلس .

فقال لها المتوكل : إنزلي . قالت : الله الله ادعيتُ الباطل ، وأنا بنت فلان ، حملني الضر على ما قلت ! فقال المتوكل : ألقوها إلى السباع ، فبعثت والدته واستوهبتها منه ، وأحسنتم إليها .

١٣ . بستان الآس :

كان المتوكل يسمي ابنه المنتصر الرافضي لأنه يتشيع ويسخر منه ! قال المنتصر : « زرع والدي الآس في بستان وأكثر منه ، فلما استوى الآس كُله وحُسن ، أمر الفرّاشين أن يفرشوا له على دكان في وسط البستان ، وأنا قائم على رأسه ، فرفع رأسه إليّ وقال : يا رافضي سل ربك الأسود عن هذا الأصل الأصفر ماله من بين ما بقي من هذا البستان قد اصفرّ ، فإنك تزعم أنه يعلم الغيب ! فقلت : يا أمير المؤمنين إنه ليس يعلم الغيب ، فأصبحت إلى أبي الحسن من الغد وأخبرته بالأمر فقال : يا بني ، إمض أنت واحفر الأصل الأصفر ، فإن تحته جمجمة نحرة ، واصفراره لبخارها وتنتها ! قال ففعلت ذلك فوجدته كما قال ، ثم قال لي : يا بني لا تخبرن أحداً بهذا الأمر إلا لمن يحدثك بمثله . » . « الثاقب في المناقب / ٥٣٨ » .

فقد وصفه المتوكل بالرافضي ، واتهمه بأنه يعبد إمامه عليه السلام ووصف سمرة الإمام عليه السلام بالسواد سخريةً منه . أما الجمجمة فقد تكون لأحد ندمائه الذين قتلهم !

١٤ . معرفة الإمام عليه السلام باللغات :

« عن أبي هاشم الجعفري ، قال : كنت بالمدينة حين مرّ بنا بَعَا أيام الواصل ، في طلب الأعراب ، فقال أبو الحسن : أخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبئة هذا التركي ،

فخرجنا فوقفنا ، فمرت بنا تعبته فمر بنا تركي ، فكلمه أبو الحسن عليه السلام بالتركي فنزل عن فرسه فقبل حافر فرس الإمام عليه السلام ! فَحَلَّقْتُ التركي فقلت له : ما قال لك الرجل ؟ قال : هذا ني ؟! قلت : ليس هو بني . قال : دعاني باسم سميت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحد إلى الساعة » . « الثاقب في المناقب لابن حمزة / ٥٣٩ » .

« عن علي بن مهزيار قال : أرسلت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام غلامي وكان صقلابياً فرجع الغلام إلي متعجباً ، فقلت له : مالك يا بني ؟ قال : وكيف لا أتعجب ! ما زال يكلمني بالصقلابية كأنه واحد منا » ! « الإختصاص للمفيد / ٢٨٩ » .

١٥ . لسنا في خان الصعاليك :

« عن صالح بن سعيد ، قال : دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت : جعلت فداك ، في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك ، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك ، فقال : هاهنا أنت يا ابن سعيد ، ثم أوماً بيده فقال : أنظر ، فنظرت ، فإذا بروضات آنفات ، وروضات ناظرات ، فيهن خيرات عطرات ، وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وأطيبار وظباء ، وأنهار تفور ، فحار بصري وحسرت عيني ، فقال : حيث كنا فهذا لنا عتيد ، ولسنا في خان الصعاليك » .

١٦ . برذون أبي هاشم الجعفري :

« عن أبي الهيثم عبد الله بن عبد الرحمن الصالحي ، قال : إن أبا هاشم الجعفري شكاً إلى مولانا أبي الحسن عليه السلام ما يلقي من الشوق إليه إذا انحدر من عندنا إلى بغداد ، فقال له : ادع الله تعالى يا سيدي ، فإني لا أستطيع ركوب الماء خوف الإصعاد والإبطاء عنك ،

فسرت إليك على الظهر ومالي مركوب سوى بردوني هذا على ضعفه ، فادع الله تعالى أن يقويني على زيارتك على وجه الأرض ، فقال : قواك الله يا أبا هاشم وقوى بردونك . قال : فكان أبوهاشم يصلي الفجر ببغداد ويسير على البرذون ، فيدرك الزوال من يومه ذلك في عسكر سر من رأى ، ويعود من يومه إلى بغداد إذا سار على ذلك البرذون ، وكان هذا من أعجب الدلائل التي شوهدت » .

أقول : المسافة بين بغدا وسامرء نحو مئة كيلو متر ، ومعناه أن بغل أبي هاشم كان يقطعها في أربع ساعات أو خمس ، وأن الله تعالى استجاب دعاء الإمام عليه السلام بتقوية البغل ، أو طي الأرض إذا ركب أبو هاشم . فكان يتحرك من بغداد صباحاً ويزور الإمام عليه السلام ويبقى إلى العصر ، ويعود إلى بغداد في نفس اليوم .

١٧ . المتوكل يستعين بمشعوذ :

« عن زرارة حاجب المتوكل ، قال : وقع رجل مشعبذ من ناحية الهند إلى المتوكل يلعب لعب الحقة ولم ير مثله ، وكان المتوكل لعاباً ، فأراد أن يُخجل علي بن محمد الرضا عليه السلام ، فقال لذلك الرجل : إن أحجلته أعطيتك ألف دينار .

قال : تقدم بأن يجز رقاقاً خفافاً واجعلها على المائدة وأقعدني إلى جنبه ، فقعدوا وأحضر علي بن محمد عليه السلام للطعام ، وجعل له مسورة عن يساره ، وكان عليها صورة أسد ، وجلس اللاعب إلى جنب المسورة ، فمد علي بن محمد عليه السلام يده إلى رقاقة فطيرها ذلك الرجل في الهواء ومد يده إلى أخرى ، فطيرها ذلك الرجل ، ومد يده إلى أخرى فطيرها فتضاحك الجميع ، فضرب علي بن محمد عليه السلام يده المباركة الشريفة على تلك الصورة التي في المسورة وقال : خذيه . فابتلعت الرجل

وعادت كما كانت إلى المسورة . فتحير الجميع ونهض أبو الحسن علي بن محمد ، فقال له المتوكل : سألتك إلا جلست ورددته . فقال : والله لا تراه بعدها ، أتسلط أعداء الله على أولياء الله ! وخرج من عنده ، فلم يُرَ الرجل بعد ذلك » . « الثاقب ٤٩٩ » .

وفي رواية أنه قال للمتوكل : « إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيتهم ، فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل » !

ويظهر أن هذا النوع من الشعبة كان معروفاً في الهند والعراق مما ورثه البابليون عن هاروت وماروت ، فقد استعمله المنصور مع الصادق عليه السلام والرشيد مع الكاظم عليه السلام .
راجع : الإمام الكاظم سيد بغداد / ٢١٢ .

١٨ . وَعَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ :

في الخرائج « ١ / ٤٠٤ » : « قال أبو هاشم الجعفري : إنه كان للمتوكل مجلس بشبايبك كيما تدور الشمس في حيطانه ، قد جعل فيها الطيور التي تصوت ، فإذا كان يوم السلام جلس في ذلك المجلس فلا يسمع ما يقال له ، ولا يُسمع ما يقول من اختلاف أصوات تلك الطيور ، فإذا وافاه علي بن محمد بن الرضا عليه السلام سكنت الطيور فلا يُسمع منها صوتٌ واحد إلى أن يخرج من عنده ، فإذا خرج من باب المجلس عادت الطيور في أصواتها .

قال : وكان عنده عدة من القوابج في الحيطان ، وكان يجلس في مجلس له عالٍ ويرسل تلك القوابج تقتتل وهو ينظر إليها ويضحك منها ، فإذا وافى علي بن محمد عليه السلام إليه في ذلك المجلس ، لصقت تلك القوابج بالحيطان ، فلا تتحرك من مواضعها حتى ينصرف ، فإذا انصرف عادت في القتال » .

١٩ . إخباره عليه السلام بأجله :

في الهداية الكبرى / ٣٤٢ : « عن أحمد بن داود القمي ، ومحمد بن عبد الله الطلحي ، قالوا : حملنا ما جمعنا من خمس ونذور وبر من غير ورق وحلي وجوهر وثياب من بلاد قم وما يليها ، وخرجنا نريد سيدنا أبا محمد الحسن عليه السلام فلما وصلنا إلى دسكرة الملك تلقانا رجلاً راكباً على جمل ، ونحن في قافلة عظيمة فقصد إلينا وقال : يا أحمد الطلحي معي رسالة إليكم ، فقلنا من أين يرحمك الله ، فقال : من سيدكم أبي محمد الحسن عليه السلام يقول لكم : أنا راحل إلى الله مولاي في هذه الليلة فأقيموا مكانكم حتى يأتيكم أمر ابني محمد ، فخشعت قلوبنا وبكت عيوننا وقرحت أجفاننا لذلك ، ولم نظهره . وتركنا المسير .

واستأجرنا بدسكرة الملك منزلاً وأخذنا ما حملنا إليه ، وأصبحنا والخبر شائع بالدسكرة بوفاة مولانا أبي محمد الحسن عليه السلام ، فقلنا لا إله إلا الله ترى الرسول الذي أتانا بالرسالة أشاع الخبر في الناس ، فلما تعالي النهار رأينا قوماً من الشيعة على أشد قلق لما نحن فيه ، فأخفينا أمر الرسالة ولم نظهره ، فلما جن علينا الليل جلسنا بلا ضوء حزنأ على سيدنا الحسن عليه السلام ، نبكي ونشكي إلى فقده ، فإذا نحن بيدٍ قد دخلت علينا من الباب فضاءت كما يضيء المصباح وهي تقول : يا أحمد هذا التوقيع إعمل به وما فيه ، فقمنا على أقدامنا وأخذنا التوقيع فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : من الحسن المسكين لله رب العالمين ، إلى شيعته المساكين : أما بعد ، فالحمد لله على ما نزل منه ونشكره إليكم جميل الصبر عليه ،

وهو حسبنا في أنفسنا وفيكم ، ونعم الوكيل ، ردوا ما معكم ليس هذا أوان وصوله إلينا ، فإن هذا الطاعي قد دنت غشيته إلينا ، ولو شئنا ما ضرركم ، وأمرنا يرد عليكم ، ومعكم صرة فيها سبعة عشر ديناراً في خرقة حمراء ، إلى أيوب بن سليمان ، الآن فردوها فإنه حملها ممتحناً لنا بما فعله ، وهو ممن وقف عند جدي موسى بن جعفر عليه السلام فردوا صرته عليه ، ولا تخبروه !

فرجعنا إلى قم ، فأقمنا بها سبع ليال ، ثم جاءنا أمر ابنه : قد بعثنا إليكم إبلاً غير إبلكم ، إحملاً ما قبلكم عليها واخليها لها السبيل ، فإنها واصلةٌ إليّ ! وكانت الإبل بغير قائد ولا سائق ، على وجه الأول منها بهذا الشرح ، وهو مثل الخط الذي بالتوقيع التي أوصلته إلى الدسكرة ، فحملنا ما عندنا واستودعناه وأطلقناهم ، فلما كان من قابل خرجنا نريده عليه السلام فلما وصلنا إلى سامرا دخلنا عليه فقال لنا : يا أحمد ومحمد ، أدخلنا من الباب الذي بجانب الدار ، وانظروا ما حملتماه على الإبل ، فلا تفقدا منه شيئاً . فدخلنا من الباب فإذا نحن بالمتاع كما وعيناه وشددناه لم يتغير ، فحللناه كما أمرنا وعرضنا جمعه ، فما فقدنا منه شيئاً ، فوجدنا الصرة الحمراء والدنانير فيها بختمها ، وكنا قد رددناها على أيوب ، فقلنا : إننا لله وإننا إليه راجعون ، فقلنا : إنها من سيدنا ، فصاح بنا من مجلسه : فما لكم بدت لكمما سأوتكما ! فسمعنا الصوت فأتينا إليه فقال : من أيوب ، وقت وردت الصرة عليه فقبل الله إيمانه وقبل هديته ، فحمدنا الله وشكرناه على ذلك ، فكان هذا من دلائله عليه السلام .

الفصل الخامس عشر :

شخصيات من تلاميذ الإمام الهادي عليه السلام وأصحابه

روى عن الإمام الهادي عليه السلام مئات الرواة

عَدَّ الشيخ الطوسي والبرقي قدس الله روحيهما ، أسماء خمس مئة وستة عشر راوياً رووا عنه عليه السلام . وعَدَّ السيد القزويني في موسوعة الإمام الهادي عليه السلام ثلاث مئة وسبعة وتسعين راوياً .

وترجم الباحث عبد الحسين الشبستري في كتابه : النور الهادي الى أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ، لمئة وثلاثة وتسعين من أصحابه عليه السلام .

ويتسع المجال لأن نذكر نماذج من أصحابه وتلاميذه ، صلوات الله عليه .

١ . الصقر بن أبي دلف :

١ . لما أحضر المتوكل الإمام الهادي عليه السلام الى سامراء ، خاطر الصقر بنفسه وذهب الى زيارته ، وكان يعرف حاجب المتوكل فأدخله الى السجن ، وزار الإمام عليه السلام ، فرأهم حفروا له قبراً بجانبه ! وأمره الإمام أن يودع ويذهب ، لئلا يبطشوا به !

وروى الصقر عدة أحاديث في تنزيه الله تعالى ، منها أن الإمام الهادي عليه السلام قال له : « إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجل جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة . يا ابن أبي دلف : إن الجسم مُحدث والله محدثه ومجسمه » . « التوحيد للصدوق / ١٠٤ » .

٢. ذكرنا في فصل إحصار الإمام الى سامراء ، أنه لا يبعد أن يكون الصقر من أولاد أبي دلف العجلي القائد المعروف ، الذي خرج على هارون الرشيد ، ثم تصالح معه وصار والياً من قبله على بلاد الجبل من إيران ، وأسس مدينة كرج قرب طهران . وكتبنا عنه في القبائل العراقية ، في قبيلة عجل بن جئيم .

وكان أبو دلف شيعياً متشدداً ، وسكن بعض أولاده بغداد ، وبعضهم الحلة ، وبقي بعضهم في إيران ، وكان منهم ولاة في زمن الوثاق والمتوكل .

وقد ترجم المؤرخون لشعراء وعلماء من ذرية أبي دلف ، ومنهم ابن إدريس الحلبي الفقيه الشيعي المشهور ، ومنهم الأمير أبو نصر بن ماکولا صاحب كتاب الإكمال في تراجم الرجال . « وفيات الأعيان : ٣ / ٣٠٦ » .

وقال ابن الأثير في الكامل « ٧ / ٤٧٩ » : « ذكر الحرب بين عسكر المعتضد وأولاد أبي دلف . وفيها سار عبيد الله بن سليمان إلى عمر بن عبد العزيز بن أبي دلف بالجبل فسار عمر إليه بالإمان في شعبان ، فأذعن بالطاعة ، فخلع عليه وعلى أهل بيته » .

٢ . ٣ . شخصيتان من أولاد المنصور الدوانيقي :

١. وهما : أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن المنصور ، وعم أبيه : أبو موسى : عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور .

ونلاحظ أن محمداً يروي كثيراً عن عم أبيه عيسى ، وأن رواياته ذات أهمية خاصة ودلالات كبيرة ، فموضوعاتها علاقة الإمام الهادي عليه السلام بالنظام أو مكانة

أمير المؤمنين علي عليه السلام والعترة عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله . فهي سياسية أو عقائدية من الدرجة الأولى ، وقد تبلغ أربعين رواية .

ويروي العم عن الزبير بن بكار « دلائل الإمامة / ٤٧٥ » ويقول إنه من حواربي الإمام الهادي عليه السلام . وكان يسكن سامراء من سنة ٢٣٩ ، كما نسبه النجاشي ، وروى عنه الجوهري في سامراء ، في مقتضب الأثر / ١١ .

٢ . روى عنه الطوسي في أماليه / ٢٧٥ ، روايات عديدة ، وسنده : الفحام ، أي عمير بن يحيى الفحام ، عن المنصوري الصغير ، عن عم أبيه .

ومنها الرواية المتقدمة المليئة بالدلالة : « الفحام ، قال : حدثني المنصوري ، قال : حدثني عم أبي ، قال : دخلت يوماً على المتوكل وهو يشرب ، فدعاني إلى الشرب فقلت : يا سيدي ما شربته قط . فقال : أنت تشرب مع علي بن محمد ! فقلت له : ليس تعرف من في يدك ، إنما يضررك ولا تضره ، ولم أعد ذلك عليه .

قال : فلما كان يوماً من الأيام ، قال لي الفتح بن خاقان : قد ذكر الرجل يعني المتوكل ، خبر مال يجيء من قم ، وقد أمرني أن أرصده لأخبره به ، فقل لي : من أي طريق يجيء حتى أجتنبه ! فجئت إلى الإمام علي بن محمد عليه السلام فصادفت عنده من أحشمه فتبسم وقال لي : لا يكون إلا خيراً يا أبا موسى ، لم لم تُعد الرسالة الأوَّلَة ؟ فقلت : أجلتلك يا سيدي . فقال لي : المال يجيء الليلة وليس يصلون إليه ، فبت عندي ، فلما كان من الليل وقام إلى ورده قطع الركوع بالسلام ، وقال لي : قد جاء الرجل ومعه المال ، وقد منعه الخادم الوصول إليّ فاخرج وخذ ما معه ، فخرجت

فإذا معه الزنجيلجة فيها المال ، فأخذته ودخلت به إليه فقال : قل له : هات المخنقة التي قالت لك القميمة : إنها ذخيرة جدتها ! فخرجتُ إليه فأعطانيها فدخلت بها إليه فقال لي : قل له : الجبة التي أبدلتها منها ردها إلينا ، فخرجت إليه فقلت له ذلك ، فقال : نعم ، كانت ابنتي استحسنتها فأبدلتها بهذه الجبة ، وأنا أمضي فأجئ بها . فقال : أخرج فقل له : إن الله تعالى يحفظ مالنا وعلينا ، هاتما من كتفك ، فخرجت إلى الرجل فأخرجها من كتفه فغشي عليه ، فخرج إليه عليه السلام فقال له : قد كنتُ شاكراً فتيقنتُ !

٣. تدل الرواية على أن عيسى المذكور كان من شخصيات بني العباس ، ومن المحترمين عند المتوكل ، بحيث يدخل عليه وهو يشرب الخمر .

وكان المتوكل يعرف علاقته بالإمام عليه السلام وتشيعه له ، فدعاه ليشرب الخمر معه ، ثم استثنى وقال له أنت لا تشرب معي ، بل تشرب مع إمامك علي بن محمد ! وهذه خبائثة من المتوكل ، لأنه يعرف أن الإمام عليه السلام لا يشرب ، وقد أجابه عيسى بجواب وقال إنه لم يُعده عليه ، حتى لا يغضبه !

قال له : « ليس تعرف من في يدك إنما يضرك ولا تضره . ولم أعد ذلك عليه » .

ومعناه : أنك لا تعرف علي بن محمد عليه السلام من هو ، وإنك بحبسك إياه وكلامك عليه تضر نفسك ، ولا تضره !

٤ . يظهر أن عيسى هذا كان لا يقبل الولاية ، أو كان المتوكل لا يوليه بلداً بسبب ولائه للعلويين ! وقد ولى على المدينة ومكة عمه وابن عمه : محمد بن عيسى ، وابن عمه : علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور . « صبح الأعشى : ٤ / ٢٧١ » .

٥ . وكان عيسى عليه السلام يعيش في سامراء ، وله مخصصات من المتوكل كبقية شخصيات العباسيين ، فقد قال عليه السلام كما في أمالي الطوسي / ٢٨٥ : « قصدت الإمام عليه السلام يوماً فقلت : يا سيدي ، إن هذا الرجل قد أطرحني وقطع رزقي ومَلَّني ، وما أتهم في ذلك إلا علمه بملازمتي لك ، فإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك ، فينبغي أن تتفضل علي بمسألته . فقال : تكفى إن شاء الله .

فلما كان في الليل طرقتي رسل المتوكل ، رسولٌ يتلو رسولاً ، فجئت والفتح على الباب قائم فقال : يا رجل ، ماتأوي في منزلك بالليل ؟ كَدَّ هذا الرجل مما يطلبك ! فدخلتُ وإذا المتوكل جالس في فراشه ، فقال : يا أبا موسى نشغل عنك وتنسينا نفسك ، أيُّ شئٍ لك عندي ؟ فقلت : الصلة الفلانية ، والرزق الفلاني ، وذكرت أشياء ، فأمر لي بها وبضعفها .

فقلت للفتح : وافي عليُّ بن محمد إلى هاهنا ؟ فقال : لا . فقلت : كتب رقعة ؟ فقال : لا . فوليت منصرفاً فتبعني ، فقال لي : لست أشكُّ أنك سألته دعاءً لك ، فالتمس لي منه دعاء ! فلما دخلت إليه عليه السلام قال لي : يا أبا موسى هذا وجهُ الرضا . فقلت : ببركتك يا سيدي ، ولكن قالوا لي : إنك ما مضيت إليه ولا سألته . فقال : إن الله تعالى علم منا أننا لا نلجأ في المهمات إلا إليه ، ولا نتوكل في الملمات إلا عليه وعودنا إذا سألنا الإجابة ، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا .

قلت : إن الفتح قال لي كيت وكيت . قال : إنه يوالينا بظاهره ، ويجانبنا بباطنه ، الدعاء لمن يدعو به . إذا أخلصت في طاعة الله ، واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت ، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك .

قلت : يا سيدي فتعلمني دعاء أختص به من الأدعية . قال : هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به ، وقد سألت الله أن لا يُخيب من دعا به في مشهدي بعدي ، وهو :

يا عُدَّتِي عند العُدَد ، ويا رجائي والمعتمد ، ويا كهفي والسند ، ويا واحد يا أحد ويا قل هو الله أحد ، أسالك اللهم بحق من خلقتك من خلقك ، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً ، أن تصلي عليهم ، وتفعل بي كيت وكيت .

٦. العجيب أن الفتح بن خاقان وزير المتوكل أخبر عيسى أن المتوكل أمره أن يراقب مجيء أموال إلى الإمام عليه السلام من قم ، وطلب منه أن يخبره بطريق مجيئها ، لبيتعد عن مراقبة ذلك الطريق ! وطبيعي أن يراجع عيسى إمامه الهادي عليه السلام فراجعته ، وكان المعجز الذي حكاه عيسى عليه السلام ويظهر منه أن عيسى تعود أن يرى من الإمام عليه السلام الآيات والكرامات !

٧. كان عيسى ملازماً للإمام الهادي عليه السلام ، وقد استفاد منه أنه أَلَّفَ كتاباً مما رواه عنه ، ويروي كتابه ابن أخيه أحمد ، ولم يصل إلينا مع الأسف .

قال النجاشي في فهرس أسماء مصنفى الشيعة / ٢٩٧ : « عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور أبو موسى السر من رائى ، روى عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام . أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن داود الفحام قال : حدثنا أبو الحسن

محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى قال : حدثنا عم أبو موسى عيسى بن أحمد ، عن أبي الحسن عليه السلام بالنسخة « .

٨ . ويظهر من الرواية حسن فهم الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، فقد فهم أن الإمام الهادي عليه السلام دعا لعيسى فلين الله له قلب المتوكل ، فأوصى عيسى أن يطلب من الإمام عليه السلام أن يدعو له ، وأجاب الإمام عليه السلام عن طلبه بقوله : الدعاء لمن يدعو به . إذا أخلصت في طاعة الله ، واعترفت برسول الله صلى الله عليه وآله وبحقنا أهل البيت ، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يجرمك .

ومعناه : أن استجابة الدعاء متوقفة على نوعية الشخص الذي يدعو ، وكل مسلم يطيع الله ويوالي النبي وعترته الطاهرين عليهم السلام ، إذا دعا ، لا يجرمه الله تعالى .

وتعبيره عليه السلام عن الفتح : يوالينا بظاهره ويجانبنا بباطنه ، تعبیر دقیق ، وهو حالة أقل من العداء الصريح .

٩ . نلاحظ أن عيسى يستعمل كلمة الإمام مطلقة بدون قيد للإمام الهادي عليه السلام فيقول دخلت على الإمام ، قلت للإمام .. الخ . وهذا يدل على أنها في القرن الثالث صارت كالعلم لإمام العترة من أهل البيت عليهم السلام .

١٠ . في الختام لا بد أن نسجل تعجبنا من إهمال علماء العامة للمنصوريين ، وعدم رواياتهم عنهما ، وعدم ترجمتهما في مصادر الجرح والتعديل ، مع أنهما عباسيان من أولاد المنصور مؤسس التسنن الجديد . ولعل السبب في ذلك أن رواياتهما رحمهما الله صريحة في التشيع ، لا يحتملها حتى بعض الشيعة ، كالذي

رواه الرضي في **خصائص الأئمة** عليهم السلام / ٧٨ : « حدثني أبو محمد هارون بن موسى ، قال : حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن المنصور بن المنصور قال : حدثني أبو موسى عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور ، قال : حدثني الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر عليه السلام قال : حدثني أبي علي قال : حدثني أبي محمد قال : حدثني أبي علي ، قال : حدثني أبي موسى ، قال : حدثني أبي جعفر ، قال : حدثني أبي محمد ، قال : حدثني أبي علي ، قال : حدثني أبي الحسين بن علي ، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ، والصلاة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ، مَثَلُكُمْ فِي النَّاسِ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ فَمَنْ أَحْبَبَكُمْ يَا عَلِيُّ نَجَا ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ وَرَفَضَ مَحَبَّتَكُمْ هَوَى فِي النَّارِ .

وَمَثَلُكُمْ يَا عَلِيُّ مِثْلُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، فَمَنْ أَحْبَبَكُمْ وَوَالَاكُمْ كَانَ آمِنًا مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ أَلْقَى فِي النَّارِ . يَا عَلِيُّ : **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا** . وَمَنْ كَانَ لَهُ عَذْرٌ فَلَهُ عَذْرُهُ ، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلَهُ عَذْرُهُ ، وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا فَلَهُ عَذْرُهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْذِرُ غَنِيًّا وَلَا فَقِيرًا وَلَا مَرِيضًا وَلَا صَاحِبًا وَلَا أَعْمَى وَلَا بَصِيرًا ، فِي تَفْرِيطِهِ فِي مَوَالَاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ !

فهذا الحديث ثقيل عليهم ، لأنه يجعل ولاية علي والعترة عليهم السلام ، من أصول الدين .

٤ . خيران الأسباطي :

جعل السيد الخوئي في رجاله « ٨ / ٨٧ » خيران الأسباطي ، وخيران الخادم ، وخيران بن إسحاق الزاكاني واحداً ، وهو الظاهر . وقال : ثقةً من أصحاب الهادي عليه السلام .. وقال الكشي : وجدت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار القمي بخطه : حدثني

الحسين بن محمد بن عامر ، قال : حدثني خيران الخادم القراطيسي قال : حججت أيام أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليه السلام وسألته عن بعض الخدم ، وكانت له منزلة من أبي جعفر عليه السلام فسألته أن يوصلني إليه ، فلما صرنا إلى المدينة ، قال لي : قمياً فأني أريد أن أمضي إلى أبي جعفر عليه السلام ، فمضيت معه .. ولخيران ، هذا : مسائل يرويها عنه وعن أبي الحسن عليه السلام . أقول : بعدما ثبتت وثاقة الرجل ، فلا بد من تصديقه فيما أخبر به ، وفيه دلالة على جلالته وعظم منزلته عند الإمام عليه السلام .

وعده النجاشي / ١٥٥ ، في مصنفه الشيعة . وقال في منتهى المقال « ٣ / ١٨٩ » : « وفي الكشي ما يدل على جلالته . وفي آخره قال عليه السلام : إعمل في ذلك برأيك ، فإن رأيك رأيي ومن أطاعك أطاعني . قال أبو عمرو : هذا يدل على أنه كان وكيله » .

أقول : وذكروا لخيران ابناً بإسم الخيراني ، روى عن أبيه ، وروى عنه في الكافي « ١ / ٣٢٢ » عن الإمام الرضا ، النص على إمامة ولده الجواد عليه السلام .

٥. عبد العظيم بن عبد الله الحسيني :

١. تقدم في فصل نقض الإمام الهادي عليه السلام لعقيدة المتوكل وابن حنبل ، أن عبد العظيم الحسيني عرض دينه على الإمام عليه السلام فقال له : « يا أبا القاسم ، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده ، فاثبت عليه ، ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .

٢. قال في النور الهادي إلى أصحاب إمام الهادي عليه السلام « ١ / ١٥٤ » : « عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن المجتبي .. أبو القاسم ،

المعروف بالشاه عبد العظيم . من كبار علماء الشيعة الإمامية .. كان مؤمناً عابداً زاهداً تقياً ورعاً ، صحب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام وروى عنهما .

هرب من ظلم وجور السلطة العباسية الى بلاد فارس ، فدخل الري مستتراً وأقام بها في دار أحد الشيعة بساربانان ، ولم يزل بها مدة طويلة من دون أن يُعرف الناس بنفسه وسلالته الشريفة ، حتى توفي بها في النصف من شهر شوال سنة ٢٥٢ هـ ودفن بها ، وأصبح ضريحه من المشاهد المتبركة ومن المزارات المقدسة لدى المسلمين عامة ، والشيعة خاصة . روى عنه سهل بن زياد الأدمي ، وأحمد بن أبي عبد الله البرقي ، وعبيد الله بن موسى الروياني وغيرهم . من آثاره كتاب : خطب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكتاب : اليوم والليلة .

٣ . ورد الحث على زيارة قبره عليه السلام ، ففي جواهر الكلام « ٢٠ / ١٠٣ » : « قال الكاظم عليه السلام : من لم يقدر أن يزورنا فليزر صالحي إخوانه ، يكتب له ثواب زيارتنا ، ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالحي إخوانه يكتب له ثواب صلتنا .

وكذا يستحب زيارة عبد العظيم بالري فإنها كزيارة الحسين عليه السلام ، وقبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السلام بقم ، فإن من زارها له الجنة . وجميع قبور العلماء والصلحاء والأولياء ، وكافة إخوانه أحياءً وأمواتاً .

ولكل ذلك آداب ووظائف ، قد تكفلت بها الكتب المعدة لذلك ، والرجاء بالله تعالى شأنه أن يوفقنا بعد إتمام هذا الكتاب إلى تأليف كتاب يجمع جميع ما ورد عنهم عليهم السلام في ذلك ، والله الموفق والمؤيد والمسدد .

ولعبد العظيم الحسيني عليه السلام مشهد في الري هو أكبر معالمها ، ويقصده الشيعة للزيارة .

٤ . أهم نص في سيرة عبد العظيم عليه السلام ما قاله النجاشي / ٢٤٧ : « عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أبو القاسم . له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام قال أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله : حدثنا جعفر بن محمد أبو القاسم قال : حدثنا علي بن الحسين السعد آبادي قال : حدثنا أحمد بن محمد بن خالد البرقي قال : كان عبد العظيم ورد الري هارباً من السلطان ، وسكن سريراً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي ، فكان يعبد الله في ذلك السرب ويصوم نهاره ويقوم ليله ، وكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل قبره وبينهما الطريق ، ويقول : هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام .

فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ، ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد عليه السلام حتى عرفه أكثرهم . فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : إن رجلاً من ولدي يحمل من سكة الموالي ، ويدفن عند شجرة التفاح ، في باغ « بستان » عبد الجبار بن عبد الوهاب ، وأشار إلى المكان الذي دفن فيه ، فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها فقال له : لأي شيء تطلب الشجرة ومكانها . فأخبر بالرؤيا ، فذكر صاحب الشجرة أنه كان رأى مثل هذه الرؤيا ، وأنه قد جعل موضع الشجرة مع جميع الباغ وقفاً على الشريف والشيعة يدفنون فيه . فمرض عبد العظيم ومات عليه السلام ، فلما جرد ليغسل وجد في جيبه

رقعة فيها ذكر نسبه ، فإذا فيها : أنا أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرنا أحمد بن علي بن نوح قال : حدثنا الحسن بن حمزة بن علي قال : حدثنا علي بن الفضل قال : حدثنا عبيد الله بن موسى الروياني أبو تراب قال : حدثنا عبد العظيم بن عبد الله ، بجميع رواياته » .

٥ . لم يذكر الرواة لماذا طلبه السلطان ، ومتى قدم الى الري ، وقد ورد في رواية الشجري أن منزله كان بالري ، قال في أماليه « ١ / ١٧٧ » : « أخبرنا أبو أحمد عبيد الله بن الحسين بن إبراهيم العلوي ، قال حدثني أبي ، قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الرازي في منزله بالري ، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضي عن أبيه ... وفي رواية أخرى : حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسيني بالري » .

وهذا يدل على أنه كان يسكن الري وله بيت يقصده الناس ويحدثهم ! ومن المرجح عندي أنه اضطر للإختفاء بعد فشل ثورة أحد العلويين في الري .

ففي مقاتل الطالبين / ٤٠٦ : « لما ولي المتوكل تفرق آل أبي طالب في النواحي ، فغلب الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد على طبرستان ، ونواحي الديلم . وخرج بالري محمد بن جعفر بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين يدعوا إلى الحسن بن زيد ، فأخذه عبد الله بن طاهر فحبسه بنيسابور ، فلم يزل في حبسه حتى هلك . حدثني بذلك أحمد بن سعيد ، قال : حدثني يحيى بن الحسن وأم محمد ابن جعفر رقية بنت عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي : وكان

ممن خرج معه عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ثم خرج من بعده بالري أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، يدعو إلى الحسين بن زيد .

وخرج الكوكبي وهو الحسين بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله الأرقط بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

ولهؤلاء أخبار قد ذكرناها في الكتاب الكبير ، لم يمتثل هذا الكتاب إعادتها لطولها ، ولأننا شرطنا ذكر خبر من قتل منهم دون من خرج فلم يقتل .

وفي مقاتل الطالبين / ٤٣٤ : « وقُتل بالري : جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ، في وقعة كانت بين أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وبين عبد الله بن عزيز ، عامل محمد بن طاهر بالري . وقتل إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي . وأمه أم ولد . قتله طاهر بن عبد الله في وقعة كانت بينه وبين الكوكبي بقزوين » .

فلعل منزل عبد العظيم كان مركزاً لبعض هذه الثورات ، أو موجهاً لها ، وبعد فشل قائدها صار عبد العظيم مطلوباً للسلطة ، فاختفى عند أحد من يثق بهم من الشيعة .

٦ . ذكر بعضهم أنه لم يكن لعبد العظيم الحسيني عقب ، وذكر بعضهم له بنات ، قال ابن عنبه في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب / ٩٤ : « وأولد عبد العظيم محمد بن عبد العظيم كان زاهداً كبيراً . وانقرض محمد بن عبد العظيم ولا عقب له » .

وذكر ابن عنبه ذرية من بنته سلمة ، قال في / ٩١ : « أمهم سلمة بنت عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد » .

وذكر له العمري أخاً اسمه أحمد ، قال في المجدي في أنساب الطالبين / ٣٥ : « وأما أحمد فمن ولد السبيعي ، وهو أبو محمد القاسم وأمه أم ولد يقال لها مونس ، وأبوه الحسين نقيب الكوفة بن القاسم بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب » . والذي تحته خط هو نسب عبد العظيم .

٦ . أبوهاشم داود بن القاسم الجعفري :

قال السيد الخوئي في معجمه « ٨ / ١٢٢ » : « قال النجاشي : داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، أبوهاشم الجعفري عليه السلام : كان عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، شريف القدر ، ثقة ، روى أبوه عن أبي عبد الله عليه السلام .

وقال الشيخ : داود بن القاسم الجعفري ، يكنى أباهاشم ، من أهل بغداد ، جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة عليهم السلام ، وقد شاهد جماعة منهم : الرضا والجواد والهادي والعسكري وصاحب الأمر ، وقد روى عنهم كلهم عليهم السلام .

وله أخبار ومسائل ، وله شعر جيد فيهم ، وكان مقدماً عند السلطان ، وله كتاب أخبرنا به عدة من أصحابنا عن أبي المفضل ، عن ابن بطنة ، عن أحمد بن أبي عبد الله عنه ... روى عن أبي الحسن عليه السلام وروى عنه سهل بن زياد ، كامل الزيارات : الباب ٩٠ ، في أن الحائر من المواضع التي يحب الله أن يدعى فيها ..

وعن ربيع الشيعة أنه من السفراء والأبواب المعروفين الذين لا يختلف الشيعة القائلون بإمامة الحسن بن علي عليه السلام فيهم .

روى الكليني في الكافي ... عن داود بن القاسم الجعفري قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام ومعني ثلاث رقاع غير معنونة واشتبهت عليّ فاغتممت ، فتناول إحداها وقال : هذه رقعة زياد بن شبيب ، ثم تناول الثانية فقال : هذه رقعة فلان فبهتُ أنا ، فنظر إليّ فتبسم ، فقلت : جعلت فداك إني لمولع بأكل الطين ، فادع الله لي . فسكت ، ثم قال لي بعد ثلاثة أيام ابتداءً منه : يا أبا هاشم قد أذهب الله عنك أكل الطين . قال أبو هاشم : فما شئ أبغض إلي منه اليوم ... وكيف كان فلا إشكال في وثاقة الرجل وجلالته » .

أقول : ترجمناه في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ، وذكرنا هنا في فصل الثوار العلويين مواجهته لحاكم بغداد ابن طاهر في سنة ٢٥٠ ، عندما أراد صلب رأس الثائر يحيى بن عمر الزيدي ، فانتقده أبو هاشم وخرج مغضباً ، وهو يهددهم بانتقام الله :

يا بني طاهر كُلوهُ وبيِّا إنَّ لحمَ النبيِّ غَيْرُ مَريِّ
إن وتراً يَكُون طالبه الله لو تُرُّ بالفؤتِ غَيْرُ حَريِّ

فخاف ابن طاهر : « وأمر محمد بن عبد الله حينئذ أخته ونسوة من حرمه بالشحوص إلى خراسان ، وقال : إن هذه الرؤس من قتلى أهل هذا البيت لم تدخل بيت قوم قط إلا خرجت منه النعمة وزالت عنه الدولة ، فتجهزن للخروج » ! « مقاتل الطالبين / ٤٢٣ ، والتفصيل في الطبري : ٧ / ٤٢٥ ، ومروج الذهب « ٤ / ٦٣ » .

وكان أبوهاشم الجعفري رضي الله عنه من أصحاب الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ولم يكن خطهم الثورة كالعلوين الثائرين من الزيديين وغيرهم ، ولكنهم كانوا يتضامنون مع الثائرين إذا فشلوا أو نُكبوا ، ويدافعون عنهم .

هذا وقد ذكرنا في معجزات الإمام الهادي عليه السلام أن بيت أبي هاشم كان في بغداد وكان الإمام عليه السلام في سامراء ، فشكا إليه طول الطريق وطلب منه أن يدعو له أن يقويه على زيارته ، فقال الإمام عليه السلام : « قَوِّكَ اللهُ يَا أَبَا هَاشِمٍ وَقَوِّ بِرَدُّونَكَ . قال : فكان أبوهاشم يصلي الفجر ببغداد ويسير على البرذون ، فيدرك الزوال من يومه ذلك في عسكر سر من رأى ، ويعود من يومه إلى بغداد إذا سار على ذلك البرذون ، وكان هذا من أعجب الدلائل التي شوهدت » .

أقول : المسافة من بغداد إلى سامراء مئة وعشرون كيلو متراً ، فهي تحتاج إلى نحو عشر ساعات على البغل السريع . وكان أبو هاشم بعد دعاء الإمام عليه السلام يقطعها في نحو خمس ساعات . وهذا ليس غريباً على دعاء الإمام عليه السلام وليس غريباً أن تطوى الأرض بدعائه عليه السلام !

وفي مستدرك سفينة البحار « ٥ / ٢٢٨ » أن أبا هاشم الجعفري توفي سنة ٢٦١ ، بعد أن تشرف برؤية الإمام المهدي صلوات الله عليه .

٧. العالم اللغوي يعقوب بن السكيت :

كان من أصحاب الإمام الكاظم الرضا والجواد والهادي عليهم السلام وترجمنا له في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ونكتفي هنا ببعض النصوص :

قال أبو الفدا في تاريخه « ٢ / ٤٠ » : « وفيها « سنة ٢٤٥ » قتل المتوكل أبا يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ، صاحب كتاب إصلاح المنطق في اللغة

وغيره ، وكان إماماً في اللغة والأدب ، قتله المتوكل لأنه قال له : أيُّ أحب إليك :
ابناي المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين ؟ فغض ابن السكيت من ابنه وذكر عن
الحسن والحسين ما هما أهلهم ، فأمر مماليكه فداسوا بطنه ، فحمل إلى داره فمات
بعد غد ذلك اليوم . وقيل إن المتوكل لما سأل ابن السكيت عن ولديه وعن
الحسن والحسين قال له ابن السكيت : والله إن قنبراً خادماً علي خير منك ومن
ولديك ! فقال المتوكل : سُئِلوا لسانه من قفاه ، ففعلوا به ذلك فمات لساعته ، في
رجب في هذه السنة المذكورة ، وكان عمره ثمانياً وخمسين سنة . » .

ولا يصح قوله عن عمر ابن السكيت ، لأنه كان شاباً سنة ١٨٣ ، عند شهادة الإمام
الكاظم عليه السلام فلا بد أن يكون عمره عندما قتل في السبعينات أو الثمانينات .

وقد أجمع المؤرخون على ذم المتوكل العباسي لقتله هذا العالم ظلماً ، وبغضاً لعلي
وأهل البيت عليهم السلام . وترجموا لابن السكيت ومدحوه ، وذكروا أن مؤلفاته بلغت
نحو ثلاثين مؤلفاً ، والذي وصلنا منها كتاب إصلاح المنطق فقط . راجع : مقدمة
المعارف لابن قتيبة ، ووفيات الأعيان : ٦ / ٣٩٥ ، والنجوم الزاهرة ٢ / ٢٨٥ . وغيرها من المصادر .

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب : ٢ / ١٠٦ : « فأمر بسلّ لسانه من قفاه
رحمه الله ورضي عنه ، ويقال أنه حمل ديتته إلى أولاده » !

وقال النجاشي في رجاله / ٤٤٩ : « يعقوب بن إسحاق السكيت ، أبو يوسف كان
متقدماً عند أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليهما السلام ، وله عن أبي جعفر رواية ومسائل ، وقتله
المتوكل لأجل التشيع ، وأمره مشهور ، وكان وجهاً في علم العربية واللغة ثقة صدوقاً
لا يطعن عليه » .

٨. عبد الله بن جعفر الحميري :

اتفق علماؤنا على توثيقه ، وأشهر مؤلفاته قرب الإسناد ، وأشهر مروياته التواقيع عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ووثقه الطوسي في الفهرست / ١٦٨ ، وابن شهرآشوب في معالم العلماء / ١٠٨ ، وذكر بعض كتبه .

وقال النجاشي في الرجال / ٢٢٠ : « عبد الله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري .. شيخ القميين ووجههم ، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين ، وسمع أهلها منه فأكثرها ، وصنف كتباً كثيرة ، يعرف منها : كتاب الإمامة ، كتاب الدلائل ، كتاب العظمة والتوحيد ، كتاب الغيبة والحيرة ، كتاب فضل العرب ، كتاب التوحيد والبداء ، والإرادة والاستطاعة والمعرفة ، كتاب قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام ، وكتاب قرب الإسناد إلى أبي جعفر الجواد بن الرضا عليه السلام ، وكتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم ، والقياس ، والأرواح ، والجنة والنار ، وكتاب الحديثين المختلفين ، ومسائل الرجال ومكاتبتهم أبا الحسن الثالث عليه السلام ، ومسائل لأبي محمد الحسن عليه السلام على يد محمد بن عثمان العمري ، وكتاب قرب الإسناد إلى صاحب الأمر عليه السلام ، ومسائل أبي محمد وتوقيعاته ، وكتاب الطب » .

قال الشبستري في أصحاب الإمام الهادي عليه السلام / ١٥٧ : « محدث إمامي ثقة ، مشارك في كثير من العلوم ، وله فيها تآليف نافعة ، كان من وجوه أهل قم وشيوخهم ، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين . صحب الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام » .

جاء إسمه في ٧٥ مورداً في أسناد الروايات . روى عنه أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، ومحمد بن علي بن محبوب ، ومحمد بن الحسن بن الوليد وغيرهم .

وللحميري أولاد وأحفاد ، ساروا على خطه عليه السلام .

٩ . الفضل بن شاذان :

يوجد عدة أشخاص باسم الفضل بن شاذان ، بعضهم جده جبرئيل ، أو عيسى ، أو صيفي .. الخ . ومقصودنا الذي جده الخليل الفراهيدي عليه السلام .

قال الزركلي في الأعلام « ١٤٩ / ٥ » : « الفضل بن شاذان بن الخليل ، أبو محمد الأزدي النيسابوري : عالمٌ بالكلام ، من فقهاء الإمامية . له نحو ١٨٠ كتاباً ، منها الرد على ابن كرام ، والإيمان ، ومحنة الإسلام ، والرد على الداغنة الثنوية ، والرد على الغلاة ، والتوحيد ، والرد على الباطنية والقرامطة » .

وفي معالم العلماء / ١٢٥ : « لقي علي بن محمد التقي عليه السلام . دخل الفضل على أبي محمد عليه السلام فلما أراد أن يخرج سقط منه كتاب من تصنيفه ، فتناوله أبو محمد عليه السلام ونظر فيه ، وترحم عليه ، وذكر أنه قال : أغبط أهل خراسان مكان الفضل بن شاذان ، وكونه بين أظهرهم » .

وقال الكشي « ٨١٨ / ٢ » : « ذكر أبو الحسن محمد بن إسماعيل البندقي النيسابوري : أن الفضل بن شاذان بن الخليل ، نفاه عبد الله بن طاهر عن نيسابور ، بعد أن دعا به واستعلم كتبه وأمره أن يكتبها ، قال فكتب تحتها : الإسلام الشهادتان وما يتلوهما . فذكر أنه يجب أن يقف على قوله في السلف . فقال أبو محمد : أتولى أبا بكر وأتبرؤ

من عمر ! فقال له : ولم تتبرأ من عمر ؟ فقال : لإخراجه العباس من الشورى .
فتخلص منه بذلك » .

وفي معجم السيد الخوئي « ١٤ / ٣١١ » : « سمعت الفضل بن شاذان آخر عهدي به يقول : أنا خلف لمن مضى ، أدركت محمد بن أبي عمير ، وصفوان بن يحيى وغيرهما ، وحملت عنهم منذ خمسين سنة . ومضى هشام بن الحكم عليه السلام ، وكان يونس بن عبد الرحمن عليه السلام خلفه ، كان يرد على المخالفين ، ثم مضى يونس بن عبد الرحمان ولم يخلف خلفاً غير السكاك ، فرد على المخالفين حتى مضى عليه السلام ، وأنا خلف لهم من بعدهم ، رحمهم الله ... »

قال أبو علي : والفضل بن شاذان كان يرستاق بيهق ، فورد خبر الخوارج فهرب منهم ، فأصابه التعب من خشونة السفر ، فاعتل ومات منه ، فصليت عليه » .

وقال الجلالى في فهرس التراث « ١ / ٢٨١ » : « زرت مرقده الشريف خارج مدينة نيشابور ، على مقربة من قبر خيَّام ، وله سورٌ ولوخٌ فيه اسمه ، وتبركت بقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة ، وقد قصدت مرقده لثواب الآخرة ، والناس يقصدون خيَّام للدنيا ! وما أقربهما مرقداً وأبعدهما روحاً ! »

من آثاره : إثبات الرجعة : نسخة محفوظة في مكتبة السيد الحكيم عليه السلام في النجف وعليها بخط الحر العاملي » .

أقول : ذكر في الذريعة نسخ كتبه . وأعجبها كتابه الرجعة والغيبة ، فقد ألفه قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام من أحاديث أجداده عن غيبته وظهوره والرجعة بعده !

١٠ . أحمد بن إسحاق الأشعري :

قال الشيخ الطوسي في الفهرست / ٧٠ : « أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص ، الأشعري ، أبو علي ، كبير القدر ، وكان من خواص أبي محمد عليه السلام ، ورأى صاحب الزمان عليه السلام وهو شيخ القميين ووافدهم .

وله كتب ، منها كتاب علل الصلاة ، كبير ، ومسائل الرجال لأبي الحسن الثالث عليه السلام . أخبرنا بهما الحسين بن عبيد الله ، وابن أبي جيد ، عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن سعد بن عبد الله ، عنه . » .

أقول : هاجر جده الأحوص مع أخيه عبد الله ، وجماعة من عشيرتهم من الكوفة في زمن الإمام زين العابدين عليه السلام ، وأسسوا قماً ، وسرعان ما صارت مركزاً علمياً ، وحاضرة موالية لأهل البيت عليهم السلام . وقد مدح الأئمة عليهم السلام الأشعريين القميين ، ونبغ منهم رواة كبار وعلماء أبرار .

وعده النجاشي وأباه في مصنف الشيعة ، قال / ٧٣ و ٩١ : « إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري ، قمي ثقة ، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليه السلام . وابنه أحمد بن إسحاق مشهور .. وكان وافد القميين ، وروى عن أبي جعفر الثاني وأبي الحسن عليه السلام وكان خاصة أبي محمد عليه السلام . » .

قال السيد الخوئي في رجاله « ٢ / ٥٤ ، و ٤٨ » : « أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد = أحمد بن إسحاق بن سعد = أحمد بن إسحاق القمي .

عده الشيخ في أصحاب الجواد عليه السلام ، وفي أصحاب أبي محمد العسكري عليه السلام قائلاً : أحمد بن إسحاق بن سعد الأشعري ، قمي ثقة .

وقع بهذا العنوان ، في إسناد عدة من الروايات ، تبلغ سبعة وستين مورداً ، فقد روى عن أبي الحسن ، وأبي الحسن الثالث ، وأبي محمد عليه السلام ، وأبي هاشم الجعفري ، وبكر بن محمد الأزدي ، وسعدان بن مسلم ، وسعدان عبد الرحمان ، وياسر الخادم . وروى عنه : أبو علي الأشعري ، وأحمد بن إدريس ، وأحمد بن علي ، وأحمد بن محمد بن عيسى ، والحسين بن محمد الأشعري ، وعبد الله بن عامر .. » .

في الغيبة للطوسي / ٣٥٤ : « أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال : دخلت على أبي الحسن علي بن محمد صلوات الله عليه في يوم من الأيام فقلت : يا سيدي أنا أغيب وأشهد ، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت ، فقول من نقبل ، وأمر من نمتل ؟ فقال لي صلوات الله عليه : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه . فلما مضى أبو الحسن عليه السلام وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري عليه السلام ذات يوم فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه ، فقال لي : هذا أبو عمرو الثقة الأمين ، ثقة الماضي وثقتي في الحيا والممات فما قاله لكم فعني يقوله ، وما أدى إليكم فعني يؤديه .

قال أبو محمد هارون : قال أبو علي : قال أبو العباس الحميري : فكنا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ، ونتواصف جلاله محل أبي عمرو » .

وروى الكشي « ٢ / ٨٣١ » : « كتب محمد بن أحمد بن الصلت القمي الآبي أبو علي إلى الدار كتاباً ذكر فيه قصة أحمد بن إسحاق القمي وصحته ، وأنه يريد الحج واحتاج إلى ألف دينار ، فإن رأى سيدي أن يأمر باقراضه إياه ، ويُسترجع منه في البلد إذا انصرفنا فافعل . فوقع **عليه السلام** : هي له منا صلة ، وإذا رجع فله عندنا سواها ، وكان أحمد لضعفه لا يطمع نفسه في أن يبلغ الكوفة ، وفي هذه من الدلالة » . أي دلالة على أنه يرجع من الحج سالماً ، وكان تقدم به العمر رحمه الله .

وفي دلائل الإمامة / ٥٠٣ : « وكان أحمد بن إسحاق القمي الأشعري رضي الله عنه الشيخ الصدوق ، وكيل أبي محمد عليه السلام ، فلما مضى أبو محمد عليه السلام إلى كرامة الله عز وجل أقام على وكالته مع مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه ، تخرج إليه توقيعاته ، ويحمل إليه الأموال من سائر النواحي التي فيها موالينا فيتسلمها ، إلى أن استأذن في المصير إلى قم فخرج الإذن بالمضي ، وذكر أنه لا يبلغ إلى قم ، وأنه يمرض ويموت في الطريق ، فمرض بجلوان ومات ودفن بها ، رضي الله عنه » .

وقال الكشي « ٢ / ٨٣١ » : « كتب أبو عبد الله البلخي إليّ يذكر عن الحسين بن روح القمي أن أحمد بن إسحاق كتب إليه يستأذنه في الحج : فأذن له ، وبعث إليه بثوب فقال أحمد بن إسحاق : نعى إلي نفسي ، فانصرف من الحج فمات بجلوان .

أحمد بن إسحاق بن سعد القمي عاش بعد وفاة أبي محمد عليه السلام ، وأتيت بهذا الخبر ليكون أصح لصلاحه وما ختم له به » .

أقول : روى أحمد بن إسحاق الأشعري رحمته الله عن الإمام الرضا عليه السلام وتوفي بعد الإمام العسكري عليه السلام ، ورأى من الأئمة خمسة : الرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام . وأكبر دوره رحمته الله مع الإمام العسكري والمهدي عليهم السلام ، فستأتي ترجمته هناك .

* *

شهادة الإمام الهادي عليه السلام

شهادته عليه السلام بيد المعتز وليس المعتمد

كانت شهادة الإمام الهادي عليه السلام بيد الخليفة العباسي المعتز . وقد نسبت رواية سُئِمَ إلى المعتمد ، ولعل ذلك بسبب أن المعتمد نَقَّدَ أمر أخيه المعتز ، أو جاء إسمه تصحيفاً . والمعتز هو الزبير بن المتوكل ، ويعرف بابن قبيحة . والمعتمد أخوه أحمد بن المتوكل ، ويعرف بابن فتيان ، إسم أمه أيضاً .

قال المسعودي في مروج الذهب « ٨٤ / ٤ » : « كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد في خلافة المعتز بالله ، وذلك في يوم الإثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ، وهو ابن أربعين سنة ، وقيل ابن اثنتين وأربعين سنة ، وقيل أكثر من ذلك ، وسمع في جنازته جارية تقول : ما ذا لقينا في يوم الإثنين قديماً وحديثاً ! وصلى عليه أحمد بن المتوكل « المعتمد » على الله ، في شارع أبي أحمد ، وفي داره بسامرا ، ودفن هناك » .

وفي تاريخ يعقوبي « ٥٠٠ / ٢ » : « وتوفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، بسر من رأى ، يوم الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ ، وبعث المعتز بأخيه أحمد بن المتوكل ، فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد ، فلما كثر الناس واجتمعوا كثر

بكاؤهم وضجتهم ، فرُدَّ النعشُ إلى داره فدفن فيها ، وسنة أربعون سنة ، وخلفَ من الولد الذكور اثنين : الحسن ، وجعفر .

وفي دلائل الإمامة / ٤٠٩ : « كانت سنُّ إمامته بقية ملك الواثق ، ثم ملك المتوكل ، ثم أحمد المستعين ، ثم ملك المعتز ، وفي آخر ملكه استشهد ولي الله ، وقد كمل عمره أربعون سنة ، وذلك في يوم الإثنين لثلاث خلون من رجب سنة خمسين ومائتين من الهجرة ، ويقال إنه قبض الإثنين لثلاث خلون من شهر رجب سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة . ويقال يوم الإثنين لخمس ليال خلون من جمادى سنة أربع وخمسين ومائتين . ودفن بسر من رأى في داره . »

وفي إعلام الوري « ١٠٩ / ٢ » : « وكانت في أيام إمامته عليه السلام بقية ملك المعتصم ، ثم ملك الواثق خمس سنين وسبعة أشهر ، ثم ملك المتوكل أربع عشرة سنة ، ثم ملك ابنه المنتصر ستة أشهر ، ثم ملك المستعين وهو أحمد بن محمد بن المعتصم ، سنتين وتسعة أشهر ، ثم ملك المعتز وهو الزبير بن المتوكل ثماني سنين وستة أشهر وفي آخر ملكه استشهد ولي الله علي بن محمد عليه السلام ودفن في داره بسر من رأى . »

وقال ابن الجوزي في تذكرة الخواص « ٣٢٤ / ١ » : « وكان سنه يوم مات أربعين سنة . وكانت وفاته في أيام المعتز بالله ، ودفن بسر من رأى ، وقيل إنه مات مسموماً . »

وقال الخطيب في تاريخ بغداد « ٥٦ / ١٢ » : « أشخصه جعفر المتوكل على الله من مدينة رسول الله صلوات الله عليه وآله إلى بغداد ، ثم إلى سر من رأى ، فقدمها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر ، إلى أن توفي ودفن بها في أيام المعتز بالله . »

وقال ابن شهر آشوب « ٣ / ٥٠٥ » : « وألقابه : النجيب ، المرتضى ، الهادي ، النقي ، العالم ، الفقيه ، الأمين ، المؤمن ، الطيب ، المتوكل ، العسكري .

ويقال له : أبو الحسن الثالث ، والفقيه العسكري . وكان أطيّب الناس بهجة ، وأصدقهم لهجة ، وأملحهم من قريب ، وأكملهم من بعيد ، إذا صمت علتة هيبة الوقار ، وإذا تكلم سماه البهاء ، وهومن بيت الرسالة والإمامة ، ومقر الوصية والخلافة ، شعبة من دوحه النبوة منتضاه مرتضاه . وثمره من شجرة الرسالة مجتناه مجتناه . ولد بصرياء من المدينة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين .. وقبض بسر من رأى الثالث من رجب سنة أربع وخمسين ومائتين .. وليس عنده إلا ابنه أبو محمد ، وله يومئذ أربعون سنة ، وقيل واحد وأربعون وسبعة أشهر . ومدة مقامه بسر من رأى عشرون سنة ، وتوفي فيها . وقبره في داره . وكان في سني إمامته بقية ملك المعتصم ، ثم الواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتز . وفي آخر ملك المعتز استشهد مسموماً ..

وأولاده : الحسن الإمام ، والحسين ، ومحمد ، وجعفر الكذاب ، وابنته عليّة .
 بوابه : محمد بن عثمان العمري . ومن ثقاته : أحمد بن حمزة بن اليسع ، وصالح بن محمد الهمداني ، ومحمد بن جزك الجمال ، ويعقوب بن يزيد الكاتب ، وأبوالحسين بن هلال ، وإبراهيم بن إسحاق ، وخيران الخادم ، والنضر بن محمد الهمداني .
 ومن وكلائه : جعفر بن سهيل الصيقل . ومن أصحابه : داود بن زيد ، وأبوسليم زنكان ، والحسين بن محمد المدائني ، وأحمد بن إسماعيل بن يقطين ، وبشر بن

بشار النيسابوري الشاذاني ، وسليمان بن جعفر المروزي ، والفتح بن يزيد الجرجاني ، ومحمد بن سعيد بن كلثوم وكان متكلماً ، ومعاوية بن حكيم الكوفي ، وعلي بن معد بن محمد البغدادي ، وأبوالحسن بن رجا العبرثائي .

ورواة النص عليه جماعة منهم : إسماعيل بن مهرا ، وأبوجعفر الأشعري ، والخيراني . والدليل على إمامته : إجماع الإمامية على ذلك ، وطريق النصوص والعصمة ، والطريقان المختلفان من العامة والخاصة ، من نص النبي صلى الله عليه وآله على إمامة الاثني عشر ، وطريق الشيعة النصوص على إمامته عن آبائه عليهم السلام .

مراسم جنازة الإمام عليه السلام

في الهداية الكبرى / ٢٤٨ : « الحسين بن حمدان قال : حدثني أبوالحسين بن يحيى الخرقى ، وأبومحمد جعفر بن إسماعيل الحسيني ، والعباس بن أحمد ، وأحمد بن سندولا ، وأحمد بن صالح ، ومحمد بن منصور الخراساني ، والحسن بن مسعود الفزاري ، وعيسى بن مهدي الجوهري الجنبلائي ، والحسين بن غياث الجنبلائي ، وأحمد بن حسان العجلي الفزاري ، وعبد الحميد بن محمد السراج ، جميعاً في مجالس شتى : أنهم حضروا وقت وفاة أبي الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق صلوات الله عليهم ، والصلاة بسر من رأى ، فإن السلطان لما عرف خبر وفاته أمر سائر أهل المدينة بالركوب إلى جنازته ، وأن يحمل إلى دار السلطان حتى يصلي عليه ، وحضرت الشيعة وتكلموا وقال علماءهم : اليوم يبين فضل سيدنا أبي محمد الحسن بن علي بن علي أخيه جعفر ، ونرى خروجهما مع

النعش . قالوا جميعاً : فلما خرج النعش وعليه أبو الحسن ، خرج أبو محمد حافي القدم مكشوف الرأس ، محلل الإزار خلف النعش ، مشقوق الجيب مُخَضَّلٌ اللحية بدموع على عينيه ، يمشي راجلاً خلف النعش ، مرةً عن يمين النعش ومرةً عن شمال النعش ، ولا يتقدم النعش .

وخرج جعفر أخوه خلف النعش بدراريع يسحب ذيولها ، معتمٌ محبتكُ الإزار ، طلق الوجه ، على حمار يماني ، يتقدم النعش . فلما نظر إليه أهل الدولة وكبراء الناس والشيعه ، ورأوا زي أبي محمد وفعله ، ترجل الناس وخلعوا أخفافهم ، وكشفوا عمائمهم ، ومنهم من شق جيبيه ، وحل إزاره ، ولم يمش بالخفاف من الأمراء وأولياء السلطان أحد ، فأكثروا اللعن والسب لجعفر الكذاب ، وركوبه وخلافه على أخيه ...

لما تلا النعش إلى دار السلطان سبق بالخبر إليه ، فأمر بأن يوضع على ساحة الدار على مصطبة عالية كانت على باب الديوان ، وأمر أحمد بن فتيان وهو المعتمد بالخروج إليه والصلاة عليه ، وأقام السلطان في داره للصلاة عليه إلى صلاة العامة ، وأمر السلطان بالإعلان والتكبير ، وخرج المعتمد بخف وعمامة ودراريع فصلى عليه خمس تكبيرات ، وصلى السلطان بصلاتهم ..

وبقي الإمام أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ثلاثة أيام مردود الأبواب ، يُسمع من داره القراءة والتسبيح والبكاء ، ولا يؤكل في الدار إلا خبز الخشكار والملح ، ويشرب الشربات . وجعفر بغير هذه الصفة ، ويفعل ما يقبح ذكره من الأفعال .

قالوا جميعاً : وسمعنا الناس يقولون : هكذا كنا نحن جميعاً نعلم ما عند سيدنا أبي محمد الحسن من شق جيبه . قالوا جميعاً : فخرج توقيع منه عليه السلام في اليوم الرابع من المصيبة . بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فممن شق جيبه على الذرية : يعقوب على يوسف حزناً . قال : يا أسفي على يوسف ، فإنه قد جيبه فشقه » .

وفي الهداية الكبرى / ٣٨٣ : « حدثني أبو الحسن علي بن بلال وجماعة من إخواننا : أنه لما كان في اليوم الرابع من زيارة سيدنا أبي الحسن عليه السلام أمر المعتز بأن ينفذ إلى أبي محمد من يستركبه إلى المعتز ليعزيه ويسليه ، فركب أبو محمد إلى المعتز ، فلما دخل عليه رحب به وعزاه وأمر فرتب بمرتبة أبيه عليه السلام وأثبت له رزقه وزاد فيه ، فكان الذي يراه لا يشك إلا أنه في صورة أبيه عليه السلام ، واجتمعت الشيعة كلها من المهتدين على أبي محمد بعد أبيه ، إلا أصحاب فارس بن ماهويه ، فإنهم قالوا بإمامة جعفر بن علي العسكري عليه السلام » .

وفي إثبات الوصية للمسعودي « ١ / ٢٤٢ » : « واعتل أبو الحسن علقته التي مضى فيها صلى الله عليه في سنة أربع وخمسين ومائتين ، فأحضر أبا محمد ابنه عليه السلام فسلم إليه النور والحكمة وموارث الأنبياء عليهم السلام والسلاح ، وأوصى إليه ، ومضى صلى الله عليه ، وسنة أربعون سنة .

وكان مولده في رجب سنة أربع عشرة ومائتين من الهجرة ، فأقام مع أبيه عليه السلام نحو سبع سنين ، وأقام منفرداً بالإمامة ثلاث وثلاثين سنة وشهوراً .

وحدثنا جماعة كل واحد منهم يحكي أنه دخل الدار ، وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبين والعباسيين ، واجتمع خلق من الشيعة ، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد عليه السلام ولا عرف خبره إلا الثقات الذين نص أبو الحسن عندهم عليه ، فحكوا أنهم كانوا في مصيبة وحيرة ، فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادمٌ فصاح بخادم آخر : يا رِيَّاشُ خذ هذه الرقعة وامض بها الى دار أمير المؤمنين وأعطها الى فلان وقل له : هذه رقعة الحسن بن علي . فاستشرف الناس لذلك ، ثم فتح من صدر الرواق بابٌ وخرج خادمٌ أسود ، ثم خرج بعده أبو محمد عليه السلام حاسراً مكشوف الرأس ، مشقوق الثياب ، وعليه مبطنة بيضاء ، وكان وجهه وجه أبيه عليه السلام لا يخطئ منه شيئاً ، وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاية العهد ، فلم يبق أحد إلا قام على رجله ، ووثب إليه أبو محمد الموفق فقصده أبو محمد عليه السلام فعانقه ثم قال له : مرحباً بابن العم . وجلس بين بابي الرواق ، والناس كلهم بين يديه .

وكانت الدار كالسوق بالأحاديث ، فلما خرج وجلس أمسك الناس ، فما كنا نسمع شيئاً إلا العطسة والسعلة ، وخرجت جارية تندب أبا الحسن عليه السلام فقال أبو محمد : ما هاهنا من يكفي مؤونة هذه الجاهلة ؟ فبادر الشيعة إليها ، فدخلت الدار ، ثم خرج خادم فوقف بجذاء أبي محمد عليه السلام فنهض صلى الله عليه وأخرجت الجنازة ، وخرج يمشي حتى أخرج بها الى الشارع الذي بازاء دار

موسى بن بقا ، وقد كان أبو محمد صلى عليه قبل أن يخرج الى الناس ، وصلى عليه لما أخرج المعتمد ، ثم دفن في دار من دوره .

واشتد الحر على أبي محمد عليه السلام وضغطة الناس في طريقه ومنصرفه من الشارع بعد الصلاة عليه ، فصار في طريقه الى دكان يقال رآه مرشوشاً « مصطبة » فسلم واستأذنه في الجلوس فأذن له وجلس ، ووقف الناس حوله . فبينما نحن كذلك إذ أتاه شابٌ حسن الوجه نظيف الكسوة ، على بغلة شهباء على سرج ببردون أبيض ، قد نزل عنه فسأله أن يركبه ، فركب حتى أتى الدار ونزل .

وخرج في تلك العشية الى الناس ، ما كان يُخْرِمُ عن أبي الحسن عليه السلام حتى لم يفقدوا منه إلا الشخص . وتكلمت الشيعة في شق ثيابه وقال بعضهم : هل رأيتم أحداً من الأئمة شق ثوبه في مثل هذه الحال ؟ فوقَّعَ الى من قال ذلك : يا أحمق ما يدريك ما هذا ، قد شق موسى على هرون . وقام أبو محمد الحسن بن علي مقام أبيه عليه السلام .

ملاحظات على شهادة الإمام عليه السلام ومراسم جنازته

١ . شاء الله عز وجل أن يحفظ الإمام الهادي عليه السلام من المتوكل ، وأفشل محاولاته لقتل الإمام عليه السلام . وأن يُقَرَّ عين وليه الإمام الهادي عليه السلام فيريه نهاية عدوه المتوكل فسلط عليه غلمانه الأتراك ، فقتلوه وهو سكران ذاهب العقل !

كما شاء عز وجل أن تكون شهادة الإمام عليه السلام بيد المعتز ، وهو الزبير بن المتوكل وكانت أمه جميلة جداً فسامها المتوكل قبيحة لإبعاد الحسد عنها ، وقد جمعت ثروة طائلة لكنها بخلت أن تنقذ ابنها من القتل ! وقد صح الحديث بأنه لا يقتل

الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إلا أولاد الحرام ، فقد سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى : **وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ** .. فقيل له : من كان يمنعه ؟ قال : منعه أنه كان لرشدة ، لأن الأنبياء والحجج لا يقتلهم إلا أولاد زنا ! « كامل الزيارات / ١٦٣ » .

٢. كانت شهادة الإمام عليه السلام بعد حرب استمرت سنة بين سامراء وبغداد ، من محرم ٢٥١ الى ٢٥٢ ، بين خليفتين هما : المعتز والمستعين « الطبري : ٧ / ٤٤٥ » وحكم المعتز بعدها نحو ثلاث سنين الى سنة ٢٥٥ ، وأقدم على قتل الإمام عليه السلام في رجب في سنة ٢٥٤ ، ثم ثار عليه الأتراك وقتلوه في السنة التالية ٢٥٥ ، ونصبوا المهدي .

فمن هو المستفيد من قتل الإمام الهادي عليه السلام ، ومن الذي خطط لقتله ؟

الأمر المرجح أن المخطط والمنفذ هو المعتز ، فقد قتل المستعين مع أنه خلع نفسه وبايعه ، ولعله كان يخاف من تفاقم الثورات العلوية ، وأن يرفع ثائر منها إسم الإمام عليه السلام فينجذب الناس الى بيعته ويباعوه !

٣. أمر المعتز أخاه المعتمد أن يقيم للإمام عليه السلام تشييعاً كبيراً ، وأن تحمل جنازته الى دار الخلافة ليصلي عليها ، قال في الهداية / ٢٤٨ : « فإن السلطان لما عرف خبر وفاته ، أمر سائر أهل المدينة بالركوب إلى جنازته ، وأن يُجمل إلى دار السلطان حتى يصلي عليه » . فصلوا عليه في دار الخليفة ، ثم صلوا عليه في شارع كبير ، ثم صلوا عليه في داره ودفنوه حيث أوصى . « مروج الذهب : ٤ / ٨٤ ، واليعقوبي : ٢ / ٥٠٠ » .

٤. كانت سياسة السلطة القرشية دائماً المبالغة في تشييع الإمام من العترة الطاهرة عليهم السلام ، ولهم في ذلك أغراض ، أولها أن يبعدوا عن أنفسهم جريمة قتله !

بل كانوا يحرصون على الكشف الطبي على جنازته ، وإشهاد كبار القضاة والشهود بأن بدنه سالمٌ وأنه مات حتف أنفه ! حتى لا يطالب بنو هاشم بدمه .

واستعملوا هذا الأسلوب مع خلفائهم الذين قتلوهم ، فكانوا يقتلون الخليفة بالتعذيب أو عصر خصيتيه ، ثم يأتون بالشهود فيشهدون أنه مات حتف أنفه !

قال في معالم الخلافة « ٣ / ٣٧١ » : « لما ولي المعتز لم يمض إلا مدة حتى أحضر الناس وأخرج المؤيد فقيل : إشهدوا أنه دعي فأجاب وليس به أثر !

ثم مضت أشهر فأحضر الناس وأخرج المستعين ، فقال : إن منيته أتت عليه وها هو لا أثر فيه ، فأشهدوا !

ثم مضت مُدَيِّدَةً واستخلف المهتدي فأخرج المعتز ميتاً وقيل : إشهدوا أنه قد مات حتف أنفه ولا أثر به ! ثم لم تكمل السنة حتى استخلف المعتمد فأخرج المهتدي ميتاً وقيل : إشهدوا أنه قد مات حتف أنفه من جراحته » !

لكنهم كانوا يسلمون جنازة الخليفة الى أقاربه ، ولا يهتمون بالصلاة عليه وتشيعه ، لأنه ليس له جماهير محبة كالإمام عليه السلام ليكسبها لخليفة الجديد بذلك !

٥ . يتضح من أخبار تشييع الإمام عليه السلام ودفنه ، أنهم كانوا يهتمون بالتشييع والصلاة على الجنازة والدفن . وفي اليوم الثاني يجلس أهل الميت لقبول التعزية . ففي الهداية / ٢٤٩ : « وبقي الإمام أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام ثلاثة أيام مردود الأبواب ، يُسمع من داره القراءة والتسبيح والبكاء ، ولا يؤكل في الدار إلا خبز الخشكار والملح .. قالوا جميعاً : فخرج توقيع منه عليه السلام في اليوم الرابع من المصيبة .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فممن شق جيبه على الذرية : يعقوب على يوسف حزناً . قال : يا أسفي على يوسف ، فإنه قدَّ جيبه فشقه » .

٦ . اشترى النبي وعترته الطاهرون صلوات الله عليهم ، محال قبورهم الشريفة على سنة أبيهم إبراهيم عليه السلام ، فقد نصت التوراة ومصادرها على أنه اشترى مكان قبره في الخليل من عفرون الحثي ، وكان مزرعة فيها الغار الذي دفن فيه هو وأسرته عليهم السلام . واشترى النبي صلى الله عليه وآله مكان مسجدة وبيوته وقبره الشريف ، عندما بركت قبره الناقة : « وسأل عن المرید فأخبر أنه لسهل وسهيل يتيمين لمعاذ بن عفراء ، فأرضاهما معاذ » . « مناقب آل أبي طالب : ١ / ١٦٠ » .

واشترى الإمام الهادي عليه السلام داره في سامراء ، ثم اشترى دوراً ضمها إليها .

قال في تاريخ بغداد « ١٢ / ٥٧ » : « وفي هذه السنة ، يعني سنة أربع وخمسين ومائتين ، توفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بسر من رأى ، في داره التي ابتاعها من دليل بن يعقوب النصراني » .

وفي إثبات الوصية للمسعودي « ١ / ٢٤٣ » : « وقد كان أبو محمد صلى عليه قبل أن يخرج الى الناس ، وصلى عليه لما أخرجه المعتمد ، ثم دفن في دار من دوره » .

فهو يدل على أنها كانت دوراً متعددة متصلة ببعضها ، وتدل عليه نصوص كثيرة وصفت دار أبي الحسن الهادي وأبي محمد العسكري عليهما السلام .

منها ما رواه في الإرشاد « ٢ / ٣١٧ » يصف ساحة إحداها ولعلها الدار الأساسية : « عن سعد بن عبد الله عن جماعة من بني هاشم منهم الحسن بن الحسين الأفتس

أنهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد دار أبي الحسن عليه السلام وقد بسط له في صحن داره والناس جلوس حوله ، فقالوا قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني العباس وقريش مائة وخمسون رجلاً سوى مواليه وسائر الناس .

ومنها قول الخادم كما في الكافي « ١ / ٣٢٩ » : « وكنت أدخل عليهم من غير إذن إذا كان في دار الرجال ، قال : فدخلت عليه يوماً وهو في دار الرجال » .

شاعران من أصحاب الإمام عليه السلام رثياه

أبو الغوث المنبجي الطهوي :

قال ابن عياش الجوهري في مقتضب الأثر / ٥٠ : « وأنشدني أبو منصور عبد المنعم بن النعمان العبادي قال : أنشدني الحسن بن مسلم الوهبي أن أبا الغوث الطهوي المنبجي شاعر آل محمد ﷺ أنشده بعسكر سر من رأى . قال الوهبي : وإسم أبي الغوث أسلم بن مهوز من أهل منبج . وكان البحري يمدح الملوك ، وهذا يمدح آل محمد ﷺ ، وكان البحري أبو عبادة ينشد هذه القصيدة لأبي الغوث :

| | |
|---|---|
| وَلَهْتُ إِلَى رُؤْيَاكُمْ وَلَهُ الصَّادِي | يُذَادُ عَنِ الْوَرْدِ الرَّوِّيِّ بِذَوَادٍ |
| مُحَلِّيٌّ عَنِ الْوَرْدِ اللَّذِيذِ مَسَاغُهُ | إِذَا طَافَ وَرَادًا بِهِ بَعْدُ وَرَادٍ |
| فَأَعْمَلْتُ فِيكُمْ كُلَّ هَوْجَاءِ جَسْرَةٍ | ذَمُولِ السُّرَى تَقْتَادُ فِي كُلِّ مُقْتَادِ |
| أَجُوبُ بِهَا يَدَ الْفَلَا وَتَجُوبُ بِي | إِلَيْكَ وَمَالِي غَيْرَ ذَكَرِكَ مِنْ زَادِ |
| فَلَمَّا تَرَاءتُ سُرًّا مِنْ رَا تَجَشَّمتْ | إِلَيْكَ فَعَوْمُ الْمَاءِ فِي مُفْعِمِ الْوَادِي |
| فَأَدَّتْ إِلَيْنَا تَشْتَكِي أَلَمَ السُّرَى | فَقَلَّتْ اقْصِرِي فَالْعَزْمُ لَيْسَ بِمِيَادِ |
| إِذَا مَا بَلَغَتِ الصَّادِقِينَ بَنِي الرِّضَا | فَحَسْبُكَ مِنْ هَادٍ يُشِيرُ إِلَى هَادِ |

مقاويلٌ إن قالوا بهاليلُ إن دُعوا
إذا أوعدوا أَعَفُوا وإن وعدوا وَفَوْا
كرامٌ إذا ما أنفقوا المالَ أنفدوا
ينابيعُ علم الله أطوادُ دينه
نجومٌ متى نجمٌ خَبَا مثلهُ بدا
عبادٌ لمولاهم موالِي عباده
هم حججُ الله اثنتي عشرةً متى
بميلاده الأنبياءُ جاءتْ شهيرةٌ

وَقَالَ ابْنُ عِيَّاشٍ : وَهِيَ طَوِيلَةٌ كَتَبْنَا مِنْهَا مَوْضِعَ الْحَاجَةِ إِلَى الشَّاهِدِ .

محمد بن إسماعيل بن صالح الصيمري :

وروى ابن عيَّاش الجوهري في مقتضب الأثر / ٥٣ : أن محمد بن إسماعيل بن صالح الصيمري ، وهو من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام قال عند مرض الإمام عليه السلام :

مَآدَاتِ الْأَرْضِ بِي وَأَذَتْ
حِينَ قِيلَ لِلْإِمَامِ نِضُّو عَلِيًّا
مَرْضَ الدِّينِ لِاعْتِلَالِكَ وَاعْتَلَّ
عَجِبًا إِنْ مُنِيتَ بِالْإِمَامِ حَسْمُ الدَّاءِ
وَأَنْتَ أَسَى الْأَدْوَاءِ فِي الدِّينِ

فَوَادِي وَعَاثِرْتَنِي مَوَارِدُ الْعَرَوَاءِ
قَلْتُ نَفْسِي فَدَتُهُ كُلَّ الْفِدَاءِ
وَعَارَتْ لِي نَجْمُ السَّمَاءِ
وَأَنْتَ الْإِمَامُ حَسْمُ الدَّاءِ
وَالدُّنْيَا وَمُخَيِّ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ

وقال بعد شهادته يرثيه ويعزي ابنه أبا محمد عليه السلام أولها :

الأرض حزنًا زلزلت زلزالها
وأخرجت من جزع أثقالها

ثم عدد الأئمة وتكلمتهم بالخلف المهدي عليه السلام وذلك قبل ميلاده :

عشرٌ نجومٌ أفلت في فلكها
ويطلع الله لنا أمثالها

بالحسن الهادي أبي محمد
وبعده من يرتجى طلوعه
ذو الغيبة الطولى وبالحق التي
يا حجج الرحمن إحدى عشرة
تُذرك أشياغ الهدى آمالها
يظل جواب الفلا جزأها
لا يقبل الله من استظالها
آلف بشاني عشرها مآلها «

أقول : في قصيدتي المنبجي والصيمري دلالات عديدة ، منها : أن مرض الإمام الهادي عليه السلام طال ، وقد يكون سقي السم عدة مرات كما حدث لعدد من آباءه عليهم السلام ، ولم تصلنا تفاصيل أخبار سمه ومرضه صلوات الله عليه .

ومنها : أنه استقر عند المتشعبة أن كلمة الإمام على إطلاقها تعني المعصوم من العترة .

ومنها : أن مذهب الإمامة كان منتشرًا معروفًا بين الناس ، وأنهم يقولون بإمامة اثني عشر إماماً ربانياً ، كما بشر النبي صلى الله عليه وآله وأن الإمام الهادي عليه السلام هو العاشر ، وأن حفيده هو المهدي الموعود عليه السلام الذي سيغيب طويلاً .

بشارة الإمام الهادي بحفيده الإمام المهدي عليه السلام

نصه على إمامة ابنه الحسن العسكري عليه السلام

عقد في الكافي باباً « ١ / ٣٢٥ » بعنوان : باب الإشارة والنص على أبي محمد عليه السلام ، أورد فيه بضعة عشر حديثاً ، نص فيها على إمامة ولده الحسن بعده وبشر فيها بحفيده الإمام المهدي عليه السلام . منها عن يحيى بن يسار القنبري قال : « أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر ، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي .

وعن علي بن عمر النوفلي : « كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره فمر بنا محمد ابنه فقلت له : جلعت فداك هذا صاحبنا بعدك ؟ فقال : لا ، صاحبكم بعدي الحسن » .

وعن أحمد بن مروان الأنباري قال : « كنت حاضراً عند مضي أبي جعفر محمد بن علي ، فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسي فجلس عليه وحواله أهل بيته ، وأبو محمد قائم في ناحية ، فلما فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمد عليه السلام فقال : يا بني أحدث لله تبارك وتعالى شكراً ، فقد أحدث فيك أمراً » .

أي أظهر الله تعالى أنك الإمام بعدي وليس أحاك الأكبر الذي توفي ، كما تصور البعض ، لأن أئمة العترة عليهم السلام كما قال الله تعالى : **دُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** .

ومن ذلك : « عن جماعة من بني هاشم ، منهم الحسن بن الحسن الأفظس أنهم حضروا يوم توفي محمد بن علي بن محمد باب أبي الحسن يعزونه وقد بسط له في

صحن داره والناس جلوس حوله ، فقالوا : قدرنا أن يكون حوله من آل أبي طالب وبني هاشم وقريش مائة وخمسون رجلاً ، سوى مواليه وسائر الناس ، إذ نظر إلى الحسن بن علي قد جاء مشقوق الجيب حتى قام عن يمينه ونحن لانعرفه فنظر إليه أبوالحسن عليه السلام بعد ساعة فقال : يا بني أحدث الله عز وجل شكراً ، فقد أحدث فيك أمراً . فبكى الفتى وحمد الله تعالى واسترجع وقال : الحمد لله رب العالمين ، وأنا أسأل الله عز وجل تمام نعمه لنا فيك ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فسألنا عنه فقيل هذا الحسن ابنه ، وقدرنا له في ذلك الوقت عشرين سنة ، أو أرجح ، فيومئذ عرفناه وعلمنا أنه قد أشار إليه بالإمامة ، وأقامه مقامه .

وعن أبي بكر الفهفكي قال : « كتبت الى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسائل ، فلما نفذ الكتاب قلت في نفسي : لو أني كتبت فيما كتبت أسأله عن الخلف من بعده ، وذلك بعد مضي محمد ابنه . فأجابني عن مسائلي : وكنت أردت أن تسألني عن الخلف ، وأبو محمد ابني أصح آل محمد غريزةً ، وأوثقهم عقيدةً بعدي ، وهو الأكبر من ولدي ، إليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها . فما كنت سائلاً عنه فسله فعنده علم ما يُحتاج إليه ، والحمد لله . »

وعن الجلاب قال : « كتب إلي أبو الحسن في كتاب : أردت أن تسأل عن الخلف بعد أبي جعفر وقلقت لذلك ، فلا تغتم فإن الله عز وجل : لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون . وصاحبك بعدي أبو محمد ابني ، وعنده ما

تحتاجون إليه ، يقدم ما يشاء الله ويؤخر ما يشاء : **مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَسِيَهَا نَأَتْ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا** .

تبشيره بحفيده المهدي الموعود عليه السلام

عن داود بن القاسم قال : « سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ فقلت : ولم جعلني الله فداك ؟ فقال : إنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه ، فقلت : فكيف نذكره ؟ فقال : قولوا : الحجة من آل محمد عليهم السلام . » . « الكافي : ١ / ٣٢٧ » .

وفي كمال الدين / ٣٨٣ : « عبد الله بن أحمد الموصلي قال : حدثنا الصقر بن أبي دلف قال : سمعت علي بن محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول : إن الإمام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً » .

وفي تفسير العسكري / ٣٤٤ ، عن الهادي عليه السلام قال : « لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه ، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله ، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فحاخ النواصب ، لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله . ولكنهم الذين يمسون أزمنة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسون أصحاب السفينة سكانها ، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل » .

أولاد الإمام الهادي عليه السلام

قال المفيد في الإرشاد « ٢ / ٣١٢ » : « وتوفي أبو الحسن عليه السلام في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ، ودفن في داره بسر من رأى ، وخلف من الولد : أبا محمد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده ، والحسين ، ومحمداً ، وجعفرأ ، وابنته عائشة . وكان مقامه بسر من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهرأ ، وتوفي وسنه يومئذ على ما قدمناه إحدى وأربعون سنة » .

وفي الهداية الكبرى / ٣١٣ : « وله من الولد : الحسن الإمام ، ومحمد ، والحسين ، وجعفر المدعي الإمامة المعروف بالكذاب ، المذكور بحديث جعفر الصادق عليه السلام » .

وقال الفخر الرازي في الشجرة المباركة في أنساب الطالبية / ٧٨ : « أما أبو الحسن علي النقي فله من الأبناء ستة : أبو محمد الحسن العسكري الإمام ، وأبو عبد الله جعفر الذي لقبوه بالكذاب لا طعن في نسبه ، بل لأنه طعن في إمامة صاحب الزمان . والحسين مات قبل أبيه بسر من رأى ، وموسى ، ومحمد هو أكبر أولاده ، وعلي . واتفقوا على أن المعقب من أولاده ابنان : الحسن العسكري الإمام ، وجعفر الكذاب . وله من البنات ثلاثة : عائشة ، وفاطمة ، وبريهة ، وزوج بريهة محمد بن موسى بن محمد التقي » .

أقول : تفرد الفخر الرازي بذكر ثلاث بنات للهادي عليه السلام ، ولعلها واحدة كان يطلق عليه أكثر من إسم ، وبريهة التي ترجم لها لعلها بنت جعفر الكذاب ، وكانت سالحة .

وقال السيد ضامن بن شذقم في تحفة الأزهار في نسب أبناء الأئمة الأطهار / ٤٦١ :
« فأبو الحسن علي النقي عليه السلام خلف أربعة بنين : أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام ، أمه أم
ولد ، والحسين ، وأبا علي محمداً ، وأبا كرين جعفر الكذاب ، وعائشة . أمهاتهم
أمهات أولاد ، وعقبهم أربعة أصول .. الخ . » .

وفي عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عتبة / ١٩٩ : « وأعقب من رجلين هما
الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام كان من الزهد والعلم على أمر عظيم ،
وهو والد الإمام محمد المهدي صلوات الله عليه ثاني عشر الأئمة عند الإمامية ،
وهو القائم المنتظر عندهم ، من أم ولد إسمها نرجس .

وإسم أخيه أبو عبد الله جعفر الملقب بالكذاب ، لادعائه الإمامة بعد أخيه
الحسن ، ويدعى أبا كرين « أبا البنين خ . ل » لأنه أولد مائة وعشرين ولداً ، ويقال
لولده الرضويون نسبة إلى جده الرضا .

وأعقب من جماعة ، انتشر منهم عقب ستة ما بين مقل ومكثر ، وهم إسماعيل
حريفا ، وطاهر ، وبجي الصوفي ، وهارون ، وعلي ، وإدريس . » .

أقول : اتفقت مصادر الأنساب على أن أبناء الإمام الهادي عليه السلام ثلاثة غير الإمام الحسن
العسكري عليه السلام : وهم محمد وحسين وجعفر ، المعروف بجعفر الكذاب :

محمد بن الإمام الهادي ، المعروف بالسيد محمد

ويعرف بالسيد محمد ، وقبره قرب بلد ، يزار وله كرامات . ويسمونه : سبع الدجيل .
وكان أكبر أولاد الإمام الهادي ، وتوفي في حياة أبيه ، فصار الحسن أكبرهم عليه السلام .

قال السيد الأمين في أعيان الشيعة « ١٠ / ٥ » : « السيد أبو جعفر محمد بن الإمام علي أبي الحسن الهادي عليه السلام . توفي في حدود سنة ٢٥٢ . جليل القدر ، عظيم الشأن ، كانت الشيعة تظن أنه الإمام بعد أبيه عليه السلام ، فلما توفي نص أبوه علي أخيه أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام . وكان أبوه خلفه بالمدينة طفالاً لما أتى به إلى العراق ثم قدم عليه في سامراء . ثم أراد الرجوع إلى الحجاز ، فلما بلغ القرية التي يقال لها بلد على تسعة فراسخ من سامراء مرض وتوفي ودفن قريباً منها ، ومشهده هناك معروف . ولما توفي شق أخوه أبو محمد ثوبه ، وقال في جواب من لامه على ذلك : قد شق موسى علي أخيه هارون عليه السلام » .

وفي كتاب المصطفى والعترة للشاكري « ١٤ / ٢١ » : « الحسين بن الإمام الهادي عليه السلام : نقل السيد محمد كاظم القزويني عن كتاب شجرة الأولياء : أن الحسين كان زاهداً عابداً معترفاً بإمامة أخيه أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام ، وكان صوت الإمام المهدي عليه السلام يشبه صوت عمه الحسين . وكان الناس يعبرون عنه وعن أخيه الإمام الحسن العسكري بالبسطين ، تشبيهاً لهما بالإمامين الحسن والحسين عليهما السلام .

وكان له من الأولاد أربعة ، وقد رحلوا بعد وفاة أبيهم عن سامراء إلى مدينة لار من بلاد فارس في إيران ، فقتلوا بعد وصولهم إليها » .

الحسين بن الإمام الهادي عليه السلام

ورد تشبيه صوت الإمام المهدي عليه السلام بصوته . « أمالي الطوسي / ٢٨٨ » .

وفي مستدركات الشيخ النمازي « ١٧١ / ٣ » : « الحسين بن علي بن محمد الإمام الهادي عليه السلام : هو أخو الحسن العسكري عليه السلام يسميان بالسبطين ، تشبيهاً لهما بجدتهما الحسن والحسين صلوات الله عليهما . كان جليل القدر عظيم الشأن » .

وفي مسند الإمام العسكري « ١ / ٥٢ » : « أولاد الإمام أبي الحسن الهادي عليه السلام وهم جعفر ومحمد والحسين . أما محمد بن الإمام الهادي : هو صاحب الروضة المعروفة والقبلة المشهورة في بلد بين بغداد وسامراء ، تقصده الزوار من شتى النواحي . أما الحسين فقد كان ممتازاً في الديانة من سائر أقرانه وأمثاله ، تابعاً لأخيه الحسن عليه السلام معتقداً بإمامته ، ودفن في حرم العسكريين عليهم السلام تحت قدميهما ، كما ورد في هامش بحار الأنوار في باب أحوال أولاد الإمام الهادي عليه السلام » .

جعفر الكذاب

ادعى جعفر الكذاب الإمامة بعد وفاة أبيه ، ثم بعد وفاة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام . ويعرف بأبي كرين لكثرة أولاده ، وقيل إن أبناءه بلغوا مئة وعشرين ابناً غير الإناث . وذريته كثيرة وفيهم صالحون أجلاء . ولم أجد ضبطاً لكلمة كرين أو معنى يربطها بكثرة الأولاد . ولعل أصلها « أبو الكرين » مشى كُر ، ويقال كُرُّ حنطة أو كُرُّ ماء . وسيأتي موقفه في سيرة الإمام العسكري عليه السلام . والذي يهون الخطب أنه أعرض عن ادعاء الإمامة ، وقيل تاب وأناب . قال الشبراوي في الإتحاف بحب الأشراف

« ٣٧٢ / ١ » : « لكن إرادة الله غالبية ، إذ سرعان ما انكشف زيف أمره ، ثم ندم على ما فعل ، وتاب على ما قيل ولذا سمي بجعفر الكذاب ، ثم جعفر التواب . علماً بأنه من الناس العاديين الذين يجوز عليهم الكذب والخطأ والنسيان والعصيان ، وادعاء الباطل والحسد . وهذا ليس بغريب في الكون وقد سبقه قاييل بقتل أخيه هابيل ، وإخوة يوسف عند ما ألقوا يوسف في الحب » .

وقال الشيخ مُغنية في الشيعة في الميزان / ٢٥٠ : « كان للإمام العسكري أخ يسمى جعفرًا ، وكان يكيده ويهدس عليه وعلى شيعته الدسائس عند الخلفاء ، وقد لحق بالموالين الأذى والحبس والتشريد من وشايتيه وافتراءاته ، وادعى الإمامة بعد أخيه ، ولذلك قيل له الكذاب .

وجاء جعفر هذا إلى الوزير ابن خاقان بعد أن قُبض أخوه الإمام وقال له : اجعل لي مرتبة أبي وأخي ، وأعطيك في كل سنة عشرين ألف دينار . فنهره الوزير وقال له : يا أحمق إن السلطان جرد سيفه وسوطه على الذين والوا أباك وأخاك ليردهم عن ذلك فلم يقدر ، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهياً له ، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى إمام يرتبك مراتبهم ، وإن لم تكن عندهم بهذه المرتبة لم تنلها ، وإن سانداك السلطان وغيره . ثم أمر الوزير أن يحجب عنه جعفر ولا يؤذن له عليه بالدخول .

وصدق ابن خاقان ، فإن منصب الإمامة والرياسة عند الشيعة لا يناط بإرادة الحكام ، ولا ينال بالشفاعات والوساطات ، كما هو الشأن في تعيين المشيخات والقضاة والمفتين . إن الرياسة عند الإمامية تعود إلى إرادة الله سبحانه .

وروى الصدوق في كمال الدين / ٣١٩ ، عن فاطمة بنت محمد بن الهيثم ، قالت : « كنت في دار أبي الحسن علي بن محمد العسكري في الوقت الذي ولد فيه جعفر ، فرأيت أهل الدار قد سُروا به ، فصرت إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أره مسروراً بذلك فقلت له : يا سيدي ، ما لي أراك غير مسرور بهذا المولود ؟ فقال عليه السلام : هَوْنِي عليك أمره ، إنه سيُضَلُّ خلقاً كثيراً . » ورواه المسعودي في إثبات الوصية ٢٣٩ ، عن جماعة .

وروى في الكافي « ١ / ٥٠٣ » حديثاً بليغاً يعطي صورة واضحة عن الإمام العسكري عليه السلام وأخيه جعفر ، قال : « كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم ، وكان شديد النصب فقال : ما رأيتُ ولا عرفتُ بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا ، في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه ، عند أهل بيته وبنو هاشم ، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر ، وكذلك القواد والوزراء وعمامة الناس . فإني كنت يوماً قائماً على رأس أبي « كان أبوه رئيس وزراء » وهو يوم مجلسه للناس ، إذ دخل عليه حجابهم فقالوا : أبو محمد ابن الرضا بالبواب ، فقال بصوت عال : ائذنوا له ، فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكونون رجلاً على أبي بحضرته ولم يكن عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنى ! فدخل رجل أسمر ، حسن القامة ، جميل الوجه ، جيد البدن ، حدث السن ، له جلاله وهيبته ، فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه خُطى ولا أعلمه فعل

هذا بأحد من بني هاشم والقواد ، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره ، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه ، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه ، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه ، وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل الحاجب فقال : الموفق قد جاء وكان الموفق إذا دخل على أبي ، تقدم حجابيه وخاصة قواده ، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج ، فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة ، قال حينئذ : إذا شئت جعلني الله فداك ، ثم قال لحجابيه : خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا يعني الموفق ، فقام وأبى وعانقه ومضى .

فقلت لحجّاب أبي وغلماناه : ويلكم من هذا الذي كنيتموه على أبي ، وفعل به أبي هذا الفعل ؟ فقالوا : هذا علوي يقال له الحسن بن علي ، يعرف بابن الرضا فازددت تعجباً ، ولم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه ، حتى كان الليل ، وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات « أي المشاورات » وما يرفعه إلى السلطان ، فلما صلى وجلس ، جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي : يا أحمد لك حاجة ؟ قلت : نعم يا أبا عبد الله فإن أذنت لي سألتك عنها ؟ فقال : قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت ، قلت : يا أبا عبد الله من الرجل الذي رأيتك بالعادة فعلت به ما فعلت من الإجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك ؟ فقال : يا بني ذاك إمام الرافضة ، ذاك الحسن بن علي المعروف بابن الرضا ، فسكت ساعة ، ثم قال : يا بني لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقتها أحد من بني هاشم غير هذا ، وإن هذا ليستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانتته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه . ولو رأيت أباه رأيت رجلاً جزلاً نبياً فاضلاً ! فازددت قلقاً وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعت منه ، واستزدته في فعله وقوله فيه ما قال ، فلم يكن

لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره ، فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس ، إلا وجدته عنده في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل ، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه ، فعظم قدره عندي إذ لم أر له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه ! فقال له بعض من حضر مجلسه من الأشعرين : يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر ؟ فقال : ومن جعفر فتسأل عن خبره ؟ أو يُقَرَّنُ بالحسن جعفر ، معلنُ الفسق ، فاجزَّ ماجزَّ شريب للخمور ، أقل من رأيته من الرجال وأهتكهم لنفسه ، خفيفٌ قليلٌ في نفسه ، ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجبت منه ، وما ظننت أنه يكون . وذلك أنه لما اعتل بعث إلى أبي أن ابن الرضا قد اعتل ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين ، كلهم من ثقاته وخاصته ، فيهم نحير ، فأمرهم بلزم دار الحسن وتعرف خبره وحاله ، وبعث إلى نفر من المتطيين ، فأمرهم بالإختلاف إليه وتعاهده صباحاً ومساءً ، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخرج أنه قد ضعف ، فأمر المتطيين بلزوم داره وبعث إلى قاضي القضاة ، فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه ، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً ، فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة ، وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها ، وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة ووكل بها نحير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيته ، وعطلت الأسواق ، وركبت بنو هاشم والقواد وأبي وسائر الناس إلى

جنازته ، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين ، وقال : هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه ، حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ، ومن المتطبين فلان وفلان ، ثم غطى وجهه وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه ، فلما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده ، وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل ، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر ، وادعت أمه وصيته وثبت ذلك عند القاضي .

والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده ، فجاء جعفر بعد ذلك إلى أبي فقال : إجعل لي مرتبه أخي وأوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار ، فزيره أبي وأسمعه وقال له : يا أحمق السلطان جرد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك ، فلم يتهيأ له ذلك ، فإن كنت عند شيعة أبيك أو أخيك إماماً فلا حاجة بك إلى السلطان أن يرتبك مراتبهما ولا غير السلطان . وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا ، واستقله أبي عند ذلك واستضعفه ، وأمر أن يحجب عنه ، فلم يأذن له في الدخول عليه حتى مات أبي ، وخرجنا وهو على تلك الحال ، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي . هذا ، وتفصيل ذلك في سيرة الإمام الحسن العسكري عليه السلام .

ملاحظة في الختام

وبعدُ ، فإن كل واحد من أئمة العترة النبوية الإثني عشر صلوات الله عليهم ، عالمٌ متكاملٌ ، وصرخٌ شامخٌ ، واسعُ الأرجاء ، غنيُّ الجنبات ، فريدُ العمارة ، قال له ربه : **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي .**

ويصعب عليك أن تلمس هذا التوصيف حتى تتشرف بأعتابه ، وتدخل الى رحابه ، فترى العجب العجاب ! وهكذا كانت رحلتي مع الإمام الهادي عليه السلام .

قرأت له وعنه أكثر من أربع مجلدات ، ولو أردت أن أكتب مسترسلاً في البحث والتحليل لكتبت في سيرته بضع مجلدات ، لكنني هديني أن أقدم لقارئ باقياً عن الإمام الهادي عليه السلام ، أنتقي لها من زهوره أجملها وأغلاها . وهنا الصعوبة .

فهل أختار قطافاً من التحليل السياسي لخطين : خط الحكام ، وخط الأئمة عليهم السلام ، وأخذ في تحليل برنامج كل منهما وفعالياته وأهدافه ، وما أنجزه ، وما لم ينجز .

أم أقارن بين شخصيتين : أحدهما عليه أنوار الله وخشوع أوليائه ، يلهج بآيات ربه ، ليلته ونهاره ، وينشر بركته في الناس ، جلته وترحاله .

وآخر سمى نفسه خليفة ، جالسٌ على طُنفسة ، وحوله ستائر حرير وديباج ، وجنودٌ واقفون بالحراب ، وهو جائع متعطش لأن يأمر وينهى .

ثم يجثو على مائدة طعامه ، فيختار ويختارون له ، من مئات الأصناف ، ما يملأ معدته الى بابها ، ثم يشرب عليه تسعة أرطال من النبيذ !

أم نترك المقارنة ، ونبحث حياة الإمام الهادي عليه السلام في علمه ، وندرس ما صدر عنه في عقائد الإسلام وفقهه ، وتفسير القرآن وعلومه ، وهدى جده صلى الله عليه وآله وسنته .

أم ندرس مقام الإمام الهادي عليه السلام في الأمة ، وما كتبه عن مقامات الأئمة في الزيارة الجامعة ، وانتشار الاعتقاد بأنه ولي الله صاحب الدعوة المجابة ، حتى وصل ذلك الى الأسرة الحاكمة ، فأمر المتوكل تنذر له النذور ، ورئيس الوزراء يطلب منه الدعاء لحاجة مهمة ، والقائد الذي رافقه الى المدينة يقول له : الناس يقولون إنك تعلم الغيب ، وقد تبينتُ من ذلك خلتين ! وكبير الأطباء يقول عنه : إنه شبيه عيسى بن مريم ، وإن كان أحد يعلم الغيب فهو علي بن محمد !

أم ندرس منابع الإمامة الربانية في الإمام الهادي عليه السلام ومصادر علمه وإلهامه ، والروح القدس التي كانت ترافق النبي صلى الله عليه وآله ثم صارت ترافق الإمام من عترته !

كل هذه مناهج للبحث مفيدة ، لكنني وضعت نفسي مكان القارئ فوجدته يحتاج الى إمامة شاملة وافية ، عن شخصية الإمام الهادي عليه السلام ، وعصره ، ومعاصريه ، ونماذج من معجزاته ، وأصحابه ، صلوات الله عليه .

فكان هذا الكتاب قطاعاً من هذه الأبعاد ، وهو أصعب من المناهج الأخرى .

أسأل الله بجاه الإمام الهادي روعي فداه ، أن يكتبه في ميزاني ، يوم فقري :
وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .

مقطوعات شعرية في الإمام الهادي عليه السلام

للسيد محمد الزيني البغدادي :

فَالْتُمْ تَرَاهَا وَكُنْتِجِلَ بِغُبَارِهَا
عَلِينَ إِنْ أَصْبَحَتْ مِنْ حُضَّارِهَا
مُخْتَارُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ مُخْتَارِهَا
قَدْ ضَلَّ مَنْ قَدْ ضَلَّ عَنْ أَنْوَارِهَا
أَسْرَارِهَا وَالْجُودُ مِنْ آثَارِهَا

هَذَا مَنَازِلُ آلِ بَيْتِ الْمَصْطَفَى
هِيَ بَقْعَةُ الْوَادِي الْمَقْدِسِ فَاخْلَعْ النَّدَى
فِيهَا بَنُو الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَنْوَارٌ حَقٌّ يُهْتَدَى بِسَنَائِهَا
الْحِلْمُ مِنْ أَطْوَادِهَا وَالْعِلْمُ مِنْ

للسيد أحمد البغدادي العطار :

وَتَرَاءَى نَوْرُ أَعْلَامِ هُدَايَا
تُرْبُهَا مَسْكٌ وَيَاقُوتٌ حَصَايَا
مِثْلَمَا زَيْنَتْ الشَّهْبُ سَمَايَا
لَا يُدَانِي الْفَلَكَ الْأَعْلَى غَلَايَا
بِمَصَابِيحِ الْهُدَى مِنْ آلِ طَاهَا
أَنْهَا تَصْلِحُ أَرْضاً لِسَمَايَا
بَاكِيَاً مَسْتَنْشِقَاً طَيْبَ ثَرَاهَا
أَوْفَى الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ جَاهَا
بِهِمْ قَدْ بَاهَلَ اللَّهُ وَبَاهَى

هِيَ سَامِرَاءُ قَدْ فَاحَ شَذَاهَا
يَا لَهَا مِنْ بِلَدَةٍ طَيِّبَةٍ
وَهَضَابٌ زَانِهَا حَصْبَاؤُهَا
صَاحٍ إِنْ شَاهَدْتَ أَسْمَى قُبَّةٍ
حَضْرَةٌ قَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهَا
حَضْرَةٌ تَهْوَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
فَاسْتَلِمَ أَعْتَابُهَا مَسْتَعْبِرَاً
لَائِذَاً بِالْعَسْكَرِيِّينَ التَّقِيَّينَ
مَنْ بَنَى فَاطِمَةَ الْغُرِّ الْأُولَى

حوزة الإسلام والحامي حماها
 فنوات الدين من بعد التواها
 سائر الأكوان بل قطب سماها
 عترة المختار كاسات رداها
 تُشرق الأرض بأنوار سناها
 لا يُرى فيه التباساً واشتباها
 نحن فيه من أسى أن يتناهي

واستجر بالقائم الذائد عن
 حجة الله الذي قوّم من
 قطب آل الله بل قطب رحي
 مدرك الأوتار ساقى واتري
 يا وليّ الله هل من رجعة
 ويعود الدين ديناً واحداً
 ليت شعري أو لم يأنّ لما

للسيد محمد علي آل خير الدين :

حيثُ الفضا والماء والخضراء
 نغ حيرتي وهناك سامراء
 تيهاً وينشرُ للفخار لواء
 واخشع بحيثُ أظلت العلياء
 ملك زوته هيبته وبهَاء
 رقدت به ساداتنا النجباء

عج للمحصّب من مشارق دجلة
 فهناك مربع جيرتي وهناك مف
 فاحبس بحيثُ العزُّ يسحب ذيله
 واخضع بحيثُ المجد ألقى رخله
 واجنح إلى الحرم المنيع فلو دنا
 تُبصر تجلّي نور ربك في ثرى

من أرجوزة الشيخ محمد حسين الأصفهاني عليه السلام :

في غاية الوجود باسم الهادي
 وباسمه الهادي اهتدى من اهتدى
 ومشرق الشموس والبدر

لقد تجلّى مبدأ الإيجاد
 أحسن خلق كل شئ فهدى
 طلعتُه مطلع نور النور

بحرُ الندى والجود في يمينه
 وصدره خزانةُ اللاهوت
 كالروح في الأعيان والأكوان
 للمتجلى بالجمال الباهر
 بل هي كالعناء في قاف القدم
 كيف وفي رضاهُ لله رضا
 في منتهى مراتب الولاية
 في بثّ روح العلم والإرشاد
 كجده المنذر للعباد
 وكان عند ربه مرضيا
 وسرُّ جده بحكم السيرة
 وشاهدٌ فيه تجلى الغيب
 في قربه من العليّ الأعلى
 مُدْ بلغ الشهود منتهاهُ
 فما طغى قطُّ وما زاع البصر
 تطوف بالصرح أملاك السما
 لهم بها مناسكُ موظفة
 وأين منه المشعرُ الحرام
 والبيتُ منسوبٌ إلى جنابه
 وهو لأرباب القلوب قبله

نورُ الهدى والرُّشد في جبينه
 أنفاسُهُ جواهرُ النَّاسُوتِ
 وقلبه في قالب الإمكان
 وكيف وهو أعظم المظاهر
 همتهُ فوق سماواتِ الهمم
 وعزمه يكاد يسبقُ القضا
 وهو له ولايةُ الهداية
 وهو يمثلُ النبيّ الهادي
 فإنّه لكلِّ قومٍ هاد
 هو النقيُّ لم يزل نقيًا
 فهو نقي السرِّ والسريرة
 وهو كتابٌ ليس فيه ريبُ
 وكيف لا وهو ابن من تدلى
 ما كذبَ الفؤاد ما رآه
 مرآتهُ نقيّةٌ من الكدر
 وهو مطافُ الماء الأعلى كما
 وبابه كعبة أهل المعرفة
 فأين منه الحجُّ والمقامُ
 والحرمُ الآمن حريمُ بابه
 ملجأ كلِّ مَلَّةٍ ونخله

ما لا ذك كل حاضرٍ وباد
 بل هو باب الله من أتاه
 ولست أحصي مكرمات الهادي
 وكم أساء المتوكّل الأديب
 وهو من السنة والكتاب
 أهذه القبائح الشنيعة
 أيطلب الشرب من الإمام
 أيطلب الغناء بالأشعار
 أنزله في أشنع المنازل
 من هو عند ربه مكين
 له رياض القدس مأوى ومقر
 وكم أساء القول في أبيه
 حتى انتهى الأمر إلى الصديقه
 عاجله المنتم القهار
 قاسى الإمام من بني العباس
 كم مرة من بعد مرة حيس
 حتى قضى بالغم عمراً كاملاً
 قضى شهيداً في ديار الغربه
 بكتفه عين الرشيد والهدايه
 بكتفه عين العلم والآداب

وكيف لا والباب باب الهادي
 فقد أتى الله فما أعلاه
 فإنها في العبد كالأعداد
 أحضره عند الشراب والطرب
 منزلة اللب من اللباب
 بمحضر من صاحب الشريعة
 وهو ولي عصمة الأحكام
 من معدن الحكمة والأنوار
 وفخر كل منزل بالنازل
 فلا عليه أينما يكون
 خان الصعاليك غطاءً للبصر
 علي القدر وفي بيته
 فأظهر الكفر على الحقيقة
 بضربة تقح منها النار
 ما ليس في الوهم وفي القياس
 وهو بما يراه منهم محتبس
 فسومه المعتز سماً قاتلاً
 في شدة ومحنة وكرهه
 حيث هوى منها أجل رايه
 ومحكم السنة والكتاب

بكته عينُ الفلك الدوار
 بكاهُ جدُّه النبيُّ المجتبي
 بكته أعينُ البدر النيرة
 بكاهُ كل ما سوى الله على
 حزنأً على المدير والمُدار
 كأنه ضياءُ عينيه خَبَا
 آباؤه الغرُّ الكرامُ البررة
 مصابه حتى الوحوش في الفلا) .

من قصيدة للدكتور الشيخ محمد حسين الصغير على إثر تفجير مشهد العسكريين عليه السلام :

إرثُ النبوة من طه وياسين
 أعماهمُ الحق هَدَاراً بصولته
 القصفُ والنسف والتدمير أسلحةُ
 أئمةُ ورسولُ الله جَدُّهُمْ
 أيديهمُ لدواهي الظلم دافعةُ
 ما قبهُ العَلَمُ الهادي وروضتهُ
 زهت بمغناهُ سامراءُ والتجأت
 طالت إليه يدُ الإرهاب غادرةُ
 تلك القبابُ أعز الله جانبها
 داجٍ من الخطب غطى كل منحدرٍ
 أبنا صهيونَ إن عاثوا الفساد بها
 بالنور يخطفُ أبصارَ الشياطين
 فقابلوه بتفجير البراكين
 على العدا لا على الغر الميامين !
 بيضُ الأسارير أو شُمُ العرانيين
 ومالهم للضحايا والمساكين
 إلا مقرُّ الأعمالي والأساطين
 له الأقاليم من جور السلاطين
 وفجرت حقدَها في غصن زيتون
 رمزُ السلام ومقياسُ الموازين
 من العراق فما حيَّ بمأمون
 ففي بلادي منهم ألف صهيوني

للشيخ عبد الكريم الجزائري مؤرخاً باب مشهد العسكريين عليه السلام سنة ١٣٤٣ :

| | |
|--|--|
| فَهُوَ بَابٌ بِهِ بَلُوغُ الْمُرَادِ | لُذِّ بِيَابِ النِّجَاةِ بَابُ الْهَادِي |
| قَدْ حَادَهُمْ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ حَادِي | كَمْ لِرُكْبِ الزَّوَارِ فِيهِ مَنَاخٌ |
| وَأَمَامَ الْإِلَاجِي وَرِيُّ الصَّادِي | هُوَ بَابُ الرَّجَا إِلَى مَرْتَجِيهِ |
| وَضَرِيحِ الْإِمَامِ نَجْلِ الْجَوَادِ | لِحِمَى الْعَسْكَرِيِّ مِنْهُ دُخُولٌ |
| وَأَمَاناً لِحَاضِرٍ وَلِبَادِ | لِضَرِيحِ أَضْحَى مَزَاراً وَمَلْجَأاً |
| بِهِمَا الْخَلْقُ فِي طَرِيقِ الرِّشَادِ | ضَمَّ قَبْرَيْنِ بِلِ وَبَدْرَيْنِ يُهْدَى |
| وَمَالِذِي وَلاهِمَا وَسِنَادِي | فَهُمَا جَنَّتِي وَدِرْعِي وَحِرْزِي |
| ضَمِيرِي فِي مَبْدئِي وَمَعَادِي | وَأَمَامِي قَدْ طَوَيْتُ عَلَى هَذَا |
| لَسْتُ مِمَّنْ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادِ | وَبِوَادِي وَلاهِمَا هَمَّتْ شَوْقاً |
| وَلاهِمِ وَحَبَّهِمْ فِي فِئَادِي | أَهْلَ بَيْتِ الْوَحْيِ الْأُولَى غَرَسَ اللَّهُ |
| بِفِنَا الْعَسْكَرِيِّ وَبَابِ الْهَادِي | فَحَقِيقٌ إِذَا لَجَأْنَا وَأُلْدْنَا |
| وَهُوَ بَابٌ بِهِ بَلُوغُ الْمُرَادِ | فَهُوَ بَابُ النِّجَاةِ لِلْخَلْقِ أَرَّخُ |

(تم الكتاب والحمد لله رب العالمين)

* *

فهرس موضوعات الكتاب

مقدمة

الفصل الأول :

الإمام الهادي عليه السلام في عهد المأمون والمعتصم والوائق

- الطفل المعجزة افتخر به المأمون وأنكره المعتصم ! ٥
- الإمام الهادي عليه السلام عرف بشهادة أبيه في بغداد ٦
- فرضوا عليه الإقامة الجبرية وهو طفل ٧
- دلالة فرض الإقامة الجبرية على الإمام عليه السلام ؟ ٩
- استبصر « معلمه » الجنيدى وثبت على الإيمان ١٠
- صرباً مزرعة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ١١
- فشلت خطة المعتصم في محاصرة الإمام عليه السلام ١٢
- كان الوائق ليناً مع العلويين ومعجباً بالإمام الهادي عليه السلام ١٣
- المتوكل يضطهد الإمام الهادي عليه السلام ١٥

الفصل الثاني :

من مفردات صحيفة المتوكل

- الهوية الشخصية ١٧
- كان حضرة الخليفة مخنثاً يطلب الرجال ! ١٨
- وأثوا به من سجن المخانيث الى كرسي الخلافة ٢٠

- ٢٣ وكان لحضرة الخليفة ندماء مخانيث !
- ٢٦ وكان حضرة الخليفة حَمَّاراً يهوى الغلمان !
- ٢٩ وكان لحضرة الخليفة أربعة آلاف جارية !
- ٣٢ عنده آلاف الجوارى واغتصب بنت رئيس وزرائه !
- ٣٣ دخل جِيَّي في جارية المتوكل فأخرجه ابن حنبل بالقباب !
- ٤١ ما قيمة الخلافة إذا كان الخليفة مُنْحَطاً !
- ٤٣ كانت عقيدة المتوكل وسياسته مضادةً لأبائه !
- ٤٤ وَضَعَ المتوكل خطةً واسعة لنشر التُّصَب والتجسيم
- ٤٥ كان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب عليه السلام
- ٤٨ قَرَّبَ المتوكل العلماء المجسمين والنواصب وأغدق عليهم
- ٥١ أسس حزب أهل الحديث أو الصاعدي
- ٥٥ الصاعدي أجداد الوهاية !
- ٥٧ أعطوا المتوكل لقب محي السنة ، وقطب الظاهر والباطن !
- ٥٨ كيف كان المتوكل يدير الدولة ؟

الفصل الثالث :

سياسة المتوكل مع الإمام الهادي عليه السلام

- ٦٥ من ثوابت سياسة الخلفاء تصفية مخالفيهم !
- ٦٦ ١ . سَحَنَ المتوكل الإمام عليه السلام ليقتله فأجابه الله
- ٦٩ ٢ . واتهم المتوكل الإمام عليه السلام بجمع السلاح للثورة عليه
- ٧١ ٣ . وكان يقول : أعياني أمرُ ابن الرضا !
- ٧٢ ٤ . يتفائل المتوكل بنفسه ويتشائم بالإمام عليه السلام
- ٧٣ ٥ . وكانت أم المتوكل تعتقد بالإمام عليه السلام وتنذر له

٦. هياً له علوجاً ليقتلوه ، فهابوه وسجدوا له ٧٥
٧. بنى المتوكل عاصمة جديدة بالإجبار ٧٦
٨. حاول المتوكل إذلال الإمام عليّ فدعا عليه ٧٧
٩. أظهر الله قدرة وليه عليّ فخاف الطاغية ٨٠
١٠. لقد فاحرتنا من قريش عصابةً ٨٢

الفصل الرابع :

إحضار المتوكل للإمام الهادي عليّ الى سامراء

- إحضار المتوكل للإمام الهادي عليّ الى سامراء ٨٥
- أحضر المتوكل الإمام عليّ الى سامراء ثلاث مرات ٨٥
- الإحضار الأول للإمام عليّ الى سامراء ٨٧
- عتّاب بن أبي عتاب قائد عباسي فارسي ٨٧
- إحضار الإمام الى سامراء بعد هدم قبر الحسين عليّ ٨٩
- أمر المتوكل قائده أن يفتش بيت الإمام عليّ ٩٢
- نص كتاب المتوكل الى الإمام الهادي عليّ ٩٤
- خافت السلطة من ثورة البغداديين ! ٩٩

الفصل الخامس :

خطة المتوكل لإبادة أهل البيت عليّ وشيعتهم

- كان المتوكل يبغض أسلافه لحبهم علياً عليّ ١٠١
- أرسل المتوكل الرُّحَّجِي المتوحش والياً على الحجاز ! ١٠٢
- اضطهد المتوكل الشيعة في مصر ١٠٣
- واضطهد والي مصر محمد بن الفرّج ١٠٤
- واضطهد المتوكل قاضي قضاة مصر ١٠٦

- ١٠٩ واضطهد أحد تجار بغداد
- ١١٢ بُحِّي أهل الدينور أنفسهم من شر المتوكل
- ١١٦ كان مسجد برآثا مركزاً للشيعة قبل بغداد !

الفصل السادس :

هدم المتوكل قبر الإمام الحسين عليه السلام

- ١١٩ عقدة المتوكل من الإمام الحسين عليه السلام وزواره
- ١٢٧ ملاحظات على نصوص هدم القبر الشريف
- ١٣٢ هدم قبر الحسين عليه السلام قبل المتوكل
- ١٤١ هدم قبر الحسين عليه السلام بعد عصر المتوكل

الفصل السابع :

الوهابية أبناء المتوكل وبناته

- ١٤٧ إصرار الوهابية على تفجير قبر الحسين عليه السلام
- ١٤٩ قام الوهابيون بتفجير قبر الإمام الهادي عليه السلام
- ١٥٣ رعونة الوهابية في دفاعهم عن المتوكل !

الفصل الثامن :

ثورات العلويين بعد هدم قبر الحسين عليه السلام

- ١٦٥ ثورات العلويين بعد هدم قبر الحسين عليه السلام
- ١٦٧ الموجة الشعبية المؤيدة للإمام الهادي عليه السلام
- ١٦٩ من الثورات العلوية في زمن المتوكل
- ١٧٦ قصيدة ابن الرومي في رثاء يحيى العلوي
- ١٨٤ دور قم المميز في زمن الإمام الهادي عليه السلام

الفصل التاسع :

مرسوم إمامة ابن حنبل بعد هدم قبر الحسين عليه السلام

- ١٨٧ كان ابن حنبل غير مرضي عند المأمون والمعتصم والواثق
- ١٨٨ اتهموا ابن حنبل بالخيانة وفتشوا بيته !
- ١٩٠ أحضر المتوكل أحمد الى سامراء عدة مرات
- ١٩٣ اتفق المتوكل مع أحمد وجعله مرجعاً للدولة !
- ١٩٥ مرجعية ابن حنبل لمواجهة مرجعية الإمام الهادي عليه السلام
- ١٩٦ احتفل المتوكل بمرجعية أحمد وإنزال رأس ابن نصر !
- ١٩٨ أهم إنجازات مرجعية أحمد بن حنبل
- ١٩٩ محنة أحمد بن حنبل كذبة حنبلية !
- ٢١١ أحاط ابن حنبل نفسه بمهالة من المبالغات !
- ٢١٣ لم يكن أحمد من شييان وقد يكون حليفهم
- ٢١٥ كان جده حنبل مجنداً مشاغباً
- ٢١٧ قال علماء إن أحمد من ذرية حرقوص رأس الخوارج ؟
- ٢١٨ كانت الفارسية اللغة الأم لأحمد بن حنبل
- ٢١٩ تناقض ابن حنبل في موقفه من أهل البيت عليهم السلام
- ٢٢١ من غلو الحنابلة ومبالغاتهم في إمامهم وأنفسهم

الفصل العاشر :

الإمام الهادي عليه السلام ينقض مذهب أحمد والمتوكل

- ٢٢٥ المأمون عالم الخلفاء والمتوكل من جهالهم
- ٢٢٦ جواب أهل البيت عليهم السلام على مقولة خلق القرآن
- ٢٢٧ الإمام الهادي عليه السلام يشرح مسألة خلق القرآن

| | |
|-----|---|
| ٢٣٧ | وينفي عن الله تعالى الجسم والصورة |
| ٢٤٠ | المتوكل يمتحن علم الإمام الهادي عليه السلام |
| ٢٤٤ | رد الإمام الهادي عليه السلام تفسير المجسمة للمقام المحمود |
| ٢٤٧ | تكريم الإمام لعالم مناظر وإفحامه العباسيين |
| ٢٤٩ | عالم يعرض عقيدته على الإمام الهادي عليه السلام |
| ٢٥٠ | محاولة ابن تيمية التشكيك بفضائل الإمام الهادي عليه السلام |

الفصل الحادي عشر :

الإمام الهادي عليه السلام يطلق منشور الغدير والزيارة الجامعة

| | |
|-----|--|
| ٢٥٩ | منشور الغدير في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام |
| ٢٧٤ | فهرس علمي أولي لزيارة الغدير |
| ٢٩٥ | الإمام الهادي عليه السلام يطلق (إياذة) الشيعة في الأئمة عليهم السلام |
| ٢٩٨ | ظاهرة النصب والغلو في أهل البيت عليهم السلام |
| ٣٠٠ | موقف أمير المؤمنين عليه السلام من الذين أهوه |
| ٣٠١ | موقف الإمام الصادق عليه السلام من الذين أهوه |
| ٣٠٢ | موقف الإمام الكاظم عليه السلام من الذين أهوه |
| ٣٠٢ | موقف الإمام الرضا عليه السلام من الذين أهوه |
| ٣٠٣ | موقف الإمام الهادي عليه السلام من الذين أهوه |
| ٣٠٤ | سند الزيارة الجامعة وشروحها |
| ٣٠٥ | نص الزيارة الجامعة |
| ٣١١ | فهرس أولي للزيارة الجامعة |

الفصل الثاني عشر :

شخصيات عاصرت الإمام الهادي عليه السلام

| | |
|-----|--|
| ٣١٥ | قاضي القضاة يحيى بن أكثم |
| ٣١٨ | قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد |
| ٣١٩ | قاضي القضاة ابن أبي الشوارب |
| ٣٢٣ | الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات |
| ٣٢٧ | الوزير عمر بن الفرغ الرخحي |
| ٣٣٢ | الوزير الفتح بن خاقان |
| ٣٣٥ | الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان |
| ٣٤٠ | القائد العام لجيش الخلافة : إيتاخ |
| ٣٤٦ | القائد وصيف التركي |
| ٣٥١ | القائد صالح بن وصيف |
| ٣٥٣ | رئيس الأطباء بخت يشوع |
| ٣٥٩ | تسليط العلماء النواصب والمجسمة على الأمة |
| ٣٥٩ | هشام بن عمار الدمشقي |
| ٣٦١ | علي بن جهم : مستشار المتوكل |

الفصل الثالث عشر :

الإمام الهادي عليه السلام مع المنتصر والمستعين والمعتز

| | |
|-----|---|
| ٣٦٣ | ثلاثة خلفاء في ست سنين |
| ٣٦٣ | عصفت العاصفة بالمتوكل ومن بعده ! |
| ٣٦٥ | سيطرة المماليك على خلافة العباسيين ! |
| ٣٦٨ | أجيال الترك الأوائل لم يدخل الإيمان في قلوبهم |
| ٣٧٠ | الخليفة المنتصر بن المتوكل |

- هل قتل المنتصر أباه المتوكل ؟ ٣٧٥
- لم يستفد المنتصر من توجيه الإمام الهادي عليه السلام ٣٧٧
- قتل المنتصر ونصب المستعين « أحمد بن محمد بن المعتصم » ٣٨٠
- قتل المستعين ونصب المعتز « الزبير بن المتوكل » ٣٨٢
- قتل المعتز ونصب المهدي « محمد بن الواثق » ٣٨٤
- قتل المهدي ونصب المعتمد « أحمد بن المتوكل » ٣٨٧
- أخبار الإمام الهادي عليه السلام في عهد المستعين والمعتز ٣٨٩

الفصل الرابع عشر :

من معجزات الإمام الهادي عليه السلام

- الأئمة أفضل أوصياء الأنبياء عليهم السلام ٣٩١
- ١ . ظهر الماء في الصحراء ورويت القافلة ٣٩٢
- ٢ . عرف الإمام بموعد نزول المطر في الصيف ٣٩٣
- ٣ . الإمام يشفي عين طفل ويرد بصره ٣٩٤
- ٤ . رواية أخرى لحادثة المطر في الصيف ٣٩٤
- ٥ . رواية ثانية لظهور الماء وري القافلة ٣٩٧
- ٦ . ما ظهر للفتح بن يزيد الجرجاني ٣٩٩
- ٧ . قال البغدادون : أقبل بيت الله الحرام ٤٠٢
- ٨ . عرف الإمام عليه السلام ما في ضميره فاستبصر ٤٠٣
- ٩ . النصراني الكاتب والإمام الهادي عليه السلام ٤٠٤
- ١٠ . طبيب نصراني يسلم على يد الإمام عليه السلام ٤٠٧
- ١١ . عزم المتوكل على قتل علي بن جعفر ٤٠٨
- ١٢ . قصة زينب الكذابة ٤٠٩
- ١٣ . بستان الآس ٤١١

- ٤١٢ ١٤ . معرفة الإمام عليّؑ باللغات
- ٤١٢ ١٥ . لسنا في خان الصعاليك
- ٤١٣ ١٦ . بردون أبي هاشم الجعفري
- ٤١٤ ١٧ . المتوكل يستعين بمشعوذ
- ٤١٥ ١٨ . وعُلِّمْنَا منطق الطير
- ٤١٦ ١٩ . إخباره عليّؑ بأجله
- ٤١٨ ٢٠ . إنتقام الله للإمام عليّؑ من أحمد بن الخصيب

الفصل الخامس عشر :

شخصيات من تلاميذ الإمام الهادي عليّؑ وأصحابه

- ٤٢٠ ١ . الصقر بن أبي دلف
- ٤٢١ ٢ . ٣ . شخصيتان من أولاد المنصور الدوانيقي
- ٤٢٨ ٤ . خيران الأسباطي
- ٤٢٩ ٥ . عبد العظيم بن عبد الله الحسيني
- ٤٣٣ ٦ . أبوهاشم داود بن القاسم الجعفري
- ٤٣٦ ٧ . العالم اللغوي يعقوب بن السكّيت
- ٤٣٧ ٨ . عبد الله بن جعفر الحميري
- ٤٣٨ ٩ . الفضل بن شاذان
- ٤٤٠ ١٠ . أحمد بن إسحاق الأشعري

الفصل السادس عشر :

شهادة الإمام الهادي عليّؑ

- ٤٤٤ شهادة عليّؑ بيد المعتز وليس المعتمد
- ٤٤٧ مراسم جنازة الإمام عليّؑ

شاعران من أصحاب الإمام عليه السلام رثياه ٤٥٠

الفصل السابع عشر :

بشارة الإمام الهادي بحفيده الإمام المهدي عليه السلام

نصه على إمامة ابنه الحسن العسكري عليه السلام ٤٥٦

تبشيره بحفيده المهدي الموعود عليه السلام ٤٥٨

أولاد الإمام الهادي عليه السلام ٤٥٩

محمد بن الإمام الهادي ، المعروف بالسيد محمد ٤٦١

جعفر الكذاب ٤٦٣

ملاحظة في الختام ٤٦٨

مقطوعات شعرية في الإمام الهادي عليه السلام ٤٧٠